وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⴰⵢⵏⵣⵎ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⵜ ⵜⵉⵣⵣ ⴰ ⵜⵍⴰⵢⵜ ⵜⵓⵏⵏⴰⵏ
ⵅⴰⵓⵔⴰⵣⵅ ⵏ ⵍⵄⵍⵎ ⴰⴽ ⵛⵃⵜⵛⵜⵇ ⵏ ⵅⵣⵣⵣ ⵜⵣⵣⵜ
ⵅⴰⵣⵜⵜⴰⵎⴰⵅ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⵜ ⵜⵉⵣⵣ ⵡ ⵅⵜⵅⵏⴰⵅⵏ
UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DE LANGUE ET LITTERATURE ARABES
جامعة مولود معمري تيزي وزو
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللغة العربية وآدابها

الميدان:اللّغة والأدب العربيّ
الــفــرع:دراسات نقدية
التخصّص: الأدب والدراسات النقدية المغاربية

أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه

إعداد الطّالبة:حنان فلاح

العنوان

تلقّي المناهج النقدية المعاصرة مغاربيا
"نقد مدرسة باريس السّيميائية أنموذجا"

لجنة المناقشة:

أ.د:مصطفى درواش، أستاذ التّعليم العالي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... رئيسا
د: نبيلة زويش، أستاذة محاضرة (أ)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....مشرفة ومقرّرة
أ.د: نورة بعيو، أستاذة التّعليم العالي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو .... عضوا ممتحنا
أ.د: عبد القادر عميش، أستاذ التّعليم العالي، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف ..... عضوا ممتحنا
د: نسيمة لعداوي، أستاذة محاضرة (أ)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....عضوا ممتحنا
د: إسماعيل جبارة، أستاذ محاضر (أ)، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة ..... عضوا ممتحنا

تاريخ المناقشة: 20 / 09 / 2021

شكر وعرفان

بداية نشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين وأعاننا على إنجاز هذا البحث وتخطّي جميع العراقيل التي حالت بيننا وبين تقديمه منذ سنين...

ونتوجّه بالشكر ثانيا إلى كلّ من مدّ لنا يد العون من قريب أو من بعيد، وبالتحديد الأستاذة المشرفة الدكتورة "نبيلة زويش"، الأستاذة "نورة بعيو"، رئيس تخصص "الأدب والدّراسات النّقدية المغاربية" الأستاذ "مصطفى درواش"...

وخالص الشكر موصول أيضا إلى كلّ من ساهم في تصويبنا وتنوير طريق بحثنا...

وإلى كلّ من سيقوم بتقويمه وتنقيحه لاحقا...

إليكم جميعكم دون استثناء وإلى من لو لم يكونوا لما كان ما كان...

شكرا جزيلا

إهـداء

إلى الرّوح التي كانت سببا في انبعاث روحي...

إلى الخالد في قلبي.... والدي رحمه الله

إلى بسمتي وابتسامتي وسبب تبسّمي

إليك أنت صاحب رقم مئة وثلاثة وأربعين...

أهدي هذا العمل....

"إنّي رأيتُ أنّه لا يكتب أحد كتاباً في يومهِ إلاّ قال في غَدِه لوُ غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحَسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر"

الأصفهاني

مـــقدّمـــة

مقدّمة:

أضحى إعمال النّظرية السِّيميائية السّردية في الوسط النّقدي المغاربي ضرورة حتميّة أملتها إمكانات التّواصل الواسعة والسّريعة، والتّي نتجت عنها حركة تثاقفية حتّمت على النّقاد تغيير منطلقاتهم وتجاوز نظرتهم القديمة في قراءة الأعمال الأدبيّة وتحليلها، خاصة بعدما أثبتت العديد مِن الدّراسات جدارتها وكفاءتها في مقاربة النّصوص الأدبيّة وتعميق فهم القارئ لها، والكشف عن خباياها ومكنوناتها وإضاءة الكثير مِن جوانبها الغامضة؛ الأمر الذّي دفع العديد من النّقاد المغاربة إلى تبنّيها، واستثمار مقولاتها فيما يخدم النّقد المغاربي، ويطوّر تعاملهم مع النّص الأدبي كالسعيد بوطاجين، رشيد بن مالك، عبد الحميد بورايو، محمد الناصر العجيمي، عبد المجيد نوسي، سعيد بنكراد، محمد مفتاح وغيرهم ممّن كان لهم الفضل الكبير في تجلّي السِّيميائية السّردية مغاربيا وانبثاق ملامحها الأولى حتّى عُدّت مؤلفاتهم اللّبنة الأساسية الّتي انطلق منها –لاحقا– الدّرس السِّيميائي المغاربي واستمد منها أبجدياته.

ولا يخفى على المطّلع في متون البحوث والمقاربات السّيميائية المُسترشدة بالفكر الغريماسي في الآونة الأخيرة على نحو ما كان مع قادة عقاق، عبد الحميد بورايو، جميل حمداوي، محمد فليح الجبوري، راضية لرقم، سليمة لوكام، آسيا جريوي استنادها الكبير على ما جادت به أقلام النّقاد الأوائل الّذين تلقّوا السّيميائية السّردية من منابعها الأصلية، وأوكلوا لأنفسهم مهمّة التّعريف بها في السّاحة النّقدية المغاربية (شرحا، أو تأريخا، أو تأسيسا، أو ترجمة) لتصبح مؤلفاتهم فيما بعد مرجعا قيّما لهم يأخذون منها ويُحيلون إليها، وشاهدنا في هذا ما تعجّ به رُفوف مكتباتنا من بحوث عن ، وما تُروّج له الملتقيات والمعارض الدّولية للكتاب.

ورغبة منّا في الاغتراف ممّا نهله هؤلاء النّقاد، وإبراز كيفية تمظهر الدّرس السّيميائي السّردي في العديد مِن المنجزات النّقدية المغاربية، وإسهامه في تطوير النّقد المغاربي المعاصر، لأنّ مِثل هذه الدّراسات النّقدية لم تنل اهتماما كافيا، ولم يُعرّف بنقاد المغرب العربي كما هو حال نقاد المشرق العربي على الرّغم مِن جهودهم الكبيرة وأعمالهم الّتي لا تقل أهمية عن سابقتها، ارتأينا صياغة عنوان بحثنا على النّحو الآتي:

"تلقي المناهج النّقدية المعاصرة مغاربيا –نقد مدرسة باريس السِّيميائية أنموذجا–"

وعلى هذا الأساس كان اختيارنا لمدوّنة بحثنا من المنتج النّقدي السِّيميائي المغاربي، وبالتّحديد من مؤلّفات الدّارسين السّالف ذكرهم مُثيرين جملة مِن الأسئلة والنّقاشات الّتي تقتضي إنجاز دراسات متخصّصة ومترابطة فيما بينها لمعرفة كيفية تلقيهم للمناهج النّقدية المعاصرة وتبنّيهم للنّقد السِّيميائي، واستخلاص مواطن التّآلف والتّخالف الموجودة بينهم –رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد– حول الخلفيات الثّقافية والرّوافد الفكرية الّتي نهلوا منها، دون إغفال الحديث عن إشكالية ترجمة المصطلح السِّيميائي.

ويبقى الهدف الأساسي الّذي نسعى إلى تحقيقه مِن خلال هذا العمل التّعريف بالمنجز النّقدي المغاربي والإشادة به، وإبراز مدى كفاءة أعلامه في تمثّل الفكر الغربي وتبنّيه خاصّة بعدما أضافوه للمكتبة النّقدية المغاربية حول النّظرية السِّيميائية السّردية وآليات اشتغال مفاهيمها بوصفها أدوات إجرائية مهمّة في التّحليل السِّيميائي السّردي، وهو ما يعكس أهمية موضوع بحثنا وقيمته العلمية.

وانطلاقا ممّا سبق سُقنا إشكالية بحثنا حول مسألة تلقي النّقد السِّيميائي السّردي مغاربيا ترجمة، واشتغالا، واصطلاحا لدى النّقاد المغاربة الّذين تمّت الإشارة إليهم على النّحو الآتي:

– كيف تلقى هؤلاء النّقاد السّالف ذكرهم السِّيمائية السّردية؟

– ماهي المرجعيات المعرفية الّتي اغترفوا منها والّتي كانت سببا في بلورة تفكيرهم النّقدي وتشكّل الدّرس السِّيميائي السّردي في السّاحة النّقدية المغاربية؟

– وماهي الآليات الّتي اعتمدوها لنقل أبجديات السِّيميائية السّردية إلى السّاحة النّقدية المغاربية؟ هل اعتمادهم عليها كان مُتماثلا؟ أم لا؟

– ماهي أبرز الإشكاليات الّتي صاحبت تلقّيهم للمنجز النّقدي الغربي الغريماسي؟ وما أسبابها؟

وفي ضوء المعطيات السّابقة ورغبتنا الملحة في الإجابة عمّا أثرناه مِن تساؤلات اعتمدنا المنهج التّاريخي للتّأصيل لمدرسة باريس السِّيميائية في السّاحة النّقدية المغاربية، ورصد تحوّل

وتطوّر الدّرس النّقدي المغاربي، ثم استعنا بآليات التّحليل والوصف والمقارنة عند الدّراسات والأبحاث الّتي قام بها هؤلاء النّقاد المغاربة للتّمكن مِن عرض آرائهم النّقدية بشكل واضح والوقوف عند الاختلافات الموجودة بينهم في العديد مِن مقارباتهم السِّيميائية.

ونهض بحثنا على خطّة منهجية أطّرنا من خلالها عناصره على التّوالي: **مقدّمة ومدخل** موسوم بـ"**الإطار المفاهيمي لمصطلحات عنوان الأطروحة**" حاولنا من خلاله ضبط مفاهيم المصطلحات المشكّلة لعنوان أطروحتنا، ذاكرين في الآن ذاته السّبب الرئيسي الكامن وراء انتقائنا لمدرسة باريس السِّيميائية أوّلا، وسبب اعتمادنا مصطلح "السِّيميائية السردية" في متون وفصول أبواب بحثنا بدلا من "مدرسة باريس السِّيمائية" ثانيا بالرّغم مِن أنّ عنوان أطروحتنا كان حولها.

ثمّ وصلنا المدخل بعدها مباشرة **بأربعة فصول**؛ ارتأينا تخصيص **الفصل الأوّل** منها للتعريف بنظرية غريماس وبجهازها المفاهيمي واسِمين إيّاه بـ"**السّيميائية السّردية:أصولها ومفاهيمها الإجرائية**"، ثمّ الانتقال لاحقا إلى البحث عن أولى المنجزات النّقدية المغاربية الّتي بدأت تلوح في أفق النّقد المغاربي، معرّجين الحديث بعدها عن مختلف الأسباب الّتي كانت وراء قصر مدوّنة بحثنا على كل مِن رشيد بن مالك مِن الجزائر، ومحمد الناصر العجيمي مِن تونس، وسعيد بنكراد مِن المغرب دون سواهم مِن النّقاد، والسّعي لاحقا إلى الكشف عن المرجعية الابستمولوجية الّتي ساهمت في تشكل النّظرة النّقدية المغاربية لاستخلاص أوجه التّشابه والاختلاف، وتقديم بُعد أوسع لمختلف المصادر الّتي استقوا منها مادتهم النّقدية وإظهارها في صورة شاملة تمنحها قوّة الإيحاء والعطاء، هذا إلى جانب محاولتنا الكشف عن مختلف الآليات الّتي كانت وراء تشكّل التّفكير السِّيميائي السّردي مِن محاكاة وتأليف وترجمة عند النّقاد الّذين عليهم مدار اشتغالنا، وكلّ هذا في **الفصل الثّاني** المعنون بـ"**السّيميائية السّردية في النّقد المغاربي (التّلقي والمرجعيات)**".

وسعيا منّا للإحاطة التّامة بموضوع بحثنا خصّصنا الفصلين **الثّالث والرّابع** للكشف عن كيفية تمظهر السِّيميائية السّردية عند رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد،

وكيفية تبنّيهم للاتجاه السِّيميائي الغريماسي بمختلف مضامينه الفكرية ومستوياته التّحليلية في مؤلفاتهم النّقدية المتبنّية فقط لذلك الاتّجاه دون غيره مِن الاتّجاهات السِّيميائية الأخرى الّتي ما فتِئت تعجّ بها السّاحة النّقدية المغاربية محاولين استقرائها واستنطاقها، ومنه جاء وسمنا **للفصل الثّالث** بـ"**التّنظير النّقدي المغاربي للسّيميائية السّردية (قراءة في مؤلّفات رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد)**"، و**الفصل الرّابع** بـ"**تمظهر آليات وإجراءات التّحليل السّيميائي السّردي في مقاربات رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد** ".

وبالنّسبة للمؤلّفات النّقدية الّتي اعتمدناها للكشف عمّا أوردناه للتّو فهي كالآتي:

– كتاب "قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص"، كتاب "البنية السّردية في النّظرية السِّيميائية"، كتاب "مقدّمة في السِّيمائية السّردية"، كتاب "السِّيميائيات السّردية"، كتاب "السِّيميائية(الأصول، القواعد، التّاريخ)"، كتاب "مِن المعجميات إلى السِّيميائيات" للنّاقد رشيد بن مالك.

– كتاب "في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)" للنّاقد محمد النّاصر العجيمي.

– كتاب "مدخل إلى السِّيميائية السّردية"، كتاب "سيميولوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة لحنا مينة)" لسعيد بنكراد.

وأنهينا بحثنا **بخاتمة** عرضنا فيها أهمّ النّتائج المُتوصّل إليها حول كيفية تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا وتمظهرها في متون تلك المؤلّفات النّقدية، مع ذكر مواطن التّآلف والتّخالف بين النّقاد الّذين اشتغلنا عليهم، وملحقٍ يحوي ثبتا لعدد من المصطلحات والرّموز الموظّفة فيه، وبطاقة تعريفية لكلّ ناقد على حدة، وأخيرا قائمة المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

واستند بحثنا في جانبه التّوثيقي بالإضافة إلى المصادر السّالفة الذّكر على جملة مِن المراجع الأساسية نذكر منها: **الاشتغال العاملي دراسة سميائية (غدا يوم جديد لابن هدوقة)** لـ"السعيد بوطاجين"، **تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السيميائي** لـ"نبيلة زويش"، **التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدلالة)** لـ" عبد المجيد

نوسي"، **معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات** لـ"تشاندرل دانيال"، **إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الحديث** لـ"يوسف وغليسي"، **تلقي السّرديات في النّقد المغاربي** لـ"سليمة لوكام"، **السِّيميائيات السّردية –أصولها ومفاهيمها ومآخذها–** لـ"قادة عقاق".

هذا إلى جانب استعانتنا بعدد مِن الدّراسات الأكاديمية الّتي كان لها سبق الاهتمام ببعض مِن عناصر موضوع بحثنا أبرزها: رسالة دكتوراه لـ "نبيلة زويش" الموسومة بـ**"الشخصية بين النظرية والتطبيق ("اللاز" و"العشق والموت في الزّمن الحراشي" للطاهر وطار أنموذجا")** لـ"نبيلة زويش، **سيميائيات جوزيف كورتاس (أسسها النّظرية وآفاقها التّطبيقية)** لـ"دايري مسكين"، **السِّيميائية السّردية مِن البنية إلى الدّلالة (دراسة في ثلاثية حكاية بحار لحنا مينا)** لـ"جريوي آسيا"، **المقاربة السِّيميائية عند رشيد بن مالك** لـ"لعجال لكحل"، **تجليات المنهج السِّيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر** لـ"شرشار فاطمة الزهرة".

وممّا اعترضنا مِن صعوبات في بادئ الأمر طبيعة موضوعنا الّذي استدعى منّا معرفة دقيقة باللّغة الأجنبية الثّانية (الفرنسية) والإلمام بها، ولأنّنا صراحة لا نملك هذه المعرفة ارتأينا في كثير مِن المواضع اعتماد التّرجمات ذات الصّلة الوثيقة بالسِّيميائية السّردية، هذا بالإضافة إلى سعة المدوّنة النّقدية الّتي اشتغلنا عليها وتشعّب مسالكها وكثرة الدّراسات المهتمة بالنّقاد الّذين اتخذنا مؤلفاتهم النّقدية مدوّنة لبحثنا خاصة رشيد بن مالك.

ولا يسعنا في الأخير إلاّ أن نتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان للأستاذة المشرفة "نبيلة زويش" على سعة خاطرها في توجيهنا المعرفي والمنهجي، ودعمها لنا بصبرها وثقتها فينا.

تاريخ المناقشة

2021/09/20

مـــدخل

الإطار المفاهيمي لمصطلحات عنوان الأطروحة

شهد الخطاب النّقدي المغاربي المعاصر في العُقود الأخيرة مِن القرن العشرين تحوّلات عميقة مُقارنة بما كان عليه سابقا جرّاء تأثّره بالمناهج النّقدية الغربية المعاصرة، وما أحدثته مِن قدرة فائقة على مُقاربة النّص الأدبي بطريقة تجمع بين الدّقة العلمية والتّماسك المنهجي مُتجاوزة بذلك النّظرة القديمة للمناهج الكلاسيكية(السّياقية) المُتّسمة بانطباعيتها وأحكامها القيْميَّة، وباهتمامها بالظّروف المحيطة بالنّص–سياقاته الخارجية– لا بالنّص ذاته جاعلة مِن "المؤلّف عُمدتها في الرّؤية والتّحليل، ومحورها الأساسي في التّفسير"[1] على حساب النّص الإبداعي، كالمنهج التّاريخي الّذي اتّخذ مِن أحداث التّاريخ السّياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب، وتعليل ظواهره[2] دون الاهتمام بالكشف عن جوهره وبنيته اللّغوية وخصوصياته حتّى بات يُنظر إليه وكأنّه وثيقة تاريخية لمراحل تطوّر الفكر الإنساني، والمنهجين الاجتماعي والنّفسي؛ استقى الأوّل(المنهج الاجتماعي) منطلقاته الأولى مِن المنهج التّاريخي خاصة مِن المفكّرين والنّقاد الّذين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات المختلفة، وتحوّلاتها طبقا لاختلاف العصور والبيئات والظروف[3]المحيطة به، ويستند في تحليله له على الواقع الاجتماعي الّذي يعتبره نقطة انطلاق الأديب وكأنّ ما أنتجه انعكاس لظروفه الاجتماعية، وجزء مِن نظامه الاجتماعي يتغيّر ويتطوّر بتغيره ورقيّ فكره.

أمّا الثّاني(المنهج النّفسي) فيُعد من أكثر المناهج النّقدية إثارةً للمواقف المختلفة، يستمد آلياته الإجرائية مِن نظرية التّحليل النّفسي –العائدة أصولها إلى الطبيب النّمساوي سيغموند فرويد (Sigmund Freud)–، الّتي حاول مِن خلالها تفسير السّلوك البشري، وإرجاعه إلى منطقة اللاّوعي واللاّشعور لدى الإنسان[4]، فاستعان بمصطلحات علم النّفس ومفاهيمه، وحاول وضع تفسير "لظاهرة الإبداع الفنّي عن طريق فكرة التّسامي النّفسي لدى المبدع، الّذي غالبا ما

[1]: ينظر، عبد الحميد هيمة، النّص الشّعري بين النّقد السّياقي والنّقد النّسقي(قراءة في إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر)، مجلة مقاليد، ع2، ديسمبر 2011، ص87.

[2]: ينظر، يوسيف وغليسي، مناهج النّقد الأدبي، ط3، جسور للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2010، ص15.

[3]: ينظر، صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ط1، ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة، 2002، ص45.

[4]: يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبي، ص22.

يندفع تحت وطأة الرّغبة اللاّشعورية نحو إنتاج ما يشبعها، فنشاطه النّفسي على رأي (فرويد) موزع بين ثلاث قوى : الأنا (الشّعور)، والأنا الأعلى (الضمير)، والهو (اللاّشعور)، والصّراع فيما بينهم يتجلى في سلوكه الشخصي في أي موقف مِن المواقف ويتمّ بواسطة ما يطلق عليه فرويد اسم الآليات منها القمع، والكبت، والتّسامي"[1]؛ ما يعني أنّ فرويد ربط الإبداع النّصي بالمنطقة اللاّشعورية لمبدعه، وعلى المُحلّل اعتماد كشوفات علم النّفس وقوانينه العامّة لدراسته، وكأنّه حالة مرضية تستدعي جلسة تحليلية، ولعلّ مردّ ما ذهب إليه أنصار هذا المنهج اعتبارهم أنّ "الإنتاج الأدبي هو أوّلا وقبل كلّ شي إنتاج نفس بشرية لها نوازغها ورغباتها ووعيها ولاوعيها، وطرائقها في التفكير والمعالجة"[2] وأنجع تحليل لتفسير إنتاجها هو التّحليل النّفسي.

وتعدّ المناهج النّسقية (المنهج البنيوي، السِّيميائي، التّفكيكي ...) من أبرز المناهج النّقدية المعاصرة الّتي كانت سببا في انحسار المناهج السّياقية –لربطها الإبداع الأدبي بالسّياق التّاريخي والاجتماعي والحالة النّفسية الّتي أُنتج فيه، واعتبارها النّص وثيقة وليس إبداعا– وأخذ مكانها بعد تركيزها في تحليلها للنّص الأدبي على وحداته وبنايته الدّالة وعلاقتها ببعضها البعض دون العودة إلى مبدعه أو الظروف المحيطة بولادته لتحرير طاقته على "الإنتاج بعد أن يُكتب (...)، ولإرساء عقلانيةٍ جديدة تبلغ مداها الأقصى في واقعية التّحليل، وموضوعيةِ التّقويم وعلمية الأحكام"[3]، لأنّ النّص الأدبي في نظر أعلامها أكبر مِن أن يحصر في دائرة الانعكاس لصاحبه، أو يكون مجردَ مرآةٍ لها.

واعتُبِر "المنهج السِّيميائي" مِن أكثر المناهج النّسقية استقطابا ولفتا لنظر الباحثين والنّقاد الّذين اعتمدوه في مُساءلة مُختلف النّصوص الأدبية قديمة كانت أم حديثة، خاصة بعدما أثبت قدرته وجدارته في مقاربة جميع الخطابات النّصية، ورصد كلّ الأنشطة البشرية بالتّفكيك

---

[1]:عبد الحميد هيمة، النّص الشّعري بين النّقد السّياقي والنّقد النّسقي(قراءة في إشكالية المنهج في النّقد العربي المعاصر)، ص88.

[2]: بسام قطوس، دليل النّظرية النقدية المعاصر(مناهج وتيارات)، ط1، فضاءات للنّشر والتّوزيع، 20161، ص40.

[3]: ينظر، عبد الحميد هيمة، النّص الشّعري بين النّقد السّياقي والنّقد النّسقي(قراءة في إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر)، ص90.

والتّركيب، والتّحليل والتّأويل باعتبارها علامات، وإشارات، ورموز وأيقونات، واستعارات ومُخطّطات، يستدعي تحليلها البحث البحث عن آليات إنتاج المعنى وكيفية إفراز الدّلالة مع سبر أغوار البِنيات العميقة دلالة ومنطقا مِن أجل فهم تعدّد البُنى النّصية، وتفسيرها على مستوى البنية السّطحية تركيبا وخطابا[1] لاستكناه مُختلف البنيات الدّلالية الّتي تحتويها جُلّ الخطابات والأنشطة الإنسانية والكونية.

ورغبة منّا في التّعريف أكثر بموضوع بحثنا ارتأينا الاكتفاء بما قدّمناه دون تفصيل والانتقال مباشرة إلى:

– الوقوف عند المصطلحات المشكّلة لعنوان الأطروحة (تلقي، المنهج، السِّيميائية، النّقد المغاربي المعاصر) لضبط مفهومها.

– تقديم عرض موجز للاتّجاهات السِّيميائية المعاصرة تكون تكون بمثابة تمهيد لما سنسلّط عليه الضّوء لاحقا.

أوّلا: ضبط مفاهيم مصطلحات عنوان الأطروحة:

تلقي: وهو مصطلح حداثي ظهر في النّصف الثّاني من القرن العشرين، جاء ليحل مكان مصطلحات لم تنجح في ملء فراغات تصوّرية كالتأثير، والقصد والقصدية[2]، وتمّ توارده في العربية بمُشتقاتها المُختلفة مضافة إلى النّص بغض النّظر عمّا إذا كان خبرا أم حديثا أو خطابا أو شعرا[3]، ولا يتجاوز مفهومه في المعاجم العربية القديمة والحديثة المفهوم اللّغوي الّذي يفيد الاستقبال أو التّعلم أو الأخذ أو التّلقين، ونُنوّه في هذا المقام أنّ ما نريده من توظيفنا لذاك المصطلح ليس اعتماد إجراءات نظرية التّلقي في أطروحتنا بل توظيفنا له جاء من باب البحث عن كيفية نقل السّيميائية السّردية للسّاحة النّقدية المغاربية وكيف كان تلقي الناقد المغاربي لها.

---

[1]: جميل حمداوي، مدخل إلى السّيميوطيقا السّردية، ط1، حقوق الطّبع محفوظة، 2015، ص7.

[2]: ينظر، ابراهيمي اسماعين، تلقي التجارب المسرحية المعاصرة في الجزائر، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتوراه، إشراف أ.د بن ذهيبة بن نكاع، جامعة وهران(السانيا)، 2014/2013، ص12،11.

[3]: ينظر، محمود عباس عبد الواحد، قراءة النّص وجماليات التّلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1996، ص13.

المنهج: ويُراد به الطّريقة الّتي يتّبعها النّاقد في قراءة العمل الإبداعي والفنّي معتمدا فيها التّصور النّظري والتّحليل النّصي، كأن يقوم بتحديد مجموعة مِن النّظريات النّقدية والأدبية ومنطلقاتها الفلسفية والإبستمولوجية ويختزلها في فرضيات ومُعطيات أو مُسلمات، ثمّ ينتقل بعدها إلى التّأكد منها[1] وتحديد القراءة النّقدية المناسبة لها باعتماد "أدوات إجرائية دقيقة ومتوافقة مع الأسس النّظرية المذكورة وقادرة على تحقيق الهدف مِن الدّراسة"[2] ويتّم التّحكم فيها مع الوقت من خلال الممارسات والتّجارب النّقدية الّتي يكتسبها النّاقد انطلاقا من وقوفه وتمرّسه على مختلف الإبداعات الأدبية.

السّيميائية: تؤكّد معظم الدّراسات اللّغوية أنّ "الأصل اللّغوي لمصطلح Sémiotique مشتق مِن الأصل اليوناني Séméion الذي يَعني العلامة، وLogos الّذي يعني الخطاب"[3]، ومِثل هذا الرّأي نجده أيضا عند العرب المُطّلعين على الأبحاث الغربية؛ كفيصل الأحمر في كتابه "السِّيميائية الشّعرية" القائل فيه: "يتكوّن مصطلح "سيميائية" حسب صيغته الأجنبية Sémiotique أو sémiotics من الجذرين (Sémio) و(tique)، إذ أنّ الجذر الأوّل الوارد في اللاّتينية على صورتين (Sémio) و(Sema) يعني إشارة أو علامة، أو ما تسمّى بالفرنسية (Signe) وبالإنجليزية (Signe) (...)، في حين الجذر الثّاني – كما هو معروف– علم"[4]، ويُواصل الكاتب شرحه المُعجمي للمصطلح قائلا: " بدمج الكلمتين(Sémio) و(tique) يصير معنى المصطلح (علم الإشارات) أو (علم العلامات)(...)"[5]، والملاحظ في هذه المفاهيم أنّها متّفقة الدّلالة.

وإذا ما جِئنا للكشف عنها مِن النّاحية الاصطلاحية فهناك مَن اعتبرها علما جديدا يهتم بدراسة العلامات داخل الحياة الاجتماعية على نحو ما ذهب إليه كل مِن فريديناند دو

---

[1]: ينظر، راضية بن عريبة، إشكالية المنهج النقدي الأدبي التطبيقي (التشخيص والحلول)، مجلة مقاليد، ع11، ديسمبر 2016، ص2.

[2]: ينظر، سيد البحراوي، البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، ط1، دار شرقيات، القاهرة، 1993، ص9.

[3]: توسان برنار، ماهية السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، ط2، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص9.

[4]: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص12.

[5]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

سوسور(Ferdinand de Saussure) قائلا: "إنّ اللّغة نسق مِن العلامات الّتي تُعبّر عن الأفكار، وإنّها لتقارن بهذا مع الكتابة ومع أبجدية الصم والبكم، ومع الشعائر الرمزية، ومع صيغ اللّباقة، ومع العلامات العسكرية (...)، وإنّنا لنستطيع أن نتصوّر علما يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية وإنّه سيُشكّل جزءا مِن علم النّفس العام وسنُعطي لهذا العلم اسم العلاماتية(...)"[1]، والدكتور محمد السّرغيني الّذي يُعرّفها هو الآخر بأنّها: "العلم الّذي يبحث في أنظمة العلامات أيّا كان مصدرها لُغويا أو سننيا أو مؤشريا"[2]، وأيضا مولاي بوخاتم في قوله هي:"علم يدرس حياة الدّلائل والعلامات داخل النّسق الاجتماعي"[3]، وقد لاق هذا الرّأي الكثير من النّقد بحجة أنّ مصطلح "علم" مُضلّل وأنّ السِّيميائية لا تمتلك لحدّ الآن مسلّمات نظرية أو نماذج أو منهجيات تطبيقية يقوم حولها إجماع واسع[4] على نحو ما ذهب إليه دانيال تشارلز.

وهناك مَن ربطها بالمنطق واهتم بدراستها مِن وجهة فلسفية مُعتبرا إيّاها نظرية على نحو ما ذهب إليه تشارلز ساندرز بيرس(Charles Sanders Peirce) في قوله:"ليس المنطق بمفهومه العام إلاّ اسما آخر للسِّيميوطيقا، والسّيميوطيقا نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات"[5]، وما يلاحظ فيما أوردناه من تعريفات أنّه على الرّغم مِن بعض الاختلافات الموجودة في تعريف كلّ واحد إلاّ أنّهم لا يختلفون في الإقرار بأنّ موضوعها الأساسي هو العلامة ولا شيء غير العلامة بغض النظر عن نوعها لغوية كانت أو غير لغوية.

السّردية: أجمع العديد مِن النقاد الغربيّين وحتّى المغاربة منهم على القول بأنّ: "السّردية" ماهي سوى الخاصّية الّتي تسمح لنا بالتّمييز بين ما هو نص سردي وبين ما هو غير ذلك،

---

[1]: منذر عياشي، العلاماتية وعلم النّص، ط1، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص17.

[2]: عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دط، دار فرحة للنشر والتوزيع، 2003، ص19.

[3]: علي مولاي بوخاتم، مصطلحات النّقد السيميائي، الإشكالية والأصول والامتداد، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ط1، ص171.

[4]: ينظر، دانيال تشارلز، أسس السيميائية ، تر: طلال وهبة، ط1،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ص31.

[5]: فيصل الأحمر، معجم السّيميائيات، ص 17.

ويتم على إثرها التّعرّف على الفرق الموجود بين هذا النّص وذاك، وهو ما استخلصناه من تعريف غريماس القائل إنّها:"خاصية معطاة تشخِّص نمطا خطابيا معيّنا ومنها يمكننا تمييز الخطابات السّردية مِن الخطابات غير سردية"[1]، وأيضا التّعريف الوارد في قاموس السّرديات على أنّها "مجموعة الخصائص الّتي تصف السّرد وتميّزه عمّا ليس كذلك؛ والملامح الشّكلية والسّياقية الّتي تجعل مِن السّرد سردا"[2] وتُميّزه عن غيره.

النقد المغاربي المعاصر: نشير بداية إلى أنّنا آثرنا ضمّ هذه المصطلحات الثّلاثة إلى بعضها البعض والكشف عن دلالتها انطلاقا مِن مفهوما العام لها دون التّفصيل فيها لصعوبة تقديم تعريف دقيق للنّقد المغاربي المعاصر، وذلك لارتباطه أوّلا بالحيّز المكاني وثانيا بالتّطور الزّمني في بنياته المختلفة الّتي تتداخل معه لتشكّل المُمارسة النقدية المعاصرة، والّتي تُعبّر عن فئة معيّنة مِن النّقاد في زمان ومكان مُحدّديْن يعكسون ثقافة معيّنة، أو مجموعة ثقافات مُتباينِة كما هو الحال في السّاحة النّقدية المغاربية.

وبناء على ما آثرناه يُمكننا الإقرار بما قال به حسين الخمري في كتابه الموسوم بـ" سرديات النّقد في تحليل آليات الخطاب النّقدي المعاصر على أنّه: "نسق قيمي أفرزته ظروف حضارية وتاريخية، يُعبّر عن مجموع العادات والممارسات الّتي تُجري على نص أدبي معيّن، أو مجموع نصوص تنتمي إلى ثقافة معّينة، أو ثقافات متباينة، ويُفترض أن يكون شموليا ومطّاطيا؛ أي له قابلية التّطبيق على النّصوص المختلفة المستويات كما أنّ له إمكانات الإحاطة بكلّ جوانب النّص ومحاصرة جميع أبعاده[3] واستنطاقها لتحقيق ما يرمي إليه.

وإلى هنا نكون قد كشفنا عن بعض مِن مصطلحات موضوع بحثنا مُرجئين الحديث عمّا تبقّى منها في صفحات لاحقة بعد الإشارة إلى مختلف اتّجاهات المنهج السِّيميائي، ولنا في ذلك

---

[1]: يوسف وغليسي، الشعريات والسرديات، قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم، دط، دار أقطاب الفكر، قسنطينة، 2007، ص 43/42.

[2]: جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السّيد إمام، ط1، ميرت للنّشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 132.

[3]: ينظر، حسين الخمري، سرديات النّقد في تحليل آليات الخطاب النّقدي المعاصر، ط1، منشورات الاختلاف، 2011، ص105.

غاية مفادها تقديم عرض مُوجز عن الاتّجاهات السّيميائية الغربية بصفة عامة والبارزة منها في السّاحة النّقدية المغاربية على وجه التّحديد، والّتي سيكون عليها مدار بحثنا حتّى يتسنى لنا فيما بعد ضبط موقع انتماء المدرسة الباريسية السّيميائية ومِن ثمّ الكشف عن موضوعها وأبرز أعلامها ومفاهيمها الإجرائية الّتي تقوم عليها.

ثانيا: الاتجاهات السِّيميائية المعاصرة:

تعدّدت اتجاهات المنهج السِّيميائي واختلفت مِن باحث لآخر كلّ حسب خلفياته الفكرية والثّقافية ونظرته لمفهوم العلامة لاسيما مع النّشأة المزدوجة للسِّيميائية منذ ظهورها لأوّل مرّة على يد مؤسّسيها "بيرس" و"دو سوسور" وما حدث بينهما مِن تعارضات واختلافات؛ فنجد مثلا مارسيلو داسكال يجعلها مدرستين في كتابه "الاتجاهات السِّيميولوجية المعاصرة"[1] هما:المدرسة الأمريكية المنبثقة عن بيرس، والمدرسة الأروبية المنبثقة عن دي سوسير، ولعلّ تقسيمه هذا يعود لتأثّره بالنّشأة المزدوجة للسِّيميائية منذ ظهورها على يد مؤسّسيها.

أمّا محمد السّرغيني فيقسّمها إلى ثلاثة اتّجاهات في كتابه "محاضرات في السِّيميولوجيا"[2]: الاتجاه الأمريكي، الاتجاه الفرنسي، الاتجاه الروسي.

وإلى جانب هذا الأخير نجد "نجيب بخوش" في كتابه "مدخل إلى السِّيميولوجيا"[3]، وأيضا "فيصل الأحمر" في "معجم السِّيميائيات"[4] يجعلانها ثلاثة اتّجاهات لكن بِتسمِيات مختلفة هي: سيميولوجا التّواصل، سيميولوجيا الدّلالة، سيميولوجيا الثّقافة.

في حين أنّ "حنون مبارك" في كتابه "دروس في السِّيميائيات" جعلها ست اتّجاهات[5] على

---

[1]: ينظر، مارسيلو داسكال، الاتجاهات السّيميائية المعاصرة، تر: حميد الحمداني وآخرون، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987.

[2]: ينظر، محمد السّرغيني، محاضرات في السّيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص68 وما بعدها.

[3]: ينظر، نجيب بخوش، مدخل إلى السّيميولوجيا، ط1، الخلدونية، الجزائر ،2009.

[4]: ينظر، فيصل الأحمر، معجم السّيميائيات، ص85 وما بعدها.

[5]: ينظر، حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، ط1، دار توبقال للنّشر، 1987، ص68 وما بعدها.

النّحو الآتي:

1 – سيميولوجيا التّواصل.

2 – سيميولوجيا الدّلالة.

3 – سيميولوجيا دي سوسير.

4 – سيميوطيقا بيرس.

5 – رمزية كاسيرر.

6 – سيميوطيقا الثقافة.

هذا بالإضافة إلى اتّجاهات سيميائية أخرى معاصرة تبنّت تقريبا نفس التّقسيمات كالّتي وقف عندها "جميل حمداوي" والمتمثّلة في الاتجاه الأمريكي، الفرنسي، الرّوسي، الإيطالي على النّحو الآتي عرضه:[1]

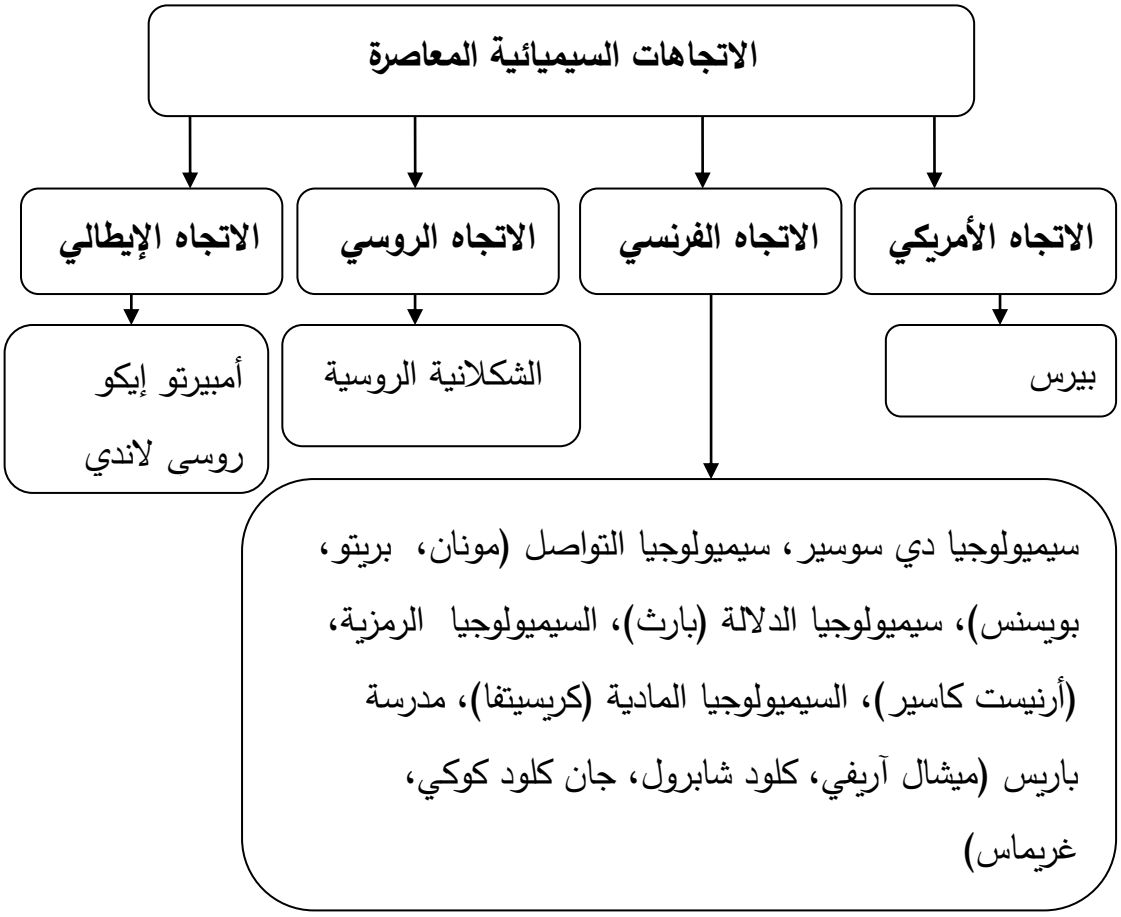

[1]: ينظر، جميل حمداوي، السّيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، مج25، ع3، يناير/ مارس، 1997، ص83.

وما يُلاحظ على ما أوردناه أنّ هناك تباينا في تقسيم الاتجاهات السِّيميائية؛ فهناك مَن يجعلها اتّجاهين وهناك مَن يجعلها أكثر، ولعلّ مردّ ذلك راجع إلى اختلاف المعيار الّذي يعتمدونه في التّقسيم، فهناك مثلا مَن يتّخذ مِن مكان نشأتها على نحو ما هو بيِّن مع "محمد السّرغيني" معيارا له، وهناك مَن يجعل الهدف الّذي وُضعت لأجله هو المعيار المعتمد في التّقسيم كما هو ظاهر عند "فيصل الأحمر" و"نجيب بخوش".

وتفاديا للإطناب في كلّ ما لع علاقة بموضوعنا سنقصر الحديث فقط على المدرسة الأوروبية أو ما يُطلق عليها بالاتجاه الفرنسي بوصفها واحدة مِن المدارس الّتي تسمح بالاغتراف الدّائم مِن مختلف المباحث العلمية، ولنا فيما يأتي محاولة للكشف عن التصوّرات النظرية والمبادئ المنهجية لكلٍّ منها على حدة:

1- **سيميولوجيا دو سوسور**: يُمثّل هذا الاتجاه العالم اللّغوي فريدناند دي سوسير الّذي يُعدّ رائد علم اللّغة الحديث في القرن العشرين، مِن خلال محاضراته الّتي ألقاها في علم اللّغة في كتاب بعنوان "دروس في علم اللغة العام"، والّذي تحدّث فيه عن أفكار أساسية للدّراسات اللّغوية الحديثة كالتّمييز بين اللّسان واللّغة والكلام، وتعريف (الدّليل اللّغوي / العلامة اللّغوية)، وثنائية الدّال والمدلول[1]، وتنطلق السِّيميولوجيا في تصوُّره مِن "نظام جديد للوقائع"[2] وهذه الوقائع عبارة عن أنساق دلائل، أي أنساق مُكوّنة مِن مُركبات دوال ومدلولات، وعلى هذه المركبات أن تُؤدي وظيفة التّعبير عن أفكار متميّزة، أي وظيفة رمزية داخل المجتمعات المختلفة[3].

ولمّا كان بوسع هذه الأنساق المُختلفة أن تشغل نفس الوظيفة فإنّه مِن الممكن -حسب دوسوسو- "أن نتصور علما يدرس حياة الدّلائل داخل الحياة الاجتماعية؛ علما سيكون فرعا من علم النفس الاجتماعي وبالتّالي فرعا مِن علم النّفس العام، ونُطلق على هذا العلم السِّيميولوجيا

---

[1]: هيام عبد الكريم عبد المجيد علي، دور السّيميائية اللّغوية في تأويل النّصوص الشّعرية شعر البردوني أنموذجا، أيار، 2001، ص30.

[2]: حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، ص68.

[3]: ينظر، المرجع نفسه، ص69.

مِن sémeion أي دليل، وسيكون على هذا العلم أن يُعرّفنا وظيفة هذه الدّلائل وعلى القوانين الّتي تتحكم فيها"[1]؛ معنى هذا أنّه لمّا كانت "اللّغة نظاما مِن العلامات المعبِّرة لذلك، فهي تُماثل أنظمة الكتابة وأبجدية الصّم والبكم والطّقوس الرّمزية وآداب السّلوك والإشارات العسكرية"[2] فإنّه لا بد من تأسيس علم يدرس حياة العلامات بشكل عام ويُساعد على معرفة الوظائف الّتي تؤدّيها مختلف الدّلائل اللّسانية وغير اللسانية والوقوف عند مُختلف القوانين الّتي تتحكم فيها، وهو ما كان "دو سوسور" يسعى إلى تحقيقه لأنّ جميع أشكال التّواصل البشري تستخدم لغة ما.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ اللّغة كنسق إشاري لا تنحصر فقط في الألف والباء، بل قد تكون الثّياب الّتي نلبسها لأنّها تَنقُل إلى الآخر (المتلقي) انطباعا عن لابسها سواء مِن ناحية عمره، مرْتبته الاجتماعية، أو ذوقه، وقد تكون اللّغة منزلا يُعطي المشاهد فكرة عن الأسلوب وعصر العمارة، والطبقة الاجتماعية للنّاس المقيمين فيه، وقد تعني أيضا إشارات المرور التّي تُعين سائقي العربات والمُشاة على التّنقل وتجنب المخاطر، أو الغيوم السّوداء المُنذِرة بقدوم العواصف، ما يعني أنّ للظّواهر الطّبيعية والثّقافية عناصر إشارية تمفصلت وانتظمت كاللّغة، وفق قوانين (أنساق) مُحدّدة[3] تضبطها، ومِن هذا المنطلق صار للسِّيميولوجيا السوسرية "موضوعين رئيسيين: الدّلائل الاعتباطية والدّلائل الطّبيعية"[4] وهو ما جعلها علما للعلامات ووَضَعها في مرتبة كبيرة تجذب استقطاب العديد مِن المهتمين بالتّواصل، وبفك مغالق وشفرات العديد مِن النّصوص رغم ما لاقته مِن انتقادات بعد قلب الأطروحة السّوسرية القائلة بأنّ السِّيميولوجيا العلم العام الّذي يشمل اللّسانيات.

---

[1]: حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، ص69.

[2]: هيام عبد الكريم عبد المجيد علي، دور السّيميائية اللّغوية في تأويل النّصوص الشّعرية شعر البردوني أنموذجا، ص30.

[3]: ينظر، عدد من المؤلّفين، سيمياء براغ للمسرح (دراسات سيميائية)، تر: أدمير كوريّة، دط، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1997، ص4.

[4]: جميل حمداوي، السّيميوطيقا والعنونة، ص88.

2- سيميولوجيا التّواصل: يذهب أنصار هذا الاتجاه (بويسنس(Buyssens)، بريطو(Prieto)، مونان(Mounin)، أوستين(Austin)، لودفيغ فيتغنشتاين(Ludwig Wittgenstein)، أندريه مارتنيه(André Martinet) إلى أنّ العلامة تتكوّن مِن وحدة ثلاثية المبنى: الدّال، والمدلول، والقصد؛ مُركّزين في أبحاثهم على الوظيفة التّواصلية أو الاتّصالية، مُشيرين في الآن ذاته إلى أنّ هذه الأخيرة لا تختص بالرّسالة اللّسانية بل نجد لها حضورا في البِنيات السّيميائية الّتي تُشكّلها الحقول غير اللّسانية، إلاّ أنّ هذا التّواصل يكون مشروطا بالقصدية التّواصلية الواعية، وبناء على ذلك انحصر موضوع السّيميائية في العلامات القائمة على الاعتباطية، لأنّ العلامات الأخرى ليست سوى تمظهرات بسيطة، أي أنّ تحديد معنى تعبير ما رهينٌ بتعيِين مقاصد المتكلّمين والكشف عنها، وبذلك تكون المقاصد ملمحا مُميزا[1]، ما يعني أنّ أصحاب هذا الاتجاه لم يركزوا فقط على العلامات اللّسانية، بل على العلامات غير اللّسانية أيضا كالرّقص مثلا والرّسم شريطة أن تُؤدّي وظيفة تواصلية ما، يكون الهدف منها التأثير في الغير، وفي هذا السّياق جاء تعريف (لي روبير) للعلامة بأنّها "حركة يقصد بها الاتّصال بشخص ما، أو إعلامه بشيء ما"[2] دون تحديد نوعها.

ومن هنا كان موضوع السِّيميائية عند أنصار هذا الاتجاه الدّلائل القائمة على القصدية التواصلية؛ فالتّواصل هو الذي يشكّل موضوعها، ويرى "بريطو" أنّه مِن الممكن اعتبار سيميولوجيا التّواصل فرعا مِن سيميولوجيا تدرس البنيات السيميوطيقية مهما كانت وظيفتها[3] والّتي تُعتبر حلقة مهمّة في سلسلة تطور السِّيميائيات الحديثة إذ "لا يمكن للدّليل أن يكون أداة التّواصلية القصدية ما لم تُشترط التّواصلية الواعية"[4]؛ معنى هذا أنّ اشتراط الوعي التّواصلي ضروري لتحقيق التّواصلية القصدية لأنّ التّواصل يكون دائما مشروطا بالقصدية، وإرادة المتكلم

---

[1]: ينظر: عبد الله ابراهيم وآخرون، معرفة الآخر، ط2، المركز الثّقافي العربي، بيروت، 1996، ص84.

[2]: عبد الله ابراهيم وآخرون، معرفة الآخر، ص85.

[3]:ينظر، حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، ص74.

[4]: ينظر، آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، تر: رشيد بن مالك، مر: عز الدين المناصرة، ط1، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص35.

التّأثير في الغير، وهو –التّواصل المقصود– "مِن جنس التّواصل اللّساني لأنّ هذا التّواصل هو التّواصل الحق"[1] المُرتجى تحقيقه، وهو ما أجاز لـ"بويسنس" القول في تعريفه للسِّيميولوجيا على أنّها دراسة طُرق التّواصل، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتّأثير على الغير والمُعترَف بها بتلك الصّفة من قِبل الشّخص الّذي نتوخى التّأثير عليه، لذلك عليها الاهتمام بالوقائع القابلة للإدراك والمرتبطة بحالات للوعي والمُنتجَة بقصد التّعريف بحالات الوعي هاته[2]، ولسيمياء التّواصل محورين اثنين هما: التّواصل والعلامة، و يتفرّع كلّ مِنهما إلى تفريعات نُوجزها فيما يأتي:

1– **محور التّواصل:** وينقسم إلى تواصل لساني، وتواصل غير لساني.

1–1 التّواصل اللّساني:ينحصر في عملية التّواصل الّتي تتم بين البشر بواسطة الفعل الكلامي

ويُعرّفه "دو سوسور" بأنّه عبارة عن حدث اجتماعي تُبدعه الجماعة لتضعه في خدمة الملكة الخاصة بالكلام" ويشترط لحدوثه وجود جماعة أو شخصين على الأقل[3]، ويتحقّق صوتيا أو سمعيا عن طريق اللّغة.

1–**2 تواصل غير لساني:** ويطلقه "بويسنس" على لغات غير اللّغات المعتادة، ويُصنّفه إلى:

1–2–1 معيار الإشارية النّسقية: وذلك عندما تكون العلامات ثابتة ودائمة، كالدّوائر والمستطيلات والمثلثات في إشارات المرور، مِمّا يشكّل أصنافا جدّ محدّدة مِن المؤشرات.

1–2–2 معيار الإشارية اللاّنسقية: كالعلامات والملصقات الدّعائية المختلفة الّتي تستعمل الشّكل واللّون لإثارة انتباه المستهلك إلى نوع خاص من البضائع، وتكون غير ثابتة وغير دائمة.

1–2–3 معيار الإشارية: وهي الّتي يكون لمعنى مُؤشِّرها علاقة جوهرية بشكلها، كالشّعارات الصّغيرة الّتي تُرسم عليها مثلا قبعة أو مظلة ثم تُعلّق على واجهات المتاجر للدّلالة على ما يُوجد فيها مِن البضائع، ويتفرّع عن هذا المعيار معيار آخر للإشارية الّتي ليس لمعنى مُؤشِّرها

---

[1]: حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، ص73.

[2]: المرجع نفسه، ص73/72.

[3]: ينظر، عبد الله ابراهيم وآخرون، معرفة الآخر، ص88.

إلاّ علاقة ظاهرية أو اعتباطية كالصّليب الأخضر المشير للصّيدلية[1]، لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ مثل هذا النوع من التواصل الذي يعتمد على الإشارات والحركات والإيماءات، وتلعب فيه حاسة البصر دورا مهما في تحقيق التواصل غير كاف لإيصال ما نريد دائما.

2- محور العلامة: يرى "برينطو" أنّ الدّال (الصورة الصوتية) مع المدلول (الصورة الذهنية) الموافق له يشكّلان معا ما يسمّى بالعلامة، ويجعلها أنصار هذا الاتجاه في أربعة أصناف:

2-1 الإشارة: كالكهانة أو العرافة وأعراض المرض أي الإشارات إليه كالحمى أو ألم معيّن أو لون غير طبيعي، وتشمل الإشارة أيضا البصمات والآثار والرّسوم الّتي تدل على حضور، أو على حدث وقع في زمن مضى[2] يجمع بينهما وبين ما تحيل إليه شيء ما.

2-2 المؤشر: ويعرّفه بريطو بأنّه:"العلامة الّتي هي بمثابة إشارة اصطناعية، هذا المؤشر وهو يفصح عن فعل(...) لا يُؤدّي المهمة المنوطة به إلاّ حيث يوجد المتلقي له"[3] كآثار أقدام الّتي يمكن اعتبارها علامة مؤشرية، وأيضا التعابير اللاّإرادية الظّاهرة على الوجه أو الجسم تعدّ مؤشّرات لحالات انفعالية كاحمرار الخدود، أو شحوب الوجه وارتجاف أطراف الأصابع في بعض المواقف، لكن يمكن لهذه المؤشرات أن تتحوّل إلى رموز.

2-3 الأيقون: وهي علامة تدل على شيء تجمعه إلى شيء آخر علاقة المماثلة، إذ يتعرّف في الأيقون على الأنموذج الّذي جعل الأيقون مقابلا له، ومِن هنا تبدو علاقة المماثلة رابطة طبيعية بين الشيء وأيقونه، كما تبدو الرّسالة الأيقونية أكثر حقيقة ومباشرة في إبلاغ التّجارب كالصورة الشخصية أو خريطة بلد أو دولة ما.

2-4 الرّمز: ويسمّيه موريس(Maurice) "علامة العلامة"، ويعني العلامة الّتي تُنتج قصد النّيابة عن علامة أخرى مُرادفة لها، ومِن هنا يُصبح الرّمز دالا على شيء ليس له وجه

---

[1]: ينظر، المرجع السّابق، ص92/91.

[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص94/93.

[3]: المرجع نفسه، ص94.

أيقوني، وتُعتبر الشّعارات والصّفات والشّارات مِن بين أنواع الرّمز؛ فمثلا يقال: السّلحفاة رمز للبطء، وإنّ الثور شعار القوّة، كما أنّ الحمامة رمز للبراءة (...)[1] وغيرها مِن الرّموز الأخرى الّتي ذاع انتشارها بشكل لافت للانتباه وصارت تُتداول حتّى في ممارساتنا اليومية.

ولعلّ الشّيء المُميّز في هذا الاتجاه أنّه ينظر إلى العلامة على أنّها وِحدة ثلاثية المبنى، تتكوّن مِن الدّال، المدلول، القصد، وتُؤدّي دائما وظيفة تواصلية، ولا يهمّ أن تكون لسانية أو غير لسانية المهم أن يتوفر فيها شرط القصدية.

3-سيميولوجيا الدّلالة: يختصر أنصار هذا الاتجاه العلامة وعلى رأسهم رولان بارث(Roland Barthes) في وحدة ثنائية المبنى هي الدّال والمدلول على غرار ما اقترحه دو سوسور للعلامة اللّغوية، وهو ما يتضح بصورة جليّة في قول بارث: "يجب منذ الآن تقبل إمكانية قلب الاقتراح السوسري ليست اللّسانيات جزءا ولو مفضّلا مِن علم العلامة العام، ولكن الجزء هو علم العلامة باعتباره فرعا مِن اللّسانيات"[2] فـ"بارث" هنا ينتقد الأطروحة السوسيرية القائلة بعمومية علم العلامة وخصوصية علم اللّغة ويقلبها مُؤكّدا على أنّ اللّسانيات ليست فرعا مِن علم العلامة (السيميولوجيا)، بل السِّيميولوجيا هي الّتي تشكل فرعا مِن اللّسانيات، ومِن الخطأ الاعتقاد مِن هذا الانتقاد بأنّ علم الدّلائل قد نشأ أوّلا باعتباره علما للّغة اللّفظية ثمّ توسعت مقولات اللّسانيات بعد ذلك لِتستوعب مظاهر أخرى غير التي كانت تستوعبها سابقا[3].

وتقوم السِّيميائية حسب ما أقرّ به "بارث" على العلاقة بين العلامة والدّال والمدلول، فالعلامة مُكوّنة من دال ومدلول، يُشكّل صعيد الدّوال صعيد العبارة، ويُشكّل صعيد المدلولات صعيد المحتوى[4]، فمثلا كثيرا ما نستعمل الحمامة بوصفها (الدال) للدّلالة على السّلام باعتبارها المدلول، وتُنتِج العلاقة بين الاثنين لفظة "حمامة " بوصفها علامة، إلاّ ما نُنوّه إليه أنّ الحمامة

---

[1]: ينظر، عبد الله ابراهيم وآخرون، معرفة الآخر، ص95.

[2]: المرجع نفسه، ص96.

[3]: حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، ص75.

[4]: ينظر، المرجع نفسه، ص97.

بوصفها علامة تختلف عن الحمامة بوصفها دالا أي بوصفها حيوانا، ولذلك فإنّه لا مهرب للأبحاث المعاصرة في العديد مِن الحقول المعرفية مِن الخوض مباشرة في مسألة الدّلالة، مع عدم إهمال اللّغة لأنّ "كلّ المجالات المعرفية ذات العمق السِّيميولوجي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللّغة ذلك أنّ الأشياء تحمل دلالات، وما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية أو أنساقا دالة لولا تدخل اللّغة ولولا امتزاجها باللّغة"[1] فلولا اللّغة لما اكتسبت –المجالات المعرفية– صفة النّسق السيميولوجي، ومِن هذا المنظور فإنّه لِزام على كلّ نسق سيميولوجي أن يمتزج باللّغة لأنّه ومِن الصّعب جدا –حسب ما أقرّ به "بارث"– "تصوّر إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللّغة، بحيث إدراك ما تدل عليه مادة يعني اللّجوء قدريا إلى تقطيع اللّغة، فلا وُجود لمعنى إلاّ لما هو مسمّى وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللّغة"[2] لفظية كانت أم غير لفظية لا لا يهم المهم أن تُساهم في إنتاج المعنى وتُحقّق التّواصل.

وعليه فإنّ السِّيميولوجيا مدعوة إلى الالتقاء باللّغة لا باعتبارها نموذجا فحسب وإنّما باعتبارها مكوّنا كذلك رغم اشتغالها في البداية على مواد غير لسانية، فأيّ شيء لا يدل إلاّ بالاستعانة بما توفّره لنا اللّغة مِن تصوّر للعالم، ولا مجال لإسناد الدّلالة إلى هذه الأشياء لو لم نلجأ إلى اللّغة، ولأنّ المعنى مِن إنتاج اللّغة فلا يمكن للسِّيميولوجيا إلاّ أن تلجأ إلى اللّغة للوقوف على دلالة الأشياء، وبذلك فاللّغة تُعتبر نموذجا للسِّيميولوجيا الّتي تمدنا بالمعاني والمدلولات، أي أنّ نموذج المعاني في السِّيميولوجيا نموذج لساني، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ اللّغة مكوّن للسِّيميولوجيا إذ يستحيل بناؤها ما لم تكن اللّغة عنصرا بنائيا فيها[3] ولا تقوم لها قائمة إلاّ بها.

4– السِّيميولوجيا الرّمزية: وتسمّى أيضا بنظرية الأشكال الرّمزية تمّ استلهامها من نظرية تشارلز ساندرز بيرس(Charles Sanders Peirce) الأمريكية الموسّعة عن العلامة وأنماطها المتنوعة كالإشارة والأيقونة والرّمز، وفلسفة إرنست كاسيرر(Ernst Cassirer)

[1]: حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، ص74.

[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: ينظر، المرجع نفسه، ص75.

الرّمزية الّتي تنظر إلى الإنسان على أنّه حيوان رمزي "animal symbolicum"، وأنّ حياته بدون الرّمزية ستكون مُماثلة لحياة سُجناء الكهف، وستكون مقتصرة على الحاجيات البيولوجية والمصالح العملية، ولن تجد أيّ مدخل إلى "عالم المثل" الّذي يفتحه أمام الإنسان، الدّين، الفن، الفلسفة، والعلم بطرق مختلفة، وما اللّغة والأسطورة والفن والدّين إلاّ عناصر مِن هذا العالم وجميعها تخلق نسيج الرّمزية وكلّ تقدّم في فكر الإنسان وتجربته يعقد هذا النّسيج ويُقوّيه.[1]

ويُؤكّد "كاسير" في محاولته لتحديد مفهوم الرّمز على أنّ "الرّموز –منظور إليها في معناها الخاص– لا يمكن إرجاعها إلى مجرّد علامات؛ إنّ العلامات والرّموز تنتسب إلى عَالَمين خطابيَّين مختلفين: فالعلامة عنصر مِن العالم الفيزيقي للكائن، بينما الرّمز عنصر مِن العالم الإنساني للمعنى؛ إنّ العلامات عبارة عن "إجرائيّات opérateurs" بينما الرّموز عبارة عن "مُشيرات indicateur" وحتّى لو فُهمت العلامات واستُعملت بوصفها إجرائيات فإنّ لها مع ذلك نوعا من الوجود الفيزيقي أو المادي؛ أمّا الرّموز فلها قيمة وظيفية لا غير"[2].

وقد تمّ حصر الحدث الرّمزي في النّصوص، المأثورات الشّفوية، القرارات والتّنظيمات والأنظمة، ويتم دراسة هذه العناصر مِن خلال ثلاثة مستويات:

- المستوى الشّعري يتناول علاقة المنتج بالإنتاج.
- المستوى المحايد أو المادي يتناول الإنتاج في نفسه.
- المستوى الحسّي يتناول الإنتاج في علاقته بالقارئ[3].

5 – السّيميوطيقا المادية: وتُعرف أيضا بجماعة "تل كل tel quel" نسبة لاسم مجلة فرنسية تُعنى بالأدب والنّقد صدرت عام 1960 من طرف فيليب سولرز(Philippe Sollers)، ومنذ ذلك الحين وهي تستقطب أهمّ أعلام النّقد والأدب أمثال جوليا كريستيفا(Julia Kristeva)، وجيرار جينيت(Gérard Genette) وتزفيتان تودوروف(Tzvetan Todorov) وغيرهم مِن

[1]: ينظر، حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، ص83.

[2]: المرجع نفسه، ص83.

[3]: ينظر، جميل حمداوي، السّيميوطيقا والعنونة، ص92.

النّقاد الذين كان همّهم الوحيد رفض المناهج النّقدية التقليدية، وتشجيع الدّراسات الحديثة والعمل على نشرها، والسّعي إلى إيجاد نقد علمي لا يقوم على المقولات المستهلكة بل على سيميائية تهدف إلى تطوير طرائق منفتحة للقراءات المُتعدّدة، وتبحث في جوهر الأنظمة الفكرية والفلسفية واللّغوية والأدبية في محاولة منها للقبض على سيل المعاني اللاّمحدودة[1] المبثوثة فيها.

وتعدّ جوليا كريستيفا من أبرز النّقاد المُتزعّمين لهذا الاتجاه والدّاعين إلى الاهتمام بالإنتاج الأدبي ومدلوليته مِن خلال تناولها دلالة كلّ علامة لوحدها، وانتقالها فيما بعد إلى البحث في مدلولات كلّ علامات النّص عموديا وأفقيا في ضوء الماركسية والنيتشوية والفرويدية إلى جانب الارتكاز على ثقافة فلسفية، رياضية وأدبية وكأنّها تحاول تقديم طرح جديد للعلاقة الديناميكية بين الطبيعي والشّعري في الوجود الإنساني متقصّية الإيقاع الخفي في هذه العلاقة[2] رافضة في الوقت ذاته حصر السِّيميائية في الوظيفة التّواصلية فقط، وداعية إلى خلق مقولات وفضاءات جديدة يقوم بها السِّيماناليز Semanalyse– السِّيميولوجيا التحليلية– الذي يعني التّركيب بين الخطاب السِّيميولوجي والتّحليل النّفسي النّظري"[3] وكلّ هذا في محاولة منها التوفيق بين اللّسانيات والمنظور الماركسي في عملية تحليل النّصوص الأدبية.

6 – مدرسة باريس السِّيميائية: يطلق هذا الاسم على تكتل علمي يضمّ مجموعة مِن الباحثين النّاشطين في ميادين مختلفة مِن العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ نهاية السّتينيّات من القرن العشرين، أسّسه وترأسه الباحث اللّيتواني الأصل الفرنسي الجنسية ألجيرداس جوليان غريماس(Algirdas Julien Greimas) متّخذا مِن مدرسة الدّراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس مقرا لنشاطه، وقد تمّ تأسيسها–مدرسة باريس السِّيميائية– لتجسيد مشروع معرفي يسعى لإنشاء نظرية عامة تشمل أنظمة الدّلالة اللّغوية منها وغير اللّغوية، واتضحت

---

[1]: ينظر، هيام عبد الكريم عبد المجيد علي، دور السّيميائية اللّغوية في تأويل النّصوص الشّعرية شعر البردوني أنموذجا، ص50.

[2]: ينظر،عبد الله ابراهيم وآخرون، معرفة الآخر، ص28.

[3]: هيام عبد الكريم عبد المجيد علي، دور السّيميائية اللّغوية في تأويل النصوص الشعرية شعر البردوني أنموذجا، ص46.

معالمها وأهدافها مِن خلال كتاب "علم الدّلالة البنيوي" الصادر سنة 1966، بعد التأريخ لها بمقال ابستمولوجي نشره غريماس سنة 1956 بعنوان "**راهنية السوسيرية**" كشف عن وجود مخايل مشروع دلالي عام يتخذ مِن مبادئ اللّسانيات البنيوية كما استقرت عند سوسير وهلمسليف قاعدة للانطلاق[1] ثمّ تلته أعمال أخرى داعمة لتصوّره أبرزها "في المعنى" بجزأيه، ومعجمه الموسوم بـ"Dictionnaire raisonné de la théorie du langage " الّذي أنجزه بمعية تلميذه، و"السّيميائيات مدرسة باريس" الّذي ألّفه مع أعلام آخرين لهم صيت كبير في هذا الاتّجاه حاولوا من خلاله "التّركيز على النّماذج السّردية باختلاف أنماطها(أسطورة، خرافة، قصّة، رواية)، مستنتجين من خلال تشكيل هذه الأشكال الفنّية العديد من القوانين الّتي اعتبروها ثوابت وقواسم مشتركة، مستخلصين مفاهيم وقوانين مركزية مثل: العوامل، العلاقات، البرامج السّردية، المربّع السّيميائي"[2].

والباحث في موضوع مدرسة باريس السِّيميائية يرى أنّه علم جديد حتّى وإن كانت مصادره وبعض مصطلحاته الإجرائية متضمّنة في أكثر مِن مصدر سابق لرواد هذا العلم؛ فهو لا ينحصر في وصف التّواصل، وتحديد القصديات وإيجاد أنحاء لِلغات ووضع نمذجة للعلامات وتصنيفها، بل يشمل كلّ هذا ويتعدّاه مختزلا موضوعاته في قضية الدّلالة والمعنى[3]، هذا الأخير الّذي أضحت مشكلته "مطروحة على مستوى أعمق سواء لدى اللّسانيين أو المنطقيّين أو الدّلاليّين، ذلك أنّ وجوده لا يشك فيه أحد، لكن مِن الصّعب الكلام عليه"[4] على نحو ما أشار إليه غريماس، لكن إذا ما أخذنا برأي لويس هلمسليف(Louis Hjelmslev) القائل:"إنّ

---

[1]: ينظر، دليلة زغودي، صدى مدرسة باريس بين سيميائية العمل وسيميائية الأهواء، ملحقة مغنية جامعة تلمسان الجزائر، الملتقى الدّولي الثّامن، السّيمياء والنّص الأدبي، ص277.

[2]: حسن مسكين، مناهج الدّراسات الأدبية الحديثة من التّاريخ إلى الحجاج، ط1، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، بيروت(لبنان)، 2010، ص117.

[3]: ينظر، عبد القادر شرشار، مدخل إلى السّيميائية السّردية (نماذج وتطبيقات)، ط1، منشورات الدار الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص25/24.

[4]: دايري مسكين، سيميائيات جوزيف كورتيس (أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية)، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، إشراف أ.د. أحمد يوسف، جامعة وهران، 2008/2007، ص27.

المعنى لا شكل له، ولكنّه قابل للتّشكّل أي أنّنا لا نستطيع التّعرف على المعنى إلاّ من خلال تشكّله، ولن يكون له تواجد علمي إلاّ به"[1] فإنّه بوسعنا التّحرر من تلك الصعوبة.

ويُقرّ "غريماس" في ذات السّياق بأنّ: "الكلمات ليس لها معنى ولا وجود إلاّ للتقابلات والعلاقات الّتي تعطي تمظهرات له، ذلك أنّ المعنى مفهومه حدسي، وغير قابل للتّحديد، فلا يمكن تصوّره على أنّه ذاك الّذي تحيل إليه الكلمات"[2]، فالمعاجم مثلا والقواميس قائمة على تقديم معاني ألفاظ اللّغة الّتي ترصدها، إلاّ أنّ هذه الصّناعة لم تقدّم نظرية حول طبيعة المعنى في اللّغة رغم أنّها زوّدتنا بأحكام وصفية حول ما هو المعنى وما ليس كذلك[3]، فافتراض انتماء المعنى إلى ما هو مشترك بين الألسن غير صائب لأنّ "كلّ لسان يتّخذ شكلا خاصا به"[4]، وعليه فإنّ طبيعة المعنى وكما ينُص عليها غريماس تكمن في "علاقة وصل متينة بكيفية إنتاجه"[5] معنى هذا أنّه لا يتم في نظر غريماس استكناه المعنى أو استخراجه إلاّ بـ"الكشف عن شبكة العلاقات القائمة في صلب النّص وحصرها بربط الوحدات السّردية وِفق الغايات القصوى المقصود بلوغها وتحقيقها.

كان هذا فيما يتعلقّ بالموضوع الّذي تهتم به، أما فيما يتعلّق بأهميّتها فإنّها تتجلّى في مسعاها الحثيث إلى "البحث في الخطابات والنّصوص وكلّ الأنساق الدّلالية الّتي يتمظهر مِن خلالها المعنى موسّعة بذلك مجال بحثه لاستكشاف فرضيات استراتيجية لفهم الدّلالة؛ فمن دون معرفة طبيعة المعنى نكون قد تعلّمنا معرفة أفضل إذا اكتشفنا أين يتمظهر، وكيف يتحوّل[6]، هذا إلى جانب اعتنائها برصد البنى العميقة الّتي تتحكّم بمظاهر الخطاب، وتحديد قواعد وظائفية السّرد دون الاهتمام بالوسيلة الحاملة لها (فيلم، رواية، رسم)، فهي تدرس مضامين

---

[1]: المرجع السّابق، ص28/27.

[2]: المرجع نفسه، ص28.

[3]: ينظر، عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدّلالة الحديثة، ط1 ، دار توبقال، المغرب، 2000، ص14/13.

[4]: عبد القادر شرشار، مدخل إلى السّيميائية السّردية (نماذج وتطبيقات)، ص26.

[5]: دايري مسكين، سيميائيات جوزيف كورتيس (أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية)، ص28.

[6]: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

سردية بهدف إبراز بنياتها العميقة لأنّ السّرد في المنظور الغريماسي يتجاوز حدود الأدبية مِمّا يجعله يتحقّق في أيّ عمل حكائي مهما كانت الأداة الّتي يتوسّل بها في عملية التّواصل والحكي[1].

وهكذا صار بوسع السِّيميائية في ظلّ هذه المدرسة الاهتمام بدراسة المحكي سيميائيا وتحليل مختلف الخطابات والأجناس الأدبية واقتحام عالم السّرد والإبداع القصصي، مُستخلصة رموزه وعلاماته، سابرة أغواره، مُستخرجة مختلف تأويلاته المُمكنة تحت مصطلح "السِّيميائية السّردية" أو "السِّيميائية الغريماسية" نسبة إلى غريماس، ولعلّ هذا ما يُفسّر إقبال العديد عليها خاصة بعدما صارت مُعتمدة في مُقاربة مختلف الظّواهر النّصية كالإشهار والنّصوص القانونية والظّواهر الاجتماعية –ليس في موطن نشأتها الأصلي فحسب بل في مختلف الأقطار المغاربية كالجزائر وتونس والمغرب وحتّى ليبيا– على الرّغم من أنّ منطلقها الأساسي كان مِن الحكاية الشعبية.

بناء على هذا وانطلاقا مِن قناعة مفادها أنّ محاولة البحث عن كيفية تلقي جميع تلك الاتجاهات السِّيميائية مغاربيا في بحث واحد هي محاولة متعذّرة، آثرنا التّركيز فقط على مدرسة باريس السِّيميائية (السِّيميائية السّردية) لاعتبارين اثنين: أوّلهما أنّها مِن أكثر الاتجاهات حُضورا وتبنّيا في السّاحة النّقدية المغاربية مقارنة بالاتجاهات الأخرى، وثانيهما قدرتها الفائقة على تحليل مختلف الخطابات والأنشطة الإنسانية دون سواء كما أشرنا إليه سالفا، وعليه سيكون تركيزنا منصبا فقط على مدرسة باريس السِّيميائية (السِّيميائية السِّردية /الغريماسية) للكشف عن أصولها والوقوف عند مختلف مفاهيمها الإجرائية الّتي اعتمدها غريماس لسبر أعماق مختلف النّصوص الأدبية وضبط قوانين اشتغالها ومستوياتها وغيرها مع التّنويه إلى أنّنا سنعتمد استخدام مصطلح "السِّيميائية السّردية" بدلا مِن "مدرسة باريس السِّيميائية" لأنّه الشّائع في الاستخدام عند مختلف النّقاد المغاربة.

[1]: ينظر، عبد القادر شرشار، مدخل إلى السّيميائية السّردية (نماذج وتطبيقات)، ص36.

وممّا آثرنا الانطلاق منه للإجابة عن الإشكالية المشكّلة لموضوع البحث:

1 – نشأة السِّيميائية السّردية وكيفية تشكّلها في النّقد الغربي أوّلا ثمّ المغاربي ثانيا.

2 – البدايات الأولى لتشكّل الدّرس السِّيميائي السّردي مغاربيا.

3 – مختلف المنجزات النّقدية المغاربية الأولى في حقل السِّيميائية السّردية.

4 – مختلف المصادر والمرجعيات الابستمولوجية المساهمة في تشكّل الدّرس السِّيميائي السّردي مغاربيا.

5 – كيفية انتقال الدّرس السِّيميائي السّردي إلى السّاحة النّقدية المغاربية وانتشاره.

6 – كيفية تمظهر السِّيميائية السّردية في مختلف المنجزات النّقدية المغاربية.

الفصل الأوّل

السّيميائية السّردية في النّقد الغربي(أصولها ومفاهيمها الإجرائية)

المبحث الأوّل:

مرتكزات النّظرية السّيميائية السّردية

المبحث الثّاني:

مصطلحات الجهاز المفاهيمي للنّظرية السّيميائية السّردية

نُشير بداية إلى أنّنا تعمّدنا إدراج هذا العنصر في هذا الجزء من البحث رغم شساعته ووُروده في الكثير من البحوث الأكاديمية لجملة من الأسباب نوجزها فيما يأتي:

– أنّ هذه النّظرية التّي اتّخذت من قضايا المعنى وآليات إنتاجه نقطة انطلاقها ومحور اهتمامها الأوّل لا يمكن فهمها بوصفها نشاطا معرفيا لا يرتبط بمُمارسة نصّية بعينها كتحليل الخطاب السردي وما يتّصل به من قضايا نظرية وتطبيقية فحسب، بل وينبغي فهمها أيضا بوصفها إسهاما منهجيا يطمح بقوّة إلى محاولة ضبط آليات إنتاج المعنى وطرائق إدراكه وأشكال تجليه في مختلف الخطابات والأنشطة الإنسانية بوصفها وقائع دالة[1]، وحتّى يحصل هذا الفهم لابد من العودة إلى خلفياتها المرجعية التي ساهمت في بلورتها وإثراء جهازها النّظري والإجرائي.

– إنّ مُعظم النّظريات النّقدية الحديثة موروث وقائم بعضها عن بعض بحيث لا تستطيع أيّ واحدة منها الزّعم بأنّها ناشئة من عدم، وأنّ كلّ أدواتها التّقنية ومُصطلحاتها المفهوماتية جديدة؛ هذا مِن جهة ومِن جهة أخرى لاعتقادنا بأنّه مِن غير المعقول الإقرار في نهاية هذا الجزء مِن البحث بأنّنا تمكّنا مِن الكشف عن السّيميائية السّردية دون الكشف عن الأسباب الّتي كانت وراء تكشّفها، والّتي تُعدّ بمثابة الأرضية الخصبة الّتي تمخض منها التّفكير السّيميائي السّردي.

– إماطة اللّثام عن مُختلف المفاهيم الإجرائية الّتي اعتمدها غريماس لتحليل مختلف أنواع النصوص الأدبية وضبط قوانين اشتغالها.

– إزالة الغموض الّذي يكتنف المصطلحات المُوظّفة مِن قِبل بعض النقاد المغاربة في مؤلفاتهم دون شرح وتفصيل، والّتي سيكون لنا معها نصيب مِن الكلام فقط حسب ما يقتضيه المقام.

[1]: قادة عقاق، الخطاب السّيميائي في النّقد المغاربي، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص20.

المبحث الأوّل: مرتكزات النظرية السيميائية السردية

تراءى لنا من خلال اطّلاعنا على مُختلف المؤلّفات –كتب، أطروحات، مقالات– الّتي اهتم أصحابها بالتّعريف بالسّيميائية السّردية أنّها تشترك في الإقرار باعتماد غريماس على العديد من المرجعيات لبلورة مشروعه السردي، وفيما يأتي عرض مُوجز لكلّ مرجعية على حدة مع التنويه إلى أنّنا آثرنا التركيز على:

– المرجعيات المعرفية التي اعتمدها غريماس لتلقيح مشروعه السردي وتخصيبه.

– القضايا التي استرعت انتباهه –غريماس– وكانت سببا في بلورة مشروعه وتشكلّه.

– الجديد الذي جاء به غريماس.

1 – المرجع الشّكلاني:

يُعدّ "فلاديمير بروب(Vladimir Propp) من أبرز الشّكلانيّين الرّوس الّذين كان لهم السّبق في إخضاع الخطاب السّردي (الحكاية العجيبة) لأوّل مرّة لدراسة لا تقف عند حدود تعيِين مواضيعه أو تصنيف وحداته المضمونية، بل ترمي إلى مُساءلة النّص في ذاته ولذاته من خلال بِنيته الشكلية بُغية الكشف عن الخصائص الّتي تميّز الخطاب السّردي (الحكاية الشّعبية بالتّحديد) عن غيره مِن الخطابات في كتابه "مورفولوجيا الحكاية العجيبة" الصّادر سنة 1928[1] الّذي كان له عميق الأثر في مختلف الدّراسات السردية الّتي قام بها بعض الدّارسين بعده ولاسيما في حقل "الدّراسات البنيوية والسِّيميائية الّتي تشتغل على المحكي بخاصة والسّردي عامة"[2].

وقام غريماس لاحقا مع كلود ليفي شتراوس(Claude Lévi–Strauss) بمراجعة ومناقشة مختلف المفاهيم والنّتائج التي توصّل إليها "فلاديمير بروب" خاصة فيما له علاقة

[1]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ص10.

[2]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، دط، النشر الجديد الجامعي، الجزائر، 2016، ص64.

بالوظائف[1]، والّتي لن نتمكّن من فهمها –الانتقادات التي صاغها غريماس بخصوص مختلف التحليلات والنتائج التي توصّل إليها بروب– إلاّ ضمن ما يطرحه هو نفسه – غريماس– كمشروع جديد – أي مشروع غريماس السردي– قائم في جزء منه على الأقل على تعديل المشروع الأوّل – المشروع البروبي–.

ولئِن كان ما سنعرضه الآن يُوحي في ظاهره إلى وُجود فُروقات واختلافات فاصلة بين غريماس وبروب إلاّ أنّه في باطنه يُشير إلى عكس ذلك، وحُجّتنا في هذا الملاحظة التي قدّمها "كلود زلبرباغ" ومفادها أنّ مُهّمة غريماس اتّجاه المشروع البروبي تتلخّص في نقطتين؛ فأمّا أوّلها أنّها تُشكّل نوعا مِن الإصلاح بالمفهوم القانوني للكلمة اتّجاه النّقد المدمر الّذي صاغه كلود ليفي ستراوس، وأمّا ثانيها أنّها تُشكّل نوعا مِن تقليص التّقليص، وهي – خاصة بعد ظهور كتاب "الدّلالة البنيوية"– قلب لزاوية النّظر، فعِوض الاستمرار في البحث عن الكوني (الحكاية الوحيدة) كما فعل ذلك بروب يجب اكتشاف العام والتّعرف على التّمفصلات الأولى للنّص السّردي[2] عن طريق الاستناد على المبدأ الدّاعي إلى الانطلاق مِن المعلوم إلى اللّامعلوم، ومِن الأكثر بساطة إلى الأكثر تعقيدا، مِن خلال المرور مِن الأدب الشّفوي إلى الأدب المكتوب، ومِن الحكاية العجيبة إلى الحكاية العالمة[3].

وتتجلّى الصّياغة الجديدة للمشروع البروبي الّذي قام غريماس بتعديل بعض مفاهيمه وتوسيعها وتجديد محتواها على النّحو الآتي:

– **الملفوظ السردي بدلا من الوظيفة:** لاحظ غريماس أنّ هناك خللا في تعريف الوظيفة عند بروب، وأنّه لا يُوجد على الأقل مُحدّد نظري واحد يستند إليه بروب في تعريفه لكلّ الوظائف؛

---

[1]: للاطّلاع على عدد الوظائف التي حدّدها بروب وتوزيعها وتواليها في الحكي يمكن العودة إلى: جميل شاكر وسمير المرزوقي، مدخل إلى نظرية القصّة، ص23 وما بعدها، وينظر لعبد الحميد بورايو، منطق الحكي، دراسات في القصّة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص ص 22/21/20؛ وينظر لمحمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دط، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفرابي، 2010، ص9 وما بعدها.

[2]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ص21/20.

[3]: ينظر، السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية لرواية (غدا يوم جديد) لعبد الحميد بن هدوقة، ط1، منشورات الاختلاف، 2000، ص14.

ذلك أنّ التّعريف الذي يُحدّده بروب للوظيفة يدلّ على الفعل، أي أنّه قائم على وجود فعل ما تتحدّ مِن خلاله شخصية ما، وتتحدّد الوظيفة تبعا لذلك مِن خلال انتمائها إلى إحدى دوائر الفعل التّي تشتمل عليها الحكاية[1]؛ لكن مِثل هذا التّعريف القائم أساسا على الفعل قد يجعل القارئ حسب ما أشار إلى ذلك غريماس "محتارا أمام التّناقض الّذي يميّز تعريف وظيفتين"[2] فمثلا إذا كان رحيل البطل بوصفه شكلا مِن أشكال النشاط الإنساني يعدّ فعلا فإنّ النّقص (manque) لن يكون كذلك، ولا يمكن التّعامل معه كوظيفة بل هو حالة تستدعي فعلا[3]، معنى هذا أنّ رحيل البطل يُمثّل حقا وظيفة بوصفه فعلا لكن النّقص (manque) لا يُشكّل وظيفة بل حالة.

ويُؤدّي هذا الخلل الملاحظ في تحديد مفهوم الوظيفة إلى الاعتقاد بأنّ "الحكاية مبنية على التّتابع الكرونولوجي للمُهمّات"[4] وإذا ما أخذنا في اعتبارنا مجموع تسميات الوظائف البروبية فإنّنا سنخرج بانطباع مفاده أنّ هذه الوظائف تستخدم في ذهنه– من حيث كونها تحتوي على روايات مختلفة، وتُعدّ تعميما لدلالة هذه الروايات – كتلخيص لمُختلف مقاطع الحكاية أكثر ممّا تُعيّن مُختلف الأنشطة التّي يقوم فيها التتابع بمُهمّة إظهار القصّة كبرنامج منظّم، وهو ما استخلصه غريماس، وكان سببا في ذهابه إلى استبدال الحديث عن الوظيفة بالحديث عن الملفوظ السّردي[5].

–**العامل بدلا من دوائر الفعل:** يشكّل العامل(Actant) أحد الأدوار الرئيسية على مستوى البنية العميقة للسّرد، ويعادل الوظيفة عند "سوريو"، والشّخصية عند "فلاديمير بروب"، ولم يظهر مفهومه إلاّ مع "إيتيان سوريو، و"الشّكلاني الرّوسي "فلاديمير بروب" في محاولة منه

---

[1]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص21.

[2]: المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[4]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية(أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص73.

[5]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص22/21.

لدراسة مائة حكاية روسية عجيبة بطريقة سيميائية قائمة على تحديد الوظائف الثّابتة والعوامل الفاعلة المتكرّرة في الحكايات[1] الّتي انتقاها للتّطبيق.

وقام "غريماس" لاحقا باعتماده بعدما رأى أنّه يمكن تحديد الوظائف (و1، 2، 3) كعناصر مُكوّنة لدائرة فعل العامل (ع1) استنادا إلى ما ذهب إليه "فلاديمر بروب" في أنّ الحكاية هي تتابع لواحد وثلاثين وظيفة يحكمها منطق خاص، وأنّ هذا العدد مِن الوظائف مُوزّع على عدد محدود مِن الشّخصيات، وكلّ شخصية تتحدّد انطلاقا مِن وُجود دائرة فعل ترسم لهذه الشّخصية موقعها ولحظة ظُهورها داخل الحكاية فإنّ ثبات هذه الدّائرة مِن حكاية إلى أخرى هو ما يسمح باعتبار المُمثّلين (م1، م2، م3) كمُتغيّرات مُتنوّعة لعامل واحد مُحدّد من خلال دائرة فعل لأنّه بواسطة هذا التّغيّر المُستمر للمُمثّلين يُمكننا التّعرف على عنصر ثابت يُمثّل شكلا قارا ومقبولا لأفعال مُتحوّلة، ولكنّها مُحدّدة ضمن دائرة سلوكية معيّنة؛ ذلك أنّ التّأليف بين مجموعة مِن المُمثّلين حسب "غريماس" يُشكّل حكاية خاصّة، وتُعتبر البِنية العاملية نوعا "genre"؛ فالعوامل يملكون في علاقتهم بالمُمثّلين وضعا مِيتا–لغويا– ويفترضون تبعا لذلك تحليلا وظيفيا؛ أي تأسيس دوائر للفعل[2].

ولو افترضنا مثلا أنّ تجليّات العامل(ع1) تتحقّق في النّص عبر مُمثّلين (م1، م2، م3) فإنّ العكس مُمكن أيضا؛ أي أنّه بوسع مُمثّل واحد (م1) أن يتفرّع إلى عوامل مُتميّزة (ع1، ع2، ع3)[3] على النّحو الآتي عرضه:

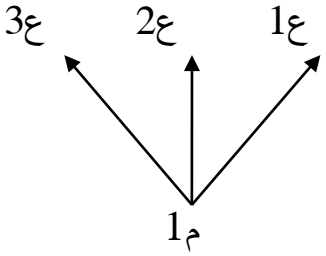

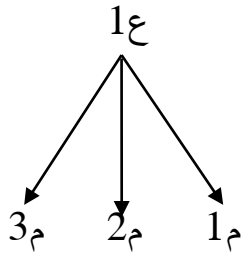

[1]: ينظر، جميل حمداوي، السّيميولوجيا بين النّظرية والتّطبيق، ط1، مؤسّسة الورّاق للنّشر والتّوزيع، عمان، 2011، ص84.

[2]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص44.

[3]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، دط، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2000، ص33/32.

ما يعني أنّه بوسع ذات واحد أن تسهم في عدّة عوامل، أو أن تسند لها وظائف مختلفة(ذات، مرسل إليه، معارض)، أو أن تؤدّي أدوارا مختلفة من خلال المساندة إلى خانة المعارضة، كما يمكن أن تساند وتعارض في الآن ذاته، وفي المقابل أيضا يمكن أن تشترك عدّة ذوات لتأدية دور واحد، كالذّات الجماعية مثلا-على حدّ تعبير السعيد بوطاجين- أو المجموعة والكتلة الّتي تسعى إلى تحقيق موضوع مشترك كالقبيلة، الحزب، والطائفة[1].

وهو ما ينفي عدم إمكانية ذات واحدة على شغل أدوار عديدة، أو اشتراك عدّة ذوات في تأدية دور واحد؛ لكن ما يجب التنبيه له، وملاحظته مقارنة بارتباط الشخصيات بالوظائف -على نحو ما ذكرته الدكتورة نبيلة زويش- أنّ الشّخصيات وإن كانت تشترك في دوائر عمل، فإنّ بعض الوظائف لا يمكن أن تؤدّيها الشخصية نفسها، فالبطل والبطل المزيّف يقفان على طرفي نقيض ولا يمكنهما أن يجتمعا لا في الوظيفة نفسها ولا في دائرة عمل واحدة[2].

وهكذا حاول "غريماس" تطوير نموذج "فلاديمير بروب" الخاص بالوظائف إلى"نموذج عاملي (actanciel)" يأخذ بعين الاعتبار تجلّيات العناصر الفاعلة في البنية العاملية للنّص السّردي مُختصرا في الآن ذاته وظائف بروب إلى ست وظائف أساسية تُشكّل ثلاث ثنائيات وظيفية نبتكر من خلالها عوامل بواسطة مقولات عاملية[3].

- **العامل بدلا من الشخصية:** عرف مفهوم ومصطلح الشّخصية تطوّرا ملحوظا مع "غريماس" بعد اطّلاعه على ما قام به "فلاديمير بروب" و"إيتيان سوريو"، حيث آثر استخدام مصطلح العامل الأكثر تجريدا مِن مفهوم بروب الخاص بالشّخصية[4] الّتي عادة ما تدل على فرد واحد لا أكثر، في حين أنّ العامل يُمكن أن يكون "فرديا أو جماعيا، كما يمكن أن يكون مجرّدا، مشيئا

[1]: ينظر، السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي (دراسة سيميائية "غدا يوم جديد لابن هدوقة عينة")، ص15.

[2]: ينظر، نبيلة زويش، الشّخصية بين النّظرية والتّطبيق "اللاز" و"العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطّار أنموذجا، بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف د. عبد الحميد بورايو، 2012/2011، ص182.

[3]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص74.

[4]: ينظر، المرجع السّابق، ص77.

أو مؤنسنا، بحسب تموضعه في المسار المنطقي للسّرد"[1] وهو ما سيُخرج لنا نصوصا متحرّكة مِن بدايتها إلى نهايتها.

ولم يكتف "غريماس" باستخدام مصطلح "العامل" بدلا مِن مصطلح "الشخصية" بل قام بالتّمييز بينه وبين "الممثّل" بوصفه وحدة معجمية تنتمي إلى خطاب ما؛ فمثلا إذا كان مفهوم العامل يتميّز بطبيعته التّركيبية، فإنّ مفهوم الممثّل يبدو للوهلة الأولى على الأقل غير مرتبط بالتركيب، ولكن بالدّلالة لأنّ التمظهر الخطابي يقوم على الوحدات المعجمية أو الصّور بوصفها وحدات محتوى قادرة على تحقيق الاستثمار الدّلالي للعناصر التّركيبية، لذلك فإنّ الممثّل يرتبط بالدّلالة، وقد حدّدت السيميوطيقا السّردية جملة المقوّمات الّتي تخصّص المحتوى الدّلالي للممثّل[2].

– **الترسيمة السّردية بدلا من التتابع الوظيفي:** يذهب "غريماس" وبالاستناد إلى جان كلود ليفي ستراوي الّذي يُعدّ أوّل من أثار الانتباه إلى وجود إسقاطات استبدالية (projections paradigmatique) – دفعته فيما بعد إلى الحديث عن إمكانية المُزاوجة بين الوظائف– تُغطّي السّير التّوزيعي للحكاية[3] إلى أنّ ما يساعد على تنظيم الخطاب ليس تتابع الوظائف بدرجة كبيرة أو التركيز على التّتابع الخطي لتلك الوظائف على نحو ما أشار إلى ذلك "فلاديمير بروب"، بل "إنّ الإسقاط على بُعد للعناصر المُنتمية إلى البِنية نفسها هو الّذي يُحقّق هذا التنظيم (...) ثمّ إنّ الاستبدالي هو الّذي يُنظّم النّظمي"[4] آخذا بعين الاعتبار أنّ الحكاية بِنية تحتوي على ذاكرة تُنظّم مجموع العناصر المُستثِرة منها والظاهرة؛ فالملفوظات السّردية يُمكن مزاوجتها لا بفعل التّجاور النّصي، ولكن بفعل تباعدها عن بعضها البعض، فهذا الملفوظ يستدعي بل يُذكر بنقيضه الّذي سبق طرحه، وستبدو وحدات سردية جديدة (متقطّعة بالنّسبة

[1]: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي (دراسة سيميائية "غدا يوم جديد لابن هدوقة عينة")، ص16.

[2]: ينظر، عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ط1، شركة النّشر والتّوزيع (المدارس)، الدّار البيضاء، 2002، ص165.

[3]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص23.

[4]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، دط، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص112.

للنّسيج الحكائي ولكنّها مكوّنة من علاقات استبدالية تقوم بالتّقريب بين المحمولات/ وظائف) كأزواج مثل: رحيل(م)عودة، وجود النقص(م)إلغاء النقص، إقامة المحظور(م)إلغاء المحظور، هذا بالإضافة إلى وجود علاقات توزيعية قابلة للعب دور المُنظّم للبنيات السّردية[1]، وانطلاقا من هذا سيزول التّعريف البروبي للحكاية القائم على تتابع واحد وثلاثين وظيفة ويحل محّله التعريف الغريماسي القائم على تقليص الوظائف، والمعتمد على الترسيمة السردية الّتي تتمظهر فيها مختلف عناصر التّركيب العاملي.

– **البنيتان (العميقة والسطحية) بدلا من السّطحية فقط:** قام المشروع البروبي في منطلقاته الأولى بالنّظر إلى المُعطى الحكائي مِن خلال التّجلي السّطحي كحقيقة نصّية خالصة؛ فما يقع على السّطح هو القابل للتّصنيف والنّمذجة رغم تنوع المتن الحكائي[2]، وكأنّ "فلاديمير بروب" هنا ينفي إمكانية وجود إسقاطات استبدالية مُنظّمة للسّرد في العُمق ويدفع إلى الاعتقاد والإقرار بأنّه مهما تغيّرت مُتون الحكايات فهي حكاية واحدة في الأصل بحُجّة أنّ ما يقع على السطح هو وحده القابل للتّصنيف والنّمذجة؛ لكن لو أنّنا أخذنا بما جاء به "فلاديمير بروب" فبم نفسّر عثورنا في بعض الحكايات على ما هو غائب في حكاية أخرى سابقة لها؟

رأى "غريماس" أنّ غياب الوحدات السّردية أو حضورها لا يُفسّر مِن خلال وجود ذاكرة للنّص وذاكرة للقارئ، بل يتمّ تفسيره مِن خلال وُجود روايات مُتعدّدة لحكاية واحدة رغم تركيز بروب على الرّوايات المختلفة للحكاية نفسها–معنى هذا أنّه يمكن تعويض ما يكون غائبا في نص ما بما يكون شبيها له في نصّ آخر–، وأنّه إذا ضمّنا مُتتالية سردية ملفوظا سرديا يُشير إلى "رحيل البطل" فإنّه لا يمكننا التّغاضى عن غياب "وصول البطل"؛ فمثلا إذا تمعّنا في الوظيفة البروبية "زواج" فإنّنا نلاحظ أنّها تأليف لملفوظين سرديّين على الأقل هما: "الزّواج" الّذي يتضمن أنّ الأب (أو الملك) هو من يقوم بوهب ابنته للبطل، و"الهبة"(don) المتشكّلة من

[1]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص23.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص22.

ذلك الفعل والمشيرة في نفس الوقت إلى العلاقة التّعاقدية للمعنيّين معا هما البطل أو الأب[1].

وتأسيسا على ما جاء به "غريماس" فإنّ هذا التّحليل "سيبدو كتمثيل تركيبي/ دلالي مُكثّف وواضح في نفس الوقت، وسيأخذ شكل بنية عميقة في مقابل البنيات السّطحية التي هي النّصوص المُتحقّقة"[2] لأنّ ذلك التّنظيم التّركيبي المُستخلص من النّموذج التّركيبي يُشكّل وفقه – غريماس– التّركيب المشخّص (syntaxe anthropomophe)؛ إنّه تركيب عاملي وحدثي يقع على المستوى السّطحي في علاقته بالمستوى المنطقي الدّلالي وبالمربع السيميائي، وعلى المستوى العميق في علاقته بالمستوى الخطابي للمُمثّلين (الشّخصيات) وأدوارهم، وفي علاقته أيضا بالإجراءات التّصويرية والتّشكّل الخطابي[3] بخلاف التّحليل البروبي الّذي "يُشبه مُلخّصا وثائقيا يفتقد إلى الصّياغة المُوحّدة ولا يُساعد على التّمييز بين البنيات السّطحية (النّصوص الواردة) والبنيات العميقة"[4].

هذا إضافة إلى تمييزه بين ثلاثة أنواع من الوظائف:

– **الوظيفة الأولى: العقد contrat** أو ما يطلق عليه بالعمليات التّعاقدية، والّتي تتمّ كلّما وقع تحويل شيء من مرسَل إلى مرسل إليه، ويُمكن لذلك الشّيء أن يكون ذا طبيعة كلامية أو مادية[5] دون تخصيص أو استثناء، وقدّم "غريماس" تصنيفا للأشكال المختلفة لها منها:

– **العقد الإجباري contrat injonctife**: وفيه يقوم المرسل بتوجيه أمر للمرسل إليه الّذي يرغم على القبول لأنّ علاقته بالمرسل علاقة مرؤُوس برئيس.

---

[1]: ينظر، المصدر السّابق، ص22.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص24.

[4]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص91.

[5]: ينظر، سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، دار الشّؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص66/65.

– **العقد الترخيصي contrat permissif:** وفيه يُخبر المرسل إليه المرسل بإرادته للفعل فيكون موقف المرسل القبول والموافقة، وفي هذه الحالة يعزم–المرسل إليه– تلقائيا على الإنجاز.

– **العقد الإئتماني contrat fiduciaire:** وفيه يقوم المرسل بفعل إقناعي(faire persuasif) يُؤوّله المرسل إليه(faire interprétatif)، وإن كان الفعل الإقناعي كاذبا (faire persuasif mensonger) يكون الفعل التأويلي واهما(faire interprétatif illusoire) مثلما يحصل غالبا عندما يخدع البطل، وما تجدر الإشارة إليه أنّ في هذا الصّنف مِن العمليات التّعاقدية يقبل المرسل إليه خطاب المرسل ولا يشك بتاتا في صحته في جميع الحالات[1] ولِأجل هذا كان لابد من اعتبار إرادة المتعاقدين ومَراميهما في جميع الحالات التّعاقدية.

– **الوظيفة الثانية: الاختبارépreuv:** وقد جعله "غريماس" ثلاثة أنواع على النّحو الآتي:

1 – الاختبار الترشيحي épreuve qualifiante: وهو الاختبار الّذي يكتسب البطل عبره الكفاءة وطاقة الانجاز.

2 – الاختبار الحاسم épreuve principle ou décisive: وهومصطلح للافتقار.

3 – الاختبار المُمجّد épreuve glorifient: وهو الذي تقع فيه معرفة البطل الحقيقي ومُكافأته[2] بما يستحق، وقد قام غريماس لاحقا باستبدال هذه الاختبارات بالخطاطة السّردية.

– **الوظيفة الثّالثة:** وتشمل الاتّصال(conjonctions) والانفصال(disjonctions)؛ يتمّ الأوّل بين شخصيتين أو أكثر أو بين شخصية وممتلك ذي قيمة، هذا ويُمكن اعتبار وظيفة (عودة) كشكل من أشكال الاتّصال بين شخصية ما ومكان، أمّا الثّاني فيحدث على مستوى:

[1]: ينظر، المرجع السّابق، ص 66 /67.

[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص 68/67.

– الشّخصيات القصصيّة في حالة الفراق أو الرّحيل أو الوفاة.

– الشّخصية والمكان كأن يُغادر البطل مثلا مكانا ما وتعُدّ هذه الوظائف البروبية (رحيل، انطلاق، انتقال) بمثابة أشكال مُختلفة لهذا الصّنف من الانفصال.

– الشّخصية ومُمتلكاته؛ كأن يُسلب مِن البطل خاتمه السّحري أو مِن علاء الدّين قنديله[1]، وينجم عن الانفصال في جميع المستويات الّتي أتينا على ذكرها حدوث افتقار، وبحث وبذل مجهود لاسترجاع المفقود.

وممّا ينبغي التّنويه به أنّ التّمييز القائم بين تلك الوظائف الثّلاث – العقد، الاختبار، الاتّصال والانفصال– تمّ من قِبل غريماس في محاولة منه للقيام بشكْلنة المثال الوظائفي حتّى يصير قابلا للتّطبيق على مُختلف الأنماط القصصيّة والارتقاء به مِن التّحليل التّجريبي الدّقيق للحكايات الشّعبية إلى نظرية علامية لها مقولاتها ومُسلّماتها الخاصة بها.

وتعدّ أعمال "جورج دوميزال" إلى جانب أعمال "فلاديمير بروب" مصدرا آخر لـ"غريماس"، وبالأخص بحثه المتعلّق بوصف العالم الإلاهي الّذي حلّله برويّة باعتماد الطّريقه المزدوجة في التّحليل والمتمثّله في اختيار إلاه معيّن باستظهار أفعاله ووظائفه، بحيث يشكّل عاملا في حدّ ذاته، والتّطرق بعدها إلى استخلاص صفاته الّتي تميّزه عن الآلهة الآخرين من خلال أسمائه ونعوته وتحديد السّمة الأخلاقية الّتي يتّصف بها، والّذي اعتبره غريماس منطلقه الأساسي في تأملاته حول النّماذج العاملية، وأفضى به إلى استخلاص تعريفين للإلاه؛ فأمّا التّعريف الأوّل فيعتبر الإلاه مؤدّيا لوظيفة الفعل لما له من طاقة أسطورية، أما التّعريف الثاني فيعتبره عاملا منظورا إليه من حيث تصوّر الجماعة لأخلاقه[2] ولا يخفى على المتأمّل لهذين التّعريفين أنّ معناهما واضح بجلاء في معرض حديث غريماس عن العوامل وإقراره بأنّها تؤدّي وظائف متنوّعة.

---

[1]: ينظر، سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، المرجع السّابق، ص72/71.

[2]: ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السّيميائية السّردية، دط، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، 2008، ص 17/16.

2 – المرجع اللّساني:

لطالما شكّلت الخلفية اللّسانية اللّبنة الأساسية لمُختلف الدّراسات السّيميائية المعاصرة، والشّرارة الأولى الّتي أغنت لغة الخطاب النّقدي السّيميائي عامة، وأسهمت بشدّة في اتّساق وانسجام قضاياه وتوحيد جُلّ مفاهيمه وضبط مُصطلحاته، وإعادة التّفكير في ماهية العلامة اللّغوية وجرّها مِن الحقل اللّغوي إلى الحقل الأدبي.

ويُعد كلّ مِن السويسري "فريديناند دو سوسور" و"نعوم تشومسكي"، و"كلود ليفي ستراوس" مِن أبرز اللّسانيين الّذين كان لهم الفضل في تشكيل المُنطلق الأساسي للتّفكير السّيميائي على نحو ما سنوضّحه فيما يأتي:

2–1 المرجع السّوسري: نسبة إلى "فريديناند دي سوسور" الّذي قدّم دعما منهجيا لبناء سرح الدّرس السّيميائي المُعاصر مِن خلال كتابه "دروس في اللّسانيات العامة" الّذي يُعدّ بحقّ أهم مرجع قامت ولا تزال تقوم عليه مختلف الدّراسات اللّغوية والنّقدية لما يحتويه مِن مفاهيم سنّها دي سوسير وانطلق منها السّيميائيون مثل ثنائياته المشهورة كثنائية "اللّغة والكلام"، "الدّال والمدلول"، و"الآنية والتزامنية"، "العلاقات الاستبدلالية والنّظمية"، وهو ما ذهب ببعض النّقاد إلى القول بأنّ "المشروع السّيميائي لا يمكنه أن يتبلور ما لم يتّخذ مِن اللّسانيات نموذجا له"[1]، وأنّ التّحليل السّيميائي للخطاب سيظل ينطلق ممّا انتهت إليه جُهود اللّسانيين حول النّظرية العامة للّغة وبمسائل التصوّرات التّي أحيطت بالخطاب، والّذي يقتضي أن يكون مُتجانسا مع الثّنائيات الأساسية (اللغة/الكلام)، (النسق/العملية)، (الكفاءة، الأداء الكلامي)[2].

[1]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص27.

[2]: ينظر، محمد السّرغيني، دروس في السّيميائيات، ص21.

ولعلّ ما يُعطي هذا العرض وجاهته أنّ أهم ما تتميّز به الدّراسة السّيميائية أنّها "إنّية"[1]؛ هذا من جهة ومن جهة أخرى أنّ الغاية الّتي تستهدفها أثناء دراستها لمُختلف النُصوص – والمُتمثّلة في إبراز آلية النّص في خلق المعنى وتبليغ صداه عن طريق الكشف عن شبكة العلاقات القائمة في صُلبه، وفُنون تأليف وحداته الدّالة– لن تتمّ إلاّ بالاستناد إلى مبدأ أقرّته اللّسانيات على امتداد تاريخها الحديث والّذي مفاده أنّ "الأصداء الدّلالية هي حصيلة الاختلافات القائمة بين الدوال"[2]، معنى هذا أنّ الدّلالة تستخلص من علاقات الاختلاف والتّقابل القائمة بين الوحدات الدّالة، واستخلاص معنى اللّفظ لن يكون إلاّ بحضور ضدّه، فمثلا مفهوم الحياة لن يتمّ إدراكه إلاّ بمقابلته بمفهوم الموت، ومفهوم الأمل أيضا لن يتم فهمه واستيعابه إلاّ بمقابلته بمفهوم اليأس ذلك أنّ "المفاهيم المُتباينة تكون مُعرّفة ليس بشكل إيجابي مِن مضمونها وإنّما بشكل سلبي مِن علاقاتها مع العناصر الأخرى للنّظام"[3] حسب رؤية دو سوسور.

وقام "غريماس" لاحقا بتمثل مبدأ "الاختلاف" داخل تصوُّر جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدّلالية استيعاب الاختلافات المُنتِجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعتها في إطار بنية تُدرك بحضور عنصرين تربطهما على الأقل علاقة بطريقة أو بأخرى[4].

ولا يعدّ مبدأ "الاختلاف" المبدأ الوحيد الّذي استند إليه "غريماس"، بل هناك عناصر لسانية أخرى اتّكأ عليها لإتمام تشييد مشروعه، ومن ذلك مبدأ "المحايثة" الّذي اعتمده "دو سوسور" في معرض حديثه عن استقلالية اللّسانيات في دراسة الظّاهرة اللّغوية بعدما أفقدتها الدّراسات التّاريخية والمقارنة جوهرها الحقيقي لربطها الدّائم لها بسياقاتها الخارجية دون إقصائها، ثمّ سرعان ما تمّ اعتماد هذا المبدأ في دراسة مختلف الظّواهر الإبداعية –الّتي اعتبرت هي الأخرى في وقت مضى نتاج امتزاج العديد من الظّروف الخارجية– من قِبل أعلام

---

[1]:محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، دط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991، ص30.

[2]: المصدر السّابق، الصّفحة نفسها.

[3]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص10.

[4]: ينظر، المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

السّيميائية السّردية لـ"تحديد مستويات الدّلالة وأنماط تشكّلها"[1] دون العودة إلى ما هو خارج نصّي –انطلاقا مِن قناعتهم بأنّه يمكن استخلاص جوهر أيّ نص من خلال جوهره– وقد صاغه غريماس وِفق منظورين؛ ينبني المنظور الأوّل على مقولة التّصديق (véridication) المُتمفصلة إلى مِحوري المُحايثة (الكينونة) والتّجلي (الظاهر)، أمّا المنظور الثّاني فيُؤسّسه "غريماس" على المُقابلة بين المُحايثة والسُّمو أين يُمكن أن تظهر في الرّسم السّردي لإبراز تبايُن موقعي الفاعل والمرسَل[2]، وهو ما يفضي بنا إلى القول إنّ استفادة غريماس من مبدأ المحايثة تتجلّى في استثماره له لتحليل الخطاب السّردي، وما تجدر الإشارة إليه أنّه الأصوب في التّحليل اعتماد مصطلح "التصديق" بدلا من "الصّدق"، وذلك للتأكيد على أنّ ملفوظات الحالة في الخطابات ليس لها صدق(ليس لها حقيقة) في حدّ ذاتها؛ ولكن الصّدق مبني ويظهر كأثر للسّياق السّيميائي الّذي يصفه التّحليل بواسطه مستويات التّجلي والكينونة[3].

ولعلّ الهدف الكامن من وراء تبنّي "غريماس" للطّرح السُوسري إضافة إلى سعيه لإيجاد نحو سردي صالح لجميع النّصوص على غِرار اللّسانيات هو نقل قضية الدّال والمدلول إلى ميدان النّص وقضية الشّكل والمُحتوى الّتي كانت بمثابة تجديد وديمومة لذلك الفكر[4]، وهو تعامل ينصب على حدّ قول "كورتيس" على "تناول المعنى النّصي من خلال زاويتين منهجيتين: الزّاوية السّطحية الّتي يتمّ فيها الاعتماد على المُكوّن السّردي الّذي يُنظّم تتابع حالات الشّخصيات وتحوّلاتها، والمُكوّن الخطابي الّذي يتحكم في تسلسل صُور آثار المعنى"[5] ودلالتها المعجمية.

2-2 المرجع البراغي (المدرسة الوظيفية وبالتحديد حلقة براغ): ومِن أبرز أعلامه إيميل بنفنيست(É Benveniste)،أندري مارتيني(Martinet André)، رومان جاكبسون(Roman

[1]: سعيد بنكراد، مفاهيم في السّيميائيات، مجلة علامات، مكناس، المغرب، ع2، 2007، ص86.

[2]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السردية، ص9.

[3]: ينظر، رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي–إنجليزي– فرنسي)، ص253.

[4]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص108.

[5]: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية، تر: جمال الحضري، ص12.

Jakobson)؛ هذا الأخير الّذي أقرّ بوُجود تقابل ثُنائي بين علاقتين؛ علاقة التّناقض وعلاقة التّضاد، أو علاقة الحضور والغياب[1]، وهو ما استند عليه "غريماس" وانطلق منه لتشييد بِنية دلالية تقوم على تِلك التّقابلات أطلق عليها مصطلح "المُربّع السّيميائي"، هذا إلى جانب استعانته بالملامح السّتة للفعل الاتّصالي –المتمثّلة في: المرسِل، المتلقي، قناة الاتّصال، الرّسالة، الشّفرة، السّياق– الّتي أقرّها "جاكبسون" في مُخطّطه التّواصلي الآتي عرضه:[2]

الرسالة

المرسِل ——————————————— **المتلقي**

قناة الاتصال

الشفرة

لِبناء النّموذج العاملي انطلاقا من علاقة الفاعل بالمرسَل إليه في عملية تمرير موضوع القيمة وتبليغه كما هو مُوضّح في الشكل الآتي:

المرسِل ← **موضوع القيمة** ← **مرسَل إليه**

↓

فاعل

ومِن هنا اعتُبِر نموذج "جاكبسون" "أساس النّموذج السّيميوطيقي المُركّب"[3] ونُقطة انطلاق مُهمّة لسِيميائية المدرسة الباريسية عموما والغريماسية على وجه التّحديد.

2-3 المرجع التّحويلي التوليدي (المدرسة التحويلية التوليدية): ومِن أبرز رُواده "نعوم تشومسكي(Noam Chomsky) الّذي أفاد منه "غريماس" كثيرا في مُختلف مُقارباته السّيميائية

[1]: ينظر، محمد مفتاح، حول مبادئ سيميائية، مجلة علامات، ع6، مكناس، المغرب، أكتوبر 2001، ص55.

[2]: ينظر، روبرت شولز، السّيمياء والتأويل، تر: سعيد الغانمي، ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994، ص47/ 48.

[3]: عبد العزيز حمودة، المرايا المحدّبة (من البنيوية إلى التفكيك)، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1998، ص278.

للخِطابات السّردية، ومِن بين المفاهيم الشّومسكية التي اعتمدها في بناء نظريته مفهومي الكفاءة والأداء، والبنية العميقة والسّطحية.

ولعلّ الشيء المُميّز فيما قام به "غريماس" أنّه لم يكن يأخذ بعض المفاهيم كما جاءت في الأصل بل كان في كثير من الأحيان يَعمد إلى تعديلها وتوسيعها وِفق ما يُناسب نظريته السّيميائية، وهو ما نستشفّه مِن تصريح "رشيد بن مالك" القائل بأنّه:"ينبغي أن ننظر إلى قِراءة غريماس لهذا المشروع على أنّها تعديل جوهري في الاقتراب المنهجي من الظّاهرة اللّغوية في جانبها التّواصلي واستيعاب الإرث اللّساني (سوسير) وتمثّله في مشروع يرتكز أساسا على المُصطلحية الشُومسكية الّتي يتبنّاها غريماس ويُصهّرها في مَفهمة جديدة تُولي أهمّية للعناصر الّتي تدخل في تشكيل الكفاءة ولِلْبُعدين المعرفي والتّداولي للأداء"[1]، وعليه –يُواصل رشيد بن مالك حديثه– فإنّ الاقتراب المنهجي لتشومسكي لا يستنفد مفهوم الكفاءة، ذلك أنّه يقتصر فقط على مضمونها بوصفه نظاما مِن القيود(containtes)، وتأسيسا على الأداء باعتباره فِعلا مُنتجا لِلملفوظات فإنّ الكفاءة –مِن منظور غريماس وفي بعض جوانبها– تَتجسّد في معرفة الفعل وهو ما يجعل حُدوث الفعل مُمكنا، ولئِن كانت معرفة الفعل حدثا بالقوّة فإنّ الكفاءة مُستقلة عن الفعل الّذي تقوم عليه، لأنّها ليست شيئا لذاته، بل هي حالة خاصة لظاهرة أشمل تدخل في إطار إشكالية الفعل الإنساني وتُؤسّس الفاعل بوصفه عاملا (actant)[2]، وتتأطّر ضمن إشكالية الفعل الإنساني في مختلف نشاطاته الّتي تتّخذ أشكالا سردية مُتنوعة في شتى الخطابات.

وينظر "غريماس" إلى "الأداء" على أنّه حالة خاصّة ضمن إشكالية عامّة تسخَّر لفهم النّشاطات الإنسانية الّتي تأخذ أشكالا متنوّعة في الخطابات، وعلى هذا الأساس يميّز بين

[1]: رشيد بن مالك، مقدمة في السّيميائية السّردية، ص19.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

نوعين من الأداءات؛ نوع يستهدف امتلاك قيّم الجهة، ونوع آخر يتميّز بامتلاك وإنتاج القيّم الوصفية"[1]، وكأنّه –الأداء– حسب المفهوم الغريماسي امتلاك وإنتاج للقيّم.

ولم يقتصر تعديل "غريماس" لمشروع تشومسكي على مفهومي "الكفاءة والأداء" بل طال أيضا مفهومي "البنية السّطحية والعميقة"؛ ففِيما يتعلّق برُؤيته لهذه الأخيرة فيرى أنّها تشتمل على القوانين الّتي يخضع لها العالم السّردي الّذي يتم الاهتمام فيه بِصفة خاصّة بالبناء الوظائفي وتحليل العلاقات بين الفاعلين، أو القِوى الفاعلة؛ ذلك أنّه انطلاقا مِن السّمات (les sémes) يُمكننا تحديد البُنى الحكائية (السّردية) على اعتبار أنّ معنى الحكاية كامن في بِنيتها الدّلالية، والسّمات باعتبارها الوِحدة الأساسية للدّلالة والعُنصر الأصغر لها الّذي لا يُمكن ظُهوره إلاّ إذا ارتبط بعُنصر آخر مُغاير له وظيفة خِلافية، ولا يُمكن إدراكه إلاّ ضمن مجموعة عُضوية في إطار بِنية[2] تشكّل افتراضا إمكانيا لا وجود له إلاّ في صورة كفاءة أو ملكة أو قدرة كامنة.

أمّا البِنية السّطحية –الّتي تشكّل تمظهرا لأحد إمكاناتها واحتمالاتها– فهي عنده تُغطّي ما يُسمّيه بالبُنى النّصية أو الكلامية (les structures discursive) أي تحديد المنظور السّردي (perspective narrative) باعتباره تتابعا للملفوظات السردية؛ بمعنى أنّ الدّراسة تنصب في هذا المستوى على الخصائص التّعبيرية للنّص، وكلّ ما يتعلّق بالخصائص الشّكلية له ضِمن مُكوّنين أساسين هما: المُكوّن السّردي والمُكوّن الخطابي.

يتم في المُكوّن الأوّل (السّردي) تفحّص العوامل والوظائف أمّا في المُكوّن الثّاني (الخطابي) فيتم مُقاربة الصُوّر والتّشكّلات الخطابية، لأنّه وحسب ما هو مُتّفق عليه عند "غريماس" ومدرسته أنّ هناك شيئا ما يدعو إلى وجود النّص، وشيئا لُغويا يتوالد منه ويتناسل عبر مسار توليدي ذي عدّة مستويات هي: مستوى تركيبي سطحي وعميق، ومستوى دلالي، ومستوى منطقي، وكل مستوى مِن هذه المستويات يتوالد ويتناسل بالمربّع السّيميائي الّذي فيه

[1]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص38.

ثلاث علائق ديناميكية هي: علاقة التّكامل، وعلاقة العموم والخصوص، وعلاقة التّوفيق، ولهذه العلاقات دور كبير في جعل النّص ينمو ويتناسل عبر التّشابه والاختلاف، بالتحام واتّساق وانسجام، والذي يتمّ إيجاده وإدراكه بالقراءة التّحليلة المستندة إلى المقوّمات السّياقية والسّمات الّتي تمنح لإثبات الخواص المذكورة، وكلّ هذه المعارك اللّغوية ناتجة عن البحث عن موضوع ذي قيمة يسعى المعنى إلى الاتصال به أو الانفصال عنه في تحوّل أو تحويل مستمر[1].

2-4 أعمال لويس هالمسليف: إنّ اعتماد سيميوطيقا السّرد على ما إنجازات "هالمسليف" جعلها تعتبر أنّ كلّ موضوع سيميوطيقي يتمفصل إلى عبارة ومحتوى؛ فمثلا إذا كانت العبارة تمثّل التّمظهر اللّغوي فإنّ المحتوى الّذي تحدّده السيميوطيقا مجالا لتحليلها يتمفصل إلى مادّة دلالية، وشكل يتكوّن من البنيات السيميائية السردية المحايثة، وتشمل العلاقات بين المقوّمات والعمليّات والفعل التّركيبي، وهذه العناصر هي المكوّنة للحكاية الّتي تتمظهر على مستوى البنيات الخطابية[2].

لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ "قيمة هذه الثنائية لا تكمن في وصف طرفي الدلالة ب"العبارة" و"المحتوى" بدلا من الدال والمدلول بقدر ما تتجلّى في التّفريعات المنبثقة من رحم هذين الطّرفين اللّذين يتضمّن كلّ واحد منهما ثنائية الشكل والجوهر[3].

2-5 أعمال كلود ليفي ستراوس: وتعدّ من بين المرجعيات البارزة الّتي اعتمدها "غريماس" لصياغة نظريته السّيميائية خاصّة قراءته المشحونة بالعديد من الانتقادات للمشروع البروبي، والّتي يُمكن اعتبارها النّقطة الّتي انطلق منها "غريماس"، وعلى أساسها أقام مشروعه مع بعض مِن التّعديلات الجوهرية بُغية توسيعه وتجديد مُحتواه وإثراء تحاليله، ولعلّ ذلك ما يُفسرّ سبب نقده للدّارسين الّذين اكتفوا في مُقارباتهم ودراساتهم النّقدية باسْتلهام النّموذج البروبي-في بساطته ونقصه- دون تطعيمها بِمُحصّلة نتائج أعمال دارسين آخرين، فكانت

[1]: ينظر، المرجع نفسه، ص39/38.

[2]: ينظر، عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي(البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص31.

[3]: ينظر، نصر الدين بن غنيسة، فصول في السّيميائيات، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد(الأردن)، 2011، ص16.

النّتيجة حسب ما يُقرّر غريماس أن أهملوا تقدير المسافة الكبرى الّتي تفصل الانتشار السّردي لِخطّية النّص الظّاهر؛ ذلك أنّ قِراءة نص أدبي مُختزل في بُعده السّردي للسّطح لا يُمكن إبرازه على الإطلاق بسبب افتقاده لِلعديد مِن نماذج التّحليل السّردي المُستعار مِن بروب، ولطريقة مُعالجتها ببساطة متناهية وذلك في المقدمة التي وضعها لمؤلف جوزيف كورتيس "مدخل إلى التّحليل السّيميائي للسّرد"[1].

وممّا استلهمه "غريماس" مِن جهود وأعمال "كلود ليفي ستراوس" فكرة بناء مربّع عام لرصد البِنى الدّلالية، وهو ما نلمسه في تصريحه القائل:" إنّ التّمييز الّذي قام به ليفي ستراوس منذ دراسته الأولى حول الأسطورة بين الدّلالة الظّاهرة للأسطورة المكشوفة في النّص القصصي ومعناها العميق (...) قرّرْنا بالتّالي إعطاء البِنية الّتي طوّرها ستراوس مرتبة البِنية القصصية العميقة"[2] مبنية على التّناقض والتّضاد ذلك أنّ المعنى عند غريماس يقوم على "أساس اختلافي (...) فتحديده لا يتم إلاّ بمقابلته بضده وفق علاقة ثنائية متقابلة"[3].

هذا وقد كان أيضا للملاحظات الّتي أبداها كلود ليفي ستراوس في كتابه "الأنثروبولوجيا البنيوية" حول ضرورة تقليص الوظائف ودمج بعضها مع بعض بشكل منطقي نقطة انطلاق غريماس لتحقيق مُقاربته الرّامية إلى مُزاوجة الوظائف (Le couplage des fonctions) مختزلا إيّاها مِن واحد وثلاثين وظيفة إلى عشرين وظيفة تؤدّيها سبع شخصيات هي: المعتدي، الواهب، المساعد، الأميرة ،الموكل، البطل، البطل الزائف[4].

وما تجدر الإشارة إليه أنّ عملية المُزاوجة (Le couplage) "الّتي تستهدف الملفوظات السّردية لا تتم مِن خلال التّجاور النصّي، ولكن مِن خلال تباعدها عن بعضها البعض كما بيّن

---

[1]: آن إينو وآخرون، السّميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص 47/46.

[2]: شلوميت ريمون كنعان، التّخييل القصصي(الشعرية المعاصرة)، تر:لحسن حمامة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1995، ص24.

[3]: فيصل الأحمر، معجم السّيميائيات، ص 229.

[4]: ينظر، خطار نادية، سيميائية السرد في البيت الأندلسي، بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف أ.د ناصر سطمبولي، جامعة وهران (أحمد بن بلة)، 2017/ 2018، ص 71/70/ 72.

ذلك غريماس"[1]؛ معنى هذا أنّه يكفي أن يستدعي ملفوظ ما أو أن يذكر نقيضه الّذي سبق طرحه وستظهر وحدات سردية جديدة مُتقطّعة بالنّسبة لنسيج الحكاية ولكنّها مكوّنة من علاقات استبدالية تُقرّب بين المُسندات (المحمولات/ الوظائف كأزواج) من نوع:

رحيل (عك) عودة.

وجود النقص (عك) إلغاء النقص.

إقامة المحظور (عك) كسر المحظور.[2]

ويُعدّ غريماس "أوّل من لفت انتباه الباحثين إلى وجود إسقاطات استبدالية (projection paradigmatique) تُغطّي السّير التّركيبي (syntagmatique) لِلْحكاية البروبية"[3] وتؤدّي داخل الخطاطة التّركيبية دور المنظّم للحكاية وتُشكّل هيكلها لأنّ التّتابع البسيط للملفوظات في اعتقاده لم يكن معيارا كافيا للتّعرف على منظومة المحكي، بل الاعتراف بالإسقاطات الاستبدالية هو الّذي يسمح بالحديث عن وجود بِنيات سردية[4] مِن عدمها وليس العكس.

وإلى جانب أعمال "كلود ليفي ستراوس" نجد أيضا أعمال "إيتيان سوريو" و "لويس تنيير" الّتي لا تقل أهمية عن سابقتها حسب تصريح عدد مِن المشتغلين عليها في السّاحة النّقدية المغاربية كرشيد بن مالك، سعيد بنكراد، السعيد بوطاجين، عبد القادر شرشار، نبيلة زويش... وآخرين.

كان لقدرة "سوريو" على البرهنة بأنّ "التّأويل العاملي يُمكن تطبيقه على نُصوص مُختلفة عن الحكايات الشّعبية (النصوص المسرحية)"[5] أهمية كبيرة عند "غريماس" خاصة وأنّ نتائج هذا التّطبيق –تطبيق سوريو– بنفس قيمة النّتائج الّتي تمّ الحُصول عليها انطلاقا مِن التّطبيقات

---

[1]: المرجع نفسه، ص 72.

[2]: ينظر، خطار نادية، سيميائية السرد في البيت الأندلسي، بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه، ص72/ 73.

[3]: المرجع نفسه، ص71.

[4]: ينظر، المرجع نفسه، ص73.

[5]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السردية، ص73.

على الحِكايات الشّعبية، واحتوائه أيضا على "نفس التّمييزات بين القصّة الحديثة الّتي لا تُشكل عنده سوى سلسلة مِن الذّوات الدّرامية وبين مُستوى الوصف الدّلالي الّذي يُنجز انطلاقا مِن الوضعيات القابلة للتّفكيك في إجراء وعوامل"[1] بالرّغم مِن صِياغته بتعابير مُختلفة مُستوحاة مِن علم التّنجيم والطّاقة والفلك، وتمكّنه أيضا من ضبط مجموعة من العوامل أطلق عليها اسم "الوظيفة" –انطلاقا من دراسته لما يقارب مائتي ألف وضعية درامية– تلخّص مجموع التّطورات والتّحولات الّتي يزخر بها النّص المسرحي والمُتكوّن من ست خانات تلعب دور القِوى المُحرّكة (الوظائف) للعمل الدّرامي على النّحو الآتي:

الأسد: القوة الثيمية الموجهة.

الشمس: مُمثّل الخير المنشود للقيمة الموجهة.

الأرض: المُستفيد المحتمل من هذا الخير (أي المحفل الذي يعمل الأسد لصالحه).

المريخ: المُعيق.

الميزان: الحكم، واهب الخير.

القمر: الهجوم الجديد، مضاعفة إحدى القدرات السابقة[2].

وتتعلّق هذه الوظائف الدّرامية بالحالات أو بالوضعيات الّتي تُحقّقها الذّوات الدّرامية بوصفها أنواع الأحداث المُقدّمة من قبل النّص المسرحي، وترتبط في نظام من القِوى بحيث لا يُمكن لأيّة وظيفة أن تُوجد وأن تكون مفهومة جيّدا بمعزل عن بقية الوظائف الأخرى، وهي القاعدة الأساسية التي انطلق منها غريماس لوضع أُسس نموذج عاملي قادر على استيعاب خطابات أخرى –بدء بالخطابات الأدبية وصولا إلى أيّ نوع من أنواع الخطاب الإنساني غير الخرافة والمسرح والأسطورة–على النّحو الآتي:

الذات (عك) الموضوع

المرسل (عك) المرسل إليه

[1]: المصدر نفسه، ص74/73.

[2]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السردية، ص73.

المساعد (عك) المعيق[1].

وما تجدر الإشارة إليه أنّ هذه العوامل لا تختلف في مفهومها ووظيفتها عن المُخطّط الوظائفي النّموذجي لـ "إيتيان سوريو" المُكوّن مِن ست ذوات درامية إلاّ في التّسمية والأهمية على نحو ما سيتم توضيحه.

– القُوّة المُوجّهة والشّيء المرغوب (القيمة)؛ فالذّات الدّرامية تسعى للبحث عن موضوعها وقيمتها المُوجّهة سواء كان هذا الموضوع مبدءا أخلاقيا أو تحقيقا للذّات أو موضوعا محبوبا أو أيّة قوّة أخرى موجّهة.

– الحَكم والظّافر بالشيء المرغوب؛ فالحَكم هو مرسل الشيء المرغوب (أو مساعد)، والظّافر بالشيء المرغوب هو المرسل إليه، ويُمكن أن يختلط المرسل إليه أو متلقي الشيء المرغوب بالقوة الموجّهة.

– مرآة القوّة والخصم، ويرى إيتيان سوريو أنّهما لا تحظيان بنفس الأهمية التي تحظى بها الوظائف الدّرامية السّابقة لأنّهما تعملان كمُعدّلات لِبلورة وضعية ما أو لتدهورها[2] بخلاف غريماس الذي وضع كلّ الوظائف في مرتبة واحدة.

وفيما يأتي جدول نوضّح من خلاله ما سلف ذكره:

العناصر المكوّنة للنموذج العاملي عنـــد:	
إيتيان سوريو	**غريماس**
القوة الموجّهة	الذات
الموضوع	القيمة

[1]: ينظر، خطار نادية، سيميائية السرد في البيت الأندلسي، بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه، ص78/77.

[2]: ينظر، المرجع السّابق، ص78/ 79.

الحكم	المرسل
الظافر بالشيء المرغوب	المرسل إليه
مرآة القوّة	المساعد
الخصم	المعارض

كان هذا فيما يتعلّق بـ"إيتيان سيريو"، أمّا "تنيير" فقد كان للتّعريف الذّي قدّمه لِلملفوظ على أنّه فُرجة دائمة؛ فهناك فاعل، وهناك فعل وهناك مفعول به، وتَتميّز هذه الفُرجة بعُنصر بالغِ الأهميّة يَكمُن في التّوزيع الثّابت والدّائم لِلأَدوار فمثلا قد تَتغيّر المحافل الّتي تقوم بالفعل، وقد يَتنوّع الفعل كما قد يتغيّر المفعول به، لكن العنصر الضّامن لاستمرارية الملفوظ (الفرجة) هو هذا التّوزيع بالذّات[1] أهمية كبيرة لدى "غريماس" حيث قام باستثماره في صِياغة نموذجه العاملي، واقتراح هذين التّعديلين:

أ. تقليص العوامل التركيبية وردّها إلى وضعها الدّلالي.

ب. تجميع كلّ الوظائف المنطوية داخل متن ما، وإسنادها إلى عامل دلالي واحد حتّى يكون لكلّ عامل استثماره الدلالي الخاص به[2].

وبهذا نكون قد كشفنا عن أهم الإرهاصات والمرجعيات الّتي اتّخذها غريماس كقاعدة أساسية لتشييد مشروعه في التّحليل السّردي دون أن ننسى الإشارة والإشادة بِبعض النّظريات الفكرية كالفلسفة الذرائعية، والظاهراتية، وكذا أفكار بعض المسائل الفلسفية الأرسطية والنّيتشية خاصّة فيما له علاقة بالمعنى واللّفظ، والعلامة، ومبدأ التناقض، والمربّع الدّلالي، والخُطاطة والبرامج السّردية، ومِن دلائل الصّلة الوثيقة بين المشروع الغريماسي والفلسفة على سبيل التّوضيح "تقاطعهما في مباحث المنطق الأرسطي الّذي ينقسم إلى عام وخاص: العام فهو ما تشتمل عليه كلّ محتويات النّسق(organon)، والخاص هو ما ينصرف إليه الذّهن عند

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص74.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص47.

الحديث عن المنطق، وهو يحتوي على المقولات، وأنواع الدّلالة والقضايا، وأصنافها ومعاييرها والقيّاس، وأشكاله، ومنطق الجهات، وطرق بناء المعرفة وتحصيلها بالموضوعات، والتّحديدات والافتراضات، والاستقراءات، والاستنباط"[1]، ويمثّل المربع السّيميائي بعلاقاته التّقابلية صُورة مِن صوّر المنطق الأرسطي مع نوع مِن الإزاحة والتّعديل فيه.

أمّا فيما يتعلّق بشروط وآليات التّحليل السّيميائي السّردي والخطوات الإجرائية الواجب اعتمادها فنوجزها فيما يأتي:

1- أن يكون التّحليل محايثا، والاهتمام منصبا على "الاشتغال النّصي لعناصر المعنى دون اعتبار للعلاقة الّتي قد يقيمها النّص مع أيّ عنصر خارجي، لأنّ المعنى سيعتبر كأثر وكنتيجة مستخلصة بواسطة لعبة العلاقات بين العناصر الدّالة[2] في النّص باعتباره نسقا وبنية.

2- أن يكون قائما على مُستويين أساسيين –وهو ما حاول مؤسّسي النّظرية السّيميائية السّردية وعلى رأسهم "غريماس" القيام به كإجراء أوّلي قبل مباشرة أيّة إجراءات أخرى– هما:

أ. المستوى السّطحي(Le niveau de Surface): وسيكون لزاما فيه على المُحلّل رصد مُكوّنين اثنين يُقعّدان لنظام العناصر المعروفة بانتمائها إلى هذا المستوى وهما: المكوّن السّردي والمكوّن الخطابي؛ فأمّا المكوّن الأوّل (السّردي) فيتم فيه ضبط التّوالي والتّرابط الخاص بالحالات والتّحوّلات، بمعنى مراعاة سلسلة التّغيرات الطّارئة على حالة الفواعل، وأمّا المكوّن الثاني(الخطابي) ففيه يتم ضبط التّرابط الخاص بالصّور ومُولّدات المعنى Les figures et Les effets du sens في نص ما، أي التّركيز على استخراج الأنظمة الصّورية المنتشرة في نسيج النص.

---

[1]: محمد مفتاح، أوّليات منطقية رياضية في النّظرية السّيميائية، مجلّة عالم الفكر(السيميائيات)، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، ع3، مجلّد 35، 2007، ص135.

[2]:ينظر، جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية، ص55.

ب. المستوى العميق(Le niveau de prfond): ويحتوي على تصميمين اثنين يُستخرجان لضبط العناصر المعروفة بانتمائها إلى هذا المستوى وهما:

– شبكة علاقات تُنجز تصنيفا لقيّم المعنى حسب العلاقات الّتي تُقيمها.

– نسق (نظام) عمليات d'opération يُنظّم الانتقال من قيمة إلى أخرى.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ كلّ ما ذكرناه لن يتمّ دون الاستناد إلى نظام الوحدات المعنوية الصّغرى (les sémes)[1] والّتي نذكر منها على سبيل التمثيل: السّيم، النّواة السّيمية، الكلاسيم.

إشارة أخرى نضيفها مفادها استحالة دراسة مستوى دون آخر؛ فمثلا البنية العميقة تستدعي البِنية السّطحية وتستحضرها لأنّ "جذور الدّلالة لا تمرّ بإنتاج الملفوظات وعلاقاتها بالخطاب بل هي موصولة في خطابها بالبِنيات السّردية المُنتجة للخطاب المُفصّل إلى ملفوظات"[2]، هذا من جهة ومن جهة أخرى حتّى البِنية السّطحية نفسها تقوم باستدعاء البِنية العميقة لاعتبارها "حاملة لشفرات(Codes)، وإشارات(Indices) يستلزم حلّها دلاليا الارتكاز إلى عوامل لِلتّقابلات الضّدية الكامنة وراءها"[3] وكأنّهما وجهان لعملة واحدة يُمكن اختزالهما في لفظة "الخطاب" بِغض النّظر عن جنسه حكاية قصيرة كان أم رواية، هذا الأخير –الخطاب– الّذي لا يُمكن ضبط نظامه والكشف عن بِنياته السّردية "بمُجرّد الاكتفاء بتَتبّع علاقات السّلسلة النظمية(Syntagmatique) ذات الطّبيعة الخطّية الخاضعة لمبدأ التّجاور، والمُشكّلة لذلك الطّابع المُساير لِلحكاية ما لم يتم الأخذ بعين الاعتبار تلك التّقابلات والاختلافات الّتي يُسندها ذلك النّظام التّعارضي الّذي تُقيمه تِلك الإسقاطات الاستبدالية(Paradigmatique) القائمة على مبدأ الاختيار لعلاقات الوحدات اللّفظية"[4] باعتماد علاقات المربّع السيميائي.

---

[1]: ينظر، قادة عقاق، الخطاب السّيميائي في النّقد المغاربي، ص32.

[2]: المرجع نفسه، ص96.

[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]: المرجع نفسه، ص، 33.

3- أن لا يتم تحليل النّص دفعة واحدة بل لا بد من تقطيعه إلى مقاطع سردية، لاستخلاص وحداته المعنوية، وحصر بنياته الصغرى والكبرى المتحكمة في بنائه باعتباره -التقطيع- خطوة أولى أساسية في إطار التحليل السردي، وإجراء عمليا من إجراءات التّحليل الأولى، يحدّد لنفسه هدفا هو تقطيع النص أو الخطاب المحلّل إلى مجموعة مقاطع وفق معايير للتقطيع، أمّا المقطع فهو مفهوم إجرائي يرتبط ارتباطا وثيقا بإجراء التقطيع،[1] ومن أبرز وأهم ما يشترط فيه أن يكون قادرا على أن يكون لوحده "حكاية مستقلة، وأن تكون له غايته الخاصة به، هذا وقد يكون أيضا قادرا على الاندماج داخل حكاية أكبر توسّعا مؤدية وظيفة خاصة داخلها"[2].

ويعدّ "فلاديمير بروب" واحدا مِن المهتمّين بتقطيع النّصوص والخطابات في مجال السّيميائيات السّردية، وهو ما نلفيه بجلاء في كتابه "مورفولوجية الخرافة" القائل فيه بصريح العبارة: "حين نُحلّل نصّا يجب أن نُحدّد بدءا عدد المقاطع الّتي يتألّف منها، إنّ المقطع يمكن أن يتلو مقطعا آخر مباشرة، بيد أنّه يجوز أن يتشابكا، وذلك حينما يتوقف التّطوّر المبدوء تاركا المكان لإدراج مقطع آخر ليس بالأمر السّهل دائما، لكّنه مُمكن وبدقّة كبيرة"[3]، وهو ما دعا إليه رائد السّيميائية السّردية "غريماس" وألحّ عليه كثيرا مُعتبرا إيّاه -التقطيع- أمرا ضروريا ولازما قبل بدء عملية التّحليل خاصّة في كتابيه "في المعنى Du sens"[4] و "موباسان: سيميوطيقا النص Maupassant : La sémiotique du texte"[5]، دون أن ننسى كل من كلود بريمون(C.Bremond)،رولان بارت(Roland Barthes)، تزفيطان تودورف(Tzvetan Todorov)، جوليا كريستيفا(Julia Kristeva) وجوزيف كورتيس(Curtis Joseph)، وغيرهم مِن السّيميائيين الغربيّين -الّذين كان هدفهم تحليل النّص والكشف عن جميع بِنياته بُغية الإحاطة بالدّلالات الكُليّة له- وحتّى المَغاربة منهم وعلى رأسهم محمد مفتاح، سعيد بنكراد،

[1]: ينظر، عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة)، ص13.

[2]: المرجع السّابق، الصفحة نفسها.

[3]: فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، ط1، الشّركة المغربية للنّاشرين المتّحدين، الرّباط، المغرب، 1986، ص95.

[4] :Greimas, A.J : Du sens. Essais sémiotiques. Le Seuil, 1970, p268.

[5]: Greimas, A.J : Maupassant, la sémiotique du texte, Seuil, Paris, 1976, p19.

السعيد بوطاجين، عبد الحميد بورايو، عبد اللّطيف محفوظ، عبد المجيد نوسي، جميل حمداوي وآخرين، **وذلك لما يُقدّمه –التقطيع– لِلمحلّل من فوائد عديدة أبرزها مُساعدته على:**

– إبراز استقلالية كلّ مقطع من جهة، القائمة على خصوصيّات مُحدّدة مثل هيمنة عنصر الزّمن أو المكان أو هيمنة شخصية من الشّخصيات حين مقارنته بمقطع آخر يُهيمن فيه عنصر آخر، وعلاقته بالمقاطع الأخرى المُكوّنة للخطاب الرّوائي من جهة أخرى، لأنّ المقطع يندرج ضمن الخطاب الروائي بصفته كلا دالا.

– الكشف عن توالد الخطاب وتناسله انطلاقا من أنّ الخطاب ينمو من عقدة تمثّل مركزا منظّما، ويُحدّد –التّقطيع– تناسل المسارات التّصويرية الأخرى ويُبرز البُعد الدينامي لِلخطاب.

– إضاءة دلالة الخطاب وذلك من خلال إنتاجه لمجموعة آثار معنى أوّلية وجزئية تُسهم في تكوّن الدّلالية العامة للخطاب[1].

لكن ما ينبغي التّنويه إليه أنّ الأهداف الّتي أشرنا إليها للتوّ لن تتحقّق إذا ما كان التّقطيع عشوائيا لذلك لابد من اعتماد معايِير مُحدّدة وملائمة أثناء عملية التّقطيع، وهو ما دفع غريماس إلى تقديم تركيب نظري لحصر المُحدّدات الّتي يمكن اعتمادها لتحقيق ذلك الإجراء –التقطيع–، **وفيما يأتي تقديمنا نحن له نقلا عن "عبد المجيد نوسي":**

1– العناصر الظّاهراتية: وتتمثّل في الجانب التّيبوغرافي المتعلّق بنوعية الحروف التي تكون دسمة أو رقيقة، وكذلك في تنظيم الخطاب وفق الفقرات والفصول، وتعدّ هذه العناصر التّرقيمية معايير طبيعية يتبناها السارد لتوزيع فضاء الخطاب ولتنظيم المقاطع التي يتكوّن منها الخطاب الروائي، لذلك فإنّ هذه العناصر تعدّ مرتبطة بالسّارد أساسا وتؤدّي وظيفة تنظيمه بالنسبة له، إلاّ أنّه وعلى الرغم من أهمّيتها على مستوى الدلالة العامة للخطاب فإنّ المحلّل ليس ملزما دوما باعتمادها على مستوى التقطيع، حيث يمكن له البحث عن محدّدات أخرى ملائمة تنسجم مع

[1]: ينظر، عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص14.

التحليل العام،[1] كالوقوف عند المُحدّدات الفضائية، الزّمانية، التّركيبية، العاملية، التّشاكلية وغيرها، ويمكن اعتمادها بصفتها محدّدات للتّقطيع لأنّ الخطاب بطبعه يقدّم مجموعة من العناصر التّرقيمية ذات البعد الأيقوني.

2- العناصر خطابية: وتتَمثل في مُختلف الرّوابط التّركيبية النّحوية المُحقّقة للاتّصال الانفصالي مثل غير أنّ، ولكن ...، وغيرها من التّراكيب النّحوية الأخرى الّتي كثيرا ما تُستعمل على المُستوى التّركيبي لإبراز علاقة الاتّصال بين مقطعين يوجد بينهما تعالق، لكن ما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ كلّ مقطع مُتميّز عن الآخر، ويتحقّق ذلك حين ابتداء المقطع اللّاحق عن السّابق برابط من هذه الروابط[2] التّركيبية التي كثيرا ما نجدها تضفي على النص اتساقا وانسجاما.

3- مُحدّد الانفصال المقولي: ويعتمد على المقولات الاثنانية، وهو مُحدّد ينسجم مع الاتجاه العام للسيميوطيقا السّردية لكونها تبني مستوياتها بالاعتماد على مفهوم المقولة الاثنانية الّتي تتكوّن من عنصرين متقابلين تجمع بينهما علاقة تضاد، ويمكن لكلّ عنصر من عناصر هذه المقولة المبنية على التّقابل أن يُخصّص مقطعا من المقاطع؛ فمثلا إذا كان العنصر الأوّل 'قبل' في مقولة اثنانية زمنية (قبل/ بعد) يُخصّص المقطع الأوّلي فإنّ العنصر الثّاني بعد الّذي يقابله يُخصّص المقطع الثّاني مِمّا يُحقّق تميّز المقطع من الآخر بواسطة الانفصال المقولي الذي يُمْكننا تحديده هو الآخر من خلال الانفصال المكاني المُتمثّل في المقولة الاثنانية (هنا/ هناك)، والاتّصال الزمني (قبل/ بعد)[3].

كانت هذه نظرة مُقتضبة عن المُحدّدات الّتي وقف عندها "غريماس" وأكّد على ضرورة اعتمادها قبل الشّروع في تقطيع النّص إلى مقاطع سردية مِن أجل تحليله، هذا إضافة إلى مُحدّدات أخرى سنُرجئ الحديث عنها لاحقا، وبالتّحديد في محاولتنا الكشف عن تجلّي

---

[1]: ينظر، المرجع نفسه، ص 15.

[2]: ينظر، عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص15.

[3]: ينظر، المرجع نفسه، ص16.

السّيميائية السّردية في المُمارسات النّقدية المغاربية؛ الّتي تستدعي منّا النّظر والبحث في طريقة وكيفية تّحليل النّقاد للعديد من النّصوص الإبداعية، والوُقوف عند الخطوات الّتي اعتمدوها أثناء وقبل عملية التّقطيع، والنّظر فيما إذا اكتفوا باعتماد المُحدّدات الّتي أشار إليه غريماس، أم أنّهم أتوا بمُحدّدات ومعايِير سيميائية أخرى غير الّتي أتينا على ذكرها سابقا.

المبحث الثّاني: مصطلحات الجهاز المفاهيمي للنّظرية السّيميائية السّردية

آثرنا في عرضنا لمُختلف المفاهيم الإجرائية للسّيميائية السّردية ومحاولة تبسيطها على الانطلاق من المستويين المعتمدين في التّحليل السّردي والمُتمثّلين في البِنيتين السّطحية والعميقة على النّحو الآتي:

1 – البنية السّطحية (La Structure de Surface): وتتكوّن هي الأخرى من مُكوّنين أحدهما سردي والآخر خطابي على نحو ما ذكرناه سالفا.

1-1 المكوّن السّردي (Composante narrative): ويضم السّردية والبرنامج السّردي(La narrativité et le programme narratif).

1-1-1 السّردية (Narrativité): "تحيل السّردية على ضرب مُعيّن مِن القراءة وطريقة خاصّة في وصف المادة وتنظيمها، أي إعادة كتابتها انطلاقا مِن فرضية مُؤدّاها أنّ المعنى ليس مُعطى قبليا، إنّما يُستخلص من فُنون التآلف والاختلاف والتّقابل القائمة بين الوحدات التّركيبية العاملية والتّحوّلات المُتتابعة في المحور السياقي، ولا تختص السّردية بالخطاب الأدبي دون سواه بل يجوز تطبيق مقولاتها على نصوص غير موسومة أدبيا كالحضارية الفكرية والسّياسية القانونية"[1] وهذا ما جعل الإقبال عليها واعتمادها في مقاربة ومساءلة مختلف النّصوص كبيرا.

[1]: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص 71.

1-1-1-1 النّموذج العاملي بوصفه نسق (Le modèle actantielles): ويُمثّل "شكلا قانونيا لتنظيم النشاط الإنساني، أو هو النشاط الإنساني مكثّفا في ترسيمة ثابتة رغم تغيّر عناصر تمظهرها"[1]، ويضم ست عوامل: الذّات، الموضوع، المرسَل، المرسَل إليه، المعارض، المساعد، وغالبا ما يتم التّمثيل لهذا النّموذج من خلال الرّسم العاملي الّذي يُثبته "غريماس" على نحو ما سنعرضه.

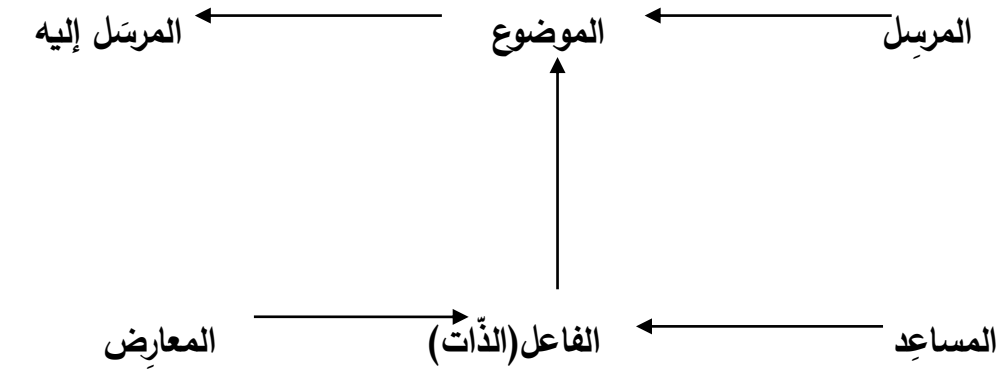

يرى غريماس أنّ توجّه الذّات(الفاعل) إلى الموضوع (ذ ←م) هو نمط غائي يستخدم كتصييغ للقدرة، وأنّ علاقة المرسل بالمرسل إليه (م ←م) هي من نمط تعليلي يستخدم للمعرفة، في حين يصلح المساعد والمعارض (م← م) كتصييغ للإرادة[2].

وعلى هذا الأساس تتحدّد هذه الأزواج الثّلاثة (الفاعل/ الموضوع)، (المرسِل/ المرسَل إليه)، (المساعِد / المعارِض) للنّموذج العاملي من خلال ثلاث محاور تجسّدها ثلاثة علاقات هي:

أ. علاقة الرّغبة(محور الرغبة): وهي العلاقة الّتي تربط بين من يرغب وبين ما هو مرغوب فيه، أي بين الفاعل والموضوع، وتمّر بالضّرورة عبر ملفوظ الحالة أوّلا المُجسّد للاتّصال والانفصال ، ومفلوظ الإنجاز ثانيا الّذي يجسّد تحوّلا اتّصاليا أو انفصاليا؛ فمثلا لو كان الفاعل في حالة انفصال عن موضوع القيمة فإنّها ترغب في الاتّصال، وإذا كانت في حالة اتّصال

[1]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص43.

[2]: ينظر، سامي سويدان، في دلالية القصص وشعرية السّرد، ط1، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1991، ص325.

فإنّها ترغب في الانفصال، ومن الطّبيعي أن يكون الإنجاز سائرا في اتجاه الاتّصال أو في اتجاه الانفصال، ويكون ذلك مرتبطا بنوعية رغبة فاعل الحالة.

ب.علاقة الإبلاغ(محور الإبلاغ): ويستدعي فهم هذه العلاقة افتراض مسبق فحواه أنّ وراء كل (فاعل الحالة) محرّك أو فاعل يسّميه غريماس مرسِلا يكون موجّها إلى عامل آخر يسمّى مرسلا إليه[1]، وتمر العلاقة بينهما بالضّرورة عبر علاقة الرّغبة، أي علاقة الفاعل بالموضوع.

ج.علاقة الصّراع(محور الصراع): وهي العلاقة الّتي يجمع بين المساعد والمعارض، وتنتج إمّا بمنع حصول العلاقتين السّابقتين (علاقة الرّغبة أوالإبلاغ)، وإمّا بتحقيقهما[2]، **وفيما يأتي مخطّط يلخّص جميع العلاقات والمحاور الّتي أتينا على ذكرها:**

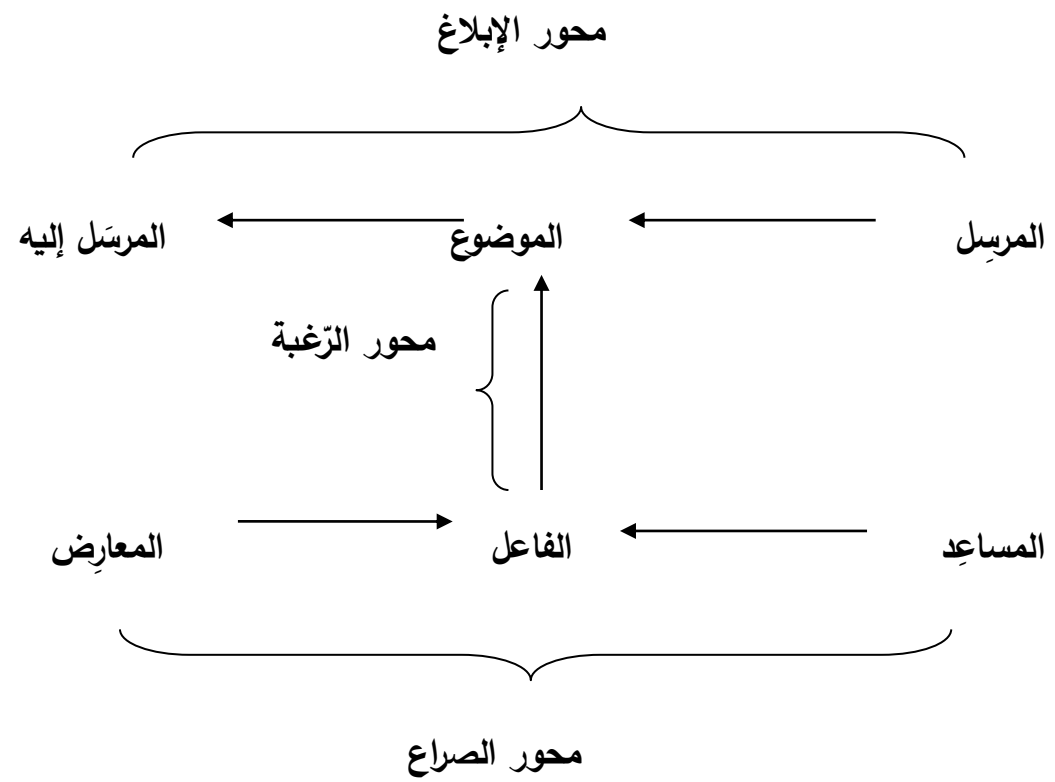

وتتجلّى بساطة هذا النّموذج وفاعليته حسب غريماس "في أنّه مُتمحور حول موضوع الرّغبة الذي يسعى الفاعل لأجله، ويقع كموضوع للتّواصل بين المرسَل والمرسَل إليه ورغبة

[1]: ينظر، حميد لحميداني، بنية النّص السّردي، ط1، المركز الثّقافي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1991، ص35/34.

[2]: المرجع السّابق، ص36.

الفاعل من جهته مُوجّهة وِفق إسقاطات المساعِد والمعارِض"[1] وفي قدرته على احتواء مُختلف أشكال النّشاط الإنساني، بدءا من النّصوص الأدبية وانتهاء بأبسط شكل من أشكال السّلوك الإنساني، **وفيما يأتي محاولة للوقوف عند تلك العوامل:**

– **الفاعل والموضوع (objet/ sujet):** تُشكّل هذه الفئة (الفاعل/ الموضوع) العمود الفقري داخل النموذج العاملي بوصفها مصدرا للفعل ونهاية له؛ "فهي مصدر له لأنّها تُعدّ نقطة الإرسال الأولى لمحفل يَتُوق إلى إلغاء حالة ما أو إثباتها أو خلق حالة جديدة، وهي نهايته مِن حيث أنّ الحدّ الثاني داخل هذه الفئة يُعدّ الحالة التي ستنتهي إليها الحكاية، ويستقر عليها الفعل الصّادر عن نقطة التّوتر الأولى"[2]، ما يعني أنّ علاقة الحد الأوّل (الفاعل) لا تتحدّد إلاّ مِن خلال دخولها في علاقة مع الحدّ الثّاني (الموضوع)، هذا الأخير الّذي لا يُمكن إدراكه إلاّ بعلاقته بالفاعل وهو ما أشار إليه "محمد الناصر العجيمي" قائلا: "... بدون غاية ما (محتملة أو محيّنة) لا يمكن الحديث عن ذات فاعلة، كما أنّه خارج عنصر الرّغبة كراغب ومرغوب فيه لا يُمكن للموضوع أن يتحدّد كعنصر داخل علاقة"[3] فلا وجود لفاعل دون وجود موضوع ولا وجود لموضوع دون وجود فاعل.

وما تجدر الإشارة إليه هنا على نحو ما أشار إليه "قادة عقّاق" أنّ الفاعل في النّظرية السّيميائية لا يعني الشّخصية، كما أنّ الموضوع لا يعني الشيء بل "إنّهما دوران ومفهومان يُحدّدان وضعيتين متلازمتين (عوامل وأدوار عاملية) لا توجد أبدا إحداهما دون الأخرى"[4] وقد يكونان بشرا أو غير ذلك كما هو الحال في الحكايات الخرافية.

– **المرسل والمرسَل إليه (Destinateur et Destinataire):** مرسل / مرسل إليه، تقع هذه الفئة العاملية على طرفي محور الاتّصال بحيث تُفهم هذه العلاقة ضِمن بِنية الحكي

---

[1]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص104.

[2]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص48.

[3]: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص 38.

[4]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص106.

ووظيفة العوامل الّتي تفرض مبدئيا أنّ كل رغبة من لدن ذات حالة لابد وأن يكون وراءها مُحرّك أو دافع يسمّيه غريماس "مرسلا"، كما أنّ تحقيق الرّغبة لا يكون ذاتيا بطريقة مُطلقة ولكنّه مُوجّه لعامل آخر يُسمّى مرسلا إليه وعلاقة التّواصل بين المرسل والمرسل إليه تمر بالضّرورة عبر علاقة الرّغبة أي عبر علاقة الذات بالموضوع كما هو موضّح في هذا المخطّط:

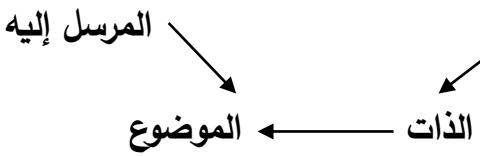

فالمرسل هنا هو الذي يجعل الذّات ترغب في شيء ما، والمرسل إليه هو الّذي يعترف لذات الإنجاز بأنّها قامت بالمُهمة على أحسن وجه[1].

وتمرّ علاقة المرسّل والمتلقي عبر محور الرّغبة المُكوّن من الذّات والموضوع بالصّيغة التي يقوم فيها المرسل بإبقاء موضوع للتّداول، وتقوم الذّات بتبنِّي هذا الموضوع والاقتناع به وتبدأ رحلة البحث الذي يتخذ الملفوظ السردي فيه هذا الشكل:

مرسل ← موضوع ← متلقي

الّذي يُوضح جليا تداخل محوري الرّغبة والاتّصال لمّا يتعلق الأمر بتداول الموضوع كموضوعٍ للبحث لدى الفاعل الذّات وكموضوعٍ للتداول بين المرسل والمرسل إليه[2] اللّذان يشكّلان أنموذجا بسيطا موجه كلّيا نحو موضوع هو الوقت نفسه موضوع رغبة وموضوع تواصل[3]، ويشير كورتيس إلى هذا قائلا: "إنّ إدخال زوج المرسل/ المرسل إليه في النموذج

---

[1]: حميد لحميداني، بنية النّص السّردي من منظور النقد الأدبي، ص36/35.

[2]: ينظر، أمين بوضياف، استراتيجية البناء العاملي وديناميكيته في الخطاب الرّوائي "مدينة الرّياح" لموسى ولد بنو، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، إشراف د. علي ملاحي، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص45.

[3]: ينظر، نبيلة زويش، الشّخصية بين النّظرية والتّطبيق "اللاز" و"العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطّار أنموذجا، ص173.

العاملي يجد تبريره بالنسبة إلى الموضوع بالفعل، فإنّ هذا الأخير مكانه كما سجّلنا على محور الرغبة (علاقة ذات / موضوع)، ولكنّه ينخرط في نفس الوقت على محور التواصل"[1].

– **المساعد والمعارض (Adjuvant et Opposant):** يرى "غريماس" أنّ هذا الزّوج العاملي المُندرِج ضِمن مِحور الصّراع لا يعدو كونه مُجرّد إسقاطات لفعل الإرادة ولمُقوّمات خيالية للفاعل نفسه، والّتي تعود على رغبته إمّا بالنفّع أو بالضّرر، وعليه فإذا كان المساعد يُمثّل القوّة الّتي تُسنِد الفاعل وتُعينُه على تحقيق مشروعه (البرنامج السّردي) فإنّ المُعارض، وعلى العكس من ذلك يُعدّ القوّة المُعرقلة للفاعل الّتي تعترض سبيله، وتقف حائلا دون اتّصاله بموضوع رغبته ومن ثمّة دون تحقيقه لبرنامجه السّردي، فهو يُمثل الذّات المضادّة أو المساعد السّلبي[2]، وتقوم العلاقة في تقابل هذا الثّنائي على وُجود مجموعتين من الوظائف؛ تقوم الأولى منها على تقديم المساعدة بالعمل في اتجاه علاقة الرّغبة أو بتسهيل أمر التّواصل فيما تعمل المجموعة الثّانية على خلق العوائق للحُصول دون تحقق الرّغبة أو حصول التّواصل، ولذلك تنشأ بينهما علاقة تعارض(Opposition)، وبالنّظر إلى الشّكل التّوصيفي الّذي تمّ تعيينهما به فإنّ الأمر يتعلّق بمشاركين ظرفيّين(des participants circonstanciels)، ولا يتعلّق الأمر بعوامل حقيقية في العمل[3].

1-1-1-2 النّموذج العاملي باعتباره إجراء: يرى سعيد بنكراد أنّ النّموذج بكلّ علاقاته وبنمط اشتغاله، وبالمحاور الّتي يستند إليها في عملية تكوّنه يُشكّل جذرا paradigme، أي تصنيفا مُقولبا لمجموعة من الأدوار الّتي نُصادفها في كلّ الحكايات بشكل كلّي أو جزئي، غير أنّ هذه الصورة الكليّة لا تُغني عن تحليل هذه الأدوار وعن دراسة وضعها؛ فهي لا تُشكّل سمات ثابتة ودائمة تُسنَد بشكل نهائي إلى الشّخصيات مُنذ الانطلاقة الأولى لِلأحداث؛ إنّها تُشكّل بناء وتُبنى اطّرادا وتَخضع للتّحولات والتّغيّرات، وهذه التّحوّلات هي ما يمنح القصّة

[1]: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية، تر: جمال الحضري، ص109.

[2]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية(أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص108.

[3]: سليمة لوكام، تلقي السّرديات في النّقد مغاربي، دط، دار سحر للنّشر، تونس، 2009، ص72.

ديناميكيتها وتلوينها القيمي الخاص[1] بها دون غيرها على نحو ما سنوضّحه في معرض حديثنا عن التحليل السردي بين الحالة والتّحويل.

ولعلّ أوّل ما ينبغي الإشارة إليه هنا وعدم تجاوزه أنّ النّظرية السّيميائية السّردية تحُدّد لملفوظ الحالة شكلين اثنين هما:

أ. **ملفوظ حالة فصلي(énoncé d'état disjonctif)**: وفيه يكون فاعل الحالة (sujet d'état) (ف) في انفصال بالموضوع (م)، وإذا كانت العلامة (U) رمزا لهذا الانفصال فإنّ الوضعية الانفصالية يُرمز لها بالصّيغة التّمثيلية الآتية: (فـUم).

ب. **ملفوظ حالة وصلي (énoncé d'état conjonctif)**: وفيه يكون فاعل الحالة على علاقة اتّصال بموضوع الرّغبة أو القيمة؛ أي أنّ (ف) يرتبط بـ (م) بعلاقة اتّصال أو وصل، وإذا كانت العلامة (∩) رمزا لهذا الوصل فإنّه يرمز لهذه الحالة بالصّيغة التالية: (فـ∩ م)[2].

لكن مِمّا هو حريّ به التنويه إليه أنّ الانتقال مِن حالة إلى أخرى لا يمكن أن يتم إلاّ "بواسطة فعل تحويلي(transformateur) يُعبّر عنه بملفوظ الفعل (enoncé du faire) تمييزا له عن ملفوظ الحالة، وتُسند مُهمّة إنجازه إلى فاعل الفعل(sujet du faire)، أوالفاعل الإجرائي(sujet opérateur) تمييزا له عن فاعل الحالة sujet d'état في الملفوظ السّابق"[3]، وينقسم هذا النّوع من الملفوظات إلى صِنفين اثنين لا ثالث لهما:

أ. **الصّنف الأوّل: تحوّل وصليtransformation de conjonction**: وفي يتم الانتقال من حالة انفصال الموضوع إلى حالة اتّصال به، ويعبَّر عنه بالصّيغة الشّكلية الآتية:

(فـUم)⟵(فـ∩ م).

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص54.

[2]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص106.

[3]: المرجع نفسه، ص109.

ويُشير السّهم الموجود بينهما إلى الانتقال من حالة إلى أخرى، ويُوصف هذا العمل بالتّحقق réalisation، كما تُوصف القيمة المُحصّل عليها بالقيمة المحقّقة valeur réalisé.

ب. الصّنف الثاني: تحوّل انفصالي (transformation de disjonction) : وفيه يتحوّل الفاعل من حالة اتّصال بالموضوع إلى حالة انفصال عنه، وهو ما يُعبّر عنه بهذه الصّيغة:

(ف∩ م)⟵(ف∪م)[1].

وللتّوضيح أكثر نفترض مثلا أنّ هناك شجرة برتقال وأنّ هناك شخص ما يريد الأخذ منها، فالشّخص هنا وليكن اسمه "محمّد" يُمثّل (فاعل)، و"البرتقال" يُمثّل (الموضوع)، وهما الآن – الفاعل (محمد) والموضوع (البرتقال) في علاقة انفصال لأنه البرتقال لا يزال في الشّجرة ولم يحصل عليه بعد، وهو ما نُمثّل له بهذه الصّيغة تبعا لنوعية الفعل التّحويلي وتوجّهه من حالة انفصال إلى حالة اتّصال أو العكس:

(محمد (ف)∪ البرتقال (م)) ⟵(محمد (ف)∩ البرتقال (م))

وبِمُجرّد حصول محمد (ف) على البرتقال (م) يصبح في علاقة اتّصال معها بعدما كان سابقا في علاقة انفصال، وهو ما نمثّل له بالصيغة الآتية:

(محمد (ف)∩ البرتقال (م)) ⟵(محمد (ف)∪ البرتقال (م))

ويُمكن تلخيص ما سبق من تفريعات في الشّكل الآتي:

الملفوظات السردية

(les énoncés narratifs)

ملفوظات الحالة(énoncés d'état) | **ملفوظات الفعل (énoncé du faire**

[1]: المرجع نفسه، ص110.

↓ ↓ ↓ ↓

ملفوظ حالة وصلي ملفوظ حالة فصلي تحوّل وصلي تحوّل انفصالي

وفي خِضّم هذه العلاقات وترابط الحالات والتّحوّلات وتتابعها تنتج وحدات سردية أكبر من سابقتها يُسمّيها غريماس بـ "البرامج السردية"، ولنا فيما يأتي عرض مبسّط لها يُبرز دورها الأساسي ويُبيّن مدى أهميتها في التّحليل السّردي للنّصوص.

1-1-2 البرنامج السّردي(Le programme narratif): يُعدّ البرنامج السّردي في النّظرية السّيميائية "مفهوما إجرائيا بسيطا قابلا لكلّ التّمطيطات والتّضعيفات الشكلية المختلفة دون أن تمسّ في شيء صفته التّركيبية البنيوية ولا فاعليته التّطبيقية"[1]، وهو نوعان بسيط ومُعقّد؛ فأمّا النوع الأوّل (البرنامج السّردي البسيط) فتَتجلّى بساطته في كونه يقوم على افتراض وُجود فاعل واحد (ف1) على علاقة بموضوع واحد (اتّصال أو انفصال)، وعليه فإذا أدرجنا فاعلا ثانيا (ف2) مَعنِيا بالموضوع نفسه غير قابل للاشتراك فيه non participatif يُضاعف البرنامج السّردي، ويَتبيّن المُحلّل في هذا الإطار توسّعا في أنساق العلاقات[2] مقارنة به إذا ما كان قائما على افتراض وجود فاعل واحد.

أمّا الثّاني (البرنامج السردي المضعف) فيتضاعف ويتكاثف انطلاقا من علاقة اندماجية يتم الجمع فيها بين برنامجين سرديَّين أو أكثر، ومِن البرامج السردية الّتي يمكن أن تخضع لهذا الدّمج والجمع:

أ. **البرنامج السّردي الرّئيسي (P.N. principal):** ويُسمّى أيضا بالبرنامج السّردي القاعدي (P.N de base)، وهو أساسي لأنّ تعيِّين الإنجازات الهادفة إلى تحقيق تحوّل رئيسيّ في العلاقة الحالية بين الفاعل والموضوع لا تتمّ إلاّ به ومن خلاله.

[1]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص112.

[2]: ينظر، المرجع السّابق، ص113.

ب. البرنامج السّردي الاستعمالي (P.N. d'usage): وهو "برنامج سردي سابق عن الأوّل مُلحقٌ به ومُدرجٌ ضِمنه، ومُتَّخذٌ كذريعة له"،[1] ومِثل هذا الدّمج الّذي يتمّ بين نوعين من البرنامجين هو ما يُعبِّر عنه غريماس في قوله:" البرنامج السّردي هو وِحدة من الخطاب السّردي قائمة بذاتها، وقابلة لأن تُوظّف ككحاية، لكن يمكن كذلك أن تُدرج ضِمنه من حيث هي جزء من الأجزاء المُكوّنة له، والمَوضِع الذي تحتلّه يُحدّد منها وظيفتها في البِنية العامة للنّظام السّردي"[2] وللتّوضيح أكثر نسوق هذا المثال:

"حتّى يتمكّن الطّالب من تحقيق التّفوّق والتّألّق، لابد له من أن يبحث عن مفاتيح النّجاح أوّلا".

المتكوّن من برنامجين سرديَّين يشكّلان البرنامج السّردي المضعف هما: برنامج سردي استعمالي **(لابد من أن يبحث عن مفاتيح النّجاح أوّلا)** سابق على البرنامج السّردي الرّئيسي **(حتى يتمكّن الطّالب من تحقيق التّفوّق والتّألّق)** فلكي يتمكّن الطّالب من تحقيق التّفوق والتّألق لابد من أن يبحث أوّلا عن مفاتيح النّجاح على النّحو الآتي:

"حتّى يتمكّن الطّالب من تحقيق التّفوّق والتّألّق ، لابد من أن يبحث أوّلا عن مفاتيح النّجاح"

ب. س. رئيسي P.N. principal　　ب. س استعمالي P.N. d'usage

برنامج سردي مضاعف

(Dédoublement du programme narratif)

وما تجدر الإشارة إليه أنّ كلّ برنامج سردي مهما كان نوعه بسيطا أم مركبا يُمكن تقسيمه إلى وحدات دنيا، تُشكّل مراحل سيرورة الحدث السّردي من بدايته إلى نهايته يُسمّيها

[1]: المرجع نفسه، ص116.

[2]: المرجع السّابق، ص117.

"غريماس" المسارات السّردية (Les parcours narratif) وتُكوِّن ما يُسمَّى في السِّيميائية السّردية بالتّرسيمة السّردية (shéma narratif) وتشمل أربع مراحل مُتعاقبة ومُتدرِّجة منطقيا تُمثّل أطوار البرنامج السّردي (les phases du .P.N)[1].

– **التحّريك (Manipulation):** ويُعدّ المرحلة الأولى في التّرسيمة السّردية وهي بمثابة "تعاقد يُبرم في بداية كلّ محكي بين المرسل /المُحفّز (المحرّك) وفاعل الحالة أو الفاعل الإجرائي (العملي) المُحتمَل يتم بمُوجبه إقناع هذا الأخير بالبرنامج السّردي المُقترح عليه من قِبل الأوّل، كما يتعهّد الثّاني في الوقت ذاته بتنفيذه"[2] في أيّ عمل حكائي وهكذا تُصبح مُهمّته مُنحصِرة في إقامة علاقة طابعها مُمَارسة التأثير والاستحواذ من قِبل عامل أوّل يسمّى مُحفّزا (مُحرّكا) manipulateur أو مُرسلا للتحفيز (التحريك) وقائما به، على عامل ثان يسمّى مُحفّزا (مُحرّكا) manipulé أو مُتلقيا له[3]، وكل هذا من أجل تحديد وتبنّي البرنامج السّردي المُقترح عليه من قبل الأوّل وتحويله من مُحفّز (محرّك) إلى فاعل إجرائي.

– **الكفاءة (التّأهيل أو المقدرة) (Compétence):** ويُمكن النّظر إليها (الأهلية) باعتبارها من الشّروط الضّرورية السّابقة عن الفعل المُؤدّي إلى امتلاك موضوع ما "مقطعا سرديا تركيبيا يأتي قبل الإنجاز مباشرة، ويُشكّل مُرتكزه الأساسي، مادام يتعلّق بمن سيقوم بالفعل، أي بذات الفاعل لا بالفعل ذاته الّذي يختصّ به الدّور اللاّحق (الإنجاز) "مِمّا يجعل البحث عنها (الكفاءة) مُقتصرا على ملفوظات الحالة دون ملفوظات الفعل الّتي يُبحث فيها عن عنصر آخر هو الإنجاز"[4]، وتأسيسا على هذا لا يمكن بأيّ حال من الأحوال التّحدث عن الكفاءة دون ربطها بالإنجاز لأنّها في علاقتها به – أي الإنجاز بوصفه فعلا مُنتجا للملفوظات– تُشكّل

[1]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص119.

[2]: المرجع نفسه، ص 136.

[3]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص137.

[4]: قادة عقاق، المرجع نفسه، ص120.

معرفة للفعل، إنّها ذلك الشّيء الّذي يدفع للفعل، الّشيء الذي يجعل الفعل مُمكنا، بل أكثر من ذلك، فهذه المعرفة باعتبارها فعلا بالقوة منفصلة عن الفعل الّذي تعود إليه[1].

ومِمّا هو حريٌّ بالإشارة إليه هنا أنّ الكفاءة(القدرة، الأهلية) تَتَطلب وتتبني على مُوجّهات الفعل Les modalités de faire الّتي تساهم في تمِيز العلاقة بين الفاعل والفعل وهي المُعتزم القيام به، وتتلخص في أربع وضعيات نَعدّها كالآتي:

- الوضعية الأولى: معرفة الفعل Savoir_faire.
- الوضعية الثّانية: قدرة الفعل Pouvoir_ faire .
- الوضعية الثّالثة: إرادة الفعلfaire _ Vouloir .
- الوضعية الرّابعة: وجوب الفعلDevoir_ faire [2] وهي الّتي حدّدها غريماس وأشار إليها.

لكن ما ينبغي معرفته عن هذه الوضعيات الأربعة أنّه ليس ضروريا اكتسابها دُفعة واحدة أو في مُجملها بل يتمّ الحصول عليها اتّباعا وعلى مراحل وهو ما "يستوجب توافر برامج سردية استعمالية P.N.d'usages يستهدف الفاعل الإجرائي من ورائها الحصول على موضوعات استعمالية مُؤهّلة وضرورية لتنفيذ البرنامج السّردي"[3]؛ ما يعني أنّها الكفاءة (القدرة، الأهلية) تفترض موضوعا مِن طبيعة أخرى يُعدّ بمثابة موضوع استعمالي مُحدّد داخل البرنامج الاستعمالي.

- **الأداء/ الإنجاز (Performance)**: وهو وحدة سردية تتكوّن من سلسلة من الملفوظات السّردية المترابطة فيما بينها وِفق منطق خاص يتم من خلاله تحويل فاعل الحالة نحو موضوع القيمة[4]، وينقسم إلى نوعين؛ أحدهما وصلي(Performance conjonctive) يجسدّ انتقالا من

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص 60.
[2]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص20.
[3]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص 74.
[4]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السردية، ص63.

وضعية انفصال عن موضوع القيمة إلى وضعية اتّصال به، والآخر فصلي(performance disjunctive) يُجسّد انتقال الفاعل من وضعية اتّصال بالموضوع إلى وضعية انفصال عنه، وفي كلتا الحالتين يرتبط الموضوع بفاعل واحد وهو ما يمكن صياغته على النّحو الآتي:

1) ف.ت (ف1) ⟵{ (ف1U م)⟵ (ف1 ∩ م) }

2) ف.ت (ف1) ⟵{ (ف1∩ م)⟵ (ف1 U م) }

وانطلاقا من هذا يُمكن التّمييز بين نوعين من الأداء انطلاقا من نوعية التّمظهرات التّمثيلية actorielle الخاصّة بالفاعلين(ف1) كفاعل إجرائي و(ف2) كفاعل حالة، فإذا كان الفاعل الأوّل هو نفسه الفاعل الثّاني أي نفس المُمثّل أو الشّخصية تجمع بين الدّورين العاملين معا، دور فاعل الفعل، ودور فاعل الحالة في ذات الوقت سُمّي الفعل الإنجازي انعكاسيا réflexif، لأنّ الذات في هذه الحالة تقوم بالفعل الإنجازي بنفسها ولحسابها الخاص، أمّا إذا كان الدوران العامليان (دور فاعل الحالة، وفاعل الفعل) مُوزّعين بين مُمثلين اثنين مُختلفين فيُسمّى الفعل الإنجازي آنذاك عبوريا (متعديّا) transitif، لأنّ المستفيد منه شخصٌ آخر غير الذي أنجزه[1] حقيقة.

- **التّقويم/ الجزاء/ ماهية الماهية Sanction être-être** : وهو "صورة خطابية مرتبطة بالتّحريك، ولا يُمكن أن يُدرك إلاّ في علاقته بالتّحريك، مادام التّحريك والجزاء كلاهما يتميّز بحضور مُكثّف للمرسل"[2] ويُمثّل ذروة الخطاطة السّردية لأنّه يوجد في مرحلة نهائية من السّرد ونقطة نهاية البرنامج السّردي البسيط ويتم في هذه المرحلة الحكم على النّتائج النّهائية(l'état Final) النّاتجة عن الفعل التّحويلي الّذي قام به الفاعل الإجرائي في ضوء ما تمّ الاتفاق عليه

[1]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص130.

[2]: المرجع نفسه، ص 141/140.

في مرحلة التّحريك بين المُحرّك (المرسل) والفاعل الإجرائي(المرسل إليه)[1] وِفقا لمدى مطابقته أو عدم مُطابقته لبُنود العقد المُبرم بينهما في البداية.

ويُمكنُنا حصر مُختلف أطوار التّرسيمة السّردية المُشكّلة للبرنامج السّردي في على النّحو الآتي:

أطوار التّرسيمة السّردية

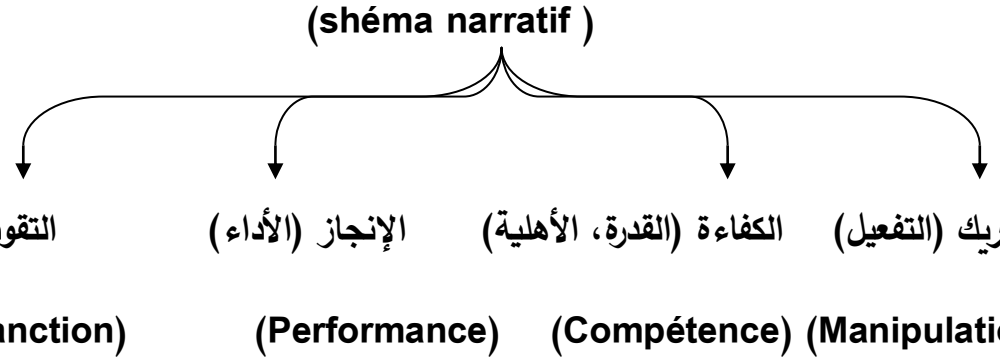

1-2 المكوّن الخطابي(la composante discursive)

إنّ الانتقال من المسار السّردي كعُنصر ضابط لمجموعة من الأدوار العاملية إلى المسارات التّصويرية(parcours figuratifs) كعنصر مُولّد لسِلسلة من الأدوار التيمية هو بمثابة انتقال يقودنا من المُكوّن النحوي حيث تُمثَّل الحكاية أمامنا كسِلْسِلة من الحالات والتّحوّلات وتَتأسّس كبِنية سردية إلى المُكوِّن الخطابي كاستثمار دلالي لهذه البِنية[2]، لأنّ المنظور البعدي للمستوى السّردي لا يكتمل إلاّ بِتناول المكوّن الخطابي هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يُمكن التقاط المعنى من خلال تتبّع جُزيئات البِنية التّحتية المُترتّبة عن تلك البُنى الفوقية بالاقتصار على تَتبّع مُكوّنات المسار السّردي وحده فقط من أدوار عاملية ووظائف وتَحوّلات وغيرها، وإنّما يُضبط أيضا من خلال مقاربة الصّوّر المُوظّفة والأساليب الموضوعاتية

[1]: ينظر، المرجع نفسه، ص137.

[2]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص78.

المُعتمدة والأدوار الغَرضية المُتمخّضة عن ذلك المسار والمُنضوية تحت ما يُسمّى بالمكوّن الخطابي[1].

ويتمّ ذلك الانتقال- حسب ما أشار غريماس- من خلال طرح المُمثِّل كنُقطة لقاء بين دورين؛ دور عاملي ودور ثيمي، واستيعاب الأدوار العاملية للأدوار الثّيميّة يؤسّس المحفل التّوسطي الّذي يسمح لنا بالمرور من البنيات السردية إلى البنيات الخطابية، لنجد أنفسنا – يقول سعيد بنكراد بعد اطلاعه على ما جاء في كتاب "Du Sens2" لغريماس- أمام عملية قلب ثانية؛ "قلب يتم من خلال التّحوّل من البرنامج السّردي إلى المُمثِّل وباختصار الانتقال من البِنيات السّردية كهيكل عام ومُجرّد إلى ما يُشكِّل غطاء هذه البِنيات ويمنحها خُصوصيتها وتلوينها الثّقافي (البنيات الخطابية)، وذلك وِفق تبعية الخطابي لِلسّردي"[2]، وعبر طرح مُكوّنين أساسين للتّمظهر الخطابي هما: الدّلالة الخطابية والتّركيب الخطابي؛ فأمّا المكوّن الأوّل (الدّلالة الخطابية) فيحتوي على مستويين اثنين: مستوى الثّيمة (thématisation)، ومستوى الصّورة (figurativisation) ، وأمّا المكوّن الثّاني (التّركيب الخطابي) فيحتوي على العديد من الإجراءات المُختلفة كخلق المُمثِّل، التّفضيئ، التّزمين[3] وسنحاول فيما يأتي عرض وتبسيط المفاهيم الإجرائية الّتي يقوم عليها كلّ مُكوّن على حدة:

1-2-1 الدّلالة الخطابية: ومن المفاهيم الإجرائية التي تقوم عليها:

1-2-1-1 مفهوم الصّورة (Figure): يرجع مفهوم الصّورة في الأصل إلى "يالمسليف"، وقد استُثمِر نظريا داخل السّيميوطيقا السّردية، لذلك وكما هو الأمر بالنّسبة للمفاهيم الأخرى الّتي تُقترض مِن مجالات علمية أخرى، فإنّها تُحدَّد اعتمادا على مبدأ المُلاءَمة والانسجام[4] وتَتحقّق بدلالتها المُعجمية أو السّياقية، فلفظة "عين" على سبيل المثال يُثير في مفهومه الأوّل

[1]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص148.

[2]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص78.

[3]: ينظر، المصدر السّابق، الصفحة نفسها.

[4]: ينظر، عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص170.

مُتصوّرا يُعرّفه القاموس بأنّه الباصرة أو العضو الّذي يسنح للكائن الحي النّظر لكن التّجربة تُفيدنا أنّ لهذا المُتصوّر المطلق دلالات مختلفة تتعدّد بِتعدّد السّياقات الّتي يرد فيها، فيُؤدي في سياقٍ معنى الجاسوس وفي آخر معنى النّفيس أو معنى مصدر الماء، والعين كذلك الخالص من الشّيء، وعين الإبرة ثُقبها[1]؛ إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّ الباحث معنيّ باستخراج صُور منعزلة عن بعضها البعض في نص خطاب ما، بل عليه مُعاينة واستنتاج العلاقات الموجودة بين هذه الصّور عن طريق تحديد فنون اتّساقها وتآلفها واختلافها، وهو ما يستدعي منّا دائما تصوّر الصّورة من خلال هذين الجانبين:

أ. **الجانب المعجمي:** وفيه يمكننا تحديد كلّ الدّلالات المُمكنة للصّورة ولكلّ مساراتها الممكنة كمجموعة مُنظّمة من المعاني.

ب. **الجانب الاستعمالي:** وتَتحدّد الصّورة فيه حسب الاستعمال الذي يُمارَس على الملفوظات والخطابات الّتي تستغل جانبا من الجوانب المُمكنة للصّورة[2]، ويُمكنُنا اعتباره أيضا الجانب التّحقّقي في الصّورة بخِلاف الجانب الأول – المعجمي– الّذي يُمثّل الجانب الافتراضي لها مُقارنة بهذا الجانب خاصة في قُدرته الفائقة على منح العديد مِن المعاني؛ فمثلا إذا أخذنا كلمة "الضعف" فسنلاحظ أنّ الصّورة المعجمية لها هي "الضّعف"، والنّواة المعجمية الثّابتة هي "الهزل ونقص القوة"، أمّا المسارات التّصويرية السّياقية فهي كالآتي:

– الطّابع الجسدي في قولنا: ضعفت صحته كثيرا.

– الطّابع العقلي في قولنا: ضعف عقله ورأيه بعد اضطرابه النفسي.

– الطّابع المعنوي في قولنا: موضوع التلميذ ضعيف جدا (الطابع المعنوي)[3] ما يعني أنّ الصورة المعجمية لها تتكوّن من دلالة قاموسية افتراضية ممكنة، ودلالة استعمالية سياقية.

---

[1]: ينظر، محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي (نظرية غريماس)، ص 76.

[2]: ينظر، رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي– إنجليزي– فرنسي)، دط، دار الحكمة، الجزائر، 2000 ،ص75/74.

[3]: ينظر، جميل حمداوي، السّيميولوجيا بين النّظرية والتطبيق، ص195.

وللتّوضيح أكثر نسوق مثالا آخر يتعلق بصورة "المخ" الّتي صورتها المعجمية هي"المخ"، والنواة المعجمية الثّابتة لها هي "جوهر العقل"، أمّا المسارات التّصويرية السّياقية فهي كالآتي:

– الطّابع الفيزيولوجي في قولنا: قال الطبيب لمساعده: علينا أن نحتاط جيّدا لكي لا نصيب المخ بأيّ جرح أثناء العملية الجراحية.

– الطّابع المطبخي في قولنا: أيّها النادل أريد مخا ممزوجا بالبيض.

– الطّابع العقلي في قولنا: فعلا لا يملك هذا المراهق لا عقلا ولا مخا[1]، وعليه فإنّ كلمة "المخ" هي "صورة لكسيمية أمّا جوهر العقل فهو نواة معجمية أو تعريف قاموسي لها، والمعاني الأخرى لتلك الكلمة "المخ" فتشكّل السّياقات الدّلالية أو السّميمية للكلمة أو الصّورة.

ومن خلال هذه التّحديدات نصل إلى أنّ الصّورة تعتمد على المدوّنة القاموسية الافتراضية (الذاكرة المعجمية)، والاستعمال السّياقي للكلمات واللّيكسيمات من خلال أسلبتها داخل نطاقات سياقية للنصوص والخطابات، وهو ما يستدعي من المحلّل السّيميائي التّسلح بقواميس اللّغة ومعاجمها المتنوعة، ويكون قادرا على تقديم فهم عميق للدّلالات السّياقية للكلمة أو الصّورة أو اللكسيم، هذا إلى جانب استعانته في تفكيك الصّورة المعجمية بالتّحليل المعجمي (الحقول المعجمية)، والتّحليل الدّلالي (استخلاص الحقول الدّلالية) والقيام لاحقا بربط العلاقات الدّلالية بين هذين التحليلين من أجل تبيين مجمل التعالقات الموجودة بين الصور[2]، ورصد السّياقات المتواجدة في الوحدة اللّغوية لتبيان مدى كثافة حمولتها أو شحنتها الدّلالية المبثوثة فيها، والتي يطلق عليها في المنظور الأسلوبي بـ: حقل اللّكسيم الدّلالي، وما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا لا يعني بأنّ الباحث معني باستخراج صور منعزلة عن بعضها البعض في نص خطاب ما، بل عليه معاينة واستنتاج العلاقات الموجودة بينها عن طريق تحديد وضبط مختلف أشكال وفنون انتظامها وتآلفها وتباينها[3].

---

[1]: ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]: ينظر، جميل حمداوي، السّيميولوجيا بين النّظرية والتطبيق، ص196.

[3]: ينظر محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، ص78/77.

هذا وتُحيل الصّورة أيضا إلى عنصر آخر ينتمي إلى الدّلالة الخطابية يُدعى بـ التّصويري (Figuratif)، ويُستعمل هذا المفهوم بـ"خصوص مُحتوى مُعطى للُّغة طبيعية، حيث يكون لهذا الأخير ما يُعادلُه على مستوى عبارة السّيميوطيقا الطّبيعية أو العالم الطّبيعي"[1]، معنى هذا أنّ كلّ مُحتوى لِلُغة طبيعية له مُعادل على مُستوى عبارة السّيميوطيقا الطّبيعية.

وقام "كورتيس" مع الوقت في عمل لاحق له إضافة إلى عمله مع غريماس بربط التّصويري بكلّ محتوى لـ"نسق من الأنساق المُتميّزة بِقُدرتها على التّمثيل"[2]، مُوسّعا بذلك المفهوم السابق الذي يربطه –التصويري– بكلّ محتوى لِلُغة طبيعية، والّذي تَتحدد إجراءاته في علاقته بمجموعة من المفاهيم الأخرى التي تُعدّ أدوات تحليلة منها:

أ. **المسار التّصويري أو الصّوري** (Parcours Figuratif): يتضمّن مفهوم المسار (Parcours) أوّلا دلالة الدّينامية والنّمو في تحديده السّيميوطيقي، لذلك فإنّ هذه الوحدات أو الصّور كما سبق وأشرنا لا تُشكّل عناصر مُستقلة بل تَتّخذ موقعا خاصا داخل المسار[3]، ومن هنا كان تعريف غريماس له بأنّه "مجموعة صُوّر متلاحمة يشدّ بعضها بعضا ويُحيل بعضها على بعض، فالسّيارة مثلا والقطار والحافلة والطّائرة تُؤلّف مسارا صُوريا يحمل عُنوان وسائل النّقل"[4] وقِس على ذلك أمثلة كثيرة.

ب. **التصوير**(Figurativisation): ويرتبط مفهومه بمسألة أساسية وهي كيف تتِمّ عملية تصوير الخطابات، أي طرح السّؤال حول الإجراءات الّتي يستند إليها السّارد لتصوير القول والخطاب الّذي يكون في البداية في حالة الخطاب المُجرّد[5] من أيّ دلالة.

---

[1]: عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص 171.

[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص 79.

[5]: ينظر، عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص 172.

استنادا إلى ما أورده محمّد الناصر العجيمي في كتابه "في الخطاب السردي (نظرية غريماس)" نُقرّ بأنّه بوسع الخطاب أن يُصبح تصويريا "عندما يُشحن بشُحنة دلالية تُخوّل للذّات أن تُدركه من حيث هو صُورة تمثيلية"[1]، وللتّوضيح أكثر نسوق هذا المثال: "اقتناء سيارة" فهذا الملفوظ أو الخطاب الّذي بين أيدينا هو خطاب عادي ولكن إذا ما قمنا بالحديث عن نقل طريقة امتلاك السيارة، وما صاحب ذلك من جهد وحركة واعتراف الآخرين بذلك المجهود فإنّ الخطاب في هذه الحالة يُصبح خطابا تصويريا، وهكذا يتضح – وكما أشار إلى ذلك محمد الناصر العجيمي– أنّ "الفعل التّصويري يَتعلّق بالمسار السّردي في شُموليته، فالصّورة التّمثيلية للسّيارة تَهمّ جميع الصّيرورات لأنّها تُحوّلها إلى جملة من الأفعال كما تجعل من الذات فاعلا يتحرّك في إطار الزّمان والمكان"[2].

ج. التّصويرية أو التّجمع الصّوري (Configuration): ويُحدّدها غريماس بقوله:"نسوق مثالا مألوفا دالا على هذا الضّرب من التّعبير التّصويري وهو أنّ "الشّمس" تنتظم في إطارها كوكبة من الصّور مثل الأشّعة والإشراق والحرارة والهواء والشّفافية والخثانة والسّحاب...، هذه الملاحظة تُحمِّلنا على القول بأنّ الصّور اللّفظمية تظهر نظريا في حدود الملفوظات لكنّها تخترق بيُسر هذه الحدود لتُؤلّف شبكات صُورية تقوم بينها علاقات مُتنوعة يُمكن أن تمتدّ على مقاطع كاملة مُكوّنة تجمعات صورية"[3] وهو ما يجعلها–التصويرية– أعمّ من المسار التّصويري.

1-2-1-2 التّيماتيكي (Thématique): وهو استثمار دلالي مُجرّد ذو طبيعة مفهومية، وليست له أيّة علاقة ضرورية مع فضاء العالم الطّبيعي[4]، فهو قائم على التّجريد باستثناء التّصويري.

---

[1]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص79.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص80.

[4]: ينظر، عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص173.

ويتحدّد الدّور التّيماتيكي بتكثيف مُزدوج؛ يقوم الأوّل على تكثيف التّصويرية إلى مسار تصويري، فتصويرية الرّسالة مثلا يُمكن أن تُكثَّف إلى مسار تصويري واحد من بين المسارات الّتي تُكوّنها كالمسار التّصويري الأوّل المُكوَّن من الصّوّر المُتعالِقة (كتب، أغلق، أرسل)، أمّا الإجراء الثّاني فيتمثّل في تكثيف المسار التّصويري إلى تيمة ينبثق منها الدّور التّيماتيكي، وتحيل التّيمة إلى اسم يكون فاعلا بمعنى أنّه يُحيل إلى دور شِبه تركيبي هو الدّور التّيماتيكي؛ فمثلا الصّياد يحمل في ذاته بداهة كلّ إمكانيات فعله، وإدراجه ضمن تشاكل خطابي يجعل منه دورا تيماتيكيا مُستعملا من طرف المحكي، ما يعني أنّ تيمة (الصّيد) هنا الناتجة عن مسار تصويري تصويري يمكن أن تُكثّف إلى دور تيماتيكي هو الصّياد، ويتحدّد الدّور التّيماتيكي كدور يُسنِّن المُمارسات السّوسيو ثقافية،[1] والّتي يمكن لنا التّعبير عنها بأساليب تصويرية متنوعة.

1-2-2 التّركيب الخطابي: ومن المفاهيم الإجرائية الّتي يقوم عليها:

1-2-2-1 المُمثّل/ القائم بالفعل acteur: يذهب سعيد بنكراد إلى الإشارة بأنّ الممثّل نقطة الرّبط الحاسمة بين البعد التّركيبي والدّلالي؛ أي بين السّردي والخطابي، ويشرح كيف يمكن للبنية العاملية أن تكون حاضرة داخل الخطاب السّردي من خلال نمذجة للأدوار العاملية، ثمّ استنتج من خلال السّيرورة الّتي تعود إلى التّجلي الخطابي للسّيرورة أنّها تقود أو تؤدّي إلى خلق تراكيب بين بنيتين: بنية العوامل وبنية الممثّلين، ما يؤدّي إلى خلق تداخل بين الفاعل والممثّل[2]، الّذي يبدو وكأنّه موطن لقاء وتقاطع بين البُنى السّردية والبُنى الخِطابية، لِكونه مُحمَّلا في الآن ذاته بما لا يَقلُّ عن دور تِيمي (موضوعاتي) وآخر عاملي(Role actantiel)، وهما اللّذان – الدور التيمي والفاعلي– يُحدِّدان كفاءته وحُدود فعله وماهيته[3]، وحاولت "جماعة انترفانون"

[1]: ينظر، المرجع نفسه، ص175.

[2]: ينظر، سعيد بنكراد، شخصيات النّص السّردي(البناء الثقافي)، دط، جامعة المولى اسماعيل، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1994، ص92.

[3]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية(أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص159.

تبسيط التقاطع الخطابي والسّردي باقتراح مخطط يتجلّى فيه الممثّل كنقطة التقاء وتقاطع على النّحو الآتي:

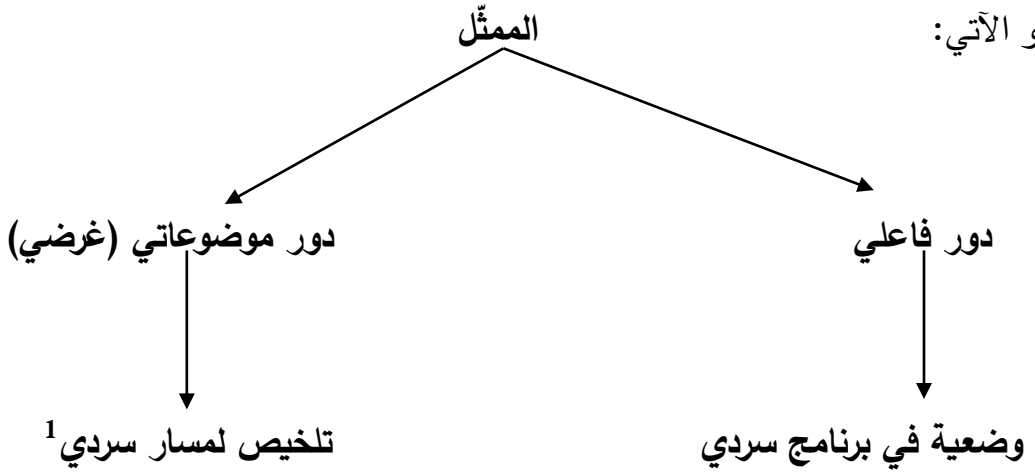

وحريّ بنا الإشارة إلى أنّ ازدواجية الممثّل القائمة –كما يظهر في المخطّط– على إنجازه لإدوار عاملية، وأخرى تيماتيكية تجعل بنية الممثّلين تتّخذ موقعا خاصا على مستوى الهيكل العام للنّظرية السّيميائية، فرغم أنّ الممثّل يشكّل وحدة وصورة تنتمي إلى الخطاب فبوسعه أن يتموقع بين الأدوار العاملية بصفتها التّمثيل التّركيبي السّطحي لتحوّلات التّركيب العميق، وبين الأدوار التّيماتيكة الّتي تتأطّر على مستوى أعمق[2].

وتبعا للمعطيات السّابقة فإنّ المضمون الأدنى للممثّل يتحدّد من خلال حضور المعانم الآتية: كيان تصويري (ذو بعد إنساني أو حيواني...)، حي، قابل للفردنة، ويضاف إلى هذه العناصر عنصر آخر يتحدّد في كون الممثّل وحدة معجمية ظاهرة من خلال عناصر التّجلي، وانطلاقا من هذا يمكن تحديد الدّور خطابيا كمواصفة أو كسند للممثّل ، ومن جهة أخرى فإنّ هذه المواصفة من النّاحية الدّلالية ليست شيئا آخر سوى تسمية تحتوي في داخلها على حقل من الوظائف[3]، وعليه فإنَّ كلَّ حديث عن المُمثّل هو حديث عن "السّند المُشخَّص الّذي يشتغل كنُقطة مغناطية تلتف حولها الأحداث، وتمنح الخطاب بُعدا إنسانا؛ وبعبارة أخرى فإنّ المُمثّل

[1]: ينظر، نبيلة زويش، الشّخصية بين النّظرية والتّطبيق "اللاز" و"العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطّار أنموذجا، ص196.

[2]:ينظر، عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص162.

[3]: ينظر، نبيلة زويش، الشّخصية بين النّظرية والتّطبيق "اللاز" و"العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطّار أنموذجا، ص196.

هو نقطة إرساء نهائية في عملية التّمثيل الخاصّة بقيمة دلالية ما، فالتّمثيل يقود مِن أشدّ العناصر تجريدا إلى أشدّها محسوسية عبر محطّات تمتلك قواعد تنظيمية خاصة بها"[1].

وللتّوضيح أكثر نأتي بمقولة دلالية ولتكن "الاعتصام" مثلا والتي ستخضع بالتأكيد لأنواع مُتعدّدة من التّمثيل لتستقر في نهاية المسار داخل قالب مُشخّص ومُحدَّد على هذا النّحو:

الاعتصام ← معتصم ← معتصمون ← اعتصموا ← يعتصمون ← محمد

وأقرانه مُعتصمون أمام الوزارة لعدم حُصولهم على رواتبهم، أو يُمارسون أفعالا تدل على الاعتصام.

ما يعني أنّ التّمثيل يخرج بالنّص أو الخطاب من عموميته وتجريديته وكونيته إلى إطار أشدّ خصوصية ومحسوسية وتميُّزا، وهذا مِن خلال تحديد مجموعة مِن العناصر الفنية لخصائص كلّ خطاب كاختيار اسم العلم مثلا، والمرجعية الكامنة وراء هذا الاختيار (دال الشّخصية)، وكذا تحديد شكل توزيع الوظائف والمُواصفات على المُمثّلين (دال الشّخصية) وغيرها من الخصائص الّتي تمنح النّص السّردي خُصوصيته، وتُحدّد له مرجعيته الفنية وتلوينه الثّقافي، وتُؤسِّس لتفرُّده وتميُّزه[2]، وما تجدر الإشارة إليه أنّ العلاقة الرّابطة بين العامل والمُمثّل هي علاقة مُزدوجة فالعامل الواحد مثلا قد يظهر عبر أكثر مِن مُمثّل وهو ما نلمسه بصُورة واضحة في الشّكل الآتي عرضه.

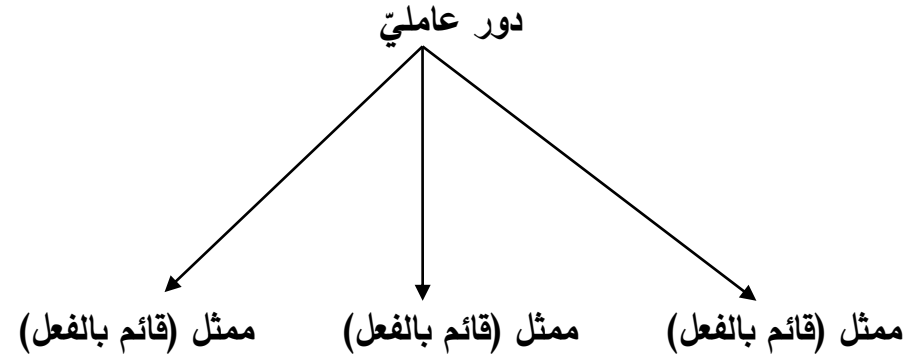

[1]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص84.

[2]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية(أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص160.

هذا وقد يقوم أيضا مُمثّل واحد (قائم بالفعل) بسِلسِلة من الأدوار العاملية، ويشتغل كحامل لمجموعة من العوامل على النّحو الآتي عرضه:[1]

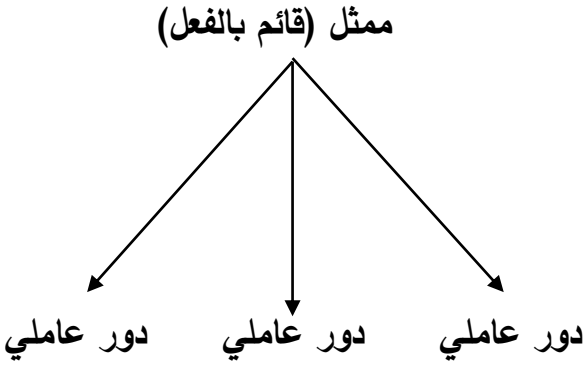

1-2-2-2 التّزمين/ البنيات التّزمينة(Temporalisation): وهو بمثابة إجراء يهدف إلى إفراغ البِنية الدّلالية البسيطة في قالب زمني بهدف إلغاء بُعدها السّكوني، وتظهر أولى تجليات التّزمين وبِشكل مُبكّر من خلال التّحوّل من العلاقات إلى العمليات، فمُجرّد طرح ذات الخطاب كأداة أساسية لتحريك هذه البِنية معناه الإحالة -بشكل صريح- على البُعد الزّمني وترقُّب انتشار هذا الزّمن في مسارات زمنية خاصة؛ تُحوَّل البِنية من العُمومية إلى ما يُشكِّل خاصية هذا الخطاب أو ذاك، ويَكمن التّزمين في مرحلة ثانية في خلق برمجة زمنية تَتميَّز بِتحويل محور الاقتضاءات les implications (التّسلسُل المنطقي للبرامج السّردية) إلى مِحور لِلتّعاقُب succession (البعد الزمني للأحداث)[2]، وعليه فإنّ الزّمن وِفق هذا التّصور يُعدّ المركز المُوجّه لِكلِّ البِنيات الحِكائية ومقولاتها من أفعال وفواعل وفضاءات والمُؤثِّر فيها لِكونه الإطار العام الّذي يحتويها هذا من جهة كما هو مُبنيَن في الشّكل أدناه:[3]

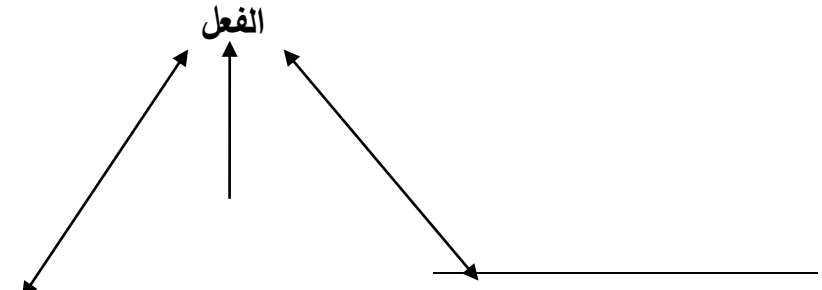

[1]: ينظر، محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص84.

[2]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص86.

[3]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية(أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص163.

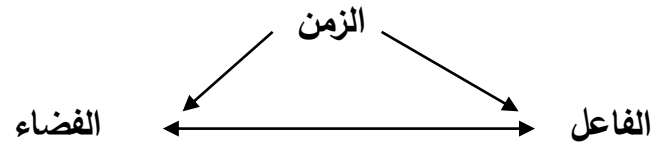

ومن جهة أخرى أنّ الذّات الفاعلة في خطاب ما باعتبارها أداة أساسيّة تقوم بتحريك بِنيته وتُحِيل بِصُورة صريحة على البُعد الزّمني في الخطاب وتقوم بترقُّب انتشاره ضِمن مسارات زمنيّة خاصّة تُؤدّي إلى تحوُّل البِنية من الشّكل العام لِلخِطاب إلى ما يُضفي صفة خاصّة به، حيث أنّ هذه الذّات أثناء مُحاولتها تحقيق مشروعها واتّصالها بموضوع الرّغبة تمرّ عبر حالتي الاتّصال والانفصال، ويفترض الانتقال من حالة إلى أخرى وُجود ثالثة تختلف عن سابقتيْها وتتطلّب وُجود فضاء نصّي يتمحور دورُه في الفصل بين الحالة الّتي نُريد نفيها والحالة الّتي ينبغي إثباتها، فهذا الفضاء النّصي هو الّذي يُمثِّل الفترة الزّمنية الّتي تتطلبها عملية الانتقال من وضعية إلى أخرى[1].

وتعدّ صِياغة "غريماس" لِلزّمن في إطاره النّظري داخل الخطاب السّردي جانبا من تصوّره لإنتاج المعنى، أي أنّ قضيّة الزّمن بالنّسبة إليه تتلخّص في منح بُعد زمني لبِنية لم تكن تمتاز بهذه الخاصّية الزّمنية، وبعبارة أخرى ترتبط هذه القضية بكيفية تحوُّل بِنية لازمنية إلى مجموعة من الأحداث تُدرك داخل الزّمن[2]؛ معنى هذا أنّ مسألة الزّمن تتعلّق بالكيفية الّتي من خلالها تُحوّل بِنية لا تَتصّف بخاصّية الزّمن إلى مجموعة من الأحداث الّتي يُمكنُ إدراكها ضِمن الزّمن.

لكن ما يُؤاخذ على ما ذهب إليه "غريماس" أنّه بالرّغم من أهميته وقيمته النّظرية والتّطبيقية في فهم ميكانيزمات اشتغال النّص السّردي إلاّ أنّه لا يُجيب على مجموعة من الأسئلة التي تطرحها مشكلة التّزمين داخل النّص السّردي، ذلك لأنّها لا تمدُّنا بأدوات إجرائية تسمح لنا بتحديد موقع العُنصر الزّمني داخل النّص، وتحديد دورِه في إنتاج المعنى، وهو ما عقَّب عليه

[1]: ينظر، راضية لرقم، الخطاب السردي في الشعر العربي القديم، دراسة سيميائية، دار التنوير، الجزائر، 2013، ص94.

[2]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص87.

"سعيد بنكراد" في معرض حديثه عن مستوى التّزمين بعدما أشار إلى أنّ القارئ سيجد في نظرية جونيت العناصر الكافية لملء الفراغ، وتغطية النّقص الّذي تشكو منه الصّياغة النّظرية الغريماسية لقضية الزّمن[1] لأنّها لا تُحيط حسبه بالبعد الكلّي له.

1-2-2-3 الفضاء/ البنيات الفضائية /المكانية: ويُعرّف التّفضيئ على أنّه "ليس سِوى تخطيب لسِلسِلة من الأماكن التي أُسنِدت إليها مجموعة من المُواصفات لكي تتحوّل إلى فضاء"[2] مشحون بمجموعة من الدّلالات وليس مُجرّد إطار فارغ تتجمّع فيه مُختلف التّجارب الإنسانية.

قدّم غريماس انطلاقا مِن مُلاحظات "فلاديمير بروب" الّتي أطّر بها انتقال الشّخصية الرّئيسية(البطل) مِن مكان إلى آخر والمُتمثّلة في: المكان الأصل أو مكان مسقط رأس البطل، والموطن الذي ينطلق منه ويعود إليه/ المكان الذي يحدث فيه الاختبار التّأهيلي، وهو مكان عرضي مُؤقّت وجانبي/ المكان الذي يقع فيه الإنجاز(الأداء) المُتعلّق بالاختبار الرّئيسي[3] نموذجا عاما يتوزّع الفضاء وِفقه كسِلسِلة مِن المحطّات الّتي لا وظيفة لها إلاّ ضِمن ما تُملِيه مُقتضيات رِحلة البطل –الرّابطة بين لحظتي البدء والنهاية– ذلك أنّ التّحديدات الفضائيّة والزّمانية لا تخضع في مُجملها لأيّة إرغامات واقعية فهي محكومة بقواعد تُعدّ من صُلب النّص ومُحدّدة وِفق المرجعية الدّاخلية الّتي تُحدِّد النّص كحامل لكون قيمي، وتسمح هذه المحطّات بطرح مجموعة من الأمارات الشّكلية الّتي تسمح بتفكيك الحكاية إلى:

أ. فضاء الخارجي Espace Hterotopique: وهو النّقطة المكانية الّتي ينطلق منها البطل نحو فضاءات أخرى، كما أنّه المُحدّد النّهائي للنّقطة الختامية للرّحلة وهو ما يتطابق سرديا مع

---

[1]: المرجع السّابق، الصّفحة نفسها.

[2]: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية(أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص165.

الحالة البِدئية والحالة الختامية[1] ويقصد به المكان الذي ينطلق منه ويعود إليه في النّهاية ويُقابل مكان مسقط رأس البطل عند بروب.

ب. فضاء الفعل topique: ويُؤطِّر هذا الفضاء "التّجربتين التّأهيلية والرّئيسية (لحظة الحصول على صيّغ التّأهيل)، والشّروط المُؤدِّية إلى إنجاز الفعل(لحظة تحقيق الفعل الإنجازي)"[2]، وهو ما يُقابل المكان الّذي يحدث فيه الاختبار التّأهيلي والمكان الذي يقع فيه الأداء المُتعلّق بالاختبار الرّئيسي عند بروب، ويندرج ضِمن هذا الفضاء نوعين آخرين هما:

ب.أ فضاء براطوبيقي Espace paratopique: وهو "البؤرة الّتي يتجلّى داخلها التّحوّل تركيبيا ، أي ما يُحدِّد نمط الوُجود السّيميائي للذّات كذات مُحيّنة مالكة للشّروط الّتي تُمكِّنها من الانتقال إلى مرحلة الاتّصال"[3] بعدما كانت في مرحلة الانفصال عن موضوع القيمة المُراد بلوغه وتحقيقه.

ب.ب فضاء طوباوي Espace utopique: ويتحدَّد هذا الفضاء كفضاء للفعل بامتياز أي تحقيق الفعل الإنجازي، ومِثل هذا الفضاء نجده في الحكايات الشّعبية يأخذ أشكالا مُتعدِّدة؛ نذكر منها على سبيل التّمثيل الصّعود إلى قِمّة جبل شامخ، أو الغوص في أعماق البحار أو المغامرة داخل صحراء قاحلة،[4] وغيرها من التّمثيلات الأخرى الّتي لا تكون مُحدَّدة المعالم ولا حتّى مُتعلِّقة بمكان ما بعينه فأيّ بحر عميق نغوص فيه...؟؟؟ وأيّ جبل شامخ نصعد إليه...؟؟؟ فهو "فضاء وهمي"[5] غامض غير مُحدَّد بالرّغم من أنّه يُؤطِّر الاختبار الرئيسي ويَتحدَّد كما أشرنا سابقا كفضاء للفعل بامتياز في الحكايات الشّعبية.

---

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص88.

[2]: المصدر نفسه، ص89.

[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]: ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية(أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، المرجع السّابق، ص166.

وفيما يأتي مُلخص مُوجز لمُختلف النّماذج الفضائية ولِمجموعة التّجارب الّتي يجب على البطل الخضوع لها أثناء رحلته:

<table>
<tr><th colspan="2">أنواع الفضاءات</th><th>سلسلة التّجارب</th></tr>
<tr><td colspan="2">فضاء خارجي Espace Hterotopique</td><td>الحالة الابتدائية (تحريك الأهلية)</td></tr>
<tr><td rowspan="2">فضاء الفعل
Topique</td><td>فضاء براطوبيقي
Espace utopique</td><td>القيام باختبار تأهيلي (الكفاءة والأداء)</td></tr>
<tr><td>فضاء طوباوي
Espace utopique</td><td>القيّام باختبار رئيسي (التحّقيق والإنجاز)</td></tr>
<tr><td colspan="2">فضاء خارجي Espace Hterotopique</td><td>الحالة النّهائية (الجزاء)</td></tr>
</table>

حاولنا من خلال هذا الجدول تقديم وتصنيف جميع النّماذج الفضائية الّتي حدّدها غريماس، والّتي يرى الناقد المغربي سعيد بنكراد ويُوافقه الرأي في ذلك الناقد الجزائري قادة عقاق أنّه لا يُمكنها أن تتجاوز حدود الحكاية الشّعبية النّمطية إلى رحابة فضاءات النّصوص السّردية المُعاصرة الّتي تتعامل مع هذه البِنية بطرائق فيها الكثير من التّنوع والثّراء[1] مُقارنة بغيرها من النّصوص السّردية التّراثية القديمة ذلك أنّ ما قدّمه غريماس في هذا المجال "لا يُجيب إلاّ عن حركة البطل داخل المساحة الزّمنية والفضائية المُغطّية للحكاية الشّعبية، وهو من هذه الناحية

[1]: ينظر، المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

يُعدّ رسما لحدود أيّ فعل ولمَوضعه داخل هذه التّجربة أو تلك"[1] لجملة من الاختلافات نُوجزها فيما يأتي[2]:

أوجه الاختلاف الموجودة بين فضاء الحكايات الشّعبية والنّصوص السّردية المعاصرة	
الحكايات الشّعبية	**النّصوص السّردية المعاصرة**
– تسير الحكاية الشّعبية وفق شكل سردي (صيغة تلفظية) قارّة يجعل من التّنقل داخل الفضاء عنصرا بالغ الأهمية ولا يُمكن لأيّ حكاية أن تَحيد عن ذلك الشّكل. – دائما ما يكون الفعل المُحدِّد لحالة النّقص فعل خارجي، أو فعل قوى ينتمي إلى فضاء مجهول أو قيّم مرذولة محلّيا بخلاف النّصوص السّردية المعاصرة الّتي تنتمي أفعالها إلى فضاء معلوم. – يشتغل الفضاء في الحكايات الشّعبية فقط كفضاء عدواني.	– يشتغل الفضاء في النّصوص السّردية المُعاصرة بطريقة مُغايرة تماما لِلّتي يشتغل بها في الحكايات الشّعبية؛ فهو في هذه النّصوص ليس تحديدا لنوعية الفعل بل هو عنصر مُساهم في عملية إنتاج المعنى. – لا تأتي دلالته من العناصر الطبيعية المُشكِّلة له كقِمم الجبال وأعماق البحار كما رأينا في الحكايات الشّعبية بل تتَأتّى عن طريق عرض ذلك الفضاء، لأنّ عملية انتزاع العنصر الطّبيعي من بِنيته الأصلية وتثبيته داخل بِنية جديدة –والمراد بها هنا عالم النص السردي– تمنح الفضاء دلالة جديدة هي تركيب لِمعنَييْن؛ الأوّل هو معنى العنصر داخل البِنية الأولى، والثاني معناه داخل البِنية الثانية. – يشتغل الفضاء في النّصوص السّردية المعاصرة كفضاء عدواني كما قد يشتغل أيضا كعنصر مُساعد تماما كما هو الشأن مع ما يُسمّى بالفضاء المفتوح والفضاء المغلق.

[1]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص89.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص89/90.

وبِالعرض المُقتضب لمُختلف المفاهيم الّتي كنا قد أتينا على ذكرها نكون قد فرغنا من مُعالجة أهم الآليات المُطوّقة للبِنية السّطحية بمُكوّنيها السّردي والخطابي مُمثّلة في تلك البرامج السّردية وكذا المسارات التّصويرية والأدوار الموضوعاتية المُصاحبة لها والمُتمازجة معها بما في ذلك الوحدات المُكوّنة لها ونُظم العَلاقات الجامعة بينها فضلا عن البِنيات الزّمكانية المُؤطرة لها، وفيما يأتي مُخطّط يوجز كلّ ما عرضناه:

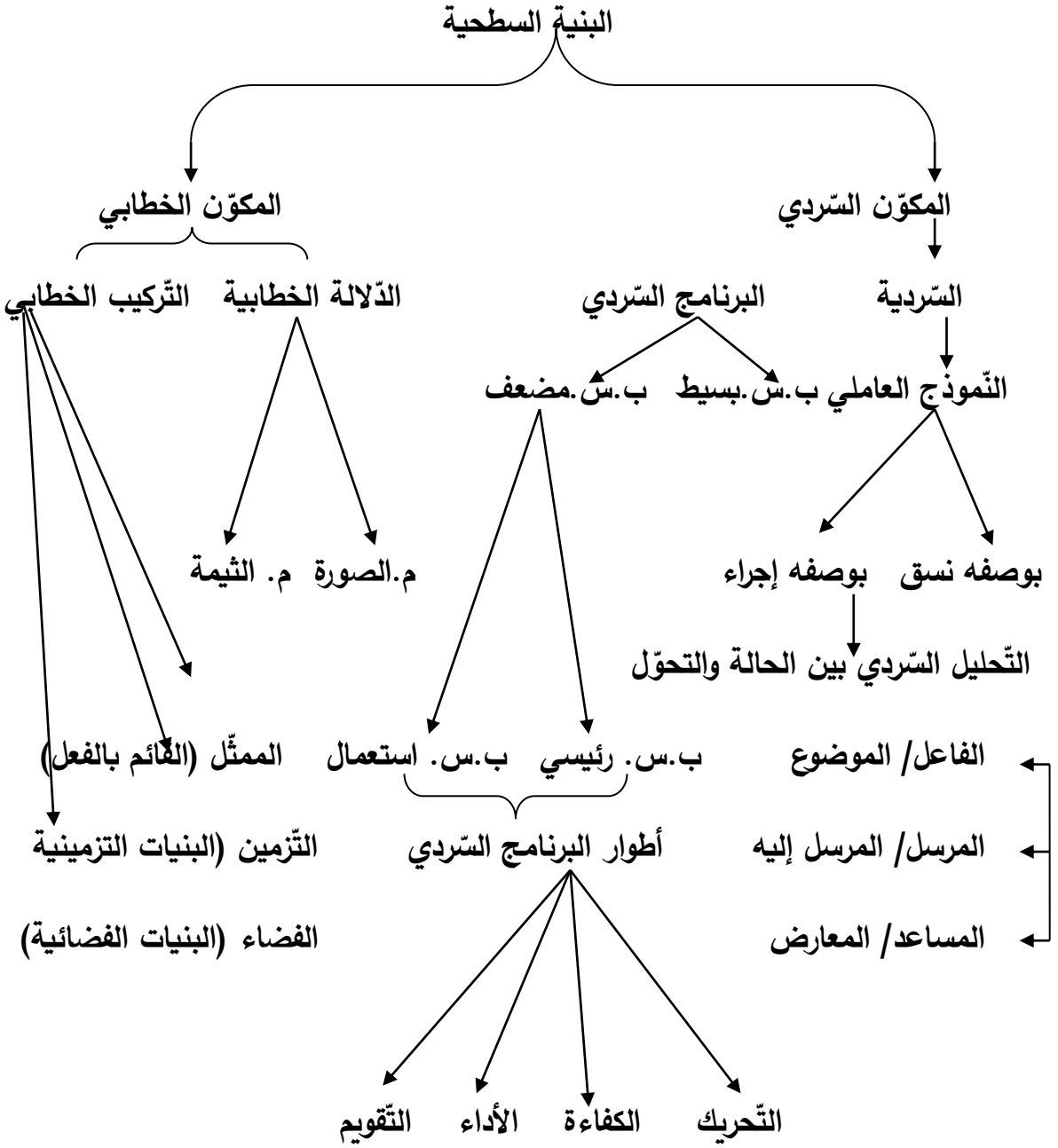

2 – البِنية العميقة

2-1 الوحدات المعنوية الصّغرى: لا تُعتبر الدّلالة مضمونا قائما بذاته بمعزل عن الشّكل ويُمكن النّفاذ إليه بيُسر، بل تُستخلص من خلال دِراسة الشّكل، وإدراك ضُروب العلاقات القائمة بين الوحدات المُكوّنة للنّسيج الدّال؛ ما يعني أنّ النّفاذ إلى البِنية العميقة ومِن ضِمنها الدّلالة يتمّ كما اقترح غريماس مِن خلال التّقطيع إلى وحدات دلالية صُغرى تسمّى (السيمات) أو المعانم les sémes) وهو أمر يقتضي عملية استقرائية تشريحية تنطلق من مسام النّص (المعانم) أو السّيمات إلى الصّور المُعجمية figures l'exemotiques إلى التّشكلات الخطابية configurations discursives إلى محاور التّواتر[1]، ما يعني أنّنا أمام تنظيمين مُختلفين لِكون دلالي واحد أحدُهما عميق والآخر سطحي.

فأمّا التّنظيم العميق فيُطرح داخله السّيم (المعنم) séme كعُنصر مُميّز ومسؤول عن أي تمفصل دلالي بوصفه" الوحدة الأساسية للدّلالة والعُنصر الأصغر لها، لا يُمكن ظهوره إلاّ ضمن ارتباطه بعلاقة مع عنصر آخر مُغاير له وظيفته خلافية، وعليه فلا يُمكن إدراكه إلاّ في إطار مجموعة عُضوية في إطار بِنية"[2]؛ ما يعني أنه لو قُمنا مثلا بتحليل وحدات معجمية تنتمي إلى حقل دلالي واحد لوجدنا أنّ بعض السّمات المُكوّنة لها يلتقي مع بعض، كما أنّ بعضها الآخر يَختلف عن بعض أو يقابله، وللتّوضيح أكثر نأتي بتعريف هاتين الكلمتين(التّمني والخوف) على النّحو الآتي:

التّمني	الخوف
دلالته المعجمية والقاموسية هي شعور الإنسان بالفرح بما يستشرفه من إيجابيات في المستقبل.	دلالته المعجمية والقاموسية هي الإحساس بشيء في المستقبل مخيف وسلبي.

[1]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السّردية(أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص197.

[2]: المرجع نفسه، ص199.

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ هاتين الكلمتين تتشابهان وتتقاربان من بعضهما البعض في الإحساس واستشراف المستقبل، لكن هناك من يجعلهما متقابلين بالإيجاب والسّلب؛ معنى هذا أنّه "إذا كانت كلمة التّمني تقترب من كلمة الخوف عبر وجود الشّعور والمستقبل فإنّها تفترق عنها على مستوى طبيعة ذلك الشّعور"[1].

ويمكن استخلاص التّركيب السّيمي للصّورتين معا عن طريق معرفة القيّم الخلافية، وإبراز المقوّمات المشتركة والمختلفة بينهما، أو عن طريق تحديد الوظيفة الاختلافية والتّمييزية على هاته الشّاكلة: التّمني:/ شعور/ + /استشراف مستقبلي/ + /مفرح/.

الخوف: / شعور/ + /استشراف مستقبلي/ + / غير مفرح مفرح/.

كما يمكن أيضا تفريع الصّور المعجمية أو اللّكسيمية إلى مجموعة من السّيمات السّياقية، أو السّيمات النّووية أو الفرعية، وتحليل المظهر الخطابي إلى مجموعة من العناصر والسّيمات النووية الأساسية؛ فمثلا: (التّبذير) يمكن تحليله سيميا إلى: / عملية نشيطة / + / مخطّط له / + / إسراف / + / إنفاق بزيادة / + / خسارة / + / سلوك غير مفيد/ + / الحزن /.[2]

وبناء على هذا يمكن التّمييز بين نوعين من السّيمات:

أ. **سيم نواتي séme nucléaire:** ويُشكِّل المُستوى السّيميائي للمَعنى وهو الّذي يختص "بالسّيمات الثّابتة لكونها سيمات خُصوصية تَتولّد مِن المجموعة المُؤلّفة (السيمنتيم)"[3]، ويتمّ إدراكها من خلال الإحاطة بالمُقوّمات الدّلالية الثّابتة والخُصُوصية لصورة ما؛ وعليه فصورة "قمّة الجبل" مثلا تُعيَّن سِماتها النّواتية كالآتي: (/شاقولي/+ منته + سام + مرتفع + شامخ +صلب +....) هذا ويُمكن أيضا أن تُحلَّل السّيمات النّواتية لصُورة الصّخرة كالتّالي:(حجر +كبير + صلب + ثقيل +...)[4]، وتُمثّل هذه السّيمات النّواتية العُنصر الأساسي في تشكيل

[1]: جميل حمداوي، السّيميولوجيا بين النّظرية والتطبيق، ص202.

[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص203/202.

[3]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص201.

[4]: ينظر، المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

المُكوّن الخطابي المُجسّد للصّور والتّشكلات الخطابية الّتي تأخذ في آخر المطاف شكل سيمات للمعنى.

ب. **سيم سياقي(séme contextuel (classéme)**: ويُشكّل المستوى الدلّائلي للمَعنى(le niveau sémantique de la signification)، وهي سيمات نوعية تتغيّر تبعا لتغيّر السّياق الّذي ترد فيه، وتُستفاد كما يدل عليه اسمها منه، أي أنّها بحسب "بيرنار بوتي" تتولّد من المجموعة المُشكّلة للكلاسيم، ومِن مُميّزاتها طاقتها التّوليدية بحُكم إحالتها على أقسام عامة مثل: حياة/موت، إنساني/حيواني، (....)[1].

وأيضا عبارة أصداء مثلا والّتي نجدها مُكوّنة من سيمات أهمها: الرّجع والخفوت تتغيّر دلالتها بتغيُّر القسم الذي تنتمي إليه والّذي يُستفاد من السّياق، فعبارة "أصداء صوتية على سبيل المثال تُحيلنا للوهلة الأولى على مدى فيزيائي قوامُه الصّوت المُتردّد أو الرّاجع، بيْد أنّ مزيدا من التّعمّق في معرفة السّياق المُدرجة ضِمنه يُوضّح القسم المُضمّن لها، فإذا كان المقصود مثلا أصداء صوت الرّجل أُدرِجت ضِمن سياق إنساني، في حين إذا كان المقصود أصداء صوت الأسد حملت دلالة الحيواني، بينما إذا كان الأمر يختصّ بأصداء صوت الرّعد ضُمِّنت دلالة طبيعيّة؛ ويمكن أيضا أن تُحيل على دلالة صِناعية حضارية إذا كان الأمر يختصّ بصوت ارتطام لإحدى الآلات مثلا[2] بغض النّظر عن نوعها.

2-2 التّشاكل Isotopie: يُفهم مِن التّشاكل أنّه "مجموعة مُتكرّرة مِن المقولات الدّلالية تجعل قراءة مُوحّدة للحكاية مُمكِنة مِثلما تنتج عن قراءات جزئية لِلملفوظات وعن حلّ ملابساتها مُوجّهة بالبحث عن قراءة واحدة"[3]، وهو في تعريف غريماس مجموعة مُتراكمة من المقولات أي المُقوّمات (السّيمات) الّتي تجعل قراءة مُتشاكلة للحِكاية كما نتجت عن قراءات جُزئية لِلأقوال بعد حلّ إبهامها، هذا الحل نفسه مُوجّه بِالبحث عن القراءة المُنسجمة، وهو ما يقتضي تفكيك الوحدات السِّيمية إلى مُكوّناتها الصُّغرى المُميّزة وُصولا إلى استخلاص حِزم أو رُزم(paquets)

[1]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص202.

[2]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص91.

[3]: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية، تر: جمال الحضري، ص81.

مِن السِّيمات الدّلالية الأساسية المُترابطة بعضها بِبَعض بوشائج متينة، والمُتوالج بعضها في بعض مُكسِبة النّص من خلال هذا التّوالج وِحدة واتّساقا ما كانا ليكونا لولاها[1]، وكل هذا مِن أجل البحث –كما أشار إلى ذلك غريماس– عن القراءة المُنسجمة الباحثة بدورها هي الأخرى "عمّا يضمن التحام الرّسالة أو الخطاب عبر إدراك المُستويات المُشتركة والثّابتة ومعانِمه"[2] وبعبارة أخرى البحث عن انسجام الخطاب واتّساقه قصد توفير مقروئية مُنسجمة للنّص.

2-3 المربّع السّيميائي(Le carré sémiotique)أو(المربّع العلامي، النّموذج التّكويني، المربّع السيميوطيقي): اقترح "غريماس" نموذجا سيميائيا منطقيا ينظّم شبكة من العلاقات بين وحدات دلالية مُتولّدة عن البِنية الدّلالية الأساسية القائمة على التّقابل بين الأضداد الثّنائية يُدعى بـ"المربّع السّيميائي"، ويُراد به "التّمثيل المرئي لأيّ نموذج توليفي يصف بِنية أوّلية للدّلالة"[3] الّتي يعرضها النّص مُعتمدا هذا الشّكل:[4]

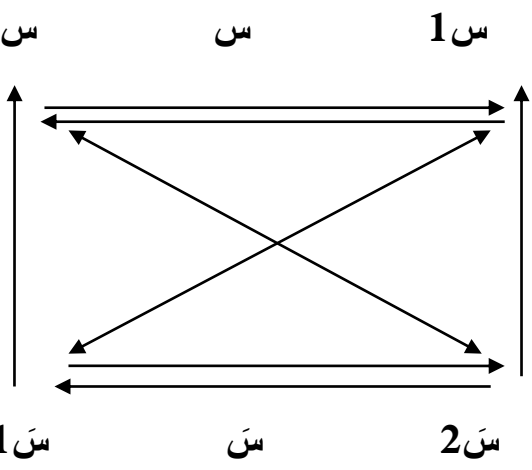

ويُحيل كلّ سهم مِن هذه الأسهم إلى علاقة مُعيّنة قائمة بين الوحدات الدّلالية، فقد تكون علاقة تناقض، أو تضاد، أو تضمين.

---

[1]: ينظر، قادة عقاق، السّيميائيات السردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص203.

[2]: المرجع نفسه، ص 204.

[3]: جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، مر: محمد بريرى، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2003، ص207.

[4]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي– إنجليزي– فرنسي)، ص23.

أ. **علاقة التّناقض:** وتتم بين (س1 وسَ1) وبين (س2 و سَ2)، ويكون في هذا المساق الاختيار ضروريا بين عنصر من هذين العنصرين، ليس هناك عنصر ثالث مُمكِنا، إنّه كما أشار إليه رشيد بن مالك "قانون التّخيِير بين أمرين"[1].

ب. **علاقة التّضاد:** وتتم بين (س1) و(س2) بحيث يكون (س2) متنافر مع (س1)، لكن لا يمكن أن يُتصوّر (س2) إلاّ بوصفه ضدّا لـ (س1) والعكس صحيح.

ج. **علاقة التّضمين:** توجد بين (سَ1 و س2) وبين (سَ2 و س1)، ويُطلق على هذه العلاقة أيضا مصطلح "التّضمين السّردي"، ولعلّ الشيء المُميّز في هذه العلاقة أنّنا إذا نفينا عنصرا مثلا سواء كان سَ1 أو سَ2 فإنّ العنصر الآخر يثبّت[2].

ولعلّ أبرز مُلاحظة نسوقها بخُصوص هذه العلاقات أنّها تقوم على عملية الاستبدال بين العناصر البسيطة عن طريق النّفي أو الإثبات، بحيث يتم من خلالها استكمال الوجه العام للمربّع السّيميائي واشتغال الدّلالة؛ فمثلا في علاقة التّناقض تنفي إحدى الوحدتين الأخرى وتنقضها، فلا مجال للجمع بينهما أو إيجاد لفظ وسيط بينهما، في حين تكون العلاقة الضّدية عبارة عن تقابل أو تعاكس بين الوحدتين، ويَفترض وُجود أحدهما وُجود الآخر، أمّا علاقة التّضمين فتسمح بوُجود معانم وسيطة تأخذ بطرف من حالات المتقابلين[3].

ومن هنا يتجلى لنا بوضوح الهدف الأساسي الّذي سطّره له غريماس والمُتمثِّل في البحث عن الشّروط الّتي بواسطتها نتلقى المعنى، خاصّة وأنّ كلّ معنى لا يقوم على تعارضات ثُنائية فقط، وإنّما على تعارضات رباعية مثل (أسود، أبيض)، و(لا أسود، لا أبيض)، أو(حلال، حرام)، و(لا حلال، لا حرام) وعليه فإنّ منظومة المربّع السّيميائي ذات طبيعة منطقية دلاليّة، ويجب أن يُنظر إليها باعتبارها سابقة عن كلّ استعمال لأنّ الأمر يتعلّق بنموذج شكلي سابق

[1]: المصدر السّابق، ص 24.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص23.

[3]: ينظر، محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص96.

عن كلّ معنى أي أنّها خُطاطة تجريدية مُشكّلة قبل كلّ استعمال مدلولي[1]، لذلك ينبغي أن نُبرِز في استعمالنا له –المربّع السّيميائي– شكل المعنى الّذي ينبني عليه النّص و"اكتشاف بِنية الدّلالة العميقة المُؤسِّسة للنّص والمُتحكِّمة في بِنيته السّطحية"[2]، ومن هنا وجب علينا عدم الاعتقاد بأنّ الغاية من اعتماد المربع السّيميائي هي وضع مربع للنّص، أو وضع نص ما في مربع ، بل الغاية منه هي مساعدة المحلّل السّيميائي على تمثيل العلاقات الّتي تقوم بين الوحدات اللّغوية انطلاقا من معياري النّفي والإثبات قصد إنتاج الدّلالات الّتي يعرضها النّص على القرّاء[3] واستخلاص المعنى الضّمني وتمثيله، وإلى هنا نكون قد وصلنا إلى آخر مفهوم من مفاهيم السّيميائية السّردية على مستوى البِنية العميقة، والّتي نُوجزها مجتمعة في ما يأتي:

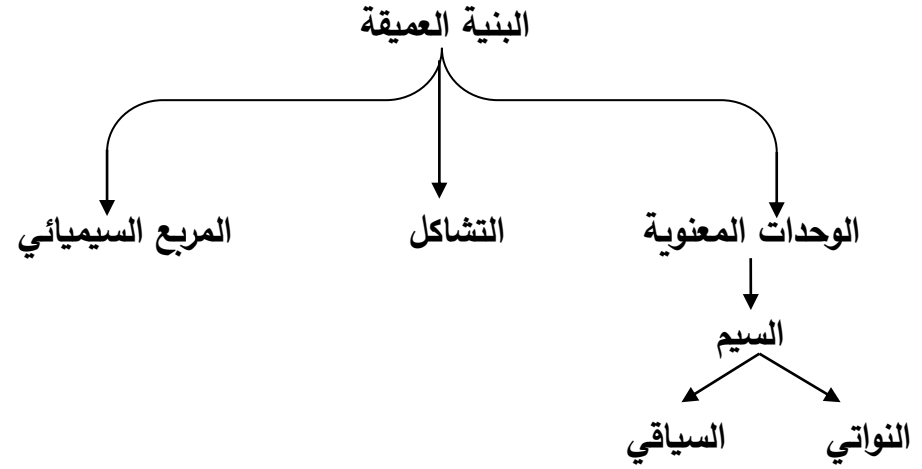

كان هذا عرضا مُوجزا لمُختلف المفاهيم الإجرائية للنّظرية السّيميائية السّردية الّتي لا يكاد أيّ مشتغل عليها أن يعكف عن تمثّلها واعتمادها في مُختلف مُقارباته التّحليلية لمُختلف النّصوص، وصفوة ما نختتِم به ما أوردناه أنّ هناك مسارين للتّحليل السّيميائي للنّصوص؛ أوّلها المسار التّوليدي وهو نظري خالص إذ يتوقع الانتقال من المستوى المنطقي الدّلالي أين تتمفصل القيمة الأوّلية للدّلالة على نحو تجريدي خالص إلى المستوى السّردي أين تتقدّم هذه العناصر الدّلالية كعوامل مُنطوية تحت البرامج السّردية، والمستوى الخطابي أين تتقدّم هذه

[1]: ينظر، آن إينو وآخرون، السّيميائية(الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص48.

[2]: ينظر، محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص97.

[3]: ينظر، رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي–إنجليزي–فرنسي)، ص23.

العوامل كمُمثلين في وضعيات فضائية وزمانية، وثانيها المسار التّحليلي وهو ما يقوم به المُحلِّل السّيميائي إذ ينطلق من المستوى الخطابي أين يُدرك المُمثِّلون الفضاءات والأزمنة وبشكل مُختصر التّنظيم الصّوري للمضمون إلى المستوى السّردي حيث تعمل العناصر الصّورية المُترتّبة في النَّص على تجلية الرّهانات والمسارات السّردية لتمتد إلى المستوى المنطقي الدّلالي حيث تشمل هذه الرّهانات التّمفصل الأساسي لمضمون النّص[1]؛ معنى هذا أنّ المُحلِّل السّيميائي بِوسعه تفكيك ودراسة النّص بتتبّع أحد المسارين؛ المسار التوليدي الّذي ينطلق من البِنية العميقة نحو البِنية السّطحية، أو بتتبُّع المسار التّحليلي الّذي ينطلق من البِنية السّطحية نحو البِنية العميقة كما هو مُوضّح في الشّكل الآتي:

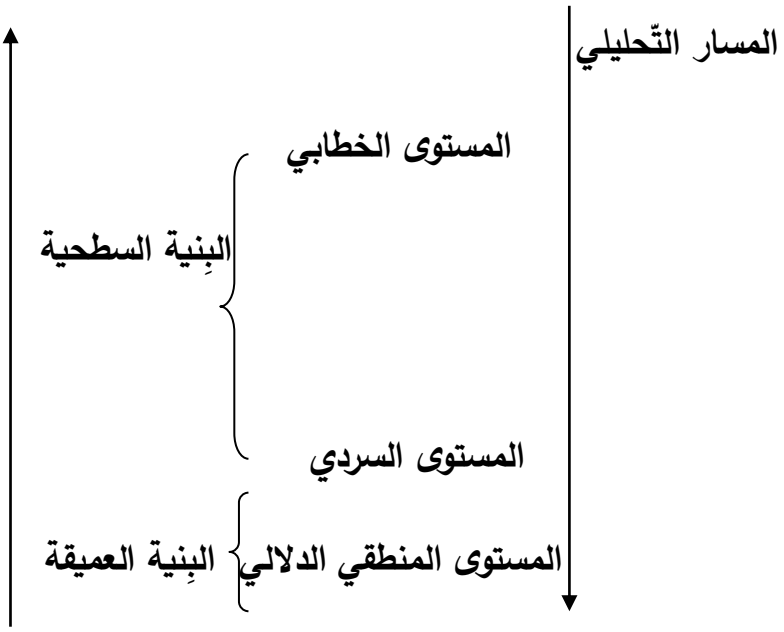

وكلّ هذا في نظرنا لن يكون طبعا وكما أشرنا في صفحات سابقة دون تقطيع النّص إلى مجموعة من المقاطع لاستخلاص وحداته المعنوية، وحصر بنياته المُتحكّمة في بِنائه.

[1]: ينظر، آن إينو وآخرون، السّيميائية(الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص132.

الفصل الثّاني

السّيميائية السّردية في النّقد المغاربي(التّلقي والمرجعيات)

المبحث الأوّل:

واقع تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا من الثّمانينيات إلى الألفية الجديدة

الفصل الثّاني:

مرجعيات تشكل التّفكير السّيميائي السّردي المغاربي وآلياته

المبحث الأوّل: واقع تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا من الثّمانينيات إلى الألفية الجديدة

رغبة مِنّا في الإجابة عن مُختلف التّساؤلات الّتي يسعى أصحابها مِن خِلالها إلى الكشف عن واقع بِداية الاهتمام بالدّرس السّيميائي عامة والسّردي منه على وجه التّحديد في النّقد العربي، ومعرفة السّبب الكامن وراء حصر المُهتمّين بالبحث فيه –الدّرس السّيميائي السردي– عن المُنجز النّقدي المغاربي دون سِواه قُمنا برصد وتتبُّع العديد من الدّراسات النّقدية العربية المُتبنِّية فقط للاتّجاه السّيميائي السّردي؛ ونُنوِّه هنا إلى أنّ ما انتقيناه من دراسات كان نتيجة اعتمادنا على معيارين اثنين هما:

أ. المعيار الأوّل: أن يكون مِحور اهتمامها السّيميائية السّردية.

ب. المعيار الثاني: أن يكون لها نصيب وافر من الشّيوع والانتشار.

1- واقع تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا في الثّمانينيات

شهدت فترة الثّمانينيات عددا من الدّراسات النّقدية الّتي تحوي في مُتونها إشارات طفيفة إلى السّيميائية السّردية لدرجة أنّها تكاد تكون مُبهمة في بعض منها على نحو ما سنُبيّنه فيما يأتي، لكن ممَّا هو جدير بالتّنويه إليه قبل البدء في عرض ما استخلصناه منها أنّنا آثرنا تقفّي ملامح السّيميائية السّردية ابتداء من فترة الثّمانينيات دون فترة السّبعينيات، لأنّنا لم نكد نعثر فيها إلاّ على دراسة واحدة للنّاقد "علي العشي" الصّادرة سنة 1976 والّتي تُعدّ أوّل رسالة تحمل بعضا من المفاهيم الإجرائية للسّيميائية السّردية، اعتمد فيها النّاقد المنهج السّيميائي في دراسة الجزء الأوّل من كتاب الأيام لطه حسين، وجاءت هذه الدّراسة بعنوان "تحليل سيميائي للجزء الأوّل من كتاب الأيّام لطه حسين"[1]، ومِن أبرز المفاهيم الإجرائية الّتي وظّفها في تحليله البِنيتين السّطحية والعميقة، جاعلا مسؤولية الاهتمام بالبناء الوظيفي وإبراز العلاقات بين الفاعلين من مهام البِنية العميقة، في حين ترك الاهتمام بالمستوى اللّغوي والأسلوبي للنّص

[1]: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ص117.

للبِنية العميقة، وعلى أساس هذه المبادئ ذهب "العشي" إلى تحليل الجزء الأوّل من كتاب الأيام، فتوقف عند التّركيب الوظائفي وتناول فيه تحليل مظاهر السّرد القصصي والتّركيب الوظائفي مُبرزا التّعارضات الأساسية والفرعية، ثمّ علاقة الكاتب والقارئ بالنّص مُحلّلا الأبعاد الزّمكانية، لينتقل بعدها مُباشرة إلى الحديث عن مظاهر الفن الرّوائي كالحُبكة والشّخصيات مُستعينا في ذلك بالتّركيب الأسلوبي كالتّكثيف والتّقابل[1] للكشف عن أسرار كتاب الأيّام لطه حسين، لكن ما عُقّب على هذه الدّراسة افتقارها للتّصور الحقيقي لمفهومي البِنية العميقة والسّطحية، وترتيب أوضاع العاملين، وجعل مُهمّة البِنية العميقة مُقتصرة على إبراز العلاقات بين الفاعلين، بِخلاف البِنية السّطحية الّتي قصر مُهمّتها على المستوى اللّغوي والأسلوبي، ووِفقا لنظرة غريماس يرى "محمد فليح الجبوري" أنّ "البِنية العميقة هي ما يتجسّد بمُهمة المربّع السّيميائي الخاص بالبِنية المُجرّدة، أمّا البِنية السّطحية فإنّها تتمثّل فيما تفرزه البِنية العاملية من دلالة أولى يمكن استقراؤها من الدّلالات اللّفظية في النّص"[2]، وهو مكمن الاختلاف بين التّصوّرين إلاّ أنّه بالرّغم مِمّا لاقته هذه الدّراسة من انتقادات إلاّ أنّها تُعدّ من الدّراسات النّقدية الحاملة لقصب السّبق في الاهتمام بالمناهج السّيميائية المعاصرة.

باستثناء هذه الدّراسة لم نعثر على دراسات نقدية أخرى استعان فيها أصحابها بِبعض من مفاهيم وآليات التّحليل السّيميائي السّردي إلى غاية فترة الثّمانينيات أين عثرنا على بعض منها، ومن أبرز ما انتقيناه دراسة "الناقد سمير المرزوقي" و"جميل شاكر" الصّادرة سنة 1985 بعنوان "مدخل إلى نظرية القصة" والّتي حاولا من خلالها الحديث عن أهم الاكتشافات الحاصلة في ميدان الاهتمام بالقصّة والتّنظير لقواعدها والتّأليف بينها "بطريقة تُجنّب القارئ تبديد وقته وجُهده في مُلاحقة المراجع والمصادر وتُعطيه فكرة شبه كاملة، ولو بصفة مجملة عن هذه الأعمال"[3]، ووضْع هذه المعلومات تحت تصرف القارئ العربي من خلال ترجمتها إلى اللّغة العربية إيمانا

[1]: ينظر، المرجع السّابق، 2013، ص118.

[2]: المرجع نفسه، ص119.

[3]: سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، ص7.

منهما بإمكانية توظيف "غريماس" و"بروب" و"جينيت" في أدبنا العربي[1] دون استثناء رغبة منهُما في الإشادة بجدوى وأهمية التّحليل الغربي للنّصوص السّردية في استكناه خبايا وأسرار الكثير من الإبداعات العربية، ومن أبرز ما وقف عنده المربّع العلامي (السّيميائي).

هذا إلى جانب دراسة النّاقد "محمد مفتاح" بعنوان "تحليل الخطاب الشّعري–استراتيجية التناص–" الصّادرة سنة 1985 أورد فيها بعضا مِن ملامح السّيميائية السّردية، ومن الآليات الغريماسية الّتي اعتمدها في تحليله للخطاب الشّعري "المربّع السّيميائي ونظرية العوامل، وكان لهذين الإجرائين حضور واضح في الكتاب سواء على مستوى المُخطّطات الكثيرة أم على مستوى التّحليل"[2] الّذي أجراه.

لِتشهد بعدها سنة 1987 وما تلاها العديد مِن الدّراسات النّقدية الّتي أولى فيها أصحابها عناية فائقة بمُختلف المناهج النّقدية المُعاصرة من شعرية، تفكيكية، سردية في المُؤلّف النقدي الواحد وهو ما نلفيه بصورة جلية عند النّاقد "مبارك حنون" في كتابه "دروس في السيميائيات" الّذي تطرّق فيه إلى مختلف الاتّجاهات السّيميائية المُعاصرة ومن بينها السّيميائية السّردية لكن بنوع من الإيجاز والاقتصار ودون تقديم نماذج تطبيقية يُثبت من خلالها نجاعتها من عدمها.

وأيضا ما كان مع النّاقد "أنور المرتجي" في كتابه "سيميائية النص الأدبي" الصّادر سنة 1987[3]، ومِن المفاهيم الإجرائية للسّيميائية السّردية الّتي اعتمدها وأسقطها على النّص الموضوع للدّراسة: المربّع السّيميائي ونظريّة العامل.

ثمّ سُرعان ما بدأ النّقاد يتحرّرون من التّعدّدية المنهجية في مُؤلفاتهم النّقدية وحتّى في دراساتهم، ويُعدّ النّاقد "عبد العزير عرفة" أوّل من تطرّق إلى السّيميائية السّردية مُباشرة في بحثه الموسوم بـ "مدخل إلى نظرية السرد عند غريماس" أين قدّم فيها عرضا مُنفصلا عن هذه النّظرية، ولاسيما فيما يتعلّق بالنّحو السّردي والبِنية العميقة والبِنية السّطحية، وكذا الثّنائيات

[1]: ينظر، المرجع السّابق، ص8.

[2]: المرجع نفسه، ص132.

[3]: أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي، ط1، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987.

والمربّع السّيميائي ونظرية العامل، فكانت هذه الدّراسة تتويجا وفكّا للأفكار الّتي وردت في البُحوث والمُؤلّفات الّتي سبقت ظُهور هذا البحث[1].

دون أن نغض طرف العين عن "دينامية النّص" للنّاقد "محمد مفتاح"، فرغم بقاء بعض مِن رواسب التّعددية المنهجية عالقة به، وعدم اعتماده على أدوات "المنهج السّيميائي بوصفها عدّة إجرائية رئيسة في تحليله إلاّ في دراسته للنّص الصّوفي، وفي دراسة الصّراع في النّص القصصي"[2] إلاّ أنّه أظهر اهتماما واضحا بالمنهج السّيميائي عامة والسّيميائية السّردية على وجه التّحديد انطلاقا من قناعته بأنّ "كرامات الصوفية وخوارقهم هي حكايات خيالية (...) ليس لها من دلالات واقعية (...) إنّها مثل أدب (العجائب والغرائب) (...) وتخضع لتحليل المنهج السّيميائي"[3] لذلك كان اعتماده عليه.

ويُعدّ المربّع السّيميائي والعوامل مِن أبرز ما اعتمده النّاقد في دراسته واصفا العلاقة الّتي تجمع بين العوامل في بادئ الأمر بالتّضمينية جاعلا إيّاها العلاقة المُهيمنة مُستدلا في ذلك بعلاقة المرسل بالمرسل إليه وعلاقة الذّات بالموضوع، لكن سرعان ما يتراجع عن قراره السّابق ويجعل العلاقة بينهما صِراعية، بعد تقيِّيمه لنظريّة "غريماس" واستخلاصه بأنّها نظرية تقوم على التّفاعل والدّينامية والصّراع لقيامها على تحليل الحكايات النّصية والأسطورية، وهاتان الأخيرتان تقومان على الصّراع بين قوى متضادة[4]، وهو ما يُفضي بالضّرورة إلى علاقات صِراعية مُتناحرة فيما بينها، ومادامت السّيميائية تعتمد نُصوصا قصصية تقوم في أغلبها على الصّراع – يقول محمد فليح الجبوري– فإنّه مِن المنطقي أن تقوم إجراءاتها وِفق مُقتضيات القوى المُهيمنة في نظرية العامل والمربّع السّيميائي الّذي يعتمد علاقة التّضاد وليس التّضمين[5] على نحو ما أشار إليه محمد مفتاح.

---

[1]: ينظر، محمد فليح الجبوري، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص138.

[2]: المرجع نفسه، ص139.

[3]: محمد مفتاح، دينامية النص تنظيرا وإنجازا، ط2، المركز الثّقافي العربي، 1990، ص143.

[4]: المرجع نفسه، ص12.

[5]: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص139.

نقطّة أخرى أشار إليه النّاقد في المُؤلف النّقدي ذاته –دينامية النّص– فحواها أنّ السّيميائية السّردية أو بالأحرى الغريماسية تقوم على التّفريق بين البِنية العميقة والسّطحية، مُركّزة جُلَّ اهتمامها على البِنية العميقة مُمثّلة في المربّع السّيميائي والعوامل، واصفا البِنية السّطحية بأنّها تجليّات لإسقاطات مُكوّني المربّع السّيميائي والعوامل السّتة، وأنّ السّيميائية السّردية ما هي إلاّ نظريّة مفهوميّة علاقيّة وصفية تنطلق من مفاهيم أوّلية تعدُّها كلّيات فرضيّة، ثمّ تشتق منها مفاهيم أخرى تُبنى عليها النّظرية[1]، وهو في حقيقة الأمر –يقول محمد فليح– "توصيف دقيق سواء على مستوى المُكوِّن المضموني أم على مُستوى الفهم الإجرائي، لأنَّ كل ما جاء به غريماس يقوم على فرضيات المربّع المنطقي عند بلانشو، وفرضيات ثنائيات التّضاد عند ليفي شتراوس، وما توصَّل إليه تشومسكي في البِنية العميقة والسّطحية"[2] وكُلُّها مجتمعة تشكِّل المُنطلق الأساسي للفكر الغريماسي.

ومِن النّقاد الآخرين الّذين تبنوا السّيميائية السّردية وألّفوا فيها النّاقد "محمد السرغيني" سنة 1988 في كتابه "محاضرات في السيميولوجيا" الذي قام فيه بتقديم عرض لمُختلف الاتّجاهات السّيميائية المُعاصرة مُكتفيا بالجانب النّظري دون الجانب التّطبيقي مُنتهجا في ذلك خُطى النّاقد مبارك حنون في كتابه "دروس في السّيميائيات"، ومِن الاتّجاهات السّيميائية المُعاصرة الّتي وقف عندها الاتّجاه الأمريكي مُركّزا فيه على سيميائية بيرس، والاتّجاه الفرنسي الّذي يضُمّ عَددا مِن السّيميائِيّين أبرزهم رولان بارث وغريماس مُركّزا على هذا الأخير عارضا بِشيء مِن التّفصيل والتّدقيق في نظريته مُركِّزا بشكل كبير على البِنية العاملية والبِنيتين السّطحية والعميقة، وآخر اتّجاه وقف عنده النّاقد هو الاتّجاه الرّوسي بأشهر نُقّاده والمُتمثّلين في يوري لوتمان(Youri Lotman) وبوريس أوسبنسكي(Boris Uspensky).

بحث آخر يمكننا إضافته إلى مصاف البُحوث والدّراسات النّقدية الّتي أولت اهتماما بالسّيميائية السّردية للنّاقد المغربي "سعيد بنكراد" سنة 1988، وهو عبارة عن دراسة لـ"غريماس"

[1]: ينظر، محمد مفتاح، دينامية النّص تنظيرا وإنجازا، ص35/34.

[2]: محمد فليح الجبوري، الاتّجاه السّيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص139.

قام بترجمتها تحت عنوان "السّيميائية السّردية، المشاريع والمكاسب"، ويمكن اعتبارها أوّل دراسة نقدية مُترجمة في السّاحة النّقدية المغاربية.

ويُقدِّم أيضا في السّنة ذاتها النّاقد التّونسي "عبد المجيد نوسي" بحثا بعنوان "تحليل سيميائي لنص سردي"[1] طبَّق فيه المربّع السّيميائي ونظريّة العامل.

اختتم النّاقد "محمد مفتاح" فترة الثّمانينيّات بمُؤلّف نقدي آخر سنة 1989 وسمه بـ "في سيمياء الشعر القديم/ دراسة نظرية تطبيقية" وهو عبارة عن دروس أُعِدَّت "لتُلقى على طلبة السّنة الرابعة سنة 1982/1981، سعى من خلاله إلى بعث روح البحث المُتعمّق في الطلبة، وفتح آفاق جديدة أمامهم، جاعلا من نُونية أبي البقاء الرّندي مادّته الأوّلية لتحقيق مُبتغاه[2] مِن الكتب الّتي يظهر في مُتونها اهتمام بالسّيميائية السّردية بصُورة مُحتشمة وبالتّحديد في أوّل صفحة من القسم الثّاني للكتاب أين استعان فيه بالتّناقض والتّضاد بين الدّلالات مُصرِّحا قائلا: "ومهما يكن فلنوضّح ما سبق بالمربّع السّيميائي"[3]وبجميع علاقاته.

ومِن مظاهر اعتماده على السّيميائية السّردية أيضا قوله: "وسنتبنّى مِنهاج العوامل في التّحليل وعناصره الأساسيّة الستة، الفاعل الآمر، والموضوع، والفاعل والمأمور، والمُعوّقات، والبطل والمُساعدات"[4] وما يُلاحظ في هذه العناصر انفراد محمد مفتاح بترجمة Destinateur / destinataire إلى الفاعل الآمر والفاعل المأمور، وما يكشف أكثر عن اهتمام "محمد مفتاح" بالسّيميائية السّردية توظيفه لحالات الاتّصال والانفصال بين الفاعل والموضوع، وتوظيفه لبِنية التّناقض والتّضاد في القسم الثّاني من كتابه ولاسيما النّصف الثّاني منه، ويوجد إضافة إلى ما أوردناه دراسات أخرى آثرنا عدم الخوض فيها لتناولها تقريبا ما تناولته سابقاتها كدِراسة عبد الملك مرتاض المعنونة بـ" ألف ليلة وليلة دراسة سيميائية تفكيكية" سنة 1989 وغيرها.

---

[1]: المرجع السّابق، ص142.

[2]: ينظر، محمد مفتاح، في سيمياء الشّعر القديم/دراسة نظرية تطبيقية، دار الثّقافة، 1989، ص5.

[3]: المرجع نفسه، ص77.

[4]: المرجع نفسه، ص108.

كانت هذه أبرز المُؤلّفات النّقدية الّتي يظهر في مُتونها بعض مِن ملامح السّيميائية السّردية لكن بصُورة مُحتشمة لدرجة أنّنا لا نكاد نعثر على مُؤلّف نقدي يحوي عنوانه إشارة صريحة لها باستثناء ما كان مع النّاقدين سعيد بنكراد وعبد العزيز عرفة بعد النّصف الثّاني من فترة الثّمانينيّات خاصّة ابتداء من سنة 1987 الّتي تعكس بجلاء مدى مقبولية المنهج السّيميائي عامة والسّيميائية السّردية في المغرب العربي مُقارنة بالمشرق العربي بالرّغم من سِمة التّعدُّدية المنهجية في بعض الدّراسات النّقدية على نحو ما لاحظناه مع محمد مفتاح في كتابيْه "في سيمياء الشّعر القديم" و"تحليل الخطاب الشّعري –استراتيجية التّناص–"، وإذا ما جِئنا للكشف عن تجليات السّيميائية السردية في مُؤلفاتهم لوجدناها مُتمظهرة في استعانتهم بالبِنية العميقة دون البِنية السّطحية، وهو ما خلُصنا إليه من خلال اعتمادهم على المربّع السّيميائي والعوامل في أغلب مُقارباتهم السّردية حتّى الشّعرية منها.

ومجمل ما نقوله عن هذه الدّراسات أنّه لا يُمكننا إنكار الدّور الكبير الّذي لعبته في تعزيز اهتمام الباحثين بالدّرس السّيميائي السّردي بالرّغم من أنّها لم تُول اهتماما مباشرا بالسّيميائية السّردية وبصورة كبيرة، وهو ما سيتراءى لنا بوُضوح في الفترة الّتي عقبت فترة الثّمانينيّات على نحو ما سنُوضِّحه لاحقا بعد أن نقوم بتقديم عرض موجز لمختلف الدّراسات والمُؤلّفات النّقدية الّتي أتينا على ذكرها سابقا.

السّنوات	الدّراسات والبحوث السّيميائية المُنجزة في هذه الفترة
1985	مدخل إلى نظرية القصّة لجميل شاكر وسمير المرزوقي. "تحليل الخطاب الشّعري–استراتيجية التناص–" لمحمد مفتاح.
1987	سيميائية النّص الأدبي لأنور المرتجي "دروس في السّيميائيات" لمبارك حنون "مدخل إلى نظرية السّرد عند غريماس" لعبد العزير عرفة

	دينامية النّص تنظيرا وإنجازا لمحمد مفتاح
1988	محاضرات في السيميولوجيا لمحمد السرغيني. "تحليل سيميائي لنص سردي لعبد المجيد نوسي. السيميائية السردية، المشاريع والمكاسب تر. سعيد بنكراد.
1989	في سيمياء الشعر القديم/ دراسة نظرية تطبيقية لمحمد مفتاح.

2 – واقع تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا في التّسعينيّات

بدأت ملامح السّيميائية السّردية في فترة التّسعينيّات تلوح في الأُفق وبدأت معالمها تتّضح أكثر مقارنة بفترة الثّمانينيّات، وهو ما يظهر بجلاء من خلال العديد من المُؤلّفات النّقدية ذات الصّلة الوثيقة بها، إذ يُعدّ كتاب "محمد الناصر العجيمي" الموسوم بـ"في الخطاب السردي (نظرية غريماس)" والصادر سنة1991 مِن أولى المُؤلّفات النّقدية الّتي نلمس فيها عِناية مُؤلّفها بالسّيميائية السّردية ليس من عنوان الكتاب فحسب، بل حتّى في مضمونه الّذي جعله في قسمين أحدهما نظري والآخر تطبيقي؛ فأمّا القسم الأوّل منه فقد وقف فيه بشكل دقيق عند العديد من مُفردات الجهاز المفاهيمي للنّظرية السّيميائية السّردية وبأسلوب بسيط حتّى يَسهُل على المُتلقي فهمُها واستيعابها، وأمّا القسم الثّاني منه فقد حاول من خلاله تجريب ما أورده من مفاهيم إجرائية في القسم النظري كالمربّع السيميائي، النّموذج العاملي، التّرسيمة السّردية وغيرها مُترسّما في ذلك خُطى غريماس مُحاولا في الآن ذاته الكشف عن سردية الحكاية فيه.

كتاب آخر لـ"عبد القادر فيدوح" بعنوان "دلائلية النص الأدبي" سنة 1993[1] تطرّق فيه إلى مُختلف النّظريات العلاماتية بوصفها "إجراءات منهجية يُمكنُنا عن طريقها استجلاء دلائليّة النّصوص الإبداعية بشكل عام، فهو لا يتناول الشّعر وحده ولا يتناول السّرد وحده بل يتحدّث

[1]: عبد القادر فيدوح، دلائلية النّص الأدبي، دار ديوان المطبوعات، الجزائر، 1993.

عن فاعلية الاتّجاهات السّيميائية في استجلاء دلائلية النّصوص المقروءة"[1]، وتعدّ السّيميائية السّردية مِن الاتّجاهات السّيميائية الّتي وقف عندها وأشاد بفعاليتها في تحليل النّصوص.

يُصدر النّاقد في السّنة ذاتها بحثا بعنوان "مقاربة سيميائية في قصّة جزائرية قصيرة"[2] وعُدّ هذا البحث تطبيقا لما جاء في كتابه "دلائليّة النّص الأدبي"، ومِن أبرز ما وقف عنده وحداتها السّردية الّتي أسقط عليها آليات وأدوات التّحليل السّيميائي السّردي مِن المربّع السّيميائي إلى البِنيات السّطحية والعميقة[3].

وفي سنة 1994 يُصدر "سعيد بنكراد" كتابه النّقدي "السّيميائية السّردية"، والقارئ له يلفي بوضوح العلاقة الوثيقة بين عنوانه ومتنه الّذي وقف فيه عند العديد مِن المفاهيم والتّصوّرات الخاصّة بالسّيميائية السّردية ابتداء من البِنية السّطحية وُصولا إلى البِنية العميقة، لكن دون إرفاقها بنماذج تطبيقية.

ويُؤلّف النّاقد "محمد نظيف" في السّنة ذاتها مؤلّفه النّقدي "ماهي السيميولوجيا"، وقف فيه عند المنهج السّيميائي ابتداء مِن "بورس" وُصولا إلى "غريماس" لكن دون التّغلغل والتّفصيل فيه مُكتفيا فقط بالخطوط العريضة الّتي يقوم عليها الفكر البورسي والغريماسي والإشارة إلى الأصل الّذي تنحدر منه العناصر الأساسية للمنهج السّيميائي عامة وهي حسبه –محمد نظيف– الصّوتيات، الدّلالة، المورفولوجيا.

ومِن المُؤلّفات والدّراسات النّقدية الأخرى الّتي أظهر أصحابها اهتماما واضحا بالسّيميائية السّردية دراسة النّاقد "حسن مزدور" الموسومة بـ "مقاربة سيميائية قصصية، التّركيب العاملي في رواية نهاية الأمس لعبد الحميد بن هدوقة" سنة 1995، ورغبة منه في استكشاف كُنه المتن الرّوائي، تابع ما قاله "غريماس" عن لُعبة السّرد بأنّها لا تتمّ اعتمادا على مُستويين فحسب بل على ثلاثة مُستويات مُتغايِرة هي: الأدوار بما هي وحدات عاملية، المُمثّلون بما كوحدات

---

[1]: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص143.

[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

للخطاب، والعوامل بوصفها وحدات للحكي[1]، وبناء على هذا كان منهج النّاقد في تتبّع تحليل النّص المدروس انطلاقا من الشّخصية إلى المُمثّلين إلى العوامل مُطبّقا ما أقرّه غريماس، وكأنّه يبحث في النّص عن مفاهيم حُدّدت مُسبقا، فيجعل مِن البِنية العاملية آلية لتحديد دلالة النّص، ولِلوُصول إلى أدوار العوامل في النّص يعمد إلى تقطيعه إلى وحدات سردية صُغرى تدل إمّا على دور شخصية أو دور مُمثِّل أو دور عامل، ويُحدِّد النّاقد خُطواته الأولى بعملية تجميع الوحدات المُعجمية الخاصّة بكلّ شخصية مِن الشّخصيات الفاعلة الّتي تُؤثِّر في بِنية النّص وجردها داخل جداول حتّى يتسنّى لنا الوصف الدّقيق لسمات كلّ الشّخصيات"[2] الّتي تحويها.

وهكذا بدأت ملامح السّيميائية السّردية تتضح شيئا فشيئا، وزاد الاهتمام بها في مُؤلفات ودراسات نقدية مُنفردة غير لصيقة بمناهج نقدية أخرى –على نحو ما لاحظناه في فترة الثّمانينيّات– لتيسير فهمها واستيعابها والتّعريف بها لما أظهرته من نجاعة تحليلية مقارنة بغيرها من الاتّجاهات السّيميائية المُعاصرة التي ما فتئت تعج بها السّاحة النّقدية الغربية، وخُلاصة ما يُمكن قوله عن واقع السّيميائية السّردية في فترة التّسعينيّات أنّها بدأت تجد لنفسها مكانا تحطّ فيه وهو ما ألفيناه في مُتون ما أوردناه من مُؤلفات ودراسات نقدية، وما لم نُورده كـ "أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي؟[3] لعبد الملك مرتاض، "منطق السرد"[4] لعبد الحميد بورايو. و"النّص السّردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا[5] لسعيد بنكراد، و"تحليل النّص السّردي"[6] لمحمد القاضي، وغيرها من المُؤلفات العاكسة لحقيقة تلقيها ونسبة قبولها في السّاحة النّقدية العربية كما هو مُوضّح في الجدول الآتي عرضه.

---

[1]: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص212.

[2]: المرجع السّابق، ص214.

[3]: ينظر، عبد الملك مرتاض، أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

[4]: ينظر، عبد الحميد بورايو، منطق السّرد، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

[5]: ينظر، سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، دار الأمان، الرّباط، ط1، 1996.

[6]: ينظر، محمد القاضي، تحليل النص السردي، دط، دار الجنوب للنّشر، تونس، 1997.

السّنوات	الدّراسات والبحوث السّيميائية المُنجزة في هذه الفترة
1991	في الخطاب السّردي (نظرية غريماس) لمحمد الناصر العجيمي. دلالية القص وشعرية السرد لسامي سويدان.
1992	أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لعبد الملك مرتاض.
1993	دلائلية النص الأدبي لعبد القادر فيدوح.
1994	السيميائية السردية لسعيد بنكراد. ماهي السيميولوجيا لمحمد نظيف. منطق السرد لعبد الحميد بورايو.
1995	مقاربة سيميائية قصصية، التركيب العاملي في رواية نهاية الأمس لعبد الحميد بن هدوقة لحسن مزدور.
1996	النّص السّردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا لسعيد بنكراد.
1997	تحليل النّص السّردي لمحمد القاضي.

3 – واقع تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا في الألفية الجديدة

فرض البحث السّيميائي المغاربي نفسه في الألفية الجديدة، وباتت السّيميائية السّردية منهجا نقديا يُعتد به من لدن العديد من النّقاد في السّاحة النّقدية المغاربية خاصّة بعد عدم اكتفاء العديد من النّقاد بالتّعريف والتّأصيل لها وتركيزهم أكثر على المُمارسة التّطبيقية، ويُعدّ "رشيد بن مالك" واحدا من النّقاد المغاربة الّذين أولوا اهتماما واضحا بها وهو ما لمسناه بصورة جلية في عناوين العديد من مؤلفاته النّقدية الّتي جاءت عاكسة لمُتونها ومُطابقة لها –والّتي

سنكتفي فقط بذكر عناوينها دون إبراز تجليات السيميائية السردية فيها لأنّه سيكون لنا معها لاحقا نصيب وافر من الكلام-، ففي بداية الألفية الجديدة أصدر مؤلّفه النّقدي "قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي)" الّذي ألّفه في التّسعينيّات ونشره سنة 2000، يليه مباشرة وفي السّنة ذاتها مُؤلّف نقدي آخر بعنوان "مقدّمة في السيميائية السردية" حاول من خلاله تقريب السّيميائية الغريماسية أكثر من القارئ العربي وتسهيل سُبل استيعابها وإدراكها.

لم يكن "رشيد بن مالك" النّاقد الوحيد الّذي اهتمّ بالسّيميائية السّردية واشتغل عليها، بل كان إلى جانبه ثُلّة من النّقاد الجزائريّين؛ نذكر في مُقدّمهتم "السّعيد بوطاجين" من خلال مؤلفه النّقدي الموسوم بـ"الاشتغال العاملي دراسة سيميائية غدا يوم جديد لابن هدوقة" الصّادر سنة 2000، والذّي قدّم فيه صُورة تعليمية واضحة ودقيقة عن السّيميائية السّردية، ومِن أبرز ما وقف عنده البِنية العاملية مُوضّحا في السّياق ذاته سبب اعتماده على البُنى الشّاملة دون الوحدات الصُغرى المُنتِجة لِلْمعنى، وسبب تلخصيه لأهم المقطوعات الّتي قامت عليها الرّواية قائلا: "ولِضبط العمليّة التّحليليّة عملنا على انتقاء الذّوات الكبرى المُهيمنة نصّيا وربطها بالبرامج السّردية لتِبيَان أهمّ الاتّصالات والانفصالات بين الذّوات والموضوعات حتّى يتسنّى لنا توضيح كيفية انتشار مُختلف القيّم وِفق بُنى عاملة مُتميّزة لذا سعينا إلى تلخيص أهم المقطوعات الّتي تمحورت حولها الرّواية في جُمل أساسيّة"[1] بُغية تحقيق المسعى الرّئيسي مِن تأليفه له.

مُؤلّف آخر لرشيد بن مالك ألّفه بعده مُباشرة سنة 2001 تحت عنوان بـ "البنية السّردية في النّظرية السّيميائية" حاول من خلاله الغوص أكثر في السّيميائية الغريماسية.

ومن تونس ألّف النّاقد عبد المجيد نوسي سنة 2002 مؤلّفه النّقدي "التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية -التركيب- الدلالة)" سعى فيه إلى الإجابة عن العديد من التّساؤلات أبرزها كيفية تحليل مُختلف الخطابات الرّوائية باعتماد السّيميائية السّردية، ليأتي كتابه هذا مُجيبا عنها من خلال رواية "اللّجنة" للرّوائي صنع الله ابراهيم الّتي قاربها باعتماد

[1]: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية لرواية (غدا يوم جديد) لعبد الحميد بن هدوقة، ص10.

العديد مِن المفاهيم الإجرائية للسّيميائية السّردية بدءا مِن المُكوّن العميق إلى البِنية الأوّلية للدّلالة إلى البِنية التّركيبية وُصولا إلى المُكوّن الخِطابي، واقفا في الآن ذاته عند التّقطيع السّردي مُعرّفا به ومُشيدا بأهميّته ودوره في التّحليل السّيميائي للنّصوص.

وما يلفت الانتباه في هذه الفترة أنّ الاهتمام بالسّيميائية السّردية والاشتغال عليها لم يكن مُقتصِرا على النّقاد فقط، فهاهي النّاقدة نبيلة زويش تخوض غمار البحث فيها من خلال مؤلّفها النّقدي "تحليل الخطاب السّردي في ضوء المنهج السّيميائي" الصادر سنة 2003 والّذي حاولت مِن خِلاله الكشف عن البِنية السّردية لـ"طوفان ملحمة جلجامش" مسقطة العديد من المفاهيم الإجرائية للسّيميائية السّردية عليها كالمجالات التّصورية والأدوار الموضوعاتية، وغيرها من المفاهيم الأخرى.

وإلى جانب النّاقدة نبيلة زويش نجد أيضا النّاقدة سليمة لوكام، راضية لرقم، نادية بوشفرة، وآسيا جريوي وغيرهن كثيرات مِمّن أبيْن إلاّ أن يشتغِلْن على الدّرس السّيميائي السّردي الغربي يُعرّفنَه تارة ويُجرّبْن بعضا من أدواته وآلياته الإجرائية تارة أخرى كما هو الحال مع النّاقدة "نادية بوشفرة" والنّاقدة "راضية لرقم" في مؤلّفها النّقدي "الخطاب السّردي في الشّعر العربي القديم (دراسة سيميائية)" الّذي حاولت من خلاله تطبيق آليات وأدوات السّيميائية السّردية على قصيدتين مُختارتين لاكتشاف طاقاتهما الإبداعية هما قصيدة "الحطيئة"، وقصيدة "عمرو بن الأهتم"، وما انتقاء راضية لرقم لهذين القصيدتين إلاّ بعد تأكّدها من توفُّرهما على "الخاصّية السّردية"[1] وهو ما أكّد عليه النّاقد محمد مفتاح في مؤلفاته النّقدية السّابقة ولاسيما كتابه "في سيمياء الشعر العربي القديم".

وأحيانا لا هذا ولا ذاك بل يكتفين إمّا بإعادة قراءة النّتاج النّقدي المغاربي على نحو ما كان مع النّاقدة "سليمة لوكام" في مؤلفها النّقدي "تلقي السّرديات في النقد المغاربي"[2] الصّادر سنة 2009 أين وقفت فيه عند أعمال "باحثين مغاربيّين مُهتمين بالشّأن السّردي، ينتمون إلى

[1]: راضية لرقم، الخطاب السّردي في الشّعر العربي القديم، دراسة سيميائية، ص5.

[2]: سليمة لوكام، تلقي السّرديات في النّقد مغاربي، دط، دار سحر للنّشر، تونس، 2009.

أجيال مُختلفة من قَبِيل عبد الفتاح كليطو وعبد الملك مرتاض، وحسين الواد وسمير المرزوقي وجميل شاكر، وسعيد يقطين والطاهر روابنية ومحمد القاضي وحسن بحراوي، وعبد الحميد بورايو، وسعيد بنكراد والسعيد بوطاجين وعبد المجيد نوسي ومحمد الناصر العجيمي، وقد دأبت مِن خلال عرضها لمُؤلّفاتهم على تِبْيان مدى تمثُّل أصحابها المفاهيم، وإجرائهم المُصطلحات إضافة إلى توظيفهم الطّرائق السّردية في تحليل الإبداع العربي قديمه وحديثه"[1]، وإمّا بالوقوف عند إشكالات تلقّيها ونقلها إلى السّاحة النّقدية المغاربية مِثلما فعلت النّاقدة "آسيا جريوي" في مُؤلَّفها النّقدي "السّيميائيات بحث في المعنى (دراسات)" الصّادر سنة 2016، والّذي انتقلت فيه بعد التّعريف بالسّيميائية السّردية إلى الحديث عن واقع التّرجمة العربيّة لجهازها المفاهيمي وأزمة المُصطلح في الدّراسات النّقدية العربيّة النّظرية مِنها وحتى التّطبيقيّة مُركِّزة على المُستوى السّردي للبِنية السّردية في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج، وبالتّحديد الدّور العاملي للمُمثّل الّذي يُشكِّل حلقة وصل بين المستوى السّردي والخطابي في المستوى السّطحي للبِنية.

واللاّفت أكثر للانتباه إضافة إلى بُروز نِسوة في مجال النّقد الأدبي هو عدم اقتصار الاهتمام بالسّيميائية السّردية على ثلاث دول من أقطار المغرب العربي على نحو ما لاحظنا ابتداء من فترة الثّمانينيّات مُرورا بالتّسعينيات وُصولا إلى بداية الألفية الجديدة أين كانت مُتمركِزة في الجزائر، تونس، المغرب، وهو ما ألفيناه بصُورة واضحة من خلال ما أورده النّاقد اللّيبي "محمد عبد الحميد المالكي" سنة 2006 في مؤلّفه النّقدي "سلطة الكلام ... إرادة القوّة في تقنيات محترفي الإلقاء ... مشروع بيان السّيميائيات السّردية"[2] حول السّيميائية السّردية الغريماسية عامة، ومشروع بيان المدرسة السّيميائية المغاربية خاصّة على حدّ تعبيره مُثيرا العديد مِن التّساؤلات حول ما أسماه "بالمدرسة" وكأنّ به يفعل ذلك متعمّدا لاستدراج القارئ إلى معرفة ما يُريد أن يَعرفه هو –محمد عبد الحميد المالكي– وليس ما يُوحِي به ظاهر الكلام وهو ما أضفى على كتابه سِمة التّميّز والتّفرد.

---

[1]: المرجع السّابق، ص 6/5.

[2]: ينظر، محمد عبد الحميد المالكي، سلطة الكلام إرادة القوة مشروع بيان السيميائيات السردية، دط، مختبر بنغازي، ليبيا، 2006.

ولتأكيد وِجهة نظرنا تِلك نسوق ما أورده محمد عبد الحميد المالكي من تساؤلات قائلا:" هل نُغامر مرّة أخرى ونقترح تأسيسا على المُغامرة وحدها بدون مبرّرات أو مقدّمات تسميَة مدرسة السّيميائيات المغاربية؟ ولكن ستكون هناك عدّة أسئلة مثل: كيف تكوّنت؟ وماهي الأسس المعرفية (المرجعية لهذه المدرسة؟ وماهي تمظهراتها؟ وماذا أنجزت؟ أو ما تطمح لإنجازه؟ وماهي مكانتها وموقعها في الخطاب العربي المعاصر؟ وماذا نعني بكلمة مدرسة؟"[1] ولنا أن نتساءل نحن هنا: لمن يوجه النّاقد سؤاله في قوله: وهل توظيفه لـ "لكن الاستدراكية" في تساؤلاته جاء متعمّدا؟ أم لا؟

وفي محاولة منّا للإجابة على ما أثاره من تساؤلات ومعرفة لمن يتوجّه بسؤاله حين قال: هل نغامر مرّة أخرى ونقترح تأسيسا على المغامرة وحدها بدون مُبرّرات أو مقدّمات تسمية مدرسة السّيميائيات المغاربيّة؟ ارتأينا العودة إلى بعض من مقالاته المنشورة في صفحته الرسمية على "Facebook " إلى جانب عودتنا لما أوده في ثنايا كتابه "سلطة الكلام ... إرادة القوّة في تقنيات محترفي الإلقاء ... مشروع بيان السيميائيات السردية" خلصنا إلى أنّه في أغلب تساؤلاته كان يفترض وجود قارئ ضِمني يَحلّ محلّ القارئ الحقيقي ويُجيب عمّا يُلقيه من استفسارات، وما افتتاحه للأسئلة اللاّحقة للسّؤال الأوّل بـ "لكن الاستدراكية" حُجّة على ما أقررناه، هذا ولم يكتف محمد عبد الحميد المالكي بلعب دور السّائل الحائر بل كان يحاول في كثير من صفحات كتابه إماطة اللّثام عن السّيميائية السّردية مُثيرا العديد مِن النّقاشات حول ماهيتها ومفاهيمها، وحريّ بنا من هذا المنطلق الإشادة بالمُنجز النقدي اللّيبي في مجال السّيميائية السردية على الرّغم من قلّته للدّور الإيجابي الّذي لعبه النّاقد السّالف ذكره في تنشيط حركة النّقد اللّيبي لتُواكب مُستجدات الحقل السّيميائي وبالتّحديد مِن خلال مختبر بنغازي للسّيميائيات وتحليل الخطاب.

هكذا بدأت تتسع حلقة البحث في السّاحة النقدية المغاربية وتزدهر خاصّة مع "سعيد بنكراد" الّذي عاد من جديد سنة 2003 بمؤلّفين نقديّين هما: "سيميولوجية الشخصية السردية

[1]: المرجع السّابق، ص77.

(رواية الشراع والعاصفة) لحنا مينا"[1] و"مدخل إلى السّيميائيات السّردية"، الأمر نفسه ألفيناه مع "رشيد بن مالك" الّذي عاد هو الآخر سنة 2006 بمؤلّفه القريب من التّسمية من مؤلف سعيد بنكراد "السّيميائيات السّردية"، ثم سرعان ما انتقل من التّأليف إلى الترجمة سنة 2008، وهو ما نستشفه بجلاء من خلال مُؤلّفه النّقدي الموسوم بـ "السّيميائية (الأصول، القواعد، التاريخ)"، الّذي يُعدّ مُحصّلة لقاءات عديدة جمعته بالأستاذ الدكتور "عز الدين المناصرة" في نهاية الثّمانينيّات أورد فيه العديد من التّرجمات للمُهتمّين بها والمُشتغلين عليها آنذاك، والّتي سيُعيد ذكرها من جديد سنة 2012 في مؤلّفه النقّدي"من المعجميات إلى السيميائيات"[2] وسنُرجئ الحديث عن هذه المؤلفات والتّفصيل فيها لاحقا في موضع آخر لأنّه عليها مدار اشتغالنا.

كانت هذه أبرز المُؤلّفات النّقدية الواقفة وراء نشأة فكر ودرس نقدي مغاربي كان في وقت ما لا يُعتدّ به وانبثاق ملامحه الأولى في مُتون أعلامه الأوائل الّذين عُدّت مُؤلّفاتهم اللّبنة الأساسية الّتي انبثق منها لاحقا الدّرس السّيميائي السّردي واستمد منه أساسياتِه، هذا إلى جانب نقّاد آخرين لم نأت على ذكرهم آثروا سبر أغواره وتمثُّل مفاهيمه ومُساءلة مُختلف أدواته الإجرائية كالنّاقد عبد القادر شرشار من خلال مُؤلّفه النّقدي "مدخل إلى السّيميائيات السّردية (نماذج وتطبيقات)" الصّادر سنة 2015، وقادة عقاق من خلال هذين المُؤلّفين النّقديَّين "الخطاب السّيميائي في النّقد المغاربي الصّادر سنة 2014، والسِّيميائيات السَّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها) الصَّادر سنة 2016، وفيما يأتي جدول نُوجز فيه ما أوردناه:

السنوات	الدّراسات والبُحوث السِّيميائية المُنجزة في هذه الفترة
2000	قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي) لرشيد بن مالك.

[1]: سعيد بنكراد، سيميولوجية الشّخصية السردية(رواية الشّراع والعاصفة لحنا مينة)، دط، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان الأردن، 2003.

[2]: رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ط1، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان، 2012.

	مقدمة في السّيميائية السردية لرشيد بن مالك. الاشتغال العاملي –دراسة سيميائية– غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة لـ: السعيد بوطاجين.
2001	البنية السّردية في النّظرية السّيميائية لرشيد بن مالك.
2002	التّحليل السّيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية –التركيب– الدلالة) لعبد المجيد نوسي.
2003	التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي لعبد الحميد بورايو. تحليل الخطاب السّردي في ضوء المنهج السيميائي لنبيلة زويش. مدخل إلى السّيميائيات السردية وسيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا) لسعيد بنكراد.
2005	السّرد ووهم المرجع – مقاربات في النّص السّردي الجزائري الحديث– لـ "السعيد بوطاجين".
2006	السّيميائيات السردية لرشيد بن مالك سلطة الكلام إرادة القوة مشروع بيان السيميائيات السردية لمحمد عبد الحميد المالكي.
2008	التحليل السّيميائي للبنى السردية في رواية حمامة السلام للدكتور نجيب الكيلاني.
2009	تلقي السرديات في النقد المغاربي لسليمة لوكام.
2010	تحليل النص السردي/ تقنيات ومفاهيم لمحمد بوعزة.

2012	من السيميائيات إلى المعجميات لرشيد بن مالك. الخطاب السردي في الشعر العربي القديم (دراسة سيميائية) لراضية لرقم.
2014	الخطاب السّيميائي في النّقد المغاربي لقادة عقاق.
2015	مدخل إلى السّيميائيات السّردية (نماذج وتطبيقات) لعبد القادر شرشار
2016	تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النّص لعبد القادر شرشار. السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها) لقادة عقاق.

وصفوة القول مِن كلّ ما أوردناه إنّ السِّيميائية السّردية هيمنت على الدّراسات النّقدية المغاربية في فترة التّسعينيّات مُقارنة بفترة الثّمانينيّات الّتي يُمكن اعتبارها على حد تعبير النّاقد محمد فليح "فترة جس النّبض واختيار المنهج لإمكانية تطبيقه على النّص العربي"[1] لتتّسِع هيمنتها أكثر في الألفية الجديدة عن طريق التّرجمة والتأليف والشّرح تارة والمُمارسة التّطبيقية تارة أخرى على مستوى الحكاية، القصّة، الرّواية وبِشكل مُتفاوت حتّى أضحت اتجاها نقديا هاما يُعتمد عليه في مُقاربة واستقراء مُختلف النّصوص الأدبية والإبداعية، وَلعلّنا لا نُغالي إذا ما أقررنا بصريح العبارة وقلنا إنّ أغلب النّقاد المغاربة وفي مُقدِّمتهم رشيد بن مالك، عبد الحميد بورايو، السعيد بوطاجين، قادة عقاق، نبيلة زويش من الجزائر، ومحمد الناصر العجيمي، عبد المجيد نوسي مِن تونس، سعيد بنكراد مِن المغرب اعتمدوا الآليات الغريماسية في مقارباتهم السيميائية لقدرتها الفائقة على اسْتِكناه أسرار النّص.

وإلى جانب ما سُقناه من ملاحظات خاصّة حول واقع السّيميائية السّردية في كلّ مرحلة على حدة سجّلنا مُلاحظات أخرى عامة عن واقعها من بداية الاهتمام بها من الثّمانينيات إلى

[1]: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص165.

غاية تمثُّلها واعتمادها كمنهج نقدي يُعتد به في العديد من المُقاربات النّقدية نوجزها فيما يأتي عرضه:

– هناك حضور مُحتشم للمُنجز النّقدي المشرقي مُقارنة بالمُنجز النّقدي المغاربي، ولعلّ مِن جُملة الأسباب الكامنة وراء ذلك تمكّن النُّقاد المغاربة مِن اللّغة الفرنسية وإجادتهم لها كسعيد بنكراد، محمد الناصر العجيمي، محمد مفتاح، رشيد بن مالك، السعيد بوطاجين وغيرهم مِمَّن شهِدت لهم السَّاحة النّقدية المغاربية بصنيعم، وزيادة على ذلك أنّ أغلب النُّقاد الأوائل الّذين تبنّوا الفكر الغريماسي وآثروا الاهتمام بالسّيميائية السّردية والاشتغال عليها كانوا مغاربة تتلمذوا على يد أعلام المدرسة الباريسية مثل "غريماس"، و"كورتيس" وغيرهم من أعلام النّقد السّيميائي السّردي، وكانوا مُقتنعين بنجاعة تطبيقها على مُختلف النّصوص السّردية بغض النّظر عن جِنسها، دون أن ننسى المُثاقفة الحضارية وما تمخّض عنها من هِجرة العديد مِن المقولات النّظرية للسّيميائية عامة والسّيميائية السّردية على وجه التّحديد إلى الرّقعة المغاربية.

– أغلب المُقاربات السّيميائية الّتي تمّ إنجازها كانت تتمّ على مُستوى النّصوص السّردية وقلّما نعثر على ناقد اعتمد آليات التّحليل السّيميائي السّردي على نص شعري باستثناء ما كان مع "محمد مفتاح"، "عبد الملك مرتاض"، و"راضية لرقم"، ولعلّ مردّ ذلك يعود حسب ما أشار إليه "محمد فليح الجبوري" إلى "تصوّر الناقد العربي بأنّ المنهج السّيميائي هو منهج دراسة السرّد ولا يصلح لدراسة الشّعر إلاّ إذا توفّرت بعض عناصر السّرد في النّص الشعري"[1].

– تصريح أغلب النّقاد المغاربة في مُؤلّفاتهم النّقدية ابتداء من التّسعينيّات بأنّهم سيعتمدون آليات التّحليل السّيميائي السّردي (الغريماسي) في دراستهم على نحو ما لاحظناه مع "محمد الناصر العجيمي"، "رشيد بن مالك"، "سعيد بنكراد" في مقدّمة مُؤلّفاتهم، وأيضا "جميل شاكر" و"سمير المرزوقي"، الأمر نفسه نجده مع عبد المجيد نوسي في مُقدّمة كتابه "التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة" قائلا "أمّا المرجعية النّظرية الّتي سنستند

[1]: المرجع السّابق، ص164.

إليها في تحليل رواية اللّجنة فهي السّيميوطيقا السّردية مُمثّلة في أعمال المدرسة الفرنسية وخصوصا أعمال غريماس، ونهدف في هذا المستوى إلى تبنّي المنهج السِّيميوطيقي برُمَّته"[1].

وإلى جانب هؤلاء نجد أيضا السعيد بوطاجين، قادة عقاق، نبيلة زويش وغيرهم مِمَّن أبوا إلاّ أن يُصرِّحوا منذ البداية بالمنهج الّذي سيعتمدونه في دراستهم ابتداء من أولى مراحل اهتمامهم بالسّيميائية كمنهج نقدي مُعاصر استُقبِل في السّاحة النّقدية العربية على شكل بُحوث ودراسات وترجمات وبدرجات مُتفاوتة في الثّمانينيّات، واستمر استقباله على هذه الشّاكلة إلى أن وصل إلى ما هو عليه في الألفية الجديدة – بعدما كان غيرهم من النّقاد في وقت مضى وبالتّحديد فترة الثّمانينيات ينادون بالتّعددية المنهجية (المنهج البنيوي، التفكيكية، الشعرية...) بحجّة أنّ اعتماد منهج نقدي واحد لا يفي بالغرض– خاصّة بعدما تمّ:

– فتح العديد من المخابر المُختصة بالدّرس السّيميائي عامة والسّردي على وجه التّحديد، وبالاشتغال عليه كمخبر بنغازي في ليبيا، ومخبر السيميائيات وتحليل الخطاب.

– تنظيم العديد من المُلتقليات والنّدوات أبرزها ما كان في المغرب والجزائر، ويُعدّ ملتقى "السّيمياء والنّص الأدبي" أول ملتقى يُعقد ويُطبع لاحقا على شكل كتاب.

– تأسيس مجلاّت علمية سيميائية مُحكمة كمجلة علامات وسِمات وغيرها وفتح مواقع إلكترونية أشهرها موقع الناقد المغربي سعيد بنكراد.

وإلى هنا نكون قد كشفنا عن بعض الجُهود النّقدية المغاربية الّتي كان لها الفضل الكبير في التّعريف بالسّيميائية السّردية، كـ"رشيد بن مالك"، "عبد الحميد بورايو"، "عبد المجيد نوسي"، "سمير المرزوقي" و"جميل شاكر"، "محمد الناصر العجيمي"، "سعيد بنكراد" الّذين عُدّت مؤلفاتهم اللّبنة الأساسية الّتي انبثق منها فيما بعد الدّرس السّيميائي السّردي المغاربي، واستمد منه أساسياته.

[1]: عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي(البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص5.

المبحث الثاني: مرجعيات تشكّل التّفكير السِّيميائي السّردي المغاربي وآلياته

كثيرا ما يستدعي الكشف عن المرجعية الّتي ساهمت في تشكّل النّظرة النّقدية المغاربية والإجابة عمّا سلف إثارته من تساؤلات التّوقف قليلا عند عتبة المُنجز النّقدي المغاربي لعدد من النقاد المغاربة، ولسنا نرمي من خلال هذا الكشف إلى تِعداد وتِبيان نوع المناهل الّتي نهلوا منها بقدر ما نرمي إلى استخلاص أوجه التّشابه والاختلاف والسّعي إلى تقديم بُعد أوسع لمُختلف المصادر الّتي استقوا منها مادّتهم النّقدية وإظهارها في صورة شاملة تمنحها قوّة الإيحاء والعطاء، خاصّة وأنّها تُشكِّل عتبة نقدية تعريفية مِن موقع مُغاير للعُنوان كونها تُحيل القارئ على مدى اطلاع النّاقد على الكُتب المُجدية في المنهج الّذي استند إليه، وتُمكِّنه مِن التّعرّف على الثّقافة العلمية الّتي جعلها مرجعيته في إجرائه، وافتقار المصادر للمراجع الثّقافية أو السّياسية أو الاجتماعية في إجراء نقدي سيميائي سيكون مُؤشِّرا على نقص في المعلومة[1].

مِن هنا يبرز مسعانا الحثيث في إماطة اللّثام عن مُختلف المصادر والمراجع الّتي استمدّ منها مُختلف النّقاد المغاربة أفكارهم ونظريّتهم السّيميائية وإجراءاتهم النّظرية والتّطبيقية منها، وإجراء مُوازنة بينهم لاستخلاص أوجه التّآلف والتّخالف تبعا للأسُس الابستمولوجية المُعتمدة من قبل كلّ واحد منهم بُغية تِبيان مرجعياتهم النّقدية والمعرفية وحُجّتنا في هذا أنّه لا يُمكن الحديث عن مشروع نقدي لا يزال قيد التّأسيس دون الحديث عن المصادر الّتي نهلوا منها وساهمت في بلورة رُؤاهم، أو إقامة أيّة مُقاربة لهم دون العودة إلى المُؤثّرات الفكرية والخلفيات المعرفية التي أحاطت بهم وأثّرت فيهم.

ولأنّ الوقوف عند جميع النّقاد المغاربة الّذين كان لهم اهتمام واضح بالسّيميائية السّردية أمر مُتعذِّر نوعا ما في هذا البحث، سنقصر دائرة اشتغالنا على ناقد واحد من كلّ بلد مغربي على النحو الآتي عرضه:

- **الجزائر:** سنعتمد فقط على أعمال وجُهود النّاقد رشيد بن مالك في حقل السِّيميائية السّردية.

[1]: ينظر: د.آراء عابد الجرماني، اتجاهات النّقد السّيميائي للرّواية العربية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2012، ص98.

– **تونس:** سنعتمد فقط على أعمال وجهود النّاقد محمد النّاصر العجيمي في حقل السِّيميائية السّردية.

– **المغرب:** سنعتمد فقط على أعمال وجهود النّاقد سعيد بنكراد في حقل السِّيميائية السّردية.

وأبرز ما كان يقف وراء انتقائنا لهؤلاء النّقاد دون غيرهم اشتراكهم في عدد مِن النّقاط أثقلها نَهلهم مِن مُنظِّري السِّيميائية السّردية فترة تواجدهم في فرنسا واحتكاكهم بهم كغريماس وكورتيس، آن إينو، ميشيل آرييفييه وآخرون دون أدنى صُعوبة لتمكّنهم مِن اللّغة الفرنسية مقارنة بالنّقاد المغاربة الآخرين الّذين لم يكن لهم احتكاك مُباشر بمُنظِّري السِّيميائية السّردية على الرّغم مِن تمكنهم من هضمهم واستيعابهم لها في كثير من النّواحي كمحمد عبد الحميد المالكي ومحمد مفتاح وعبد المجيد نونسي، ولا نُغالي إذا ما قلنا إنّهم يُعتبرون مِن الأوائل الّذين تبنّوا آليات التّحليل السّيميائي السّردي وحاولوا تطبيقه في السّاحة النّقدية المغاربية، ولنا فيما يأتي وقفة عند أهم وأبرز المصادر والمراجع الأساسية الّتي تواتر ذكرها في أعمالهم وفي الاتّجاهات العامة الّتي أثّرت في مُناخِهما الفرنسي الباريسي الّذي نهلوا منه ثقافتهم الحداثية وكانت سببا في بلورة تفكيرهم النّقدي.

لكن قبل هذا وحتّى لا نُتَّهم بِالقصور المنهجي لعدم التّوافق للوهلة الأولى بين عنوان الجزء الثّاني مِن الفصل الثّاني الموسوم بـ"**مرجعيات تشكل التفكير السيميائي السردي المغاربي وآلياته**"، ومَتنِه الّذي سنفتتحه بالحديث عن مختلف المصادر والمراجع الّتي اتخذوها –النقاد (رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد)– منبعا لهم لسبر أغوار النّظرية السّيميائية السّردية لابد من التّنويه إلى أنّنا تعمّدنا إدراجها على تلك الشاكلة انطلاقا من قناعتنا بأنّ كلّ وعي بشيء ما هو بالضرورة وعي بشيء آخر وأنّ أغلب الكّتب الّتي اعتمدها هؤلاء النّقاد تُعدّ بمثابة الخلفية المعرفية واللّبنة الأساسية الّتي ساهمت في تشكُّل التّفكير السِّيميائي النّقدي لديهم، ولعلّ ذلك راجع في جزء منها إلى هاجسهم المُرتبط بالرّغبة الجامحة إلى التأصيل للمدرسة الباريسية السّيميائية سواء مِن خلال طرح رُؤيتهم الخاصّة أو من خلال ترجمتهم لنُصوص أعلامها هذا من جهة، ومن جهة أخرى ونحن نبحث عن المفهوم الاصطلاحي

للمرجعية وجدنا أنّه لا وُجود "لذلك اللّفظ في كتب اللّغة القديمة، ولكنّه في هذا العصر مُستعمل بكثرة، كقولهم(معنى مرجعي) و(وظيفة مرجعية) و(خطأ مرجعي) و(نظرية المرجعية) و(مؤشر المرجعية)، ونحو ذلك مِن الألفاظ المُتداولة في حقل الكتابات الفكرية والأدبية وغيرها"[1].

وبالعودة والتّأمل في أقوال العلماء والمفكّرين وأصحاب المذاهب والاتّجاهات المُختلفة وجدنا أنّه يُستعمل في ثلاثة مُستويات:

المستوى الأول: ويُراد بها الإطار الكلّي والأساس المنهجي، والرّكيزة الجوهرية في أيّ خطاب، أو مِلَّة، أو مذهب، أو دستور، أو نظام، وهذا هو المستوى الأكبر من حيث العلو والعمومية والشّمول والاستيعاب.

المستوى الثاني: وتعني مجموع المصادر والمستندات والأدلّة الّتي يُعتمد عليها لتكوين أيّ نوع من أنواع المعرفة.

المستوى الثالث: ويشمل مُمثِّلي المرجعية وهم الأشخاص الّذين يُعاد إليهم في الشّؤُون العلمية أو العملية؛ فمثلا "داروين" و"نيتشه" و"فرويد" من مرجعيات الفكر المادي ونِتاجهم يُعدّ من الأصول المعرفية للدنيوية المعروفة اصطلاحا بالعلمانية، والصّحابة مرجعية لأهل الإسلام، وأرسطو مرجعية لأهل الفلسفة[2]، وبناء على هذا يمكن القول إنّ المرجعية في مفهومها الشامل تعني "الإطار الكُلّي والأساس المنهجي المُستند إلى مصادر وأدلّة مُعيّنة لتكوين معرفة ما أو إدراك ما، يُبنَى عليه قول أو مذهب أو اتّجاه يَتمثَّل في الواقع علما أو عملا"[3].

وعليه فإنّ إحالتنا لمُختلف المصادر والمراجع الّتي اعتمدها هؤلاء النّقاد سيكون بهدف كسب ثقة المتلقي واستدراجه إلى خبايا المُؤَلَّف الجديد؛ ذلك أنّ مراجع الكتاب ومصادره، تُكسبه مصداقية أكبر عند القارئ، لأنّ أهمية المُؤَلَّف وقيمته تتحدّد غالبا بالمصادر الّتي اعتمدها في

---

[1]: سعيد بن ناصر الغامدي، المرجعية(معناها، أهميتها وأقسامها)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشّريعة والدّراسات الإسلامية، العدد 50، رجب 1431، ص378.

[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص380/381.

[3]: المرجع نفسه، ص382.

دراسته؛ ونعني بالمصادر هنا مجموع "الأبحاث التي انطلق منها الباحث أو استند إليها للوصول إلى نتائج معيّنة، ويندرج في هذا السّياق إحالات الباحث إلى غيره من الباحثين المُشتغلين بنفس القضية، أو العاملين معه في نفس الحقل، أو في حقول معرفية أخرى يكون في حاجة إليها"[1]، وفيما يأتي عرض لمُختلف المصادر الّتي تواتر اعتمادها مِن قبل كلّ ناقد على حدة، وقد آثرنا اعتماد مصطلح "تواتر" حتّى نُبيّن للقارئ أنّنا لن نقوم بعملية جرد وإحصاء لجميع المصادر الّتي اعتمدوها بل سنكتفي بذكر ما كثُر اعتمادهم عليها فقط.

1- مصادر رشيد بن مالك العلمية ومرجعياته الإبستمولوجية

يُعدّ رشيد بن مالك من النّقاد الجزائريّين الّذين أولوا عناية فائقة بالسِّيميائية السّردية ترجمة وتنظيرا وتطبيقا وتأطيرا إلى جانب السعيد بوطاجين، عبد الحميد بورايو وآخرون مِمّن شُهد لهم بذلك وهو ما أشاد به النّاقد بشير تاوريت قائلا بأنّه: "واحد من أساطين التّأسيس للسِّيميائية السّردية في الجزائر"[2]، وحتّى الباحثة الفرنسية آن إينو هي الأخرى أشادت بقُدرته وتمكُّنه مِن المنهج السيميائي قائلة:" ولقد أدرك الأستاذ رشيد بن مالك منذ الوهلة الأولى مُجمل المشروع السِّيميائي بكلّ متطلباته وصعوبته"[3].

وأكيد أنّ مردّ ذلك يعود لما ألّفه مِن منجزات علمية وما ألقاه من محاضرات وعقَده من ملتقيات وندوات تعكس بصورة مباشرة رغبته الجامحة في خلق سيميائية سردية عربيّة والعمل على تطويرها وترسيخ جهازها المفاهيمي في البحث النّقدي العربي، والعمل على ترويض الصّعاب وتذليلها حتّى نُشيد به نحن أيضا، وفيما يأتي تِعداد لأبرز مؤلفاته النّقدية المطبوعة فقط في كتب بما فيها المترجمة أيضا، دون الوقوف عند مختلف المقالات المنشورة هنا وهناك

---

[1]: مصطفى غلفان، اللّسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم4، سنة1998، ص92.

[2]: بشير تاورييت، الحقيقة الشّعرية على ضوء المناهج النّقدية المعاصرة ونظريات الشّعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن،2010، ص141.

[3]: آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص66.

لعدم احتوائها على أفكار جديدة ومُغايرة لما هو موجود في الكتب الّتي سنأتي على ذكرها والمنهجية نفسها سنعتمدها مع باقي النّقاد لاحقا:

– قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص، عربي، إنجليزي، فرنسي،2000، الذي انتهى من تأليفه نهاية 80 ولم يكتب له النشر إلاّ في 2000.

– مقدّمة في السِّيميائية السّردية 2000.

– البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية 2001.

– السِّيميائيات السّردية 2006.

– السِّيميائية (الأصول، القواعد، التاريخ) 2008 لآن إينو وآخرين.

– من المعجميات إلى السيميائيات 2014.

ومِمّا لا يغيب على مَن يطّلع على مُختلف المصادر الّتي اعتمدها في تأليفه لها أنّ غالبيتها يندرج ضمن قائمة المصادر الأجنبية الفاعلة في حركة النّقد السِّيميائي عامة والسِّردي على وجه التّحديد كما هو موضّح في الجدول أدناه:

مؤلفاته وترجماته	مجموع المصادر والمراجع التي اعتمدها رشيد بن مالك						
	م.م عربية	م.م فرنسية	مجلات ودوريات بالعربية	مجلات ودوريات بالأجنبية	قواميس ومعاجم بالعربية	قواميس ومعاجم بالعربية	م.م مترجمة
قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص،	13	54	/	7	8	7	/

عربي، إنجليزي، فرنسي							
مقدّمة في السيميائية السردية	8	20	7	/	3	2	2
البنية السردية في النظرية السيميائية	3	40	/	/	/	2	1
السّيميائيات السردية	16	29	/	/	/	4	3
السّيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ)	19	70	/	/	/	/	/
من المعجميات إلى السيميائيات	20	85	/	/	/	6	4

عرض واستخلاص

لعلّ أوّل مُلاحظة تسترعي انتباه الناظر المتمعِّن لِما أتينا على ذكره في الجدول اكتفاء رشيد بن مالك بالعودة أكثر إلى المصادر الأجنبية على نحو ما هو مُبنْيَن في كتابيْه "السِّيمياء الأصول، القواعد والتاريخ" و"مِن المعجميات إلى السِّيميائيات" اللّذان ضمّناهما نصوصا مترجمة معتمدا في ذلك على عدد كبير من المصادر الأجنبية؛ فمثلا في الكتاب الأوّل اعتمد على ما يفوق تسعة وستين مصدرا باللّغة الأجنبية وعلى أقل من تسعة عشر مرجعا باللّغة العربية فقط، أمّا الكتاب الثّاني اعتمد فيه ما يقارب مائة مرجع باللّغة الأجنبية من كتب نقدية ومقالات وحتّى قواميس، وما لا يزيد عن عشرين كتابا فقط باللّغة العربية حاول من خلالها الاقتراب ثانية مِن البدايات الأولى للبحث السِّيميائي على اعتبار مسبق بأنّ ما انتقاه يُعتبر حاضنا للتّباشير الأولى للدّرس السِّيميائي الباريسي وإطارا عاما له ومِن النّصوص الّتي ترجمها في كِلا المؤلّفين النّقديَّيْن:

– نص لـ"توما برودن"[1] والذي تتجلى أهميته حسبه – رشيد بن مالك– في تتبعه للمسار العلمي الذي قاد أ.ج.غريماس خلال خمسة عشر سنة(1948_ 1963) مِن الدّراسة التّاريخية والاجتماعية للمُفردات الفرنسية إلى البِنيوية التّاريخية ثُمّ الدّلالية البِنيوية.

– نص بعنوان "الموضوعات والمناهج"[2] والّذي يُعد بمثابة مدخل منهجي لدكتوراه دولة الأولى الموسومة بـ"الموضة" في 1830 محاولة وصف المفردات الثّيابية من خلال صُحف مُوضة تلك الحقبة وقد ناقشها أ.ج.غريماس بجامعة السّوربون في سنة 1830.

– نص مأخوذ من رهانات السِّيميائية لـ "آن إينو"[3] تحدّثت فيه عن الرّوح السِّيميائية الجديدة والنِّقاط المعلمية الكبرى للدَّرس السِّيميائي المعاصر.

---

[1]: رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص21.

[2]: المصدر نفسه، ص48.

[3]: المصدر نفسه، ص168.

– مدخل منهجي لقراءة "المعجم المعقلن"[1] لنظرية "غريماس وكورتيس" والّذي قدّم فيه النّقاط المعلمية الكبرى للمعجم مُردفا إيّاه بتحليل مُعمّق لمُصطلحي السِّيميائية والسِّيميولوجيا في المعاجم العامة والمزدوجة.

هذا وكانت له استعانة أيضا بمؤلّفات وترجمات بعض النّقاد الّذين كان لهم نفس الاشتغال كسعيد بنكراد ومحمد الناصر العجيمي وعبد الحميد بورايو وغيرهم وهو ما نلمسه في قوله: "كما التفتنا أيضا إلى بحوث صديقنا الباحث سعيد بنكراد لِما تتّسم به من دقة وتمثُّل واضح للسِّيميائية الغريماسية في كتابه "السِّيميائية السّردية" الّذي يُعدّ إنجازا مُهمًّا في الدّراسات العربيّة"[2]، وأيضا في قوله: "... واعتمدنا أيضا على دراسات عبد الحميد بورايو الذي يُعدّ واحدا من الرّواد المُؤسِّسين للحركة السِّيميائية في الجزائر مِن خلال الدّروس الّتي كان يُلقيها على طلبة معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان في بداية الثّمانينيّات"[3]، فجاءت مصادره متنوعة بين العربي والأجنبي، وبين الأصل والمترجم كما هو الحال أيضا في كتابه "مقدمة في السِّيمائية السّردية" التي نلمس فيها تنوعا في المصادر بين العربيّة الّتي لم يفق عددها عشرة والأجنبية التي قارب عددها أربعة وعشرين مصدرا من كتب نقدية وقواميس ومقالات.

الأمر نفسه نجده في مؤلّفه النّقدي "البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية" الّذي لا نكاد نعثر فيه على أيّ مرجع عربي أو أيّ إشارة لدراسة عربية إلاّ لسعيد بنكراد في معرض حديثه عن تراجعه في ترجمة "الاستعمال" بوصفه مقابلا لـ "manipulation" قائلا:"تراجعنا في هذه الدّراسة عن ترجمة الاستعمال بوصفه مقابلا لـ "manipulation" ذلك أنّنا أدركنا مِن خلال مُعاينتنا لِلوضع للمصطلحي في الدّراسات اللّسانية والسِّيميائية العربيّة الرّاهنة أنّ مصطلح الاستعمال يُوضع في الأعمّ الأغلب كمُقابل لـ "usage" وتبنَّينا بعديا مصطلح "الإيعاز" للدكتور عبد الحميد بورايو وقد تبيَّن لنا أنّه يُحيل فقط على جانب مفهومي واحد في المصطلح (الأمر) ولا يُغطّي مساراته الدّلالية الفرعية، ولِحلّ هذا الإشكال مِلنا إلى استعمال مصطلح "التّحريك"

[1]: رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص179.

[2]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص55 .

[3]: المصدر نفسه، ص54.

للدكتور سعيد بنكراد في كتابه الموسوم بـ "مدخل إلى السِّيميائية السّردية"، وهي التّرجمة نفسها الّتي وضعها أستاذنا الدكتور دانيال ريغ في قاموس السّبيل (لاروس باريس 1983)"[1].

ولعلّ مردّ ذلك راجع لتمكّنه مِن اللّغة الأجنبية ولاحتكاكه الكبير بأعلام النّظرية السِّيميائية، وهو ما لمسناه في مقدمة الكتاب أين قام بتقديم الشّكر للباحث "بيرنار بوتي" الّذي لم يبخل عليه بوقته الثّمين واستجاب له كلما دعت الضّرورة العلمية لذلك على حدِّ تعبيره –رشيد بن مالك–، وفي ترجمته أيضا لِبعضٍ مِن نصوصهم، كترجمته نصّا للباحث السّابق يعرض فيه بالنّقد والتّحليل مسألة تمسّ إشكالية الثّابت والمُتحوّل في البرنامج السّردي انطلاقا من فرضية تطوّرية طبيعيّة وترجمته أيضا نصّا للباحث "جان كلود كوكي (Jean–Claude Coquet)" يحوي السّيرة الذّاتية والعلمية ل أ .ج غريماس[2].

أمّا ثاني ملاحظة فتتعلّق بكيفية تعامل "رشيد بن مالك" مع تلك المصادر الّتي كثيرا ما كان يُصرَّح عن بعضها في الصّفحات الأولى من الكتاب؛ فمثلا نجده في سياق بحثه عن الأصول اللّسانية والشّكلانية الّتي انبنت عليها نظرية غريماس السّيميائية واستمدّت منها مصطلحيَتها العلمية الّتي وقف عندها في كتابه "مقدمة في السِّيميائية السّردية" يشير إلى أنّه أخذ مِن الباحثة "آن إينو"، وهو ما أدلى به قائلا:"(...) يجدر بنا أن نعرض بعض القضايا الهامّة الّتي عالجتها الباحثة آن إينو في مقدمة كتابها الموسوم تاريخ السِّيميائية"[3] وأكيد أنّ ذلك العرض لن يتم دون العودة إلى الكتب الأجنبية.

ومِن الملاحظات الأخرى التي استرعت انتباهنا ونحن نستقرئ مُتون هذه المؤلّفات النّقدية وهوامشها أنّ النّاقد –رشيد بن مالك–:

– كان يعتمد في سياق حديثه عن المصطلحات السِّيميائية وشرحها على بعض القواميس والمعاجم نذكر منها على سبيل التّعميم لا الحصر "قاموس السّبيل" الّذي ألّفه أستاذه دانيال

[1]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص27.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص9/8.

[3]: رشيد بن مالك، مقدمة في السّيميائية السّردية، ص5.

ريغ(Daniel raig) واعتمده لنقل بعض المصطلحات الخاصّة بالبُعد السِّيميائي، و"المعجم المعقلن لنظرية الكلام" الذي اعتمده لترجمة وتحديد بعض المصطلحات السِّيميائية حسب ما أدلى به في كتابه "قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص" قائلا:" وقد عمدت مِن خلال إنجاز هذا البحث المتواضع إلى تحديد مجموعة مِن المصطلحات يمكن أن تشمل مدخلا لفهم إجراءات تحليل النّص ومستوياته الأساسية وإدراك جوهر السّؤال في المُمارسة السِّيميائية، وقد ارتكزت عملية تحديد المصطلح وترجمة شرحه أساسا على "المعجم المعقلن" لنظرية الكلام لـ.أ ج"[1] مع مراعاته لاحتياجات الدّراسات العربيّة وواقعها في هذا المجال.

وكان اعتماده أيضا على "المعاجم اللّسانية والسِّيميائية" لتبسيط ما يراه صعبا على المتلقي العربي وهو ما صرّح به قائلا:"وحاولت في أثناء التّرجمة تجاوز التّعقيدات اللّغوية والمفهومية المُتخلّلة في المعجم بالرّجوع إلى المعاجم اللّسانية والنّصوص السِّيميائية الّتي تُشكّل نقطة ارتكاز مُهمّة لفهم الإنجازات السِّيميائية"[2]، هذا إضافة إلى استعانته بعدد مِن الكتب التّراثية إلى جانب الكتب الحداثية والمعاصرة ككتاب "توضيح المقولات لابن رشد" الّذي اعتمده لتوضيح مبدأ "الاختلاف" الّذي تمثّله غريماس في كتابه "مقدّمة في السِّيميائية السّردية".

– كان كثيرا ما يذكر سبب اعتماده على مصدر دون آخر وهو ما نجده في كتابه "البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية" الّذي اعتمد فيه "قاموس السّبيل" لأستاذه "دانيال ريغ" دون غيره مِن القواميس الأخرى في نقل بعض المصطلحات لعنايته الخاصّة بالبُعد السِّيميائي في نقل المصطلح.

– كان لا يتحرّج ولا يتردّد في التّصريح بالتّرجمات المنشورة الّتي استفاد منها، وهو ما أدلى به قائلا:"استفدت كثيرا من بعض الترجمات المنشورة في الكتب والمجلات العلمية المتخصّصة، واكتفيت بها أحيانا في غياب قنوات التّواصل بين الباحثين مع اقتناعي بأنّ المشروع العلمي لا

[1]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي– إنجليزي– فرنسي)، ص12.
[2]: المصدر نفسه، ص7.

لا يُحقِّق بُغيته إلاّ إذا تحوّل إلى موضوع تحرٍّ جماعي"[1].

وما يُميّز التّرجمات الّتي استفاد منها وضمّنها في مؤلفاته أنّه – رشيد بن مالك – كان في كلّ مرّة تقريبا يذكر السّبب الكامن وراء أخذه مِن ترجمة بعينها دون سواها كما هو الحال في كتابه "السِّيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ" الّذي عقّب فيه على اختياره بحثا للسِّيميائيَّيْن "جون كلود جيرو"(Jean-Claude giro) و"لوي باني" الموسوم بـ "السِّيميائية نظرية لتحليل الخطاب" قائلا: "أثارت انتباهي هذه الدراسة لِما تتّسم به مِن بساطة في الأسلوب وتمثُّل واضح لقواعد النّظرية السِّيميائية وتدعيمها بتمارين تطبيقية يحتكم رصد مستويات التّحليل فيها إلى بناء خاضع لتدرج يرقى به القارئ مِن الملموس إلى المجرد ومِن البسيط إلى المُعقّد"[2].

المِيزة نفسها نجدها أيضا في ثنايا النّصوص الّتي انتقاها للتّرجمة، وهو ما نلمسه في ترجمته لنص بعنوان "السِّيميائية: الصَّيرورة غير مستحبة الجبل الأبيض يتفتت" لـ"بيرنار بوتي"، حيث عرض فيه بالنّقد والتّحليل مسألة تمسّ الثّابت والمُتحوِّل في البرنامج السَّردي قائلا:" تُعدّ هذه الدّراسة مِن البُحوث المُتميّزة الّتي قام بها "بيرنار بوتي" في سبيل استجلاء بعض القضايا النّظرية الّتي تمسّ الصّعيد السَّطحي (المستوى السردي) للنّظرية السِّيميائية"[3] بِوصفها قراءة جديدة للإرث الغريماسي مِن قبل "بيرنار بوتي"؛ هذا الأخير الّذي حاول أن يُثبت أنّ "الصّيرورة قاعدة ضرورية لِكلّ برنامج سردي، وأنّ الفاعل المُنفِّذ الّذي يُعدّ مُحوِّلا للحالات قصد الدُّخول في وصلة بموضوع القيمة (المشروع الغريماسي) ليس في نهاية الأمر إلاّ سببا في التّغيِّير"[4].

الأمر نفسه نجده في ترجمته لنص "جان كلود كوكي" بعنوان "السّيرة الذّاتية والعلمية لـ أ.ج. غريماس"، والّذي حاول من خلاله الكشف عنِ التّوجّهات العلمية لـ"غريماس" وإسهاماته المُتنوعة في تخصّصات مُختلفة بعدما أشار أوّلا إلى سبب التّرجمة قائلا:"يُعدّ هذا النّص الّذي

---

[1]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي)، ص 12.

[2]: آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التاريخ)، ص1.

[3]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص44.

[4]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

نقدّم ترجمته للقارئ العربي رصدا لأهمّ منجزات الحركة السِّيميائية ذات التّوجه الغريماسي؛ مِن حيث التّأريخ لها، وتجلية أرضيتها البحثية، والتّوجهات العلمية الّتي مهّدت لظُهورها، والجمعيات الدّولية الّتي تبنّت طروحاتها ومراكز البحث التّابعة لها؛ وذلك من خلال السِّيرة الذّاتية والعلمية للباحث أ ج غريماس الّذي يُعدّ واحدا مِن المُؤسِّسين البارزين للسِّيميائية"[1].

دون إغفال ترجمته المُعنونة بـ "السِّيميائية مدرسة باريس" والّتي اعتبرها رشيد بن مالك من أهم الإنجازات لجُملة من الاعتبارات أهمها:

– افتقار المكتبة العربية إلى المُؤلفات المُتضمّنة الأصول العلمية الّتي مهّدت لظهور السِّيميائية.

– إشكالية ومشقة فهم المصطلحات والمفاهيم دون الرّجوع إلى الخلفيات المعرفية.

– صُعوبة فك الفوارق المنهجية والمفهومية والمصطلحية الّتي ستتعسّر على القارئ العربي مالم يَعد إلى أصولها المنهجية، وفي اعتقادنا أنّ هذه الاعتبارات الّتي أخذها بالحسبان هي الّتي كانت وراء إقدامه على تلك التّرجمة قبل وفاة غريماس وهو ما استخلصناه من قوله:"لهذا كلّه أقدمت على ترجمة هذا النّص بعد أن عرضْته على جان كلود كوكي في بداية التّسعينيّات بباريس قبل وفاة أ. ج غريماس في فبراير 1992"[2].

وما أضفى على مُؤلفاته سِمة التَميُّز والانفراد إضافة إلى ما سبق أنّه كان شديد الحرص على توخِّي السّهولة في كثير من ترجماته لأنّه على دراية مسبقة بأنّ "القارئ العربي يَلقى مشقَّة كبيرة في فهمها وتمثُّلها واستساغتها وفك رموزها ومصطلحاتها (...) عند مقاربته الفهم والتّطبيق (...) وكثيرا ما ترد النّصوص المترجمة بلغة عربية مُفكّكة يغلب عليها الغموض والتّضارب في الأفكار والخلط بين المفاهيم واستعمال مصطلحات مضطربة لا يُولي أصحابها عواقبا

[1]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص54.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لوضعها"[1]، فمثلا في ترجمته لكتاب "السِّيميائية، الأصول، القواعد، التاريخ" لـ"جان كلود كوكي" وآخرون كان حريصا على مدّ القارئ بالمصطلحات الّتي تتناسب وإدراكه والّتي تُمكّنه في الآن ذاته مِن الإلمام بالسِّيميائية السّردية وبمُختلف مفاهيمها النّظرية والتّطبيقية.

مُلاحظة أخرى نضيفها إلى ما سبق مفادها أنّ أغلب ما اعتمده رشيد بن مالك من مراجع في مؤلّف نقدي بعينه نجده يتكرّر في مؤلّف نقدي آخر، وفي الجدول الآتي عرض لأبرز المراجع الّتي كان لها حضور دائم في في جميع مؤلفّاته النّقدية تقريبا:

المراجع الّتي تواتر وتكرّر اعتمادُها في جميع المؤلّفات النّقدية عند رشيد بن مالك
أوّلا: المراجع النّقدية الأجنبية
Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Dictionnaire de Didactique de langues. Essais de sémiotique poétique. Du Sens1. Du Sens 2. Morphologie du cont. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage. Introduction à la sémiotique narrative et discursive. Analyse sémiotique du discours. Histoire de la sémiotique. Sémiotique L' école de Paris. Sémantique structurale. Cours de linguistique générale.

[1]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص12 .

ثانيا: المراجع النقدية العربية

- دانيال ريغ، قاموس السبيل، لاروس.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي.
- سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها.
- سعيد بنكراد، ممكنات المنهج ومحدودية النص.
- تحليل النص السردي.

استنادا على هذه الملاحظات وانطلاقا مِن وقوفنا عند مُختلف المصادر الّتي اعتمدها رشيد بن مالك لترجمة توجُّهِه النّقدي، واطلاعنا على مُتون مُختلف مؤلّفاته النّقدية خلُصنا إلى أنّ هناك مرجعيَّتين أساسيَّتين ساهمتا في تشكُّل الوعي السِّيميائي الغريماسي لديه وهما المرجعية العربية والمرجعية الغربية؛ فأمّا الأولى فتَتجلَّى في جُهود أقرانه مِن النُّقاد المغاربة الّذين كان لهم نفس التّوجه والاهتمام بما جاء به غريماس يُشيد بجهودهم تارة ويُعقّب على ما لا يراه يتوافق والطّرح الغريماسي تارة أخرى كالمرجعية العجيمية(محمد الناصر العجيمي)، والبنكرادية(سعيد بنكراد)، وأمّا الثّانية فتكمُن أساسا في المرجعية الشّكلانية الرُّوسية الّتي أبدى رشيد بن مالك تأثّرا واضحا بها في مُحاولة مِنه للتّنظير للنّظرية السِّيميائية في كتابه "مقدِّمة في السِّيميائية السّردية" الّذي قام فيه بدراسة الأصول اللِّسانية والشّكلانية الّتي انبنَت عليها النّظرية السِّيميائية، لأنّه لا يُمكن في نظره رصدُ "الأصول العلمية للبحث السِّيميائي بقَطْع النّظر عن المظهر التَّنظيري العام لبُحوث الشّكلانيّين الرّوس الّتي ظهرت خِلال الحِقبة المُمتدة مِن 1915 إلى 1930 والمُتميِّزة بمبدأ أساسي قائم على مُعارضتهم للمناهج التّقليدية ودراسة الأدب بوصفه مجموعة شكليَة تحكمها قوانين خاصّة مع التّركيز على العناصر النّصية والعلاقات المُتبادلة بينها وعلى الوظيفة الّتي تُؤدِّيها في مُجمل النّص"[1] انطلاقا من قناعة مفادها أنّ التّأريخ للحركة السِّيميائية بوصفها مشروع بحث في طور الإنجاز ضروري لوضعها في سياقها التّاريخي وضبط معالمها الأساسية والكشف عن النّظريات الّتي مهّدت لظُهورها وهذه العملية كفِيلة

[1]: رشيد بن مالك، مقدمة في السّيميائية السّردية، ص29.

بتوجيه القارئ نحو أصولها مباشرة؛ إذ بِدُونها سيجد لا محالة مشقَّة كبيرة في اسْتساغة هذه النّصوص السِّيميائية الّتي تكادُ تكون مُعقّدة في قراءتها حتّى على المتخصِّين[1]، وهو ما يُفسّر اعتماده –رشيد بن مالك– على ما جاء به "فلاديمير بروب"، وعلى ما قدّمه من دعم منهجي للمُقاربة السِّيميائية من خلال كتابه "مورفولوجية الحكاية" الّذي يُعدّ مِن أهمّ الكتب الحاسمة في تطوّر الدِّراسات البِنيوية والسِّيميائية والنّموذج الأكثر نُضجا في بُحوث الشّكلانيِّين الّذي يستمد قُوَّته الإجرائية مِن مُرونته وقابليَة تطبِيقه على النّصوص السّردية.

وما لاحظناه أنّ ارتكاز "رشيد بن مالك" على المرجعية الشّكلانية للتّأصيل للنّظرية السِّيميائية السّردية لم يكن عبثا، بل كان يرمي من خلالها إلى مُناقشة النّموذج العاملي لغريماس بوصفه استثمارا مُكثّفا للنّموذج الوظائفي البروبي الّذي يستمد قوّته الإجرائية مِن مُرونته وقابلية تطبيقه على النّصوص السّردية، وأهميّته المنهجية وفائِدته العلمية في قُدرته على إبراز مبدأ الاختلاف على طول الخط السّردي[2].

وإلى جانب المرجعية الشّكلانية، هناك أيضا المرجعية اللّسانية الّتي لطالما شكّلت الأرضية الخِصبة للتّفكير السّيميائي وبالأخص لسانيات فريديناند دي سوسير، واعتمدها الكثير من المُشتغلين عليها لتِبيَان المبادئ والأسُس الّتي تقوم عليها النّظرية السِّيميائية الغربية على وجه العموم واللّسردية على وجه التّحديد، وهو ما كان سببا في إجماع الكثير مِن الدّارسين والمُهتمِّين بها على أنّ "المعرفة اللّسانية عمّقت الخطاب النّقدي السّيميائي وأغنت لُغته وأسهمت بقوُّة في انسجام مقولاته وتوحيد مفاهيمه وصكّ مصطلحاته، انطلاقا مِن كونه امتدادا لها وتطويرا لآلياتها"[3] والتأكيد على أنّ" مقال الرّاهنية السوسيرية يُمثّل نقطة انطلاق للسِّيميائية"[4]، وهو ما نستخلصه مِن مُختلف مؤلفاته الّتي كان يرمي مِن خلالها إلى إبراز مالها من دور كبير في تشكُّل السِّيميائية السّردية الغريماسية ككِتاب "مقدّمة في السِّيميائية السّردية" الّذي حاول من

---

[1]: المصدر السّابق، ص6.

[2]: المصدر نفسه، ص30.

[3]: قادة عقاق، السّيميائيات السّردية (أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، ص23.

[4]: آن إينو وآخرون، السّيميائية(الأصول، القواعد، التاريخ)، ص35.

خلاله التّطرّق إلى بعض القضايا اللّسانية والشّكلانية على نحو يُفضي به في نهاية المطاف إلى رُؤية تحليلية كاشفة عن مجموعة مِن القواعد الخلفية للنّظرية السِّيميائية[1]، وعن بعض المصطلحات والمفاهيم كمبدأ المحايثة (immanence) الّذي تخضع فيه الدّلالة لقوانين داخلية خاصّة مُستقلَّة عنِ المُعطيات الخارجية، وقد كرّسه فرديناند دوسوسير في كتابه "دروس في اللّسانيات العامة" في سِياق حديثه عن استقلالية اللّسانيات في موضوعها ومنهجها، واعتمده رشيد بن مالك في معرض حديثه عن المبادئ الأساسيّة الّتي اعتمدتها السِّيميائية السّردية لتشكيل حُدود ومسار التّحليل السِّيميائي السّردي للنّصوص ولدراسة التّجليات الدّلالية مِن الدّاخل[2].

ومبدأ "الاختلاف" الّذي أرسى قواعدُه "فرديناند دوسوسور"، واستعمله للدّلالة على أنّ المفاهيم المُتباينة تكون مُعرَّفة ليس بشكل إيجابي مِن مضمُونها وإنّما بشكل سلبي مِن علاقتها مع العناصر الأخرى للنّظام، ليَتمثّله لاحقا "غريماس" داخل تصوُّر جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدّلالية استيعاب الاختلافات المُنتِجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعتها في إطار بِنية تُدرَك بحُضور عنصُريْن على الأقل تربطهما علاقة ما بطريقة أو بأخرى[3]، ويعتمده "رشيد بن مالك" في العديد مِن مُؤلّفاته النّقدية لبيان كيفية الكشف عن البِنية العميقة للنّص السّردي، ولم يقتصِر اعتماد "رشيد بن مالك" على هذين المبدأين، بل كان له اعتماد واستفادة مِن مفاهيم أخرى كالملفوظ السّردي(énoncé narratif)، وغيرها مِن المفاهيم والمصطلحات الأخرى الّتي دعا إلى ضرورة فحصها والوُقوف عندها في النّظرية السِّيميائية السّردية.

دون أن ننسى المرجعية السِّيميائية والمُمثّلة بصُورة واضحة في أعمال ومؤلّفات "غريماس وكورتيس" وبالتّحديد مؤلّفهُما المشترك الّذي ضمّ عددا مِن مفاهيم السِّيميائية السّردية.

---

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدمة في السّيميائية السّردية، ص35/36.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص9.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص10.

2 – مصادر سعيد بنكراد العلمية ومرجعياته الفكرية

يُعدّ الناقد سعيد بنكراد واحدا من النّقاد المغربيّين الّذين تمكّنوا من سبر أغوار السِّيميائية وأسئِلتها ومجالاتها تنظيرا ومُمارسة لاسيما السِّيميائية السّردية، وواحدا مِن الّذين كان لهم الفضل في تشكيل حلقة بحث مُهمّة في تاريخ الدّرس السِّيميائي السّردي المغاربي وفتح آفاق معرفية جديدة تتَّسم بعُمق النّظر وشساعة التّأويل، إذ يكفي أن يطّلع أيّ واحد على مُؤلّفاته حتّى يلفيها –مؤلفاته– تحوي زخما معرفيا ثريّا حاول مِن خلالها التّأسيس للسِّيميائية الغريماسية ومنها:

- السِّيميائيات السّردية مدخل نظري 1994.
- مدخل إلى السِّيميائيات السّردية 2003.
- سيميوولوجية الشّخصيات السّردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا) 2003.

هذا بالإضافة إلى ترجمته مقالا لـ:أ.ج غريماس بعنوان "السِّيميائية السّردية، المكاسب والمشاريع" سنة 1991.

ميزة أخرى نُضيفها إلى هذه المؤلّفات مفادها أنّ القارئ لها لن يبذُل جُهدا كبيرا حتّى يُدرك أنّ سعيد بنكراد حاول تطبيق إجراءات السِّيميائية السّردية وِفق رُؤية غريماسية بحتة تأتَّت له من اعتماده على عدد لا بأس به مِن المصادر العربية والأجنبية وهذا الأخير أغلبها حسب ما يُوضّحه الجدول أدناه:

مؤلفات وترجمات سعيد بنكراد	مجموع المصادر والمراجع التي اعتمدها سعيد بنكراد						
	م.م عربية	م.م فرنسية	مجلات ودوريات بالعربية	مجلات ودوريات بالأجنبية	قواميس ومعاجم بالعربية	قواميس ومعاجم بالأجنبية	م.م مترجمة
"السِّيميائية	/	2	/	/	/	/	/

السّردية، المكاسب والمشاريع"							
السِّيميائيات السّردية (مدخل نظري)	/	89	/	/	/	2	/
مدخل إلى السِّيميائيات السّردية	2	30	/	/	/	2	/
سيميولوجية الشّخصية السّردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا).	2	33	/	/	/	1	/

عرض واستخلاص

أبرز ما يمكن استخلاصه انطلاقا مما أوردناه في الجدول أعلاه أنّ سعيد بنكراد:

– لم يعتمد كثيرا على المراجع العربية مُقارنة بالمراجع الأجنبية على نحو ما لاحظناه في كتابه "مدخل إلى السِّيميائية السّردية" الّذي اعتمد فيه ما يُقارب تسعين مرجعا أجنبيا وقاموسين، والحال ذاته نَلفيه مع باقي مُؤلّفاته النّقدية بالرّغم مِن توافر السّاحة النّقدية المغاربية على بعض

المُنجزات النّقدية الّتي أولى أصحابها عناية فائقة بها كرشيد بن مالك، عبد المجيد نوسي، عبد الحميد بورايو وآخرون.

ومردّ ذلك راجع لعدم قناعته –سعيد بنكراد– بما جادت به أقلام النّقاد المغاربة في بدايات تلقّي وتشكّل الدّرس السِّيميائي السّردي المغاربي وحُجّتنا في ذلك قوله:" إنّ المتصفّح للمنشورات الصّادرة في المغرب أو في بعض الأقطار العربية الأخرى يدرك بشكل جلي هذا القصور، فغالبا ما تكون هذه المنشورات عبارة عن ترجمة لمقالات أو أجزاء مِن كتب، وأحيانا تعاليق مُختصرة عن نظرية مجموعة مِن النّظريات، ورغم أهميّة هذه المنشورات وقيمتها التّعليمية فإنّها تظل ناقصة (ومُضلّلة أحيانا)، لأنّها تُقدّم مفصولة عن أسُسها الابستمولوجية، وعن المناخ الّذي وُلِدت فيه، الشّيء الّذي يجعل القارئ عاجزا في أغلب الأحيان عن إدراك الفروقات والاختلاف بين هذه النظرية أو تلك، بين هذا المفهوم أو ذاك، كما لا يُدرك كيف أنّ المصطلح الواحد قد ينتمي إلى مدراس مُتعدّدة، حاملا مضامين ودلالات متنوّعة"[1] مامن شأنه أن يُعسِّر الفهم أكثر.

– كان يعتمد في كثير من الأحيان على الكتب بِلُغتها الأصلية لأهمّ أعلام السّيمياء مثل رولان بارت، كورتيس وغريماس وغيرهم لاتّصالها الوثيق بموضوع البحث في السِّيمياء وإفادته منها في دراساته مُركّزا على إنتاج بعض الكُتّاب ونادرا ما كان يعتمد على الكُتب المترجمة لتمكّنِه مِن اللّغة الأجنبية، نذكر منها على سبيل التّمثيل:

- Introduction à l’analyse structural des récits , Barthes Roland.
- Sémiotique littéraire : contribution à l’analyse sémantique du discours , Coquet (Jean-claude).
- Introduction à la sémiotique narrative et discursive , Coquet (Jean-claude).
- Maupassant, La sémiotique du texte, Greimas.
- dictionnaire, Raisonné de la théorie du langage, Greimas.

[1]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص5.

– لم يقصر دائرة مراجعه على النّهل فقط مِمّا أفرزته المدرسة الفرنسية الأروبية بل حتّى من المدرسة الأمريكية مُتأثِّرا في ذلك بما جاء به كل مِن "بيرس" في كتابه" Ecrits sur le singne" حول العلامة – وكأنّ به يُحاول الجمع والمزج بين الفكر الغريماسي والفكر البيرسي– وإمبيرتو إيكو.

– كان يعتمد تقريبا على نفس المراجع في جميع مؤلّفاته النّقدية الّتي تصب في صميم السِّيميائية السّردية، وهي نفس المُلاحظة الّتي سجّلناها عند "رشيد بن مالك"، ولعلَّ الشّيء المُميَّز واللاّفت للانتباه أنّه بالرّغم من اعتمادهما معا في مُتون مؤلّفاتهم النّقدية على المراجع ذاتها خاصّة الّتي شكّلت أساسيَّات وأوّليَّات الدّرس السِّيميائي السّردي الغربي إلاّ أنّ هذا لم يمنع مِن حدوث بعض المُفارقات والاختلافات فيما بينهما خاصّة فيما يتعلّق بترجمتهم لمصطلحات الجهاز المفاهيمي للسّيمائية السّردية.

وبناء على ما رصدناه مِن ملاحظات، وما استخلصناه من نقاط يُمكننا القول بأنّ تشكُّل التّفكير السِّيميائي السّردي عند "سعيد بنكراد" تمّ نتيجة الاغتراف مِن المرجعية الغربية الأروبية والأمريكية؛ فأمّا الأولى فتتجلّى في المرجعيّتين الشّكلانيّة واللّسانيّة، وتكاد تكون نفسها الّتي اعتمدها "رشيد بن مالك"، وأمّا الثّانية فهي المرجعية الأمريكية مُمَثَّلة بشكل واضح في المُنتج النّقدي الباريسي الّذي اعتمده "سعيد بنكراد" في مؤلّفه "سيميولوجية الشّخصية السّردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا)" لتقديم الفهم السِّيميائي الثَّقافي خاصّة بعدما لاحظ أنّ مُعظم الّذين اشتغلوا على السِّيميائية السّردية توجّهوا لاحقا إلى النّقد الثّقافي وحاولوا تطوير أدواتهم السِّيميائية في خِضمِّه.

وفيما يتعلّق بالمرجعية العربية فتكاد تكون مُنعدمة تماما في مؤلّفيْه "السِّيميائية السّردية (مدخل نظري)"، و"مدخل إلى السِّيميائيات السّردية"، وحتّى في مؤلّفه "سيميولوجية الشّخصية السّردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا)".

3- مصادر محمد النّاصر العجيمي العلمية ومرجعياته الفكرية

يُعدّ محمد النّاصر العجيمي مِن أوائل الّذين كان لهم سبق الاهتمام بالنّظرية السِّيميائية السّردية في تونس وهو ما نلمسه في كتابه الموسوم بـ "الخطاب السّردي (نظرية غريماس)" الّذي حاول من خلاله وبالاستعانة على قدر قليل من المصادر الأجنبية تجسيد بعض مِن مبادئ وأُسُس المشروع الغريماسي بصُورة عامّة مُزاوجا بين الجانبين النّظري والتّطبيقي كما هو موضّح في الجدول أدناه:

مؤلّفات محمد النّاصر العجيمي	مجموع المصادر والمراجع التي اعتمدها محمد النّاصر العجيمي						
	م.م عربية	م.م فرنسية	مجلات ودوريات بالعربية	مجلات ودوريات بالأجنبية	قواميس ومعاجم بالعربية	قواميس ومعاجم بالأجنبية	م.م مترجمة
الخطاب السّردي (نظرية غريماس)	3	6	/	7	1	2	/

عرض واستخلاص:

أبرز ما يمكن ملاحظته انطلاقا مِمّا هو وارد في الجدول أعلاه أنّ:

- عدد المراجع الّتي اعتمدها محمد النّاصر العجيمي للتّعريف بالسِّيميائية السّردية وتسهيل سُبل فهمها تكاد تكون مُنعدمة مقارنة بما اعتمده كل من "رشيد بن مالك"، و"سعيد بنكراد" حيث لم يتجاوز عددُها عموما تسعة عشر مرجعا، الأمر الّذي مِن شأنه أن يكون سببا في إثارة العديد مِن التّساؤلات حول ما حواه مُؤلّفه النّقدي "في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)"

والكثير من التّأويلات حول مِصداقية ما يحويه خاصّة في تصريحاته المُتكرِّرة الّتي يُقرّ فيها بأنّه سيعتمد جُهده الفردي لِترجمة عدَدٍ من المصطلحات، والّتي يدعو فيها القارئ المُتلقي في كتابه النقدي إلى إعادة النّظر في بعض منها.

– ما اعتمده محمد النّاصر العجيمي مِن مراجع كان أغلبُها باللّغة الأجنبية (ثلاثة عشر مرجعا) والمُميّز فيها أنّ مضمونها يصُبّ في صميم السِّيميائية السّردية وليست مُترجمة، ولعَلّ ما مكّنه من إجادة الانتقاء أنّه واحد من النّقاد الأوائل الّذين تلقّوا المعرفة السِّيمائية مِن مظانها ومنابعها الأصلية بطريقة مُباشرة أثناء الفترة الدّراسية الّتي قضاها في فرنسا على يد أعمدة النّقد السِّيميائي كـ"غريماس" و"كورتيس"، و"راستيي"، "كوكي"، "آن إينو"، نذكر منها:

– sémantique structural, Griemas.

– Maupassant, La sémiotique du texte, exercices pratiques, Griemas.

– Narratologie, sémiotique générale, A.Henault.

– Sémiotique littéraire : contribution à l’analyse sémantique du discours, J.C Coquet.

– Groupe d’Entrevernes’Analyse sémiotique des textes.

أمّا العربية منها فإنّنا لم نكد نعثر على أيّ أثر لها باستثناء–التي وقف عندها في معرض حديثه عن الصّعوبات الّتي تُواجه الدّارس العربي عامّة والمغاربي على وجه التّحديد لحظة إقباله على النّظرية الغريماسية لأوّل مرّة –:

– دراسة سمير المرزوقي بعنوان "مدخل إلى نظرية القصة" والّتي تميّزت على حدّ تعبيره بالدّقة.

– دراسة أمينة رشيد "السيميوطيقا مفاهيم وأبعاد".

– دراسة سامية أسعد بعنوان "سيميولوجيا المسرح".

– دراسة هدى وصفي بعنوان: "تحليل سيميولوجي للأستاذ"، وآخر "حداثة الميلودراما".

– دراسة ماري زيادة بعنوان النّص المسرحي والحداثة[1]، وبعض مِن النّصوص التّراثية كنص الأرانب والفيّلة المُقتطف من كليلة ودمنة.

تأسيسا على هذه الملاحظات وانطلاقا مِن اطّلاعنا على ما ورد في كتابه "في الخطاب السّردي(نظرية غريماس)" خلُصنا إلى أنّ محمد النّاصر العجيمي استند في بلورة تفكيره النّقدي على المرجعية الغربية بنسبة كبيرة مُقارنة بالمرجعية العربية.

وأبرز ما شدّ انتباهنا في استناد محمد النّاصر العجيمي على المرجعية الغربية هو عدم وقوفه عند المرجعية الشّكلانيّة على نحو ما لاحظناه عند "رشيد بن مالك" و"سعيد بنكراد" واقتصاره فقط على المرجعيَّتيْن اللّسانية والسِّيميائية بالرّغم مِن أهميتها في تشكّل الوعي النّقدي الغريماسي.

كانت هذه أبرز المرجعيات المعرفية الّتي عاد إليها كل من "رشيد بن مالك"، و"محمد النّاصر العجيمي"، و"سعيد بنكراد"، والّتي كانت سببا في تخصيب فِكرهم النّقدي وتشكُّله، لكن ما لاحظناه ونحن نُحاول الوُقوف عند مؤلفات كلّ ناقد مِنهم على حدة للكشف عنها واستكناهها أنّ هناك اختلافا وتبايُنا في كيفية النّهل مِنها ودرجة الاستعانة بها مِن قِبَل النّقاد السالف ذكرهم بالرّغم مِن احتواء مؤلّفاتهم النّقدية على بعض الاستنتاجات والتّعقيبات المُتشابهة تماما خاصّة في معرض حديثهم عن آليات التّحليل السِّيميائي السّردي لمُختلف النّصوص ووُقوفِهم عند مصطلحات جهازه المفاهيمي.

ومِن نِقاط الاختلاف الفاصلة بينهم:

– اعتماد كل مِن "محمد النّاصر العجيمي"، "رشيد بن مالك"، "سعيد بنكراد" على المرجعيَّتيْن العربية والغربية لكن بِدرجات مُتفاوتة؛ فمثلا نجد "سعيد بنكراد" أخذ مِن جميع مناهل النّظرية السّيميائية على اختلاف مشاربها وتوجُّهات أعلامها مِن الأوروبيّين والأمريكيّين مُقارنة بـ"رشيد بن مالك"، و"محمد النّاصر العجيمي" اللّذان لم يكن لهما تركيز مُباشر إلاّ على أعمال

[1]: ينظر، محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص14/13.

الأوروبيّين ،ولعلّ مردّ ذلك يعود إلى أنّ محور اهتمامهم كان مُنصبا حول السِّيميائية السّردية وهو ما لم يُله "بورس" نصيبا وافرا مِن الدّراسة مُقارنة بغريماس وغيره، وهو ما نجم عنه حُضور مُكثّف للتّيار السّيميولوجي السّوسوري في أعمالهم– العجيمي ورشيد بن مالك– وخُلوّها من التّيار الأنجلوساكسوني البيرسي الّذي حظي باهتمام سعيد بنكراد فقط.

– هناك مِن النّقاد مَن نهل مِن الأصل فقط ولم يعد إلى المصادر المُترجمة كـ"محمد النّاصر العجيمي"، وهناك مَنِ اعتمد في كثير مِن الأحيان على مختلف البُحوث والدّراسات المُترجمة كـ"رشيد بن مالك"، في حين أنّ هناك مَن نجد تنويعا في مصادره كما هو الحال في مصادر "سعيد بنكراد".

– اعتماد كل مِن "رشيد بن مالك" و"سعيد بنكراد" على عدد لابأس من المعاجم والقواميس لِترجمة المصطلحات السِّيميائية وشرحها، واكتفاء "محمد النّاصر العجيمي" في كثير من الأحيان بترجمته الخاصّة واعتمادِها في مُتون مؤلّفه النّقدي، وهو ما استخلصناه في قوله:" واجهنا القدر الكبير مِن المُصطلحات بِمجهود فردي أساسا وإن اتّسعنا في حالات نادرة بما عرضه علينا بعض الزّملاء مِن ترجمات؛ لذا نُقرّ بأنّ عددا مِن المُصطلحات المُترجمة يحتاج إلى إعادة نظر وتعديل"[1] وكأنّه يُحاول مُسبقا دفع أصابع الاتّهام والنّقد وإسكات كلّ من سيتّهم جهده بالتّقصير.

أمّا مِن نقاط التشابه الجامعة بينهم:

– عودتهم في كثير من الأحيان إلى قاموس "غريماس" وغيره مِن القواميس والمعاجم الأجنبية الأخرى كـ"معجم تودوروف وديكرو"، و"المعجم المعقلن لغريماس وكورتيس"، و"معجم جان ديبوا" اللّسانياتي، وكذا المعجم الفلسفي لجميل صليبيا واستفادتهم منهم.

– استفادتهم مِن مُختلف التّجارب والمُنجزات النّقدية العربية –العاكسة لوعي شبه تام لمُختلف

[1]: المصدر السّابق، ص17.

مفاهيم النّظرية الغريماسية ولخلفياتها الإبستمولوجية- والغربية -واطلاعهم على مفاهيمها المُتعدّدة وتطبيقاته المتنوعة- ونهلهم منها.

- حرصهم الشّديد على الأخذ مِن المصادر الّتي تُمكّنهم مِن التّعريف بالنّظرية السِّيميائية السّردية وعرض أصولها وبسط مفاهيمها ومصطلحاتها خدمة للقارئ العربي ورَفْعا مِن مُستوى الثّقافة النّقدية لديه بهدف التّأسيس لِمنهجية متماسِكة يُمكن بمُقتضاها وَصْف مكوّنات الكتابة الأدبية عامة والسّردية خاصّة، وتحديد أساليبها وتفسيرها وِفق مرجعية مضبوطة وأدوات صلبة وهو ما نلمسه بصورة جليَّة في مختلف التّصريحات الّتي قدّمها كل من "رشيد بن مالك"، "سعيد بنكراد"، و"محمد النّاصر العجيمي" في الصّفحات الأولى مِن مؤلّفاتهم والّتي تَتمحْور كُلّها في ذِكر وتِعداد الأهداف الّتي لأجلها أُلِّفت.

- عدم اعتمادهم -رشيد بن مالك، سعيد بنكراد، محمد النّاصر العجيمي- على مرجعية غربيّة واحدة، وعدم تقيُّدهم فقط بالأسس الإجرائية الّتي وضعها غريماس بل راحوا يستثمرون كلّ ما أنتجته المدرسة الفرنسية مِن أبحاث ودراسات، إذ يكفي أن نقوم بإجراء مسح لمُختلف مُؤلَّفاتهم النّقدية -الّتي أتينا على ذكرها في بداية هذا الجزء من البحث- حتّى نلاحظ دون عناء أنّ خطابها مشدود إلى مرجعية غربية مُتنوّعة، الهدف الأساسي مِنها التّعريف بالنّظرية السِّيميائية السّردية وعرض أصولها وبسط مفاهيمها ومصطلحاتها خِدمة للقارئ العربي ورَفعا مِن مستوى الثّقافة النقدية لديه.

- اشتراكُهم في النّهل مِن مرجعيات غربية عن طريق المُشافهة دون تحرّج ولا مُواراة، وعدم الاكتفاء مِن النّهل فقط مِمّا هو مُدوّن ومنشور لاحتكاكهم الدّائم بأساتذتهم المُنظِّرين للسِّيميائية السّردية فترة دراستهم في فرنسا.

انطلاقا من هذا وتأسيسا على ما أوردناه نكون قد كشفنا عَن المرجعيات المساهمة في بلورة التّفكير السِّيميائي المغاربي وتشكُّله عند كل من "رشيد بن مالك"، "محمد الناصر العجيمي"، "سعيد بنكراد"، على نحو ما سنوجزه.

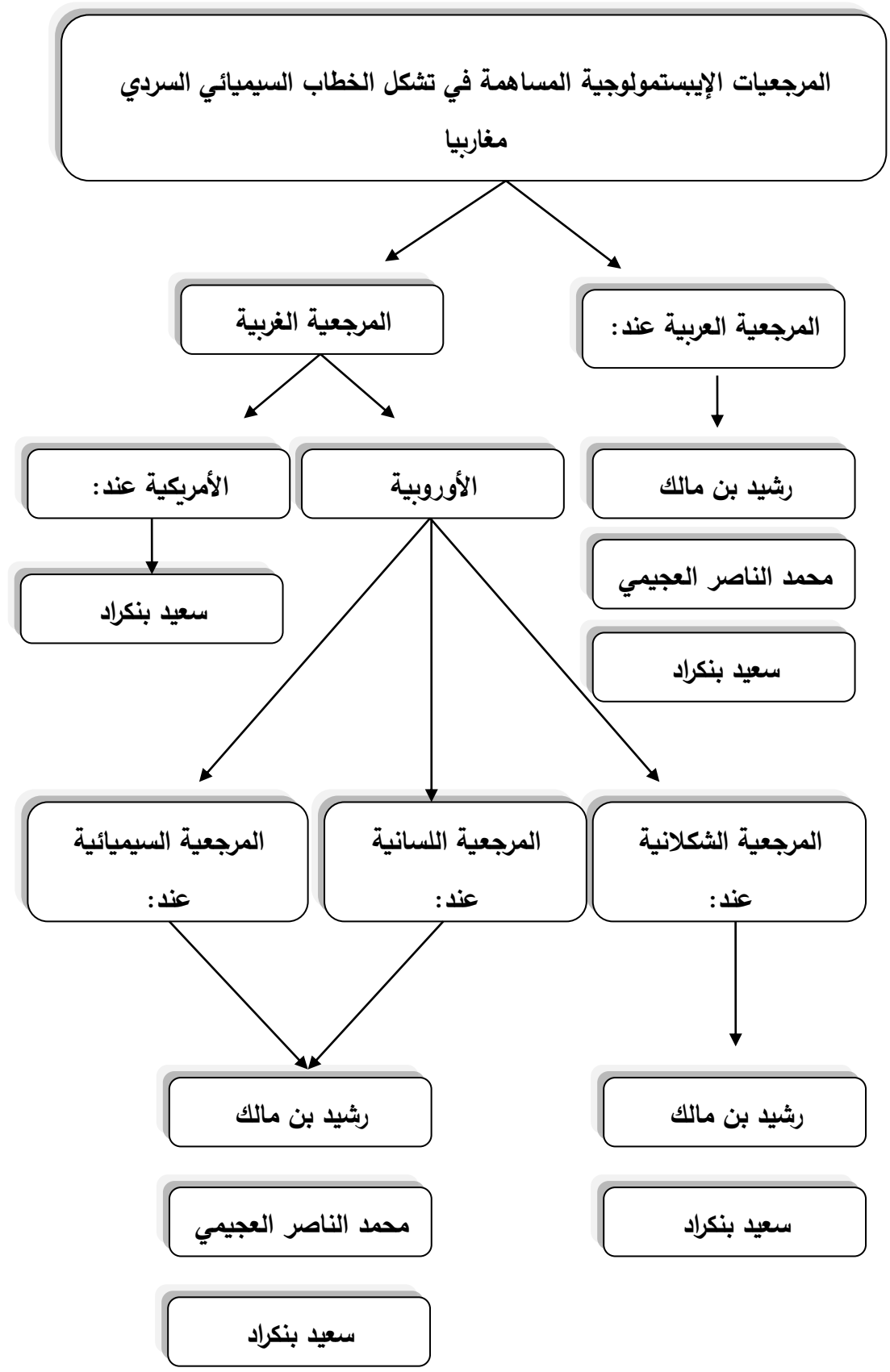
المرجعيات الإيبستمولوجية المساهمة في تشكل الخطاب السيميائي السردي مغاربيا
المرجعية الغربية
المرجعية العربية عند:
الأمريكية عند:
الأوروبية
رشيد بن مالك
محمد الناصر العجيمي
سعيد بنكراد
سعيد بنكراد
المرجعية السيميائية عند:
المرجعية اللسانية عند:
المرجعية الشكلانية عند:
رشيد بن مالك
محمد الناصر العجيمي
سعيد بنكراد
رشيد بن مالك
سعيد بنكراد

وكشفنا بطريقة غير مباشرة أيضا عن الآليات الّتي كانت وراء تشكُّل التّفكير السِّيميائي السّردي عندهم، والّتي وجدناها لا تخرج عن المحاكاة، والتّأليف، والتّرجمة على نحو ما سنوضّحه فيما يأتي:

1- المحاورة والتأليف: آثرنا دمج هاتين الآليتين "المحاكاة" و"التأليف" معا في آلية واحدة لِكَوْن الثّانية مُرتبطة في كثير مِن جوانبها بالأولى هذا مِن جهة، ومِن جهة أخرى أنّ أغلب المُؤلّفات النّقدية جاءت نتيجة محاورة نُقَّادِها أعلاما بارزة في السّاحة النّقدية الغربية منها والمغاربية؛ فمثلا على مستوى السّاحة النّقدية الغربية كان لانتقال الطّلبة والأساتذة إلى الجامعات الغربية بهدف إنجاز أطروحات أو رسائل أكاديمية، والّذين توجّهوا للدّراسة في فرنسا فرصة للإطّلاع عن مُختلف الكتب والمُنجزات الّتي أسهم بها الرّواد في التّأسيس لها، وما نشط فيه تلاميذهم في تطوِيرها وتوسِيعها[1]، أمّا على مستوى السّاحة النّقدية المغاربية فقد كان لتمثُّل النّقاد المغاربة لِأبرز المفاهيم السِّيميائية السّردية ومُحاولة تطبيقها وإسقاطها على عدد لا متناه مِن النّصوص في مُختلف المحافل العلمية بِوصفها نظريّة جديدة تحتاج إلى كثير مِن المُمارسات دورٌ كبير في انتشارها وشُيوعها على نطاق واسع مقارنة بالمناهج النّقدية الأخرى خاصّة مع ظهور العديد مِن المؤلَّفات النّقدية ذات الصّلة الوثيقة بها، والعاكسة لعُمق التّحول الّذي شهِده الخطاب النّقدي المغاربي المُعاصر.

2- التّرجمة: ويُعرّفها "محمد الدّيداوي" في كتابه "مِنهاج المُترجم" على أنّها "نقل المعنى مِن لغة إلى أخرى غير أنّ المعنى له ثلاثة أنواع، المعنى الدّلالي، المعنى المؤقفي/السّياقي، والمعنى النّصّي"[2] فالديداوي هنا يُوضّح العملية الّتي يتمّ القيام بها أثناء التّرجمة والمُتمثِّلة في نَقل المعنى مِن لُغة إلى أخرى بِجَميع أنواعه دون استثناء.

أمّا "رشيد بن مالك" فيرى أنّ ما يُمكن قوله عنِ التّرجمة أنّها ذلك "النّشاط المعرفي الّذي بمُوجبه يتمّ الانتقال مِن ملفوظ مُعْطى إلى ملفوظ آخر يُعتبَر كمُعادِل له، وكنشاط سِيميائي

[1]: ينظر، سليمة لوكام، تلقي السّرديات في النّقد المغاربي، ص33.

[2]: الديداوي محمد، منهاج المترجم، ط1، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، 2005، ص29.

يُمكن أن يتجزّأ إلى فِعل تأويلي للنّص، وفِعل مُنتِج لنص مُعادل نِسبيا للنّص الأوّل[1] الّذي تمّت ترجمته.

وللتّرجمة أنواع مُختلفة تتعدّد بِتعدُّد التّعريفات الاصطلاحية الموضوعة لها –تعمدنا الاكتفاء بالتّعريفين اللّذين أوردناهما لكلّ مِن "محمد الديداوي" و"رشيد بن مالك" دون غيرهما تفاديا للحشو وحِرصا مِنّا على انتقاء فقط مع ما يخدم موضوع بحثنا–، فمنها الإبداعية والاتّباعية، ومنها المُباشرة والغير مباشرة، وكِلا هذين النّوعين يتفرّع بدوره إلى أنواع أخرى سنغض الحديث عنها بالتفصيل، ونقصر حديثنا فقط على التّرجمات المُنتهجة مغاربيا – معنى هذا أنّنا سنكتفي بذكر الأنواع الّتي كانت مُعتمدَة بِكثرة في السّاحة النّقدية المغاربية للتّعريف والتّأصيل بالسِّيميائية السّردية وذلك بالاستناد والعودة دائما إلى المُؤلَّفات النّقدية الّتي أتينا على ذِكرها سابقا– والمتمثّلة في:

2–1– التّرجمة البيانية: وهي "التّرجمة إلى العربية انطلاقا مِن نص وسيط وقوامها البيان أي الوُضوح، والدّقة والسّلاسة والإيجاز والفصاحة أي عدم التنافر، والبلاغة أي مُراعاة مُقتضى الحال وأحوال المُخاطبِين"[2] ومِثل هذه التّرجمة نجدها عند "رشيد بن مالك" وبِالتّحديد في ترجمته لكتاب "السِّيميائية:الأصول،القواعد،التاريخ"، و"قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص (عربي –إنجليزي– فرنسي)، و"البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية"، و"من المعجميات إلى السِّيميائيات"، ونجدها أيضا عند "سعيد بنكراد" في ترجمته لمقال "السِّيميائيات السّردية (المكاسب والمشاريع)"، ولا يكاد المُطّلع على هذه التّرجمات يُلاحظ بجلاء استعانة كل من رشيد بن مالك، سعيد بنكراد على العديد مِن النّصوص النّقدية في ترجماتهم تلك.

2–2– الترجمة البائنة: وهي التّرجمة "الّتي يبدو النّص فيها أنّه مُترجم مِن لُغة أخرى على الخُصوص مِن خلال تراكيبه ومصطلحاته"[3] خاصّة هذه الأخيرة، وهو ما نلمسه في ترجمات

---

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي، إنجليزي، فرنسي)، ص241/240.

[2]: محمد الديداوي، منهاج المترجم، ص366.

[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"رشيد بن مالك"، "محمد الناصر العجيمي"، "سعيد بنكراد" الّتي يرمُون مِن خِلالها إلى التّعريف والتّأصيل للسِّيميائية السّردية.

2-3- التّرجمة التّعريبية: وتتمّ عن طريق "الاستناد إلى مَراجع في اللّغة أو لُغات أخرى وهضم مُحتواها وإنتاج نص عربي في مجال مُتخصِّص مُعيّن أو غيره دُون التّقيُّد حرفيا بالأصُول المُستند إليها أو مُحاسبة المُترجِم على عدم الالتصاق بها، ويُعدّ هذا النّوع مِن التّرجمة ترجمة تأليفية لأنّه في صدد نقل إلى العربية مع التّأليف أخذا عن الغير"[1]، وقد اعتمدها كلّ من "رشيد بن مالك"، "محمد الناصر العجيمي"، "سعيد بنكراد" في جميع مُؤلَّفاتهم النّقدية تقريبا، وهي قريبة نوعا ما مِن التّرجمة البيانية.

2-4- التّرجمة التّأصيلية: وهي "المُستوى الأعلى للتّرجمة التّعريبية وهدفُها بُلوغ الطّابع الأصيل بعد استيعاب الموضوع وتكيّفه بحيث تكون النّتيجة أصلا قائما بذاته"[2] ونجدُها بشكل واضح عند "رشيد بن مالك" وبالتّحديد في "قاموس التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي- فرنسي- إنجليزي).

2-5- التّرجمة العكسية: وهي "التّرجمة في الاتّجاه المعاكس، أي إلى اللّغة المُترجم منها للتّأكد مِن دِقة المعنى المنقول عنها"[3]، معنى هذا أنّ تتمّ ترجمة النّص المُراد ترجمته إلى اللّغة الهدف ثُمّ يُعاد نَقلُها مِن جديد إلى اللّغة الأصل للتّحقق مِن مدى تطابقه مع المفاهيم الّتي حواها.

ويُعدّ "رشيد بن مالك" مِمَّن اعتمدوا هذه التّرجمة في مُؤلّفه النّقدي "السِّيميائيات السّردية" وبالتّحديد في معرض حديثه عن إشكالية ترجمة المُصطلح الّتي أقرّ فيها بأنّ "استشراف مُستقبل الدّراسات السِّيميائية العربية المُعاصرة يمُرّ حتما عبر إدامة النّظر في المصطلحية بالرّجوع إلى

---

[1]: محمد الديداوي، منهاج المترجم، ص366.

[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المفهوم في اللّغة الأصل الّذي يُحدِّده ويتحدَّد عبره"[1] دون إغفال السِّياق الّذي ورد فيه والنّظر في مُختلَف النّصوص التّي تُغذِّيه، وضَبطه بما يتوافق والإطار العام الّذي يندرج ضِمنه البحث؛ ذلك أنّ الابتعاد عن التّوجّهات الأساسية في العمل التّرجمي يُؤدّي إلى اضطراب في الفهم ينعكس سلبا في عملية تلقي الرّسالة[2]، وفي هذا دعوة صريحة إلى اعتماد التّرجمة العكسية.

وكما عوّدنا "رشيد بن مالك" في كلّ مرّة يُقدّم لنا ما يُدعّم به أطروحاته هاهو هنا أيضا يَسُوق لنا عددا مِن التَّرجمات نقتبس منها للتّوضيح ما قاله عمّا أورده "سعيد علوش في "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" بعد أن لمس تضاربا كثيرا في ترجماته ومن ذلك:

أ. السِّيميائية	⟵	**sémiotiqu**
ب. السِّيميوتيكية	⟵	**sémiotique**
ج. التّحليل السِّيمي	⟵	**analyse sémiotique**

عقّب رشيد بن مالك على ما قدّمه سعيد علوش قائلا: "إنّ قراءة سريعة في هذه العيّنة تقودُنا إلى الإقرار بِوُجود ترجمات مُختلفة (أ (ترجمة)- ب(تعريب)- ج(ترجمة) للمصطلح الواحد، وإذا دقّقنا النّظر في (ج) فإنّ التّحليل السِّيمي يُحيل على مجموعة مِن الإجراءات الّتي تمس الحُدود المعنوية للوَحدات المُعجمية، ونلمس هذا الاقتراب المنهجي في التّعريف الّذي بناه غريماس على الحدود المفهومية للسِّيم انطلاقا مِن مبدأ الاختلاف الّذي أرسى قواعده ف. دي سوسير (...) على هذا الأساس تنْبَنِي التّرجمة على تمثُّل وفهم المصطلح في اللّغة الأصل وإدراك سياقاته"[3] بدلا مِن الاكتفاء فقط بِترجمته في اللّغة الهدف لحُصول الفهم وتحقيقه دون أيّ اضطراب وهو ما حذا بنا إلى إدراج هذه التّرجمة ضِمن التّرجمة العكسية.

---

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السردية، ص29.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص30.

[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كانت هذه أبرز أنواع التّرجمات الّتي اعتمدها كل من "رشيد بن مالك"، "محمد الناصر العجيمي"، "سعيد بنكراد" في مؤلّفاتهم ودراساتهم النّقدية، وفيما يأتي توضيح أكثر لها:

النّاقد المُترجم	المرجع المُتضمّن للمادة المعرفية المُترجمة	المادة المعرفية المُترجمة	نوع التّرجمة
رشيد بن مالك	كتاب "السِّيميائية، (الأصول، القواعد، والتاريخ)."	– تاريخ السِّيميائية لآن إينو.[1] – السِّيميائية الأدبية لميشيل آريفييه.[2] – التّحليل السِّيميائي للخطاب الأدبي: التّشاكل والتّرابط بين التّعبير والمضمون (الموكب الجنائزي) لجوزيف كورتيس.[3] – مدرسة باريس السِّيميائية لجان كلود كوكي.[4] – السِّيرة الذّاتية والعلمية لـ أ.ج. غريماس لجان	البيانية البائنة التّعريبية التّأصيلية العكسية.

[1]: ينظر، آن إينو وآخرون، السّيميائية(الأصول، القواعد، التاريخ)، ص63.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص195.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص245.

[4]: ينظر، المصدر نفسه، ص259.

		كلود كوكي.[1]	
	"قاموس التّحليل السِّيميائي للنّصوص –عربي– إنجليزي– فرنسي)."	– مصطلحات ومفاهيم الجهاز النّظري والتّطبيقي للسِّيميائية السّردية.	
	كتاب "البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية."	– السِّيميائية: الصّيرورة غير مستحبة لبيرنار بوتي.[2] – السّيرة الذّاتية والعلمية لـ أ.ج. غريماس لجان كلود كوكي.[3]	
	كتاب "من المعجميات إلى السِّيميائيات"	– ما قبل القول: أ.ج غريماس واللّسانيات الفرنسية لتومابرودن[4]. – ألجيرداس جوليان غريماس بعض انعكاسات الحياة الاجتماعية خلال 1830 في مفردات صحف الموضة لتلك	

[1]: ينظر، آن إينو وآخرون، السّيميائية(الأصول، القواعد، التاريخ)، ص 345.

[2]: ينظر، رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص44.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص52.

[4]: ينظر، رشيد بن مالك، من السّيميائيات إلى المعجميات، ص21.

		الحقبة (الأطروحة الثانوية 1948)[1].	
	كتابي "السِّيميائيات الّسردية" و"مقدّمة في السِّيميائية السّردية"	– التّعريف بالسيميائية السردية. – المنطلقات الأساسية للسِّيميائية السّردية. – بعض من مصطلحات الجهاز المفاهيمي والتّطبيقي للسِّيميائية السّردية.	التّعريبية البائنة العكسية.
محمد النّاصر العجيمي	كتاب "في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)"		
سعيد بنكراد	– كتاب "مدخل إلى السِّيميائيات السردية." – كتاب "السِّيميائيات السردية مدخل نظري." – كتاب "سيميوولوجية الشّخصيات السّردية."		

كانت هذه مُختلف الطّرائق والآليات الّتي تشكّلت بواسطتها السِّيميائية السّردية في السّاحة النّقدية المغاربية وانتشرت، لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّه بقدر ما ساهمت هذه الآليات في تشكُّل وبلورة التّفكير السِّيميائي السّردي لدى العديد مِن النّقاد المغاربة بقدر ما كانت سببا في خلق العديد من الإشكاليات أبرزها إشكالية تعدّد المصطلح وهو ما سنحاول الوقوف عنده في الصفحات القادمة من البحث.

[1]: ينظر، المصدر السّابق، ص53.

الفصل الثّالث

التّنظير النّقدي المغاربي للسّيميائية السّردية (قراءة في مؤلّفات رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد)

المبحث الأوّل:

تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة النّظرية عند رشيد بن مالك

المبحث الثّاني:

تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة النّظرية عند محمد النّاصر العجيمي

المبحث الثّالث:

تمظهر السّيميائية السّردية فى خطاب الممارسة النّظرية عند بنكراد

المبحث الأوّل: تمظهر السِّيميائية السّردية في خطاب الممارسة النظرية عند رشيد بن مالك

قبل الشُّروع في الكشف عن كيفية تمظهر السِّيميائية السّردية في مؤلّفات "رشيد بن مالك" نُشير بِداية إلى أنّ ما أدرجناه في العنوان حول نوع الخطاب الّذي مارسه كان انطلاقا مِن وُقوفنا ومُساءلتِنا لمُؤلّفاته النّقدية الآتي ذكرها:

1 – كتاب قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص.
2 – كتاب البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية.
3 – كتاب مقدّمة في السِّيمائية السّردية.
4 – كتاب السِّيميائيات السّردية.
5 – كتاب السِّيميائية(الأصول، القواعد، التاريخ).
6 – كتاب من المعجميات إلى السِّيميائيات.

يُعدّ **قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص (عربي– إنجليزي– فرنسي) الصّادر سنة 2000 عن دار الحكمة في حدود 272 صفحة** مِن أولى المُؤلّفات النّقدية لرشيد بن مالك، ومرجعا هاما للمهتمين بالسّيميائية السّردية لاحتوائه على عدد من التّرسيمات والأشكال الهندسية الّتي أخذت حيّزا معتبرا من القاموس.

أشار في افتِتَاحيتِه إلى مضمونِه وطبيعة المادة المُعالجة فيه والمنهجية الّتي اعتمدها لعرضها، والحديث عن المرجعيات المعرفيّة الّتي استفاد مِنها وهو بصدد إنجازه له، هذا إلى جانب إشارتِه إلى نُقطيتين مهِمّتين؛ فأمّا النّقطة الأولى فتشمل إشارته إلى الفِئة المُستهدفة بعد تعرفيه بما يحويه قائلا بصريح العبارة:"يحتوي هذا القاموس الّذي أقدّمه إلى المُشتغِلين بالسِّيميائية –أساتذة وباحثين وطلابا– على أهمّ المُصطلحات المُستعملة في التّحليل السِّيميائي للنّصوص، تُشكِّل مسائل الدّلالة ومُستوياتها وصِيَّغ تمظهُرِها مركز الثِّقل لهذا القاموس، يتعلّق

الأمر بالدّرجة الأولى بموالفة المُكتسبات الّتي حقّقتها السِّيميائية في مسارها العلمي"[1].

وأمّا النّقطة الثّانية فتتجلّى في حديثه عن السّبب الرّئيسي الّذي كان وراء تأليفه هذا، والمُتمثِّل بالدّرجة الأولى في الصّعوبات الّتي لاقاها بعد تخرّجه والتحاقه بجامعة تلمسان لتدريس المنهجية والأدب الجزائري، واختِلاط الأمر عليه بين تدريس المادة أو ترجمة المصطلحات الّتي تُمثِّل الخلفية المنهجية لتِلك المادة[2] المُوجّهة إليه لتدريسها.

ليُقدّم بعدها التّقديم الّذي وضعه الدّكتور "عبد الحميد بورايو" في قاموسه، ومِن جملة ما أشار إليه:

– الحديث عن أهميّة المصطلح في أيّ مبحث علمي مهما كان موضوعه ومجال انتمائه.

– الإشادة بأهميّة قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص وبجهود صاحبه الّذي يُعدّ مِن "الباحثين القلائل في الوطن العربي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة، الّذين أوقفوا جُهدهم العلمي وعِنايتهم على الأبحاث السِّيميائية ذات التّوجه الشّكلاني"[3].

شرع رشيد بن مالك مباشرة بعد عرضه لتقديم عبد الحميد بورايو في عرض مقدّمته الخاصّة، والّتي تحدّث فيها مرّة ثانية عنِ الأسباب الكامنة وراء إنجازه له، مع الإشارة في ذات السّياق إلى التّاريخ الّذي بدأت فيه فِكرة الإنجاز والّتي كانت حسب ما أشار إليها رشيد بن مالك منذ سنة 1983 نتيجة الصّعوبات الّتي اعترضت سبيله أيّام تدريسه للنّظرية السِّيميائية في جامعة تلمسان،[4] بِسبب ضُعف الطّلبة وعدم استِعدادهم للتّعامل مع هذا المنهج الجديد –حسب ما أشار إليه رشيد بن مالك– نتيجة:

– التّشبّث بالمناهج الكلاسيكية القديمة إلى درجة الانصهار فيها وإقصاء التّيار النّقدي

---

[1]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي– إنجليزي– فرنسي)، ص5.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]:المصدر نفسه، ص7.

[4]: ينظر، المصدر السّابق، ص10/ 11.

السِّيميائي الجديد دون أيّ مبرر علمي مُؤسَّسٍ مُسبقا ودون بذل أيّ جُهد لفهم أفكار ذلك التّوجه الجديد في القراءة النّقدية.

- قِلّة البحوث ذات التّوجه الغريماسي.
- اضطراب كبير في المصطلحية المعتمدة، وفوضى في ترجمة النّصوص.
- عدم القُدرة على بلورة جميع المفاهيم النّقدية.
- غِياب البُحوث الجماعية والتّنسيق بين الباحثين والنّقاد السِّيميائيين العرب بِشأن الأولوية الّتي ينبغي أن يحظى بها هذا التّيار العلمي أو غيره[1] أي التّيار الغريماسي.

تمكَّن رشيد بن مالك سنة 1989 مِن إنجاز "قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص (عربي، إنجليزي، فرنسي) إلاّ أنّه لم ينشره في السّنة ذاتها إلى غاية سنة 2000 لأسباب لم يأت على ذكرها، مُكتفيا فقط بالإشارة إلى أنّه لم يأسف على ذلك لأنّ تلك المدّة الطويلة على حدّ تعبيره هي الّتي سنحت له "بِربط علاقة حميمية مع المصطلح ومُعايشتِه، واختباره في اللّقاءات العلمية ومُواجهته مع التّرجمات الجديدة الطّارئة للتّحقق مِن صلاحيته والاطمئنان إلى سلامته، واستبداله أحيانا، إذ تبيّن لي أنّ التّرجمة الجديدة أكثر تداولا، أو أنّها ترفع اللّبس، وتُعبِّر بدقّة عنِ المفهوم المُراد في اللّغة الأصلية ولا تتعارض مع مُصطلحات أخرى"[2]، مُتوجِّها في النّهاية بتقديم الشّكر إلى الرّوائي "خلاص جيلالي"، والأستاذ "شريف مريبعي" لِحرصهم على طبع هذا المعجم، دون أن ينسى كل من "بارنار بوتي"، "جان كلود كوكي"، "منار حمّاد" وغيرهم.

ليَقف بعدها عِند عدد مِن المصطلحات الّتي رأى أنّه بوِسعها أن "تشمل مدخلا لِفهم إجراءات تحليل النّص ومُستوياته الأساسيّة، وإدراك جوهر السّؤال في المُمارسة السِّيميائية"[3]، وقد حَرص في عرضه لها على مُراعاة التّرتيب الألف بائي وِفقا للألف بائية الفرنسية للحروف

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي- إنجليزي- فرنسي)، ص11/10.
[2]: المصدر نفسه، ص13.
[3]: المصدر نفسه، ص12.

دون التّرتيب الألف بائي العربي أو الأبجدي، وعلى تذييل كل مصطلح بِعدَد مِن الإحالات، ومِن المصطلحات الّتي وقف عندها والمُعتمدة بِكثرة في التّحليل السِّيميائي السّردي للنّصوص النّموذج العاملي، المربّع السِّيميائي، العامل، المرسل، المرسل إليه، المساعد، المعارض، الكفاءة، الجزاء، عقد ائتماني، هذا إلى جانب مصطلحات أخرى والّتي فاق عددها مائة وتسعون مصطلحا.

لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ ما ورد في قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنصوص (عربي-إنجليزي- فرنسي)" لا يتطابق من حيث المادة العلمية -عدد المصطلحات- الّتي يحويها مع القاموس الأجنبي"Dictionnaire raisonné de la théorie du langage " لـ"غريماس وكورتيس"، وحُجّتنا هنا أنّ هذا الأخير يحوي ما يقارب خمسمائة وخمسة وأربعين (545) مصطلحا، في حين يحوي قاموس رشيد بن مالك مائتين مصطلحا، إحدى عشر منها غير موجود في قاموس غريماس وكورتيس وهي: قبل/ بعد، إيحاء، بناء، تبئير، شكلانية، شكل، شكلي، نظرية اللغة، إيديولوجية، هوية، فردي، منهج، ما يعني أنّ "قاموس بن مالك مُحتوى في قاموس غريماس بنسبة 94 بالمئة، وإذا كان مِن الصّعب أن نُحدّد نِسبة الاحتواء على المُستوى المفهومي المُقيَّد بالتّرجمة المباشرة، فإنّه لمِن السّهل أن نقول إنّ رشيد بن مالك مدين لقاموس غريماس بقِسط مفهومي كبير لايتجاوز نصيبه -خلاله- حدّ التّرجمة المجتهدة"[1] لتَبسيط وتيْسِير ما استغلق على القارئ فهمه واستيعابه مِن مصطلحات لا يكاد أيّ باحث سِيميائي أن يستغني عنها في دراساته ومُقارباته لمُختلف النّصوص السّردية.

وبعد طرحه لِلعديد مِن المصطلحات، وقبل إدراجه لمُختلف المراجع الّتي اعتمدها لإنجاز هذا القاموس والّتي كانت أغلبها مُستقاة مِن الحقل اللّساني والسِّيميائي أورد قائمة لأسماء العلم المُعرّبة مُرتّبة ترتيبا ألف بائيا.

[1]: يوسف وغليسي، في ظلال النّصوص(تأملات نقدية في كتابات جزائرية)، ط1، الجزائر، 2009، ص322.

ولعلّ الشّيء المُميّز في هذا القاموس والّذي جعله يحظى بأهمية كبيرة:

– اتّسامه بوِحدة الموضوع الّذي يطرحه واشتماله على مُختلف المصطلحات المستعملة في التّحليل السِّيميائي للنّصوص دون الاقتصار على ما جاء به غريماس فقط وهو ما نلفيه واضحا في افتِتاحية قاموسه قائلا:" لم أتقيّد بالمصطلحات المُؤسّسة للنّظرية السِّيميائية الّتي جاء بها غريماس في قاموسه رغم أنّها تُشكّل نِسبة كبيرة في هذا العمل المُتواضع"[1] مُبرّرا ذلك بأنّ الحوار لا يزال قائما بين مُختلف التّيارات المتبنِّية للنّظرية السِّيميائية، وأنّ الأبحاث لا تزال هي الأخرى سارِية مِن خلال الممارسات الفكرية السّائلة لِأنظمة المعاني المُتجذِّرة في الخطاب السّردي والّتي تحاول أن ترقى بخطابها العلمي إلى أقصى حدّ مُمكن مِن التّنظير للأدب وفهم نِظامه وسيره ساعية بذلك إلى تأسيس حقل معرفي في نظرية مُلتحِمة[2] واضحة المعالم.

– أنّه يُمثّل مظهرا مِن مظاهر النّضج والتّأمل والوعي، ويُجسِّد اقتِرابا مِن الثّقافات الانسانية ومِن عالميَّة البحث العلمي وسَعيا حثِيثا إلى تحقيق التّقارب الذّهني والثّقافي في نِطاق اللّغة العربية المشتركة لاغترافه مِن الإنتاج الثّقافي المُتراكم في نِطاق البحث اللّساني والأدبي المعاصر.[3]

– استعانة صاحبه –رشيد بن مالك– بِبعض الأشكال الهندسية والتّرسِيمات التّوضيحية الّتي أضفت على المصطلحات الواردة في قاموسه بُعدا معرفيا آخر ما كان ليُدرك لولاها إضافة إلى قِيامه في نهاية عرضه لكلّ مصطلح بإحالة أو أكثر مُشار إليها بسهم حتّى يتسنّى للقارئ فهمه والإحاطة بدلالاته المختلفة.

– اعتماده –رشيد بن مالك– على ما يطلق عليه بالتّرجمة السّياقية(traduction dans le contexte) وهي ترجمة "معتمَدة لدى مختلف المترجِمين والمتعاملين مع المصطلح، وفيه

[1]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي– إنجليزي– فرنسي)، ص5.
[2]: ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص8.

تهمل التّرجمة القائمة على الاشتقاق اللّغوي أو ترجمة كلمة بكلمة "le mot à mot"[1]، ولعلّ اعتماده على هذه التّرجمة هو الّذي كان وراء استخدام رشيد بن مالك بعض المصطلحات بصُورتها الأجنبية –كالتي كانت لنا معها وقفة في الفصل الثاني– بدلا من استخدامه لمصطلحات مقابِلة غير مُعبّرة عن المفهوم الأصلي الدّقيق.

كانت هذه صُورة موجزة عن "قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص –عربي، إنجليزي، فرنسي_" حاولنا مِن خلالها الوقوف فقط عند أبرز النّقاط الّتي احتواها مُشيدين في الآن ذاته بمُميّزاته دون الوقوف عند بعض النّقائص الّتي اعترته ككِتابته لبعض المصطلحات الأجنبية بطريقة خاطئة انطلاقا من قناعتنا بأنّها قد تكون أخطاء مطبعية وليس للنّاقد يد فيها ولأجل ذلك غَضضْنا الحديث عنها.

كتاب مقدّمة في السِّيميائية السّردية الصادر سنة 2000 عن دار القصبة في حدود 112 صفحة حاول مِن خلاله رشيد بن مالك تقريب السِّيميائية الغريماسية أكثر مِن القارئ وتسهِيل سُبل استيعابها وإدراكها فجعل كِتابه هذا في قِسمين أحدُهما نظري والآخر تطبيقي – لِتثبيت المُكتسبات النّظرية الّتي تمّ الوُقوف عِندها في القسم النّظري– مباشرة دون أيّ مقدّمة مُكتفيا فقط بالمقدمة المنهجية الّتي أوردها في افتتاحية القسم النّظري راميا مِن خلالها إلى تقديم تصوّر عام للقارئ حول مضمُون الكتاب وهو ما نستخلصه مِن قوله: "سنسعى في هذا البحث إلى دِراسة الأصول اللّسانية والشّكلانية الّتي انبَنت عليها النّظرية السِّيميائية (مدرسة باريس) واستمدّت منها مصطلحياتها (...)"[2] لكن ياحبّذا لو لم يكن هذا التّقديم في مطلع القسم النّظري وكان قبله مع مزيد من التّفصيل أكثر حول فحوى الكتاب خاصّة فيما يتعلّق بالقسم التّطبيقي.

ومِن أبرز القضايا الّتي طرحها رشيد بن مالك فيه –مقدّمة في السِّيميائية السّردية– والعاكسة لجانب مِن الاتّجاه الّذي تبنّاه مُحاولا التّأصيل له والتّعريف به في كِلا القسمين وُقوفه

[1]: عبد القادر شرشار، تحليل النّص الأدبي وقضايا النّص، ص138.

[2]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص5.

عند "كتاب تاريخ السيميائية" لـ"آن إينو" الّتي صرّحت فيه بأنّ البحث السِّيميائي الّذي عرف تطوّرا على يد أ. ج غريماس، ولا زال في تحوّل مُستمر لا يسمح بتقديم حوصلة تاريخية حول النّظرية السِّيميائية مُستدلة على ذلك بنص مأخوذ مِن مقدّمة كتاب غريماس "في المعنىII" لذلك لابد مِن التّأريخ لها ووَضْعها في سياقها التّاريخي المناسب لها، وضبط معالمها الأساسية والكشف عن النّظريات الّتي مهّدت لظهورها حتّى يتسنى للمُشتغل عليها والمهتم بها استساغتها وفهمها[1].

وبعد هذه القراءة الموجزة لكتاب "آن إينو" ينتقل "رشيد بن مالك" مباشرة إلى الحديث عن "الأصول اللّسانية للنّظرية السِّيميائية" بوصفها مِن أهمّ المرجعيات الّتي قام عليها الفكر السِّيميائي السّردي الغريماسي، والإشارة إلى موقع المسألة الدّلالية مِن البحوث اللّسانية مع الوقوف عِند أبرز المصطلحات اللّسانية الّتي كان لها الأثر الكبير في فهم بعض مِن مصطلحات الجهاز المفاهيمي للسِّيميائية السّردية كمبدأ المحايثة، مبدأ الاختلاف، المربّع السِّيميائي، الملفوظ السّردي، الكفاءة والأداء مِن أجل توجيه "القارئ العربي نحو أهمّ أصولها وإظهار حدودها وإبراز إشكاليّتها"[2] لاستكناهِها والسّعي لإيجاد حلول لها.

ولأنّه لا يمكن رصد الأصول العلمية للبحث السِّيميائي السّردي دون الوقوف عند أصوله الشّكلانية قام رشيد بن مالك بالكشف عن المظهر التّنظيري العام لبحوث الشّكلانيّين الرّوس الّتي ظهرت خلال الحقبة الممتدّة مِن 1915 إلى 1930 –وبالتّحديد بحوث "فلاديمير بروب" مشيدا لها تارة ومعقبا عليها تارة أخرى– والمُتميّزة بمبدأ أساسي قائم على معارضتهم للمناهج التّقليدية ودراسة الأدب بوصفه مجموعة شكلية تحكمها قوانين خاصّة مع التركيز على العناصر النّصية والعلاقات المتبادلة بينها وعلى الوظيفة الّتي تؤدّيها[3] داخل النّص.

---

[1]: ينظر، المصدر السّابق، ص6.

[2]: المصدر نفسه، ص28.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص29.

ومِن أبرز جهود "فلاديمير بروب" الّتي وقف عندها "رشيد بن مالك" وأشاد بها الدّعم المنهجي الّذي قدّمه للمقاربة السِّيميائية والمتمثّل في الكشف عن ثلاث مهّمات أساسية تشكِّل نموذجا لا تكمن قيمته في عُمق التّحاليل الّتي تُدعِّمه ولا في دقّة صِياغاته بل في نجاعة فعاليّة استفزازه وقُدرته على إثارة الفرضيات على نحو ما يُوضّحه هذا الرّسم السّردي:

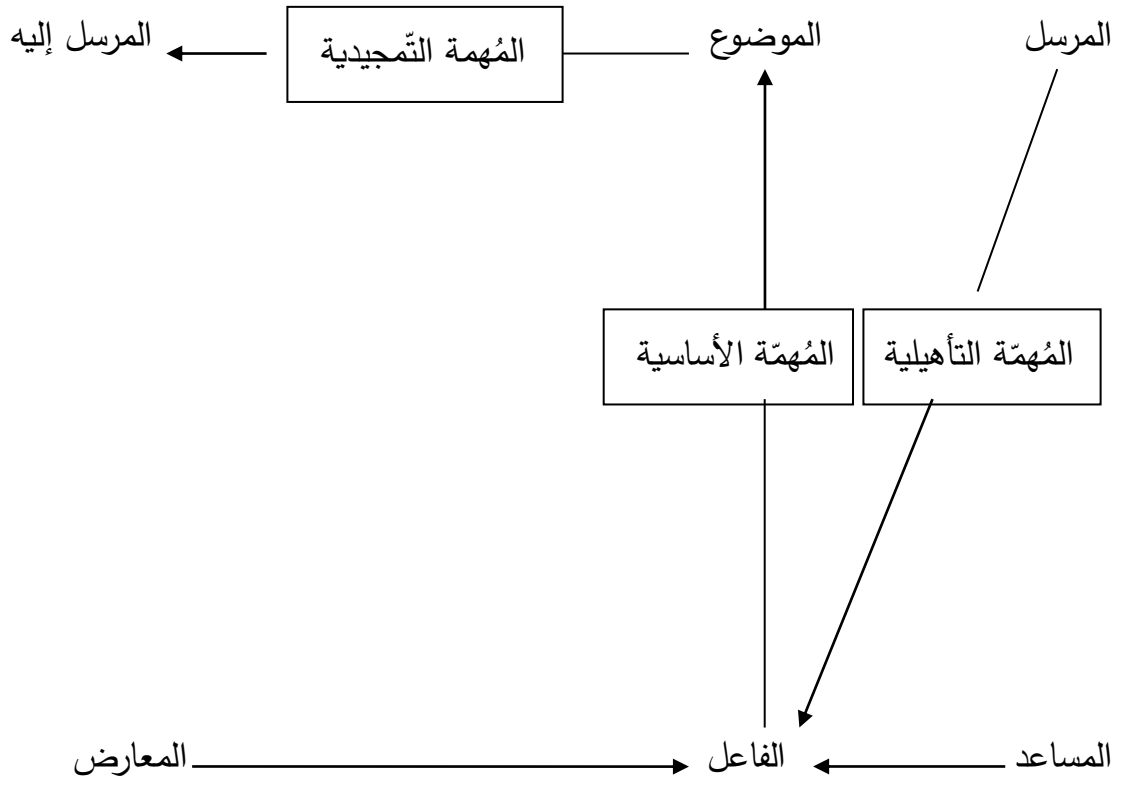

حيث يكتسب الفاعل خِلال المُهِمة التّأهيلية الموضّحة في هذا الرسم والعاكس لتجلِّيات العناصر الفاعلة في البِنية العاملية للنّص السّردي –حسب ما أشار إليه رشيد بن مالك– الكفاءة وطاقة الإنجاز الّتي تُمكِّنه في المُهمّة الأساسية مِن تطويق دائرة الصّراع؛ تحقيق الموضوع وتعويض الافتقار، ويقودُه نشاطه السّردي في النّهاية إلى المُهّمة التّمجيدية الّتي يقع فيها التّعرّف على البطل وتقويم (sanction) مسارِه طبقا للالتزام الّذي أخذه على نفسه[1] لا على غيره.

[1]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص34/33.

منوّها في ذات السّياق إلى أنّ ما جاء به "غريماس" لاحقا مُغايُر تماما لِما جاء به "فلاديمير بروب" وبالتّحديد مُسلّمته الّتي تُحمّلنا على الاعتقاد بأنّ الحكاية مبنية على التّتابع الكرونولوجي للمُهمّات السّالف ذِكرها، ذلك أنّ التّمفُصل المنطقي للبِناء السّردي يجري مجرى التّتابع المعكوس، حتّى ولو تعاقبت المُهمَّات الثّلاث الواحدة تلو الأخرى على طول الخط الزّمني إذ لا وُجود لأيّة ضرورة منطقية تُفسّر لنا مثلا التحاق المُهمَّات الثّلاث بعضها بِبعض على التّوالي، وبناء على هذا رأى غريماس أنّ القراءة المعكوسة كفيلة بتأسيس ترتيب منطقي مِن الافتراضات، تفترض المُهمَّة التّمجيدية المُهمَّة الحاسمة الّتي تفترض بدورها المُهمَّة التّأهيلية، ما يعني أنّه حتّى يتمكن البطل مِن الانتقال إلى الفعل ينبغي أن يمتلك المؤهّلات الضّرورية لذلك (الكفاءة)[1] وإلاّ فإنّه لن يتمكّن مِن ذلك انطلاقا من تصوّر غريماس.

هذا ولم يكتف "رشيد بن مالك" بلَعِب دور المتلقي المُستهلك للنّموذج البروبي وللتّعديلات الّتي أجراها كل مِن "غريماس" و"كورتيس" عليه بل تجاوز ذلك الدّور إلى دَورٍ آخر هو دورُ المتلقي المُنتِج، وهو ما نلمسه بجلاء مِن خلال استخدامه لعبارات دالّة على ذلك نذكر مِنها على سبيل التّمثيل "استنادا إلى النّموذج البروبي والتّعديلات المنهجية الّتي أجراها أ.ج غريماس و ج.كورتيس نحصل في نهاية التّحليل على بُعدين أساسيّن في النّظرية السِّيميائية: بُعد معرفي يتأسّس عليه الإيعاز والتّقويم، وبُعد تداولي نُدرِكه مِن خِلال عمل الفاعل"[2] وهو ما استخلصه بعد اطّلاعه على المنجز البروبي والتّعديل الغريماسي له.

وقوله أيضا:"بقي أن نُشير في النّهاية إلى أنّ تعريف بروب للوظيفة لا ينطبق على الافتقار الّذي يُحيل على الحالة، ولئِن كانت الوظيفة تدُل على الفعل، فإنّ كلّ فِعل مِن منظور غريماس يُمكن أن يُمثَّل بمُسند (أو وظيفة بمعنى العلاقة في بُعدها المنطقي) تمثيلا يَضم إليه العوامل، وعليه تأخذ الوظيفة البروبية شكل الملفوظ السّردي الآتي: م.س= و(ع1،ع2...)،

[1]: ينظر، المصدر السابق، ص34.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وتأسيسا على هذا يتحدّد الملفوظ الأوّلي في السِّيميائية السّردية بوصفه (علاقة/ وظيفة بين العوامل)"[1].

والمُميَّز في المنهجية الّتي اعتمدها "رشيد بن مالك" في تأليفه لهذا الكتاب وغيره مِن الكتب النّقدية الأخرى الّتي ألّفها إيراده لخاتمة وثَبت لمُختلف المصطلحات الّتي حواها كلّ قسم على حدة؛ فبعد عرضه للأصول اللّسانية والشّكلانية للسِّيميائية السّردية وتركيزه على ما جاء به فلاديمير بروب يُورد عرضا موجزا على شكل خاتمة، وثبتا لمُختلف المصطلحات الّتي تنتمي إلى الحقل السِّيميائي مُرتبا إيّاها ترتيبا ألف بائيا، إضافة إلى قيامه بتقديم إحالات للمراجع الّتي استقى منها مادّته المعرفية مرتّبة ترتيبا رقميا.

كان هذا فيما يتعلّق بالقسم الأوّل منه، أمّا القسم الثّاني فقد خصّصه لمُقاربة بعض النّصوص السّردية كقصّة "العروس" للروائي غسان كنفاني، وقصة "عائشة" لأحمد رضا حوحو، ورواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، وقد أنهاه "رشيد بن مالك" على شَاكِلة القسم النّظري بثَبت لمُختلف المصطلحات، وعرض لجميع المراجع الّتي نهل مِنها، هذا بالإضافة إلى بِيبليوغرافيا –ضمّت جميع المراجع الّتي استقام بها كتابه وعليها قام– وفهرس، ولنا في الصّفحات القادمة مِن البحث وقفة عند كلّ مُقاربة على حدة.

مُباشرة بعد سنة واحدة مِن تأليفه كتابه النّقدي "مقدّمة في السِّيميائية السّردية" يؤلّف كتابا نقديا بعنوان "**البِنية السّردية في النظرية السِّيميائية" عن دار الحكمة في حدود 120 صفحة سنة 2001** حاول مِن خلاله الغوص أكثر في السِّيميائية السّردية وهو ما صرّح به النّاقد عبد الحميد بورايو في تقديمه له على أنّ مُحتواه يندرج ضِمن الجهود المبذولة مِن طرف جماعة مِن الأساتذة المُتخصِّصين في التّحليل السِّيميائي للنّصوص الأدبية وعلى رأسهم الدّكتور رشيد بن مالك الّذي جعل دراسته مُنصبة حول الأصول النّظرية للمُعالجات السِّيميائية الّتي تناولت بالدّرس البِنية السّردية، وصرّح به صاحب المؤلّف أيضا في مقدّمة منهجية له أقرّ فيها أنّ ما

[1]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص34.

أورده في متن "البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية" ما هو إلاّ امتداد لكتابَيْه السّابقين "مقدّمة في السِّيميائية السّردية" و"قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص" مِن حيث الإطار المنهجي العام الّذي يرتكز في المقام الأوّل على التّدقيق في المفاهيم النّظرية والاشتغال على المصطلح السِّيميائي بِردِّه مِن ناحية إلى المستوى التّحليلي المتجانس معه، وإدراج ترجمتِه مِن ناحية ثانية ضِمن المصطلحية السِّيميائية في شُموليَتها بِوصفها نِظاما مُتماسكا[1] وهو ما سيُثري حتما المعجم المصطلحي ويُسهم في الكشف عن مُختلف مصادر البحث السِّيميائي والإشكالات الّتي صاحبت نُموّه وتطوُّره.

ومِن أبرز ما وقف عنده "رشيد بن مالك" الحديث عن المكوّن السّردي والآليات الّتي تحكمه والقواعد الّتي تضبطه في القسم الأوّل مِن الكتاب الموسوم بـ"البِنية السّردية" مُركّزا على "الحالة والتّحويل"، "البرنامج السّردي"، "الرّسم السّردي"، مقدِّما في الأخير قائمة لمراجع البحث وثبتا لمُختلف المصطلحات الّتي ضمّها.

والملاحظ في تقديم رشيد بن مالك لتلك المصطلحات أو بالأحرى الآليات الإجرائية الّتي اعتمدها في التّحليل السِّيميائي السّردي أنّه لم يكتف بتقديم تعريف مُوجز لها على نحو ما كان في كتابيْه السّابقين، ناهيك عن تقديمه إحالات في نهاية الصّفحة عمّا لم يتطرّق إليه؛ فمثلا في معرض حديثه عن "الحالة والتّحويل" لا يُقدّم مفهوما لهما مباشرة بل يُمهّد لهما بمُسلَّمة قبلية تولّدت لديه مِن خلال اطّلاعه على العديد مِن المراجع الأجنبية الّتي تصب في صُلب السِّيميائية السّردية، وهذا مضمونها: "نُسلِّم في البِداية بأنّ البِنية السّردية في النّص تتقدّم بوصفها تتابعا للحالات والتّحويلات المُتنوّعة الّتي تُؤطّر مُختلف العلاقات القائمة بين العوامل"[2].

ثمّ سرعان ما يشرع في ضبط مفهومي الحالة والتّحويل استنادا إلى العلاقة الّتي يُقيمها

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص8.
[2]: المصدر نفسه، ص11.

الفاعل بموضوع القيمة (objet de valeur) بوصفهما "عُنصرين أساسيَّين في تشكيل البرنامج السّردي، يستمد الأوّل وُجوده الدّلالي مِن العلاقة الّتي يُقيمها مع القيمة المستهدفة"[1]، هذه الأخيرة الّتي لا يُمكن فهم المسألة الخاصّة بالنّظام السِّيميائي لها في المعنى ما لم يتم إدراك أصولها الدّلالية المستمدّة مِن دروس "دو سوسور" الّذي يعود له الفضل في إرساء مفهومها – القيمة– في الدّراسات اللسانية، وفي إضفاء المشروعية العلمية على البحوث الدّلاليّة الّتي غالبا ما كانت تُقصَى مِن الاعتبارات اللّسانية، ولِأجل تحقيق مزيد مِن الفهم والإفهام للقارئ المُتلقي عنها –القيمة– قام بتحديدها في مظهرها المفهومي والمادي وفي البحوث السِّيميائية[2].

الأمر نفسه مع "البرنامج السّردي" الّذي رأى فيه أنّه عليه القيام أوّلا بتحديد العلاقة الأساسية الّتي تقوم بين الفاعل والموضوع، وحصر الحالات الفصلية والوصلية الّتي تعكسها تلك العلاقة قبل الشّروع في تعريفه وتحليله وتحديد أسُسه النّظرية.

والمنهجية ذاتها اعتمدها في تحديده لمفهوم "الرّسم السّردي" فالبِرغم مِن إشارته في هامش الكتاب وتصريحه بأنّه سيقتصر في دراسته له على التّحريك والتّقويم، أمّا الكفاءة والأداء فسيقترب منهُما بشكل عرضي، وفي الحُدود المنهجية الّتي يسمح لها المقام، إلاّ أنّه أحال إلى الكتاب والصّفحة الّتي مِن شأنِها مُساعدة القارئ على الاستزادة والاستفادة منها[3].

والمُميّز فيما أورده رشيد بن مالك في ذلك العُنصر الإجرائي بالتّحديد استعانته بدراسة تطبيقية لجوزيف كورتيس لتوضيح "الصّور التّصديقية المقترنة بمسار المرسل"[4] في معرض حديثه عنِ التّقويم بوصفه المرحلة النّهائية المتوّجة للرّسم السّردي، لِينتقل بعدها مباشرة إلى مُعاودة الحديث عمّا أورده في كتابه "مقدّمة في السِّيميائية السّردية" حول البعدين المعرفي

[1]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص16.
[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص18/17/ 19.
[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص27/26.
[4]: المصدر السّابق، ص31.

والتّداولي على النّحو الآتي عرضه في الجدول [1]:

تحريك	كفاءة	أداء	تقويم
فعل الفعل علاقة: مرسل/ فاعل منفّذ فعل المعرفة فعل الإرادة مهيمنة إقناعية	كينونة الفعل وجوب الفعل إرادة الفعل القدرة على الفعل معرفة الفعل	فعل الكينونة فعل	كينونة الكينونة علاقة: مرسل مقوّم/ فاعل منفّذ مهيمنة تأويلية
	بعد تداولي		
بعد معارفي			

[1]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص37.

فبعد اكتفاءه سابقا بالقول إنّ هناك "بُعدين أساسيَّين في النظرية السِّيميائية: بُعد معرفي يتأسّس عليه الإيعاز والتّقويم، وبُعد تداولي نُدركه مِن خلال عمل الفاعل"[1] دون تقديم شرح أكثر عنهما نجده في هذا الجدول يلخّص جميع أطوار البرنامج السّردي المتكوّن مِن التّحريك، الكفاءة، الأداء، التّقويم، حيث يمثّل التّحريك والتّقويم حدوده، وكلاهما يقعان على مستوى البعد المعارفي رغم اختلاف ما يختص به كلّ منهما – فمثلا التحريك يختص بالفعل الإقناعي الذّي يستهدف التأثير في المرسل إليه، وتزويده بالمعرفة صائبة كانت أم خاطئة، والتقويم بالفعل التأويلي الّذي ينبني على تقييم مدى مصداقية المنجز للفعل الإقناعي–، أمّا الكفاءة والأداء فيقعان على مستوى البعد التداولي، ويتمّ إدراكهما مِن خلال ما يقوم به الفاعل.

وما إن يفرغ مِن التّحديد النّظري للبرنامج السّردي الّذي يستند إلى تحليل مُكوّنات البِنية السّردية، وفحص العلاقات الموجودة بين الفاعل والموضوع والّتي تَرتهِن في وُجودها إلى مجموعة مِن الحالات والتّحويلات الّتي تُكوِّن في تواليها نِظاما قادرا على كشف بِنية المُكوِّن السّردي يقوم بتقديم ترجمة لنصَّيْن أوّلها لـ "بيرنار بوتي"، "السِّيميائية الصّيرورة غير مستحبة"[2]، والّتي عدّها "رشيد بن مالك" مِن البُحوث المُتميِّزة الّتي قام بها في سبيل استجلاء بعض القضايا النّظرية الّتي تمسّ الصّعيد السّطحي للنّظرية السِّيميائية عبر قراءة جديدة للإرث الغريماسي يُثبِت مِن خِلالها أنّ الصّيرورة قاعدة ضرورية لكلّ برنامج سردي، وأنّ الفاعل المُنفّذ الّذي يُعدّ مُحوّلا للحالات قصد الدّخول في وصلة بموضوع القِيمة (المشروع الغريماسي) ليس في نهاية الأمر إلاّ سببا في التّغيِير.

وثانيها لـ"ج.ك. كوكي"، السيرة الذاتية والعلمية لـ أ.ج. غريماس[3] –الّذي يعدّ واحدا مِن المُؤسّسين البارزين في الحقل السِّيميائي– مشيرا في نِهاية كلّ ترجمة إلى الإحالات وثَبت لجميع المصطلحات مُرتّبة حسب ظُهورها في النّص.

---

[1]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص34.

[2]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص44.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص52.

وعلى شاكلة ما توارد ذِكره في مُتون الجزء النّظري للمؤلّفات النّقدية السّالف ذِكرها لا يتردّد مرّة أخرى سنة مِن تأليف 2006 كتابا نقديا آخر بعنوان "**السِّيميائيات السّردية" نُشر لأوّل مرة بدار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع بالأردن في حدود 182 صفحة ذات الحجم المتوسط،** استهله بفهرس مُرتّب ضمّنه عشرين عنوانا حاول مِن خلالها تقديم قراءة موضوعية حول ما هو واقع ومُتحقِّق في ظِل الإنجازات السِّيميائية الغربية الرّاهنة و"بلورة رُؤية كفيلة بتوسيم نِقاط القوّة والضّعف"[1] بُغية إنجاز خطاب نقدي مغاربي مُعاصر بِلا مُنازع بعد أن افتتحه بمقدّمة أشار فيها إلى الهدف الكامن وراء ما ألّفه قائلا:" تهدف هذه الدّراسة إلى إلقاء حزمة أخرى مِن الضّوء على السِّيميائية بِوصفها خيارا منهجيا مُغايِرا للمناهج النّقدية التّقليدية، بما يساعد على تطوير سيميائية عربية"[2] حتّى لا تكون نُسخة مطابقة للسِّيميائية الغربية.

وارتأى أن يجعله في قسمين: أحدهما نظري والآخر تطبيقي؛ فأمّا القسم النّظري منه فخصَّصه رشيد بن مالك للحديث والكشف عن مُستقبل الدّراسات السِّيميائية في العالم العربي وتوصيف المشاكل المنهجية العالقة بخصوص هذا التّوجه النّقدي الجديد كغِياب الفِرق البحثية الرّسمية والتّواصل العلمي، وانقطاع البحث العلمي بين المُؤسَّسات العلمية العربية والباحثين العرب، وعدم تمكين الباحثين العرب مِن تَعبِئة كفاءاتهم في سبيل تحقيق وتأسيس فعل وخطاب علمي وطُغيان البُحوث الفردية على البُحوث الجماعية البنّاءة، وانطلاقا مِن هذا فإنّ مُحاولة تقديم دراسة جزئية لمُستقبل لا نستطيع إدراك خفاياه وتِبيان آفاقه لن تتمّ –يقول رشيد بن مالك– "إلاّ إذا فهمنا ما يجري في عالمنا اليوم، ونظرنا عن كثب في التّراكمات المعرفية، وما النّتائج المُحقَّقة في الدّراسات السِّيميائية العربية الرّاهنة، وما الحلول الّتي يُمكن أن نصوغها بخصُوص المشاكل البحثية العالقة في السّاحة النّقدية العربية"[3] عموما والمغاربية منها على وجه التّحديد.

---

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص7.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: المصدر نفسه، ص10.

ليُعرّج الحديث لاحقا عن واقع وآفاق السِّيميائية في الفكر الأوروبي مُركزّا جُلّ اهتمامه على مسألة التّلفظ بوصفها بُؤرة للتّطور السِّيميائي بعد تنويهه وإشارته في ذات السّياق إلى أنّ تحرّي المعرفة سيظلّ دائما مُعلَّقا ما دام المسار البحثي في جميع المعارف الإنسانية يحمل في مظانه أسباب الانقطاع والاستمرار.

ومِمّا آثر "رشيد بن مالك" الوقوف عنده وإثارته في هذا الجزء "التّطورات الرّاهنة في النّظرية السِّيميائية"[1] –أي التّطوّرات الّتي أحدثها النّقاد الغربيون– وربطه لها بالتّوجهات السّيميائية الّتي كانت مُتواجدة قبل وبعد 1992 انطلاقا مِن قناعته –رشيد بن مالك– بأنّ هذه الأخيرة هي الواقفة وراء التّطوّرات الرّاهنة للنّظرية السِّيميائية، والّتي تقضي بضرورة فهم النّشاط اللّغوي في علاقته بالموضوعات السِّيميائية الّتي يُعبّئها الفاعل المُتكلِّم لإقامة التّواصل مع المتلقي بعدما أعاد جوزيف كورتيس قراءة الإرث السِّيميائي وِفق آليات جديدة تنظر إلى الموضوع السِّيميائي على أنّه مُحصّلة لعملية التّلفظ الّتي ترتهن في وُجودها إلى فاعل التّلفظ الّذي يُغطّي وضعيَّتيْن عامليَّتيْن: اللاّفظ والملفوظ له.

ولم يلْبث النّاقد يفرغ مِن الحديث عنِ التّوجهات السِّيميائية قبل وبعد سنة 1992 حتّى انتقل إلى الحديث عن القواعد الأساسية الّتي تنهض عليها السِّيميائية السّردية والمُتمثلة في:المربّع السِّيميائي، المسار التّوليدي، السّردية مُقدّما في الآن ذاته البدائل لبعض الاعتراضات المنهجية الّتي قِيلت بشأنها كاعتراض جاك فونتاني(Jacques Fontanille) على ما قاله غريماس عنِ المربّع السّيميائي، واعتراض بيرنار بوتي على عدم إيراد غريماس مدخلا خاصا بالصّيرورة في قاموسه بالرّغم مِن إشارته في تحديده لمفهوم السّردية على أنّها مُتتالية مِن الحالات المسبوقة و/ أو المتبوعة بتحويلات، بوصفها –الصيرورة– قاعدة ضرورية لِكلّ برنامج سردي[2].

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص13.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص18 وما بعدها.

مُشيرا في نِهاية المطاف إلى الآثار الإيجابية الّتي عادت على السِّيميائية جرّاء الاعتراضات والمناقشات المُؤسّسة والمَبنِية على تحرّ جماعي والّتي استطاعت أن تُحرّك الدّوائر العلمية باستقطابها باحثين مِن مُختلف الحقول المعرفية تمكنوا بفضل استثمار معارفهم مِن تأسيس تخصّصات تدور في فلَك السِّيميائية النّاشئة الّتي تحتاج إلى باحثين يَعرفون كيف يتجنّبون الآلية الفِكرية ويُجدّدون.

لم يكتف "رشيد بن مالك" بالكشف فقط عن مستقبل الدّراسات السِّيميائية في العالم العربي وواقعها وآفاقها في الفكر الأوروبي بل حاول الوقوف والكشف أيضا عنِ الحركة السِّيميائية في الدّراسات العربية المعاصرة بعد تيقُّنه وإدراكه بأنّه لا يُمكن تقديم قراءة حول "مستقبل السِّيميائية في العالم العربي وعناصر إجابة استشرافية ما لم نُعاين واقع البحث في الدّراسات السِّيميائية الرّاهنة في ضوء المستجدات في الفكر الأروبي المعاصر الّذي حقّق قفزة نوعية على جميع الأصعدة"[1] مُقدّما ثلاثة أسباب رأى أنّها هي الكامنة حقّا وراء افتقاد البحث للطابع التمثيلي؛ فأمّا أوّلها فيعود لانقطاع التّواصل العلمي بين الباحثين العرب وفي أغلب الأحيان داخل البلد الواحد، وأمّا ثانيها فراجع لاختلاف الرّؤى وتعدّد وُجهات النّظر حول العديد مِن الدّراسات السِّيميائية، وثالث الأسباب فمردُّها الترجمة وما نجم عنها مِن إشكالات مُتعدّدة[2] ساعيا وداعيا في ذات السّياق إلى البحث عن حلول لها وتقديمها في شكل اقتراحات وتطبيقات.

وتُعدّ إشكالية ترجمة المصطلح السِّيميائي مِن النّقاط المُهمَّة الّتي وقف عندها رشيد بن مالك وركّز عليها مُبديا أسفه الشّديد على التّرجمات الذاتية الفردية، مُدعّما ما ذهب إليه بنماذج لبعض التّرجمات كالتّرجمة الّتي وضعها "خليل أحمد"، و"أوديت بتيت" لكتاب "آن إينو" الموسوم بـ"Les enjeux de la sémiotiqu "، و"معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" للباحث "سعيد علّوش"[3] مُعتبرا إيّاها ترجمات حرفية "لا تُحيل على مضمون النّص ولا تُراعي الشّروط

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص24/23.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص24 وما بعدها.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص27/ 28.

الأساسية في الصّياغة العربية الّتي جاءت مهزوزة وغامضة"[1] مقارنة بغيرها.

مُشيدا بعدها بمُختلف البُحوث السِّيميائية العربية الّتي استطاعت أن تُقدّم للقارئ العربي رُؤية واضحة حول السِّيميائية عامة والسردية على وجه التحديد، وأن تتجاوز بعض المعضلات المفهومية في النص السّيميائي الأروبي نفسه، والّتي كثيرا ما كانت سببا في مضاعفة مشاكل التّرجمة العربية خاصّة مع الاختلاف المرجعي في إرساء قنوات للاتّصال بين هذه المعرفة الجديدة والقارئ العربي مُركّزا على مدرسة باريس بهدف الكشف عن نقاط القوّة في بعض البحوث، وعنِ النّتائج العلمية المُحقّقة والجهود المُعبّأة لإقامة تواصل حقيقي مع القارئ العربي لفهم السِّيميائية في مظانها وتَمثُّلها والاشتغال على الخطاب السِّيميائي النّاشئ وترويضه حتّى يكون جديرا بقراءة لا يلقى القارئ صُعوبة في تلقيها[2].

وتعدّ إنجازات كل مِن "عبد الحميد بورايو"، "سعيد بنكراد"، "محمد النّاصر العجيمي" و"محمد القاضي" –انطلاقا مِن قناعة رشيد بن مالك– مِن البحوث السِّيميائية العاكسة للجهود المبذولة في سبيل الارتقاء بالنّقد العربي مِن الرّؤية المعيارية إلى الرّؤية العلمية، والعاكسة أيضا للطّاقات الّتي عبّأها أصحابها لقراءة وفهم التّوجُّهات المنهجية في تحليل النّصوص السّردية مِن منظور سيميائي مُعقّبا عليهم تارة ومُشيدا بجهودهم تارة أخرى.

وقبل انتقاله إلى القسم التّطبيقي الّذي أسقط فيه بعضا مِن المفاهيم الإجرائية للسّيميائية السّردية على نص "كليلة ودمنة" لعبد الله بن المقفع، وروايتي "نوار اللّوز" لواسيني الأعرج و"عواصف جزيرة الطيور" لجيلالي خلاص –والّتي سيكون لنا عرض لها لاحقا– قدّم بيبليوغرافيا البحث مرتبا إيّاها حسب ظهورها في النّص[3]، وعلى شاكِلة خاتمة القسم النّظري أنهى رشيد بن مالك قسمه التّطبيقي مِن النّاحية المنهجية.

---

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص31.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص33/ 34.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص 44/43.

لم يقتصر "رشيد بن مالك"على عملية التّأليف فقط للتّعريف بالسِّيميائية السّردية والتّأصيل لها مغاربيا، فبالإضافة إلى خوضه غِمار التّأليف القاموسي وقِيامه بِتأليف العديد مِن الكتب النّقدية انتقل إلى التّرجمة، وهو ما ألفينا قليلا منها في بعض مِن مُتون المؤلّفات التي أتينا على ذِكرها سابقا، ويُعدّ **كتاب السِّيميائية (الأصول، القواعد، التاريخ) الصادر سنة 2008 عن دار مجدلاوي للنشر والتوزيع في حدود ما يفوق 383 صفحة** مِن الكتب النّقدية الّتي اعتمد فيها رشيد بن مالك على التّرجمة بنسبة كبيرة وهو ما يظهر بِجلاء مِن خلال ما حواه مِن ترجمات.

ومِثلما ألفناه في كلّ مرّة يكشف لنا في مقدّمة جميع مُؤلّفاته عن كيفية تأليفه لها وتِعداده للأسباب الكامنة وراء ذلك، نجده أيضا في كتابه هذا يُورِد تعريفا مُوجزا للكيفية الّتي تمّ بها وَضْعه مُشيرا إلى الفئة المستفيدة منه قائلا: "هذا الكتاب الّذي نُقدّمه إلى الباحثين في مجال السِّيميائيات، هو محصّلة لقاءات عديدة، جمعتنا بالأستاذ الدّكتور عز الدّين المناصرة في نهاية الثّمانينيّات (...)"[1]، دون أن ينسى الإشادة بِعدَد مِن الباحثين العرب الّذين رافقوه في هذا العمل المترجم كـ"بوزيدة عبد القادر"، "عبد الحميد بورايو"، وحتّى الغربيّين كآن إينو" وآخرون.

ليُعرِّج الحديث بعدها مُباشرة عنِ المنهجية الّتي سينتهجها في ذلك ذاكرا الأسباب الكامنة وراء انتقائه لما ترجمه جاعلا هدفه الأساسي مِن جميع هذه التّرجمات "صِياغة بعض الحلول حول إشكالية تلقي المعرفة السِّيميائية في المؤسَّسة العلمية العربية. نذكر تلك المُتعلِّقة بافتقاد القارئ العربي إلى المرجعية التّاريخية لهذه البحوث، وافتقاره إلى الأرضيات البحثية الّتي انطلقت منها، والتّيارات العلمية الّتي مهّدت لظُهورها، وفوضى المصطلحات الّتي تُعدّ السمة الغالبة في الخطاب النّقدي العربي الجديد"[2] ولعلّ هذا ما جعله يعزف عن ترجمة غريماس ويُقبل على ما انتقاه لتحقيق مُراده مِن هذا المؤلَّف.

ومِمّا يلفت الانتباه في هذه المقدّمة عدد صفحاتها الّتي فاقت عشرين صفحة حرص فيها

[1]: آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص7.
[2]: المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

الناقد على إرفاق كلّ ترجمة بالأسباب الّتي دفعته إلى انتقائها دون سواها، هذا بالإضافة إلى الحديث عنِ المنهجية العلمية الّتي اعتمدها أثناء عملية التّرجمة.

وما إن يفرغ رشيد بن مالك مِن إيراد المقدمة نجده يُقدّم مباشرة تمهيدا لعز الدّين المناصرة تحدّث فيه عن "شِعرية المنهج السّيميائي في اللّغة، الثقافة، والشعر (قراءة مونتاجية)"[1] حاول مِن خلالها الإجابة عنِ العديد مِن التساؤلات الّتي لا تكاد تبرح ذهن أيّ باحث مُتعطّش للمعرفة، نُورد منها على سبيل التّمثيل سبب تسمية الأشياء بما هي عليه فمثلا القلم لماذا سُميّ قلما ولم يُسمّى كراسا أو عصا أو عمود أو غير ذلك"، و"لماذا لا يُسمّى الحجر شجرة، ولماذا لا يُسمّى العصفور أفعى؟؟؟. خصوصا أنّنا لا نملك قاموسا يشرح لنا تاريخ دلالات الألفاظ وتحوّلاتها، وحتّى لو كانت لنا قواميس فهي لن تمتلك التّاريخ الحقيقي للكلمة"[2] فما كان منه إلاّ أن يتتبّع تاريخ السِّيميائيات منذ ألفي سنة مضت إلى الألفية الجديدة الّتي نحن فيها، ويرصد مُختلف الاتّجاهات السِّيميائية الحديثة كسِيميائية التّواصل، سِيميائية الدّلالة، سِيميائية الثّقافة مُفصّلا في كلّ اتجاه على حدة، إضافة إلى حديثه عن بِنية عالم الدّلالات (المربّع السيميائي) عند غريماس، والسِّيميائية التّحويلية مع جوليا كريستيفا، وسيميائية الشّعر لريفاتير الّتي جعلها في خاتمة تمهيده مُعرّجا الحديث عمّا كلّفه به رشيد بن مالك ومُشيدا بالجهود التّي يبذلها في سبيل ترجمته لمُختلف النّصوص السِّيميائية الأجنبية الّتي تكون في ذاتها غامضة ومستعصية الفهم من لدن أهلها فكيف إذا ما تمّ نقلها إلى غير أهلها فأكيد أنّ هذا سيتطلب مِن المترجم جهدا إضافيا آخر حتّى يسهّل على القارئ العربي استكتناه جوهرها وضبط معناها خاصّة السِّيميائية الباريسية وعلى رأسها السّيميائية الغريماسية ذاكرا بعدها مخُتلف المراجع استند عليها في هذا التمهيد.

مُنوّها في ذات السّياق إلى ضرورة ترجمة كُتب الأصول "الأورو-أمريكية في مجال السِّيميائيات كمرحلة أولى بدلا مِن الكتب العربية النّظرية في مجال السِّيميائية خاصّة الّتي تزعم

[1]: آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص23.
[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

التّأليف[1] وتكتفي بالنّقل والجمع فقط دون تقديم أيّ جديد على حدّ تعبيره.

ومِن التّرجمات الّتي وقف عندها "رشيد بن مالك" ترجمة كتاب "تاريخ السِّيميائية" لـ"آن إينو" في الباب الأوّل، وقد كانت له قراءة سابقة له في كتابه "السِّيميائيات السّردية" لكن بِشكل موجز مقارنة بما أورده في هذه التّرجمة الّتي كانت له إشارة إلى كلّ كبيرة وصغيرة فيه، والّتي تأتّت له بفضل اطّلاعه على كلّ ما يُمكن أن يساعده على فهمه واستيعابه وهو ما جعل آن إينو لا تتردّد في الإشادة به –رشيد بن مالك– في مقدّمة الطبعة العربية قائلة:" ولقد أدرك رشيد بن مالك منذ الوهلة الأولى مُجمل المشروع بكلّ مُتطلباته وصعوبته، وقد قرأ قراءة متميّزة، مِن حول هذا الكتيب، شديد الاختصار بالضرورة، كل ما يُمكن أن يساعد على إثارته وفهمه، بل إنّ السيد رشيد بن مالك عرف كيف يُعيد اكتشاف الكلمة العتيقة "السّيمياء" في أغوار اللّغة العربية، وهكذا استطاع أن يضع ترجمة شديدة الدّقة، وإنّي ليمكنني أن أشهد على ذلك اعتمادا على اللّقاءات العديدة بيننا، حيث كان في كلّ مرّة يطلب منّي توضيح (أو تبرير) هذه النّقطة المُحدّدة أو تلك حتّى في أدّق التّفاصيل"[2] وهو ما أعطى لترجمته أكثر مِصداقية وسنح له بأن يحتل الصّدارة في قائمة النّقاد المغاربة المترجمين.

ومِن القضايا التي أثارتها "آن إينو" في كتابها "تاريخ السِّيميائية" وحاول "رشيد بن مالك" ترجمتها وإضافتها إلى المكتبة النّقدية المغاربية عموما بُغية إثرائها ومُساعدة الباحثين المشتغلين على السِّيميائيات السّردية لسّانيات فريديناند دو سوسور، فلاديمير بروب ودراسة الحكايات ذات التّقليد الشفوي، الشّكلانية الرّوسية والبنيوية، حلقة براغ، ومدرسة باريس، هذا بالإضافة إلى وقوفها العابر عند سيميائية ش.س. بيرس مُرجِعة سبب ذلك وحسب رأيها إلى أنّ أعماله لم تلعب أيّ دور مُهم في مسار البحث السِّيميائي وهو ما نستشفه من قولها: "وطرحنا في هذا الكتاب أيضا مسألة مواجهة النّظرية السِّيميائية الأروبية بالبحث الأمريكي المنحدر مِن سِيميائية

[1]: ينظر، آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص 57.
[2]: المصدر نفسه، ص 66.

ش، س بيرس، حيث يبدو تقويم هذا البحث مِن منطلقات كرونولوجية مفارقا: نلمس أسباب هذه المفارقة في كون هذا الرّائد الكبير في فلسفات الدليل والمعنى، والمعاصر لسوسير لا يظهر في تاريخ السِّيميائية، ويعود سبب هذا الإهمال إلى أنّ أعمال بيرس وإلى عهد قريب جدّا لم تؤدّ أيّ دور في التّطورات الّتي عرفها البحث النّظري موضوع دراستنا في هذا المؤلف في الوقت الّذي نشهد فيه الآن في أوروبا بداية لقراءات معمّقة جدا ستلقى صدى بعيدا في كلّ الحقل السيميائي"[1] دون استثناء.

ترجمة أخرى قام بها "رشيد بن مالك" وهي كتاب "السّيميائية الأدبية" لـ"ميشيل آريفييه" في الباب الثاني، نوّه في بدايته إلى ضرورة الاحتراس مِن منح ثقة كبيرة للكلمات المُشكّلة لعنوان الكتاب "السِّيميائية" و"الأدبية"، ليشير بعدها مباشرة إلى ما سيقف عنده "ميشيل آريفييه" أو بالأحرى الإشارة إلى ما تدرسه السِّيميائية الأدبية وإشكالاتها على التّوالي:

5-4-1 أسماء السِّيميائية الأدبية وعلاقاتها بالنّشاطات المرتبطة بها.

5-4-2 المعطيات التّاريخية الأساسية.

5-4-3 المناقشات حول مفهوم الأدبية.

5-4-4 السِّيميائية الأدبية في تعدُّدِيتها.

5-4-5 مفهوم النّص[2].

وغيرها مِن الإشكاليات الجانبية الأخرى الّتي أثارها ميشيل آريفييه في هذا الكتاب كالإشكالية القائمة بين مصطلحي "السِّيميولوجية" و"السِّيميائية" وموقف غريماس منها، وكذا الفروقات والاختلافات المنهجية والمصطلحية الموجودة بين النّقاد المعاصرين حول التّسميتين، إضافة إلى قضية أخرى شديدة الصّلة بها تتعلّق بإشكالية السِّيميائيات الأدبية ومفهومها في

[1]: آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص 70.
[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص 198.

الخطاب البنيوي–الّذي تأثر بأعمال "سوسور"، "هلمسليف"، "تينير"، "جاكبسون"، "كلود ليفي ستروس"، "غريماس"، "جان كلود كوكي"، "جوزيف كورتيس"، "توما بافيل"، "فرانسزا راستيه"، "كلود بريمون"، "كلود شاربول"، "جيرار جينيت"، "بول لاريفيه"، و"تودوروف"– والمابعدي أو الضّد بنيوي –الّذي تبنته جوليا كريستيفيا– وهو ما كان سببا في وجود مفهومين مختلفين للنّص أحدها مِن منظور بنيوي والآخر مِن منظور تحليلي؛ فأمّا الّذي مِن منظور السِّيميائِيّين البنيويين فهو "مجموعة يؤلّفها الخطاب، الحكاية والعلاقات القائمة بين هذين الموضوعين، المحدّدين كطبقات دلالية مستقلة نسبيا وقابلة بدورها إلى أن تتنضد في مستويات متعدّدة"[1]، وأمّا الّذي مِن منظور السِّيميائية التّحليلية فإنّ النّص يُحدَّد كـ"عملية لسانية تتشكَّل في اللّغة وتكون غير قابلة للاختزال إلى المقولات المعروفة الخاصّة بكلام التّبليغ، موضوع اللّسانيات"[2] معنى هذا أنّ النّص في منظور السِّيميائية التّحليلة لا يُحدَّد كموضوع جمالي أدبي بل كعملية لسانية وكفى، وهو ما أنهى به رشيد بن مالك ترجمة السِّيميائية الأدبية لميشال آريفييه دون أيّ خاتمة أو حتّى بيبلوغرافيا.

لينتقل مباشرة إلى ترجمة كتاب "السِّيميائية: نظرية لتحليل الخطاب" لـ"جان كلود جيرو"، و"لوي بانييه" في الباب الثّالث أين ركّز فيه على عرض بعض المصطلحات مقدّما لها تعاريف أوّلية كمصطلح السِّيميائية، والدّال والمدلول (الدّليل اللّغوي)، وزيادة على هذا عرضه لبعض المُسلّمات والمبادئ القاعديّة[3] الّتي يتمّ مِن خلالها إعداد النّظرية السِّيميائية كالمُسلّمات البِنيوية ومبدأ المحايثة، هذا بالإضافة إلى وُقوفه عند مُختلف "مستويات الدّلالة"[4] كالمستوى السِّيميائي (أو المنطقي الدّلالي)، والمستوى السّردي، والخطابي، وكذا مُستويَي التّعبير والمحتوى مُعطيا لكلّ مستوى مِن هذه المستويات حقّها مِن الشّرح والتفصيل مُركِّزا بالدّرجة الأولى على مفهومها

[1]: آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص225.
[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3]: المصدر نفسه، ص229.
[4]: المصدر نفسه، ص231.

وأهميتها مُميّزا في الآن ذاته بين هذا المستوى أو ذاك.

وفي الباب الرّابع مِن كتاب "السِّيميائية (الأصول، القواعد، التاريخ)" ترجم "رشيد بن مالك" كتاب "التّحليل السِّيميائي للخطاب:التّشاكل والتّرابط بين التّعبير والمضمون (الموكب الجنائزي)" لـ"جوزيف كورتيس" مِن أجل "تبليغ المعرفة السِّيميائية في مصدرها وفتح آفاق جديدة في البحث أمام الفكر العربي وتنمية حِسّه النّقدي، وتوسيع دائرة اهتمامه بصُورة تجعله ينظر إلى الظاهرة الأدبية أو الاجتماعية، فلا يقتنِع بما هو سطحي ولا يقتصر على الأحكام المجّانية الّتي تعوّدت عليها المؤسّسات التّعليمية، والّتي لا تسدّ الرغبة الحادة في المعرفة، ولا يكتفي بنتيجة علمية إلاّ بعد التّحقق مِن سلامة فرضياتها وصِحّة التّفكير الّذي أفضى إليها، هذا ما نَرغب في الوصول إليه مِن خلال ترجمتنا لهذا النّص"[1]، وهو ما حوته المقدّمة الّتي تصدّرت النّص المترجم العاكس لتوجُّه جديد في الدّراسات السِّيميائية المعاصرة الّتي اخترقت مُختلف مجالات النّشاط الثّقافي البشري، ولم تعد تهتم فقط بمُختلف النّصوص السّردية بل تجاوزتها إلى الاهتمام بمجالات شتى مِن الوقائع الثّقافية كتحليل "الموكب الجنائزي الذي عرفته فرنسا الريفية، وذلك قبل تعميم استعمال العربات (لاسيما في المدينة)"[2] بوصفه شكلا من أشكال التّعبير الحر.

وفي محاولة أخرى منه للتّعريف بالسِّيميائية السّردية أو بالأحرى "مدرسة باريس السِّيميائية" قدّم ترجمة لكتاب "مدرسة باريس السِّيميائية" لـ"جان كلود كوكي" في الباب الخامس أراد من خِلالها التّعريف بمدرسة باريس السِّيميائية والوُقوف عند تسميَتِها في مُختلف الدّراسات الفرنسية، هذا بالإضافة إلى ذكر أبرز أعلامها وكيفية تشكّلها، ورصد أهم الإنجازات الّتي حقّقتها مع تقديم عرض مُفصّل للتّيارات اللّسانية الّتي كان لها عميق الأثر في تعميق المعرفة المنهجية واختبارها أثناء التّصدي للظّواهر الموضوعة قيْد الدّراسة والتّحليل والهادفة إلى رسم

[1]: آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص247.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

النّقاط المعلمية التّاريخية والأسس الايبستيمولوجية للبُحوث السِّيميائية الرّاهنة[1].

ويعدّ كتاب "السّيرة الذّاتية والعلمية لـ أ.ج. غريماس" لـ"جان كلود كوكي" آخر ترجمة قدّمها "رشيد بن مالك" في الباب السّادس ابتغى مِن خلالها التّعريف بأبي السِّيميائية السّردية والإشادة بجهوده المبذولة للارتقاء بالدّرس السِّيميائي الغربي، وتجْلية أرضيَاته البحثية الّتي مهّدت لظُهوره والجمعيات الدّولية الّتي تبنّت طُروحاته[2].

ومِن جملة ما يمكن استخلاصه حول التّرجمات الّتي اختارها "رشيد بن مالك" أنّها تصب في جوهر الدّرس السِّيميائي السّردي الغربي، وما انتقاؤه لها إلاّ بهدف التّعريف بها للمُهتمِّين والرّاغبِين في الاشتغال عليها وتطبيقها على مُختلف النّصوص السّردية لاختبار مدى فعاليتها في الكشف عن البِنيات التّحتية والعميقة لشتى أنواع النّصوص، وبناء على هذا فإنّه بوسعنا اعتبار ما ترجمه مرجعا علميا مهما للنّقاد والأساتذة، والطّلاب الجامعيّين خاصّة وأنّه كان يُرفق كلّ دراسة يتُرجمها بذكر السّبب الّذي دفعه لانتقائها دون غيرها مِن الدّراسات الأجنبية؛ فمثلا في الباب الخامس نجده يقدّم الأسباب الحقيقية الّتي كانت وراء ترجمته مُصرّحا بأنّه وقف حائرا قبل ترجمة هذا النّص –جان كلود كوكيه– بين اختيارين؛ **أوّلهما** يتعلّق بترجمة الأعمال التّطبيقية السِّيميائية خاصّة وأنّ السّاحة النّقدية العربية تفتقد إلى مِثل هذا النّوع مِن الدّراسات الّتي حتّى وإن وُجدت فإنّ القارئ العربي يجد مشقة ومُعاناة كبيرة في فهمها واستيعابها وفك رُموزها ومصطلحاتها، فهو يقرأ ويبذل مجهودا كبيرا لاستساغة فكرة أو إدراك مفهوم، أو لفهم ما يُترجم إلى العربية[3]، و**ثانيهما** الوضع المتأزّم الّذي آل إليه القارئ العربي نتيجة التّرجمات العربية المتعدّدة والّتي كثيرا ما ترِد مُفكّكة ويغلب عليها الغموض والتّضارب في الآراء، والخلط بين المفاهيم واستعمال مصطلحات مضطربة ما من شأنه أن يؤثر سلبا فيما بعد على البحوث النّقدية العربية الّتي لم ترق بعد إلى وضع استراتيجية بحثية تهدف إلى توحيد التّرجمة

[1]: ينظر، آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص261 وما بعدها.
[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص347 وما بعدها.
[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص11.

المصطلحية ويضع بينه وبين المعرفة الوافدة أو الجديدة جدارا سميكا يصعب عليه اختراقه لتحقيق التّواصل العلمي الإيجابي، وهو ما كان سببا في تبنّي رشيد بن مالك لهذا الاختيار الصّادر عن قناعة مفادها "أنّ القطيعة بين القارئ العربي والتّيارات البنيوية والسِّيميائية تُفسّر بعض جوانبها بافتقار المكتبة العربية إلى المؤلفات المتضمّنة الأصول العلمية الّتي مهدت لظهور السِّيميائية ويُعتبر إدراك هذه الأصول الّتي تتفرغ إلى حقول معرفية متنوعة أساسا في خلق المرجعية العلمية الّتي استمدّت منها السِّيميائية أجهزتها المصطلحية وأدواتها الإجرائية المُتبدِّية بشكل واضح في التّمارين التّطبيقية لهذا كلّه أقدمت على ترجمة هذا النص"[1].

لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ ما أوردناه لا ينفي وجود بعض الهفوات التي وقع فيها رشيد بن مالك كعزوفه عن إرفاق بعض الأبواب بخاتمة تحوي حوصلة عنه كما في الباب الأوّل مثلا أو حتى بيبليوغرافيا لقائمة المراجع الّتي استقى منها مادّته المعرفية.

يعود "رشيد بن مالك" مرّة أخرى إلى التّأليف وهو ما يظهر بجلاء في كتابه النّقدي "**من المعجميات إلى السيميائيات" الصادر سنة 2012 عن دار مجدلاوي للنشر والتوزيع في حدود 355 صفحة** حاول مِن خِلاله سدّ العديد مِن الفراغات الّتي كثيرا ما عانى منها القارئ حول البِدايات الأولى للبحث السِّيميائي، وما علاقته بالمعجميات واللّسانيات؟ وكيف انتهى إلى ما هو عليه الآن؟ ومن هم رواده؟ وماهي الإشكاليّات العلمية الّتي طرحوها؟ وغيرها من التّساؤلات الّتي أثارها في "المدخل المنهجي"[2] للكتاب مُحاولا الإجابة عنها في قِسميْن بعد تقديمه قراءة جزئية عن واقع البحث السِّيميائي في الفكر الغربي والعربي وآفاقه على نحو ما سنعرضه، مع الإشارة إلى أنّنا سنكتفي فقط بتقديم قراءة سريعة للخطوط العريضة الّتي حواها هذا الكتاب دون التّغلغل فيها لتواجدها في أكثر مِن مؤلّف.

ومِن جملة ما وقف عنده في القسم الأوّل مِن الكتاب تقديمه لـ"نصوص مترجمة ودراسات

[1]: آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص12.
[2]: رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص7.

في المعجميات والسِّيميائيات"[1] حاول من خلالها الإجابة عن الأسئلة السابقة، ويُعدّ نص "ما قبل القول: أ.ج.غريماس واللّسانيات الفرنسية" لـ توما برودن"[2] الّذي تتجلّى أهميته حسب "رشيد بن مالك" في تتبُّعه –برودن– للمسار العلمي الّذي قاد غريماس خِلال خمسة عشرة سنة من الدّراسة التّاريخية والاجتماعية للمُفردات الفرنسية إلى البنيوية التّاريخية، ثمّ الدّلالية البنيوية مِن الدّراسات الحاضنة للتّباشير الأولى للدّرس الدّلالي والمُشكّلة للإطار العام للبحث السِّيميائي المعاصر، أضف إلى ذلك ترجمته نص"الموضوعات والمناهج"[3] الّذي وُضع كمدخل منهجي لدكتوراه دولة الأولى الموسومة بـ"الموضة في 1830 محاولة وصف المفردات الثّيابية مِن خلال صحف موضة تلك الحقبة" والّتي ناقشها غريماس بجامعة السوربون سنة 1948، ومثلما عوّدنا رشيد بن مالك في كلّ مرة يُخبرنا عن سبب انتقائه لنص وترجمته دون سِواه فإنّه في هذه التّرجمة لا يخرج عن ذلك، وهو ما يتجلّى ضِمنيا في تصريحه بأنّ نصّ "الموضوعات والمناهج" يحظى بأهميّة تاريخية كبيرة ويعبّر عن تجربة غنيَّة خاضها الباحث في الدّراسات المعجمية وكان لها فيما بعد عميق الأثر في الاختيارات المنهجية الّتي ستقوده مستقبلا مِن البحث في معاني المفردات المعزولة إلى صياغة نظرية عامة تُعنى بالتّجليّات الدّلالية في الخطاب.[4]

ترجمة الأطروحة الثّانوية سنة 1948 بعنوان "بعض انعكاسات الحياة الاجتماعية خلال 1830 في مفردات صحف المُوضة لتلك الحقبة"[5] لـ"غريماس" بجامعة السّوربون واحدة مِن البحوث والدّراسات الّتي وقف عندها "رشيد بن مالك" وتعمّد إدراجها في هذا الكتاب حتّى يأخذ القارئ فِكرة عن الوضع السّائد في الأربعينيَّات وطبيعة الأدوات المنهجية الّتي سخّرها في دراسته خاصّة بعد تصريحه وإشارته لاحقا بأنّ قارئها لا يلقى صعوبة في فهم خِطابها العلمي

[1]: ينظر، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص19.
[2]: المصدر نفسه، ص21.
[3]: المصدر نفسه، ص49.
[4]: ينظر، المصدر نفسه، ص7.
[5]: المصدر نفسه، ص53.

الّذي جاء مُتماسِكا وبلُغة سهلة وبسيطة جدا يفهمها العام والخاص[1]، ولعلّ هذا هو الشّيء المميَّز في جميع مؤلفاته تقريبا، حيث نجده في كلّ مرة يقدّم أجوبة صريحة لمُختلف الأسئلة الّتي تجول في فِكر كلّ مُطَّلع على ترجماته وكُتبه لكن دون طَرحِها وكأنّه يُمارس دوْرين أثناء تأليفه لأيّ كتاب أو ترجمته لأيّ نص؛ دور النّاقد المتمكِّن والمُتمرِّس العالِم بما يحيط به، ودور القارئ العام الّذي يتلقّى ما يُؤلفه للمرّة الأولى وحتّى لا يستشعر صعوبة–القارئ– في فهم خطابه نجده في كلّ مرة يُعبّده جيدا حتّى يصبح واضح المعلم سهل المسلك.

ولتأكيد ما أوردناه نسوق ما قاله "رشيد بن مالك" كتَتِمّة لما ذكره سابقا بأنّ "التعقيدات الوحيدة الّتي قد تعترض سُبل المترجم تكمن أساسا في التّعامل مع نِسبة غير قليلة مِن مفردات الموضة الثّيابية الّتي رافقت التّطور التّكنولوجي ولا يلقى لها الباحث أثرا لا في معاجم روبير ولاروس وليتري وغيرها مِن المعاجم الفرنسية، ولا في القواميس الثّنائية والثّلاثية اللّغات(فرنسي/عربي، فرنسي/إنجليزي/عربي)"،[2] وبالتّالي فإنّ عدم احتوائها على هذه المفردات ينفي احتمالية اتّسامها بالتّعقيد.

نصٌ آخر قام "رشيد بن مالك" بترجمته مأخوذ مِن "رِهانات السِّيميائية" لـ"آن إينو" بعنوان "الرّوح السِّيميائية الجديدة"[3] تحدّث فيه عنِ النّقاط المعلمية الكُبرى للدّرس السِّيميائي المُعاصر، هذا بالإضافة إلى تقديم "مدخل إلى قراءة المعجم المعقلن في نظرية اللّغة السِّيميائية أ.ج. كريماس، ج.كورتيس"[4] حاول مِن خلاله تحليل المنهجية المُعتمدة في إعداد المعجم وتقديم بعض البدائل المنهجية لقراءته، وتقديم تحليل معمّق لمصطلحي السِّيميائية والسِّيميولوجيا في المعاجم المزدوجة (معجم المجيب لـ"أحمد العايد"، وقاموس المنهل (فرنسي/عربي) لـ"سهيل إدريس"، قاموس السّبيل لـ"دانييل ريغ")، والمعاجم العربية العامة(المنجد في اللغة، المعجم

[1]: ينظر، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص8.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: المصدر نفسه، ص168.

[4]: المصدر نفسه، ص179.

الوسيط) دون سواء لاعتقاده بأنّ ما قدّمه كفيل "بإرجاع المِصداقية للمصطلح وبِفتح النّصوص المعجمية على المحيط العلمي والتّكنولوجي ووضع القارئ في صُلب التّحولات اللّغوية الّتي يُدرك مِن خِلالها أنّ قِيمة المصطلح تُستمد مِن العلاقة الّتي يُقيمها مع المصطلحات الأخرى"[1] ليكتشف في الأخير عكس ذلك تماما خاصّة بعدما تبيّن له أنّ واضعي معاجمنا لا يهتمُّون بالمرجعية المفهومية للمصطلحات ولا يتأكّدون مِن صحة ما ينقلونه عنِ المعاجم الأخرى، ولا يُكلّفون أنفسهم عناء طرح الأسئلة الجوهرية حول المسائل الكُبرى الّتي يحملها المصطلح، ولا يهتمّون بتبسيط الشّرحات العلمية للمصطلح، وهو ما حذا به إلى الدّعوة لتأصيل المصطلح، وتعميق المعرفة بمرجعياته العلمية، والتّحكم في الآليات النّظرية الّتي تُحرّكه وتمثّل مفاهيمه القديمة منها والحديث أحسن تمثُّل لصناعة خطاب معجمي يكون في متناول المُستعمل العادي للقواميس العامة والمزدوجة[2].

وآخر دراسة أدرجها رشيد بن مالك كانت حول "التّحليل المعنمي وأهميته في الصّناعة المعجمية"[3] للتعريف بآليات الاقتراب المعنمي مِن المفردات اللّغوية القابلة للتّجزئة إلى وحدات معنوية صُغرى في الدّرس اللّساني المُعاصر انطلاقا مِن المسلّمة القائلة بأنّ مدلول المفردة قابل للتّجزئة إلى وحدات معنوية صُغرى مُستعرِضا بعضا مِن الجوانب التّطبيقية الّتي كان لها عميق الأثر في بلورة التّحليل المعنمي وتِبيان أهميته في ترتيب المادة المعجمية.

كان هذا فيما يتعلّق بالدّراسات والبحوث الّتي أوردها "رشيد بن مالك" في القسم الأوّل من الكتاب، أمّا القسم الثّاني منه والمعنون بـ"التّحليل السِّيميائي للنّص السّردي"[4] فقد قام فيه بفحص بعض الجوانب النّظرية في السِّيميائية ذات التّوجه الغريماسي، والوُقوف عند عدد مِن القضايا الهامّة في أبعادها النّظرية والتّطبيقية رغبة منه –رشيد بن مالك– في تمثُّل مُختلف المسائل

[1]: من المعجميات إلى السّيميائيات، ص199.
[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص202.
[3]: المصدر نفسه، ص207.
[4]: المصدر نفسه، ص225.

النّظرية وتبسيطها، ومِن النّصوص السّردية الّتي قاربها سيميائيا رواية "الصحن" لسميحة خريس، وقصّة "عائشة" لأحمد رضا حوحو، إضافة إلى "كليلة ودمنة" لعبد الله بن المقفّع الّتي كانت له دراسة سابقة لها فيما مضى مِن مؤلّفاته النّقدية، وسيكون لنا في الصفحات القادمة من البحث نصيب مِن الكلام حول هذه المقاربات وغيرها مِن المقاربات الأخرى الّتي كانت لنا إشارات عابرة عنها في متون ما ذكرناه.

كانت هذه أبزر المؤلفات النّقدية الّتي سعى مِن خلالها "رشيد بن مالك" إلى التّعريف بالسّيميائية السّردية في السّاحة النّقدية المغاربية عموما، وفي رحاب الجامعة الجزائرية على وجه التحديد، والّتي لم يكتف فيها بالتّأليف فقط للتّعريف بالسِّيميائية الغريماسية بل راح يُترجم العديد مِن الدّراسات الغربية الّتي عُني بها أصحابها على نحو ما كانت لنا وقفة عابرة معها في بعض مؤلّفاته النّقدية سابقا وبالأخص "السّيميائية(الأصول، القواعد، التاريخ)" الّذي أظهر من خلاله تحذلقا فكريا واسعا، وقدرة كبيرة على التّرجمة من المصدر الأصلي.

وصفوة ما نخلص إليه بِناء على ما تقدّم ذِكره وعرضه إلى أنّ هناك انسجاما كبيرا بين عناوين المؤلّفات النّقدية الّتي وقفنا عندها ومضمونها الّذي حاول مِن خلاله "رشيد بن مالك" التّأصيل للسِّيميائية السّردية والتّعريف بها مغاربيا مُعتمِدا في ذلك ثلاثة أنواع مِن الخطابات النّظرية العاكسة لتوجّهه النّقدي والكاشفة عن ملامحه على نحو ما هو بيّن فيما يأتي:

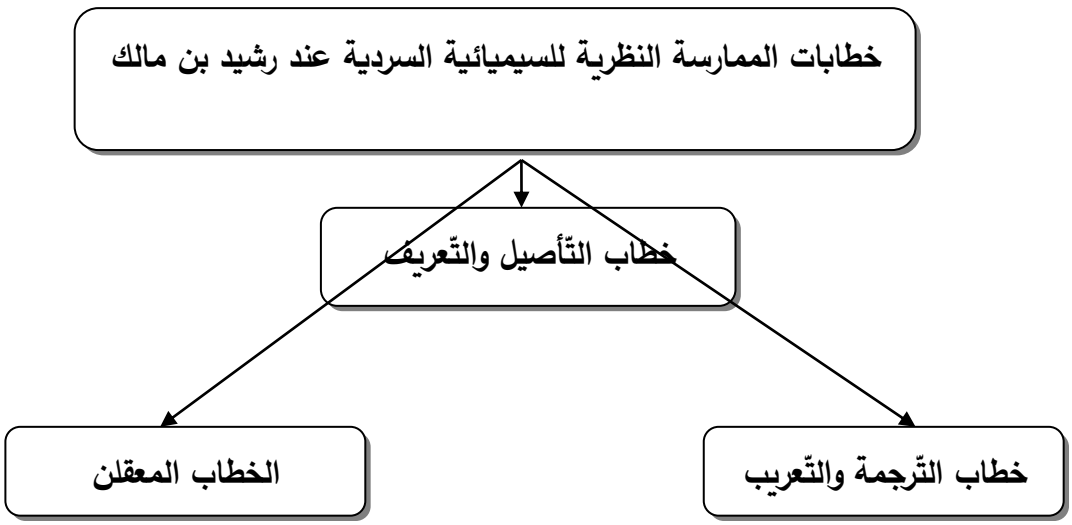

يتراءى لنا مِن خِلال هذا المخطط مُختلف الخطابات النّظرية الّتي اعتمدها رشيد بن مالك لِنقل أبجديات الدّرس السِّيميائي السّردي الغربي إلى السّاحة النقدية المغاربية، وفيما يأتي إشارة موجزة لكلّ منها على حدة:

1. **خطاب التّأصيل والتّعريف:** ومِثل هذا الخطاب لمسناه بصُورة واضحة في كل مِن كتاب البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية، مقدّمة في السّيمائية السّردية، السِّيميائيات السّردية، من المعجميات إلى السِّميائيات، إذ لا يكاد يخفى على مَن يقف عندها وقفة قارئ مُتدبِّر التّعرف على أهم المرجعيات المعرفية الّتي على إثرها تشكّلت وتأسّست السِّيميائية السّردية الغريماسية في رِحاب السّاحة النّقدية الغربية وبالتّحديد رِحاب المدرسة النّقدية الباريسية، هذا إلى جانب تعرّفه أيضا على مُختلف المفاهيم الإجرائية الّتي تقوم عليها.

2. **خطاب التّرجمة والتّعريب:** وهو ما استخلصناه بجلاء مِن كتابه "السِّيميائية(الأصول، القواعد، التاريخ)"، وبصُورة محتشمة مِن كتابيْه "البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية"، "من المعجميات إلى السِّيميائيات" أين سعى مِن خلالهما إلى التّعريف أكثر بالسّيميائية السّردية خاصّة مِن خِلال النّصوص الّتي كان يقوم بترجمتها لإطلاع الباحث المُهتم بها والمشتغل عليها بأهميتها.

3. **الخطاب المعقلن:** وهو ما نستشفه بجلاء مِن خلال "قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي، إنجليزي، فرنسي)" الّذي اعتمده "رشيد بن مالك" للتّعريف أكثر بمصطلحات الجهاز المفاهيمي للسِّيميائية السّردية، وضبط مُختلف دلالاتها حتّى لا يجد المُشتغل عليها لاحقا صُعوبة في استيعابها وتوظيفها وتطبيقها في مُختلف مقارباته السِّيميائية على شتى أنواع النّصوص السّردية.

المبحث الثّاني: تمظهر السِّيميائية السّردية في خطاب الممارسة النظرية عند العجيمي

يعدّ كتاب "**في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)" لمحمد النّاصر العجيمي** الصّادر سنة 1991 عن الدّار العربية للكتاب تونس في حدود 140 صفحة من الحجم الصّغير الكتاب الوحيد الذي نلمس فيه تبنِّيه للسِّيميائية السّردية، يقع في قسمين؛ أحدهما نظري والآخر تطبيقي.

ولعلّ أوّل ملاحظة تستوقف أيّ قارئ له ما أورده "محمد النّاصر العجيمي" تحت عنوان "مشكلية الدّراسة" أورد فيها الصّعوبات الّتي اعترضته وهو بصدد الكشف عنِ المفاهيم الإجرائية للنّظرية السِّيميائية السّردية، هذا بالإضافة إلى حِرصه الشّديد على انتقاء الألفاظ الثّرية المناسبة، وهو ما يظهر جليّا في قوله:"(...) وقبل أن نقوم بتبرير عملنا بدا لنا مفيدا أن نُلِم بأسباب الصّعوبة الّتي واجهتنا، وقد حصرناها في اثنين: أوّلا أنّ قريماس لم يُؤلِّف دراسة تستوعب في نظرة تأليفية جامعة جهازا نظريا يتيح للدّارس مرجعا ميسور التّناول (...)؛ ثاني صعوبة تعترض الدّارس العربي عند إقباله على نظرية قريماس تتمثّل في أنّه –الدارس– يواجه حشدا مِن المصطلحات بالغ الوفرة على نحو لا نكاد نجد له نظيرا في المناهج النّقدية الحديثة(...)"[1] خاصّة في الأوساط الجامعية.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ ما صرّح به النّاقد حول الصّعوبات الّتي واجهته وكذا ما قام به مِن جُهود فردية بخُصوص بعض التّرجمات له ما يُبرّره وكأنّه بذاك التّصريح يُحاول مسبقا دفع كلّ أصابع الاتّهام والنّقد وإسكات كل من سيتّهم جُهده بالتقّصير هذا مِن جهة، ومِن جهة أخرى يُعلّل سبب وضع هذه الصّفحات تحت عنوان "مشكلية الدّراسة" بدل مقدّمة كما هو مألوف في جميع الكتب.

ينتقل "محمد النّاصر العجيمي" مِن تِعداد الصّعوبات إلى تِعداد وإيراد السّبب الرّئيسي الكامن وراء رغبته الجامحة في تقفّي آثار نظرية غريماس على الرّغم مِمّا سيَلفيه مِن صعوبات

[1]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص7.

قائلا: "(...) ولنشر في هذا الصّدد إلى أنّ أهمّ سبب حذا بنا إلى تقديم نظرية قريماس الموسومة بالأنموذج العاملي مردّه إلى ما حظيت به مِن انتشار واسع في الغرب لِما تتميّز به مِن قدرة على تفجير الموضوع المدروس ووصف آلية توليد المعنى (...)"[1]، ولَئِن كانت نظرية غريماس محفوفة ببعض الغموض، فقد وجد في أعمال رُفقائه ما يُزيل ذلك الغموض ويُزيل الإبهام عن بعض القضايا الّتي استغلق عليه فهمها كـ"جان كلود كوكي"، و"كورتيس".

وبانتهائه مِن تِعداد الأسباب نجده يقدّم للقارئ المنهج الّذي سينتهجه مُلخّصا إيّاه في أربع نقاط على التوّالي:

أوّلا: توخيه الوضوح بقدر وسعة، والتزامه في الآن ذاته بالأمانة العلمية رغم إدراكه عُسر التوفيق بين ما تتطلّبه الغاية التّعليمية مِن تبسيط، وما يقتضيه البحث العلمي مِن دقّة وصرامة.

ثانيا: عدم تعرضه في تقديمه للنّظرية إلاّ عند ما حصل بشأنه إجماع أو شِبه إجماع، وإعراضه– إلا عندما تقتضي الحاجة– عنِ الخوض في الجدل المتّصل ببعض الجزئيات.

ثالثا: انطلاقه مِن الأقل تشعبا وإثارة للقضايا إلى الأكثر إشكالية.

رابعا: مُواجهته لِلعديد مِن المصطلحات بمجهود فردي أساسا[2].

لينتقل بعدها مباشرة إلى القسم النّظري، ومِن أبرز ما وقف عنده الحديث عن "علم الدّلالة" دون الغوص في تفاصيله والاكتفاء فقط بالحديث عن معالمه الكبرى أصولا ومنهجا بالقدر الّذي يسمح بوضع السّيميائية السّردية في إطارها المعرفي العام مع ذِكر السّبب الّذي دفعه لذلك حيث نراه كالمُعتاد يُصرّح في بداية حديثه عن علم الدّلالة بلفظة "يصعب" قائلا: "يصعب التّعريف بعلم الدّلالة في مجال دراستنا المحدود تعريفا وافيا مُلّما بمُختلف جوانبها

[1]: المصدر السّابق، ص16/15.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص17.

وتفرّعاتها المُتشعّبة"[1] مشيرا في الآن ذاته إلى مُنطلق وحدوده ومنهجه، ومِن أبرز ما ركّز عليه:

– أنّ تاريخ تأسيس علم الدّلالة كان منذ ما يزيد على عقدين ردا على الألسنيّين الّذين يُركزون في دراساتهم اللّغوية على الدّال مُقصين المدلول مِن مجال اهتمامهم باعتباره غير قابل للتّقسيم وِفق الوحدات المميّزة[2].

– أنّ الدّراسة الدّلالية تقوم دائما على مبدأي الاستقراء والتّحليل، وهو ما أشار إليه غريماس قائلا: "تقوم الدّراسة الدّلالية على مبدأين رئيسيَّين هما: أوّلا الاستقراء الّذي يرمي إلى الإحاطة بالواقع الموصوف (والمقصود المادة المدروسة) ...؛ ثانيا التحّليل الّذي يقتضي الوفاء للمثال النّموذجي المنسحب على مكوّنات المدونة ..."[3] معنى هذا أنّ نظرية غريماس تستمد أصولها المعرفية مِن الدّلالية الّتي تهتم في المقام الأوّل باستقراء الدّلالة انطلاقا مِن الظّروف الحافة بإنتاجها، ووسيلتها في ذلك تفجير الخطاب وتفكيك الوحدات المُكوّنة ثمّ إعادة بنائها وِفق جهاز نظري مُنّسق التأليف.

– أنّ الهدف المنشود مِن الدّراسة الدّلالية هو"إبراز آلية النّص في خلق المعنى وتبليغ صداه، والسّبيل إلى ذلك كشف شبكة العلاقات القائمة في صُلب النّص وفنون تأليف الوحدات الدّالة(...)"[4]، ولتحقيق هذا الهدف يجب على الدّارس عدم الإغفال عن دراسة كل مِن البِنيَتيْن السّطحية والعميقة على نحو ما أشار إليه محمد النّاصر العجيمي ذلك أنّ الدّراسة الدّلالية تتمّ في مستويَيْن اثنين هما: المستوى السّطحي والمستوى العميق؛ فأمّا **المستوى السّطحي** فيتفرّع إلى مكوّنين أحدها سردي يقوم أساسا على تتبع سِلسِلة مِن التّغييرات الطّارئة على حالة الفواعل، والآخر تصويري يتمّ عبره استخراج الأنظمة الصّورية المبثوثة على نسيج النّص ومساحته، وكان لـ"محمد النّاصر العجيمي" نصيب مِن الكلام حولهما وحول مُختلف آلياتهما

[1]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص21/ 22.
[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص22.
[3]: المصدر نفسه، ص29.
[4]: المصدر نفسه، ص 30.

ومصطلحاتهما، كالسّردية مِن حيث كونِها تقوم على مجموعة مِن الملفوظات المُتتابِعة والموظّفة، والنّموذج العاملي مِن حيث هو نِظام ثابت يرتكز على ثلاثة أزواج مِن العوامل هي: المُؤتى والمُؤتى إليه / الفاعل والموضوع / المُساعد والمُعارض، وغيرها مِن المفاهيم الإجرائية الأخرى الّتي تقوم عليها السِّيمائية السّردية ويشملها هذا المستوى[1].

وأمّا **المستوى العميق** فقد اعتمد النّاقد في عرضه له والكشف عن ماهيته الاستناد على نِظام الوحدات المعنوية الصّغرى الّتي أطلق عليها غريماس تسمية "المعانم"، ناهيك عن وقوفه عند المربّع الدّلالي (السِّيميائي)، القطب الدّلالي (التّشاكل)، لكن بكثير مِن الإيجاز والاختصار الّذي كاد أن يُفقده قيمة وأهمية ما ذهب إليه لولا التّبرير الّذي أوْرده في خاتمة القسم النّظري مفاده بأنّه تعمّد إهمال بعض المسائل الهامة خاصّة الّتي ما تزال محل بحث وإثارة للجدل لالتزامه منهجا تعليميا في البسط والتّحليل[2] حِرصا منه على تحقيق الفهم والإفهام.

كان هذا فيما يتعلّق بالقسم الأوّل مِن الكتاب أمّا القسم الثّاني منه والّذي جعله تحت عنوان "مِن النّظرية إلى التّطبيق" حاول مِن خِلاله الناقد تجريب الأدوات والمفاهيم الّتي عرضها ونظّر لها في القسم الأوّل مِن كتابه مُترسّما في ذلك خُطى غريماس مُحاولا في الآن ذاته الكشف عن سردية حكاية "الأرانب والفيلة" بعدما أشاد بنظرية "غريماس" والّتي سيكون لنا معها نصيب مِن الكلام في الصفحات القادمة من البحث.

ومِمّا أضفى صِفة التّميّز على هذا المؤلف النّقدي احتواء كلّ قِسم منه على خاتمة مُستقلة عن غيرها على غِرار المصنّفات النّقدية الأخرى الّتي نادرا ما نجد فيها أكثر مِن خاتمة، هذا من جهة ومن جهة ثانية قيّام محمد النّاصر العجيمي بِتبرِئة نفسه فيها لعدم خوضه في بعض القضايا بدلا مِن تقديمه مُلخّصا لما أورده أو توصيات ومِن ذلك قوله:" عمدنا في تقديمنا نظرية قريماس السّردية على التّركيز على أهم المبادئ المؤسِّسة لهذه النّظرية، والّتي تجلو الفعل

[1]: ينظر، محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص35 وما بعدها.
[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص87 وما بعدها.

الدّلالي وتجعله شفّافا، مُلتزمين منهجا تعليميا في البسط والتّحليل، واستجابة لهذا السّبب بالتّحديد اضطررنا إلى إهمال مسائل هامّة مازالت محلّ إثارة للجدل، مِن ذلك عدم تعرّضنا لموضوع الدّلالة الزّمانية والمكانية(...) كذلك مِن الموضوعات الّتي آثرنا عدم الخوض في الجدل القائم بشأنها ما يتصل بالمربّع الدّلالي ومنطق تنظيم الدّلالة (...) مِن الموضوعات الّتي لم نُسهب في تحليلها والّتي تثير كذلك جدلا متُحمّسا لتعقدها موضوع الانتقال مِن مستوى إلى آخر (...) "[1].

ملاحظة أخرى نضيفها إلى جانب الملاحظة السّابقة تتعلّق بقائمة المراجع الّتي اعتمدها "محمد النّاصر العجيمي"، والّتي جاءت أجنبية في مُجملها، وغير متنوّعة في عناوينها لدرجة أنّه بوسعنا عدّها على الأصابع لقلّتها، ولعلّ هذا ما دفع به إلى عدم وضع قائمة لها في آخر الكتاب في حين أنّه كان يفترض مِن الناحية المنهجية وضعها كما هو الحال في جميع المؤلفات، ومهما يكن الأمر فإنّ ما أوردناه لا يُنقص مِن قيمة الكتاب ّالذي أظهر فيه وعيا نقديا واضحا بمنهج غريماس في التّحليل سواء فيما تعلّق الأمر بالنّموذج العاملي، أو بالمسار السّردي ومكيّفاته، وتمكُّنا لا يُنازع تَبدَّى أكثر في الخلاصة الّتي انتهى إليها مِن دراسة المكوّن السّردي أين عمد إلى تبيِين أهمية النّموذج العاملي، واقتراح تحديد المصطلح فيما هو موصول بالمشروع السّردي الرّئيسي والمشروع السّردي الثّانوي[2].

وتأسيسا على ما ورد في كتاب محمد النّاصر العجيمي نخلص إلى أنّ هناك انسجاما كبيرا بين عنوان الكتاب الّذي حاول من خلاله التأصيل للسّيميائية السّردية والتّعريف بها مغاربيا –بالرّغم من التعقيد والإشكال اللّذين يلفانها، والصّعوبات الّتي تكتنِفها بسبب الكم الهائل مِن مصطلحاتها– معتمدا على خطاب التأصيل والتّعريف بصورة واضحة، وعلى خطاب التّرجمة والتعريب بصورة محتشمة في محاولة منه لتبسيط وشرح مصطلحات الجهاز الإجرائي.

[1]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص103.
[2]: ينظر، سليمة لوكام، تلقي السّرديات في النّقد مغاربي، ص188/187.

المبحث الثّالث: تمظهر السِّيميائية السّردية في خطاب الممارسة النظرية عند سعيد بنكراد

لا يكاد يغيب على المُطّلع عن مُختلف المؤلّفات النّقدية لسعيد بنكّراد أنّه حاول من خلالها التّعريف أيضا بالسّيميائية السّردية والتّأصيل لها مِن خِلال هذين المؤلّفين النّقديين:

– كتاب السِّيميائيات السّردية الصّادر سنة 1994.

– كتاب مدخل إلى السِّيميائيات السّردية الصّادر سنة 2003 هذا إلى جانب مؤلّف نقدي آخر حاول مِن خلاله تطبيق بعض مِن مفاهيم الجهاز النّظري للسِّيميائية السّردية على رِواية الشّراع والعاصفة سنأتي على ذِكره لاحقا.

وسنُحاول فيما يأتي الكشف عن كيفية تمظهر السِّيميائية السّردية عند "سعيد بنكّراد" على نحو ما قُمنا به مع "رشيد بن مالك" و"محمد النّاصر العجيمي" مُعتمدين المنهجية ذاتها، لكن بداية نُشير إلى أنّنا سنتجاوز الوقوف عند كتاب "السِّيميائيات السّردية (مدخل نظري)" وننتقل مُباشرة إلى كتابه "مدخل إلى السِّيميائيات السّردية" ليس لأنّ مضمونه لا يصب في حقل السِّيميائيات السّردية أو أنّه لا يرتقي إلى مصاف البُحوث النّقدية بل لأنّ ما أورده سعيد بنكّراد في "مدخل إلى السّيميائيات السّردية" يكاد يكون نُسخة مطابقة له لولا الاختلاف الطّفيف في ترقيم بعض الصّفحات، وفي عنْونة بعض العناصر وعلى رأسها العنوان الرّئيسي للكتاب، ومردّ ذلك في نظرنا اختلاف الطّبعات، ولأجل ذلك سنكتفي بتسليط الضّوء في قراءتنا النقدية هاته على ما جاء في كتابه "مدخل إلى السِّيميائيات السّردية" الصادر سنة 2003 بالجزائر العاصمة عن منشورات الاختلاف في حدود 112 صفحة اختتمها بثبت للمصطلحات الواردة فيه، والّتي تعتبر من المفاهيم الأساسية الّتي يقوم عليها التّحليل السّيميائي السّردي، والملاحِظ لهذا الثبت يلفي بوضوح عدم لجوء سعيد بنكراد إلى تعريب المصطلحات الأجنبية، وقدرته على المجيئ بمقابلات عربية لها، وهو ما يعكس تمكّنه مِن اللّغتين معا(اللّغة الأم، واللّغة الأجنبية)، وتشبّعه بالثّقافة الغربية.

افتتح "سعيد بنكّراد" كتابه ذاك بمُقدّمة تحدّث فيها عن مُختلف المفاهيم والتّصورات الخاصّة بالسّرديات الّتي أعادت النّظر في مجموعة كبيرة مِن المسلّمات مُشيرا في الآن ذاته إلى القُصور الّذي تُعاني منه أغلب الدّراسات والمنشورات النّقدية الّتي لا تعدو أن تكون عبارة عن ترجمة لبعض المقالات أو تعاليق مُختصرة لنظريّة ما، مُعرّجا الحديث بعدها مُباشرة عن سبب عرضه لنظريّة غريماس دون غيرها مِن النّظريات الأخرى لما تتميّز به مِن شُمولية في التّصور وشُمولية في التّحليل مع الإشارة إلى أنّ المقصود بالشّمولية هنا ليس إلغاء التّاريخ أو إلغاء النّظريات الأخرى بل المقصود بها هو قدرتها على التّحاور مع عناصر معرفية تنتمي إلى مجالات مُغايِرة وقُدرتها على مدّ جُسور نحو نظريّات تتقاسم معها موضوعا واحدا للدّراسة، هذا بالإضافة إلى قدرتها على مُعالجة خِطابات أخرى غير الخطابات السّردية، فصحيح أنّ المُنطلق الرّئيسي في نظرية غريماس هو الحكاية الشّعبية إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّه ليس بإمكانِها مُعالجة نصوص أخرى بل على العكس تماما فبِوسعها أن تُستخدم كأداة لمُقاربة ظواهر نصية بالغة التّنوّع كالنّصوص القانونية و الظّواهر الاجتماعية[1] المُختلفة.

ثمّ سُرعان ما نَلفيه ينتقل بعد المقدّمة إلى لُبّ الموضوع المطروح مُعالِجا إيّاه في عُنوانين رئيسيَّين هما: الإرث البروبي والسِّيميائية السّردية الغريماسية، مُرفقا كلّ واحد منهما بمجموعة مِن العناوين الفرعية؛ ففي العنوان الأوّل تحدّث عنِ الدّراسة البروبية الهادفة إلى مُساءلة النّص في ذاته ولذاته وذلك مِن خلال بِنيته الشّكلية بُغية الكشف عن الخصائص الّتي تُميّزه عن غيره مِن الخطابات وكذا الكشف عن العناصر المشتركة المشكّلة للمتن المختار رافضا بذلك التّصنيف القائم على المواضيع طارحا في الآن ذاته جُملة مِن الفرضيات فيما يخصّ الوظائف الّتي تشغلها الشّخصيات الموجودة في الحكاية مُحدّدا عددها المحدود الّذي لا يفوق واحدا وثلاثين وظيفة، مُنوّها إلى نقطتين أساسيّتين؛ فأمّا النّقطة الأولى ففَحواها أنّ الوظائف هي الخالقة للشّخصيات وليس العكس، وأمّا النّقطة الثّانية فمضمونها أنّه لا يُشترط أن تَتوافر

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السِّيميائيات السّردية، ص9/5.

الحِكاية على كلّ هذه الوظائف إذ يُمكن أن لا تحتوي الحكاية إلاّ على عشرين وظيفة أو أقل أو أكثر وغِياب بعض الوظائف لا يُغيّر مِن وضعية الوظائف الأخرى.

هذا ويُشير في مقام آخر إلى أنّ كلّ الحكايات العجيبة تنتمي إلى النّوع نفسه مِن حيث بِنيتها مرجعا سبب ذلك إلى أنّ هناك مجموعة مِن الظّواهر النّصية الّتي لا يُمكن أن تُفسَّر إلاّ مِن خلال ربط بعضها بِبعض، وهذا الربط هو الّذي يكشف لنا عنِ البِنية الشّكلية الّتي تقع في أساس تشكُّل كلِّ الحكايات وعلى هذا الأساس يمكن –انطلاقا مِمّا أشار إليه سعيد بنكّراد– "اعتبار كلّ الحكايات الرّوسية المشكّلة للمتن المدروس تنويعا لحِكاية واحدة، وهذه الفرضية الأخيرة هي الّتي دفعت بالّذين جاؤوا بعد بروب إلى مُقابلة البِنية بالشّكل"[1]، ليتطرّق بعدها مباشرة إلى الحديث عن عناصر أخرى لم يُولها "فلاديمير بروب" نفس الأهمية الّتي أولاها للوظائف بالرّغم مِن أنّها تُعدّ عنصرا أساسيا في تشكيل البِناء الحكائي في كُلّيته، فبعدما يتمّ تحليل الوظائف الّتي تشغلها الشّخصيات تأتي عملية تحديد دائرة الفعل وهو ما أشار إليه بروب، وعدد هذه الدّوائر يتناسب وعدد الشّخصيات الفاعلة داخل الحكاية إذ لا تتجاوز سبع دوائر، وكل دائرة تُحدّد فعلا تقوم به شخصية معينة وهي كالآتي:

1–دائرة فعل المتعدّي.

2–دائرة فعل الواهب.

3–دائرة فعل المساعد.

4–دائرة فعل الأميرة أو الشّخصية موضوع البحث.

5–دائرة فعل الموكل.

6–دائرة فعل البطل.

7–دائرة فعل البطل المزيف.

والعناصر الّتي تقوم بِربط الوظائف مع بعضها البعض دون أن ننسى وقوفه عند الدّوافع

[1]: المصدر السّابق، ص10.

الّتي يَكمُن دورها في خلق مُبرّر للقيام بوظيفة ما.

وأوّل ملاحظة نقف عندها في هذا الطرح البروبي أنّ العناصر الّتي عُدّت ثانوية يراها "غريماس" عكس ذلك تماما، وهو ما تراءى لنا مِن خلال مُواصلة حديثه عن الإرث البروبي عارضا ملاحظات "كلود ليفي ستراوس" الّتي أبداها حول مسألة الفصل بين الشّكل والمضمون مُؤكّدا في الآن ذاته على استحالة الفصل بينهما بعدد مِن الأمثلة الّتي تبيّن أنّ ما اعتبره بروب عنصرا عرضيا وغير وظيفي سيُصبح هو الأساس في الحكاية ذلك أنّ الشّكل والمضمون من طبيعة واحدة ويخضعان لنفس التّحليل مادام المضمون يستمد واقعه من بِنيته، وما يُسمّى بالشّكل ليس سوى بِنية للبِنيات المحلّية حيث يوجد المضمون[1].

ليُحاوِل بعدها عقد مقارنة بين قراءة "غريماس" للمشروع البروبي وقراءة "كلود ليفي ستراوس"[2]، والمُلفت للانتباه فيما ذهب إليه "سعيد بنكّراد" هنا أنّه لم يكتف فقط بعرض ما ذهب إليه من "غريماس" و"كلود ليفي ستراوس" كلّ على حدة، بل جاءت مُقارنته لهما وكأنّها مقال جدلي قائم على الأخذ والرّد، وسعيد بنكراد طرف فعّال فيه عبّد مِن خلاله الطّريق للحديث عن "السّرديات بعد بروب"[3] وبالتّحديد السّردية الغريماسية وذلك تحت عنوان رئيسي آخر موسوم بـ"السِّيميائيات السّردية عند غريماس"[4] أراد من خلاله الوقوف عند أهم المحاور المشكّلة للعمود الفقري الّذي استقام به التّصور الغريماسي، نذكر في مقدّمتها –المحاور– التّنظيم العميق والتّنظيم السّطحي مانحا كلّ تنظيم مّن هذين التّنظيميْن نصِيبه مِن الشّرح والتّوضيح، خاصّة التّنظيم السّطحي الّذي وقف فيه تقريبا عند جميع مفاهيمه الإجرائية كالنّموذج العاملي، الخُطاطة السّردية (التّرسيمة السّردية)، البرنامج السّردي، الدّلالة الخِطابية، التّركيب الخِطابي، مستوى الفضاء، ومستوى الزّمن وغيرها مِن المصطلحات الأخرى المُشكّلة للجهاز المفاهيمي

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السِّيميائيات السّردية، ص15/ 16.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص 20 وما بعدها.

[3]: المصدر نفسه، ص 25.

[4]: المصدر نفسه، ص28.

للسِّيميائية السّردية لولا بعض الهفوات الّتي وقع فيها كعدم إرفاق كلّ مصطلح مكتوب باللّغة العربية بالمصطلح الأجنبي أمامه على نحو ما رأيناه عِند "رشيد بن مالك" أو في أسفل الورقة مكان التهميش مثل "محمد الناصر العجيمي" وليس في نِهاية الكتاب حتّى لا يختلط الأمر على القارئ؛ ونقصد هنا بالتحديد القارئ الذي لم يبلغ مرحلة النضج بعد ولا يزال في مرحلة النّمو المعرفي كالّذي يحضرّ لشهادة اللّيسانس مثلا أو الماستر أو حتّى الدّكتوراه نظام l.m.d خاصّة الجامعات الّتي لم يول فيها أساتذتها اهتماما كبيرا بمسألة المصطلح وترجماته المتعدّدة.

هذا إضافة إلى إشارته في مقدّمة كتابه أنّه السّباق إلى تناول السِّيميائية السّردية بالعرض والتّحليل المفصّلين لكلّ أبعادها وحدودها وامتداداتها، وأنّ ما تمّ تأليفه لا يعدو أن يكون منشورات عابرة هنا وهناك لا تُلمّ بجميع جوانبها مُتّهما إيّاها بالقصور والتّظليل أحيانا قائلا:"إنّ المتصفّح للمنشورات الصّادرة في المغرب أو في بعض الأقطار العربية الأخرى يُدرك بشكل جلي هذا القصور، فغالبا ما تكون هذه المنشورات عبارة عن ترجمة لمقالات أو أجزاء مِن كتب، وأحيانا تعاليق مُختصرة عن نظرية أو مجموعة مِن النّظريات، ورغم أهمية هذه المنشورات وقيمتها التّعليمية، فإنّها تظل ناقصة (ومضلّلة أحيانا)[1] لأنّها –حسب سعيد بنكّراد– تُقدَّم مفصولة عن أسُسها الابستمولوجي، وعن المناخ الّذي وُلدت فيه، الأمر الّذي يجعل القارئ عاجزا في أغلب الأوقات عن إدراك مواطن الاختلاف بين هذه النظرية (السِّيميائية السردية)، وغيرها مِن النّظريات الأخرى، وبين هذا المفهوم أو ذاك، ولا يُدرك كيف أنّ المصطلح الواحد قد ينتمي إلى مدراس مُتعدّدة وبمضامين ودلالات متنوّعة.

وحريّ بنا –في اعتقادنا– وقبل الانتقال إلى أيّ فكرة أخرى التّوقف قليلا عند الحكم الّذي أسقطه سعيد بنكّراد على الدّراسات النّقدية المغاربية المهتمة بالسّيميائية السّردية، بوصفه حكما عاما لا يجب أن يُعتدّ به، لأنّ الأخذ به ينفي وجود دِراسات سابقة له اهتمت بالسِّيميائية السّردية وبالتّعريف والتّأصيل لها، وهذا –في نظرنا– لا أساس له من الصّحة، وحجّتنا فيما

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السِّيميائيات السّردية، ص5.

أقررناه ما كان مع "محمد النّاصر العجيمي"، "سمير شاكر" و"جميل المرزوقي"، "عبد المجيد نوسي"، "رشيد بن مالك"، وغيرهم ممّن ساهموا في التّعريف بالمنجز الغربي قبل إعادة طبع "سعيد بنكّراد" كتابه الأوّل الموسوم بـ"السّيميائيات السّردية" سنة2003.

أشار "سعيد بنكّراد" بصريح العبارة في خاتمة مؤلّفه النّقدي إلى أنّه لم يُثر جميع المسائل المتعلّقة بالسِّيميائية السّردية مقرّا في الآن ذاته بأنّ القارئ له سيدرك دون عناء أنّه ترك جانبا مجموعة مِن العناصر لكن ليس إهمالا –يقول سعيد بنكّراد– بل لأنّ توضيحها وتبسيط جوهرها لا يستقيم إلاّ "مِن خلال ممارسة تطبيقية تُحدّد لهذه العناصر موقعها ومردُودِيَّتها التّحليلية داخل هذه النّظرية مِن جهة، ومِن جهة ثانية فإنّ هذا العرض لن يكتمل إلاّ بتقديم مجموعة مِن الدّراسات التّطبيقية القادرة وحدها على مدِّنا بمعرفة أكبر لهذه النظرية، وعلى تحديد مردُودِيَّتها وقُصورها ومواقع ضُعفها"[1]، ولنا هنا أن نتساءل عن عدم إرفاق حديثه عن النّموذج التّكويني، أو النّموذج العاملي أو حتّى الخطاطة السّردية ببِعض المُمارسات التّطبيقية واكتفائه فقط بالجانب النّظري بدل المزج بين هذا (الجانب النّظري) وذاك (الجانب التّطبيقي)؟

إنّ المُطّلع على ما أورده "سعيد بنكّراد" في خاتمة مؤلّفه يلفي بجلاء فطنته وذكاءه فيما انتقاه وقدّمه من مبرّرات، وكأنّه كان على دراية بما قد يُثار حول ما لم يُضمّنه في مؤلّفه من تساؤلات، حيث لم يتردّد في الإشارة إلى أنّ ما أورده "لا يُعفي القارئ مِن الاطلاع على الأعمال المُؤسّسة والشّارحة لهذه النظرية"[2] بحُجة أنّه –أي مضمون الكتاب– "يُقدّم فقط بعض المفاتيح الأساسّية للوُلوج إلى العالم الرّحب لهذه النّظرية وتلك"[3] انطلاقا مِن قناعته بأنّ أوّل خطوة لمعرفة أيّ علم تكون بمعرفة مفاتيحه ثم الانتقال بعدها إلى التّوسع فيه والكشف عن قضايا نقدية أخرى، وما ألّفه لاحقا يعكس ذلك بوضوح.

---

[1]: المصدر السّابق، ص92/91.

[2]: المصدر نفسه، ص92.

[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ومهما يكن الأمر فإنّنا لا نرمي مِن خلال ما أوردناه مِن ملاحظات الإنقاص مِن قيمة المؤلّف النّقدي الّذي حاول مِن خلاله سعيد بنكراد التّعريف والتّأسيس للسِّيميائية السّردية، وتحديد معالمها الكبرى، والوُقوف عند مُختلف المرجعيّات الّتي ساهمت في بلورتها وإثرائها كالمرجعية البروبية واللّسانية مُعتمدا بالدّرجة الأولى على جهود ومؤلّفات غريماس، وبالدّرجة الثّانية على أعمال وجُهود الّذين قاموا بشرح هذه النّظرية وتبسيطها عن طريق خطاب التّأصيل والتّعريف وخطاب التّرجمة.

وإلى هنا نكون قد فرغنا مِن الكشف عن كيفية تمظهر خطاب المُمارسة النّظرية للسِّيميائية السّردية عند رشيد بن مالك، محمد النّاصر العجيمي، سعيد بنكراد، ومِن جملة ما خلُصنا إليه:

– اعتماد "**رشيد بن مالك**" على ثلاثة أنواع مِن الخطابات (خطاب التّأصيل والتّعريف، خطاب التّرجمة والتّعريب، الخطاب المعقلن).

– اعتماد "**محمد النّاصر العجيمي**" نوعين مِن الخطابات(خطاب التّأصيل والتّعريف، خطاب التّرجمة والتّعريب).

– اعتماد "**سعيد بنكّراد**" هو الآخر أيضا نوعين مِن الخطابات(خطاب التّأصيل والتّعريف، خطاب التّرجمة والتّعريب).

ومُجمل القول مِن كلّ ما أوردناه انفراد "رشيد بن مالك" بالخطاب المعقلن واعتمادهم جميعهم على خطاب التّأصيل والتّعريف وخطاب التّرجمة والتّعريب لكن بدرجات متفاوتة، ومِمّا هو حريّ بنا الإشارة إليه أنّه بقدر ما كان لهذه الخطابات مِن دور كبير في التّعريف بالسِّيميائية السّردية بقدر ما كانت سببا في تمخّض العديد من الإشكالات أبرزها إشكالية تعدد المصطلح وتداخل مفاهيمه وتشابكها واختلاف ترجماتِه وتبايُنها مِن ناقد لآخر على نحو ما سنوضّحه في ما يأتي؛ لكن ممّا نُنوّه إليه أنّ ما سنعرضه مِن مصطلحات لا يُمثّل سِوى الجزء القليل مِن

المنظومة الاصطلاحية للسِّيميائية السّردية، وأنّ المعيار الّذي اعتمدناه في انتقائنا لمصطلح دون سواه هو معيار الشّيوع وكثرة الاستعمال، وسنركز أوّلا في عرضنا على ما اعتمده كل مِن "رشيد بن مالك"، "محمد الناصر العجيمي"، "سعيد بنكّراد"، لنأتي لاحقا بِباقي المصطلحات المقابلة للمصطلح الأجنبي لنقّاد آخرين دون التّغلغل والتفصيل فيها.

1- مصطلحات الجهاز المفاهيمي المتعلّقة بالمستوى السّطحي:

المصطلح الأجنبي	التّرجمة العربية للمصطلح	المترجم	المصطلح الشّائع في الاستعمال على مُستوى القُطر المغاربي
modele actantiel	الرّسم العاملي	رشيد بن مالك	يُعدّ "النّموذج العاملي" المصطلح الشّائع في الاستعمال مِن طرف العديد مِن النّقاد المغاربة مقارنة بالمقابلات العربية الأخرى الّتي أتينا على ذِكرها في الجدول كـ"الرّسم العاملي" ، والّتي لم
	النّموذج العاملي	محمد النّاصر العجيمي	
	النّموذج العاملي	سعيد بنكراد	

			نأت على ذِكرها أيضا كـ "النّموذج الساندي"[1] عند جمال كديك، و"مِنوال الفواعل"[2] عند محمد القاضي.
Destinateur destinataire/	المرسل / المرسل إليه	رشيد بن مالك	يُعدّ المقابل العربي "المرسل/ المرسل إليه" المصطلحين الأكثر استعمالا وتداولا مغاربيا مقارنة بالمقابلات العربية الأخرى الّتي أتينا على ذكرها في الجدول كـ"المُؤتى/ المُؤتى إليه" والّتي لم نأت على ذكرها أيضا كـ "الدّافع/ المستفيد"[3] عند ابراهيم صحراوي.
	المؤتى / المؤتى إليه	محمد الناصر العجيمي	
	المرسل / المرسل إليه	سعيد بنكّراد	
Sujet	الفاعل	رشيد بن مالك	يُعدّ "الفاعل"

[1]: آسيا جريوي، السّيميائية بحث في المعنى (دراسات)، ص70.

[2]: المرجع نفسه، ص 72.

[3]: المرجع نفسه، ص 76.

	الفاعل	محمد الناصر العجيمي	المصطلح الشائع في الاستعمال مِن لدن العديد مِن النّقاد المغاربة الّذين أتينا على ذِكرهم ومَن لم نأت أيضا كالنّاقدين جمال كديك وابرهيم صحراوي[1]، وغيرهم مقارنة بالمقابلات العربية الأخرى الّتي أتينا على ذِكرها في الجدول كـ"الذات".
	الذات	سعيد بنكراد	
Objet	الموضوع	رشيد بن مالك	يُعدّ "الموضوع" المصطلح الشائع في الاستعمال مِن لدن النّقاد المغاربة الّذين أتينا على ذكرهم في الجدول والّذين لم نأت على ذكرهم كمحمد مفتاح الّذي ترجمه
	الموضوع	محمد الناصر العجيمي	
	الموضوع	سعيد بنكّراد	

[1]: آسيا جريوي، السّيميائية بحث في المعنى (دراسات)، ص76.

			بـ"الفاعل، البطل، الموضوع"[1]، وجمال كديك الذي يُترجمه بـ "العرض"[2]، وابراهيم صحرواي بـ"موضوع الفعل"[3].
Adjuvant	المساعد	رشيد بن مالك	يُعدّ "المساعد" المصطلح الشّائع في الاستعمال مِن لدن العديد مِن النّقاد المغاربة الذين أتينا على ذِكرهم والّذين لم نأت كـ "محمد مفتاح"، جمال كديك، عبد المجيد نوسي، محمد القاضي[4] وآخرون مقارنة بالمقابلات العربية الأخرى الّتي أتينا على ذكرها في
	المساعد / الظهير	محمد الناصر العجيمي	
	المساعد	سعيد بنكّراد	

[1]: المرجع السّابق، ص76.

[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

			الجدول كـ"الظّهير".
Opposant	المعارض	رشيد بن مالك	يُعدّ المقابل العربي "المعارض" المصطلح الأكثر استعمالا وتداولا مغاربيا مقارنة بالمقابلات العربية الأخرى الّتي أوردناها في الجدول كـ"المعيق" والتي لم نقم بإيرادها كـ "المعرقل"[1] عند محمد القاضي، و"المعوّق"[2] عند محمد مفتاح.
	المعارض	محمد الناصر العجيمي	
	المعيق	سعيد بنكّراد	
Manipulation	استعمال/ إيعاز/ التحريك/ التفعيل	رشيد بن مالك	يُعدّ "التّحريك" المصطلح الشّائع في الاستعمال مِن لدن العديد مِن النّقاد المغاربة مقارنة بالمُقابلات العربية الأخرى الّتي أتينا
	المناورة	محمد الناصر العجيمي	
	التحريك	سعيد بنكّراد	

[1]: آسيا جريوي، السّيميائية بحث في المعنى (دراسات)، ص76.

[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

			على ذِكرها في الجدول كـ"الاستعمال، التّفعيل، المُناورة، الإيعاز"، والّتي لم نأت على ذِكرها أيضا كـ "الاستخدام"[1] عند جمال كديك، و"التّحفيز"[2] عند عبد العالي بوطيب، و"التّطويع"[3] عند محمد الدّاهي.
Compétence	الكفاءة	رشيد بن مالك	تُعدّ "الكفاءة" المصطلح الشّائع في الاستعمال مغاربيا مُقارنة بـ"الأهليّة" وغيرها مِن المُقابلات العربية الأخرى الّتي لم نأت على ذِكرها
	الكفاءة	محمد النّاصر العجيمي	
	الأهلية	سعيد بنكّراد	

[1]: آسيا جريوي، السّيميائية بحث في المعنى (دراسات)، ص62.

[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: المرجع نفسه، ص63.

			في الجدول كـ"التّأهيل، المقدرة"[1] عند عبد العالي بوطيب.
La performence	الأداء	رشيد بن مالك	يُعدّ مصطلح " الإنجاز" الأكثر تداولا في السّاحة النّقدية المغاربية مُقارنة بالمُقابلات العربية الأخرى الّتي أتينا على ذِكرها للتّو كـ "الأداء" والمقابلات الأخرى لم نأت على ذِكرها كـ "التّجلية"[2] عند جمال كديك.
	الإنجاز	محمد النّاصر العجيمي	
	الإنجاز	سعيد بنكّراد	
Sanction	التقويم / التقييم	رشيد بن مالك	يُعتبر مصطلح "الجزاء" المصطلح الأكثر شُيوعا وتداولا ليس عند محمد النّاصر العجيمي وسعيد بنكّراد فحسب
	الجزاء	محمد النّاصر العجيمي	
	الجزاء	سعيد بنكّراد	

[1]: آسيا جريوي، السّيميائية بحث في المعنى (دراسات)، ص66.

[2]: المرجع نفسه، ص67.

			بل عِند العديد مِن النّقاد المغاربة نذكر منهم عبد المجيد نوسي[1]، جمال كديك[2] وآخرون.

2- مصطلحات الجهاز المفاهيمي للسِّيميائية السردية المتعلقة بالمستوى العميق:

المصطلح الأجنبي	التّرجمة العربية للمصطلح	المترجم	المصطلح الشّائع في الاستعمال على مستوى القطر المغاربي
Séme	سيم	رشيد بن مالك	يُعدّ "السِّيم" المصطلح الشّائع في الاستعمال مُقارنة بالمُقابلات العربية الأخرى الّتي أتينا على ذِكرها في الجدول كـ"المعنم" مِن لدن العديد مِن النّقاد المغاربة الآخرين.
	معنم	محمد النّاصر العجيمي	
	معنم	سعيد بنكّراد	

[1]: عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص247.
[2]: آسيا جريوي، السّيميائية بحث في المعنى (دراسات)، ص70.

Lexème	اللّكسيم	رشيد بن مالك	يُعدّ "اللّكسيم" المصطلح الشّائع في الاستعمال مُقارنة بالمُقابلات العربية الأخرى الّتي أتينا على ذِكرها في الجدول كـ"اللّفظم" من لدن العديد مِن النّقاد المغاربة السّالف ذِكرهم وغيرهم على نحو ما هو بائن في مُتون العديد مِن المؤلّفات النّقدية المغاربية.
	اللّفظم	محمد النّاصر العجيمي	
	اللّكسيم	سعيد بنكراد	
Isotopie	إيزوتوبيا / نظيرة	رشيد بن مالك	يُعدّ المقابل العربي "التشاكل" الأكثر تداولا واستعمالا مغاربيا مُقارنة بالمقابلات العربية الّتي أتينا على ذكرها في الجدول، ومن الذين آثروا اعتماده –
	القطب الدّلالي	محمد النّاصر العجيمي	
	تناظر	سعيد بنكّراد	

			التشاكل– كمقابل عربي للمصطلح الأجنبي "**Isotopie** " عبد المجيد نوسي[1]، يوسف وغليسي[2] وآخرون.
Le carré sémiotique	المربّع السيميائي	رشيد بن مالك	يُعدّ "المربّع السِّيميائي" المصطلح الشّائع في الاستعمال مُقارنة بالمُقابلات العربية الأخرى الّتي أتينا على ذِكرها في الجدول كـ"المربّع الدّلالي، النّموذج التّكويني" ، مِن لدن العديد مِن النّقاد المغاربة الّذين أتينا على ذِكرهم والّذين لم
	المربّع الدلالي	محمد النّاصر العجيمي	
	النّموذج التّكويني	سعيد بنكّراد	

[1]: عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص 92.

[2]: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص264.

			نأت على ذِكرهم أيضا كعبد المجيد نوسي[1]، راضية لرقم[2]، وآخرون.

عرض واستخلاص

يحتوي هذان الجدولان كما أسلفنا الذِّكر سابقا على عدد مِن المصطلحات الّتي اطّرد وتواتَر استخدامها مغاربيا في مُختلف الدّراسات النّقدية المغاربية لكل مِن رشيد بن مالك، محمد النّاصر العجيمي، سعيد بنكّراد، ومِن جُملة ما يُمكن استخلاصه مِنهما:

أوّلا: التّباين الكبير في ترجمة المُصطلح الأجنبي الواحد وتعدّده مِن ناقد إلى آخر ولِتأكيد استخلاصنا هذا نسوق عددا مِن المصطلحات ندعّم بها ما أوردناه وليكن هذين المصطلحين "destinataire/ Destinateur" أوّلهما، وأبرز ما نسجله مِن مُلاحظات حولهما هو أنّه بالرّغم مِن تعدّد المُقابل العربي لهُما على نحو ما هو مُوضح في الجدول إلاّ أنّ المُصطلحين الشّائعين في الاستعمال هما "المرسل/ المرسل إليه"، ومِمّن آثروا اعتماد هذين المُقابلين إضافة إلى "رشيد بن مالك"، و"سعيد بنكّراد" نذكر النّاقد "عبد المجيد نوسي"، "قادة عقّاق"، "عبد الحميد بورايو"، "السّعيد بوطاجين"، "نبيلة زويش"، "راضية لرقم" وآخرون، أمّا المُقابلات العربية الأخرى فلا نكاد نجِد لها حُضورا مُكثّفا في الاستعمال إلاّ مِن لدن أصحابها الّذين اعتمدوها.

الأمر ذاته نلفيه مع المصطلح الأجنبي "Manipulation" الّذي اتّفق كلّ مِن رشيد بن مالك، سعيد بنكّراد على ترجمته بـ"التّحريك" وهو الشّائع المُتداول مقارنة بالتّرجمة الّتي جاء بها محمد النّاصر العجيمي، ومِن المُقابِلات العربيّة الأخرى الّتي وُضِعت له "الاستخدام"،

[1]: عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص6.

[2]: راضية لرقم، الخطاب السّردي في الشّعر العربي القديم، ص103.

"التّحفيز"، "التّطويع" لكن ما لُوحظ عليها نفس ما لُوحظ على المُصطلحين السّابقين، فبالرّغم مِن تعدّد المُقابلات العربية وتبايُنها مِن ناقد لآخر إلاّ أنّ هناك دائما مُقابِلا عربيّا واحدا شائعا في الاستعمال النّقدي المغاربي وبالتّحديد الاستعمال النّقدي الأكاديمي.

مُصطلح آخر نسُوقه وهو "Compétence" الّذي تُرجِم أيضا بترجمات مُختلفة كـ"الكفاءة" – على نحو ما وجدناه عِند كلّ من محمد النّاصر العجيمي ورشيد بن مالك –وهو الشّائع في الاستعمال–، و"الأهليّة" عند سعيد بنكّراد، والمقدرة أو التّأهيل عِند عبد العالي بوطيب.

أضف إلى ذلك مُصطلح "La performation" المترجَم إلى "الأداء" عند رشيد بن مالك و"التّجلية" عِند جمال كديك، وبـ"الإنجاز" عِند كلّ مِن سعيد بنكّراد ومحمد النّاصر العجيمي وهو الشّائع في الاستعمال عندهم وعِند غيرهم مِن النّقاد والباحثين الأكاديميّين المُعاصرين مغاربيا.

وأيضا مُصطلح "Sanction" الّذي عرف هو الآخر تَعدُّدا في التّرجمة كما هو مدرج أعلاه عِند كلّ مِن محمد النّاصر العجيمي، سعيد بنكّراد عبد المجيد نوسي، قادة عقاق، عبد الحميد بورايو وآخرون حيث ترجموه بـ"الجزاء"، في حين ترجمه رشيد بن مالك بـ "التّقيِّيم" تارة و"التّقوِيم" تارة أخرى لأنّه في نظره الأقرب مِن "الجزاء" إلى المُصطلح الأجنبي "Sanction"، هذا وإلى جانب مُصطلحات الجهاز المفاهيمي للمُستوى السّطحي لم تَسلم أيضا مُصطلحات الجهاز المفاهيمي للمستوى العميق مِن التّعدد المصطلحي وأبرزها المُصطلح الأجنبي"Isotopie" وغيره مِن المُصطلحات الأجنبية الأخرى كالّتي أتينا على ذِكرها سابقا.

ثانيا: اعتماد بعض النّقاد أنفسهم مُصطلحات عربيّة عديدة في مقابل مُصطلح أجنبي واحد على نحو ما ذهب إليه كلّ مِن رشيد بن مالك وعبد الحميد بورايو في ترجمتِهما لـ "Manipulation" بالاستعمال، الإيعاز، التّفعيل، التّحريك، وعبد العالي بوطيب في ترجمته لـ " Compétence" بالمُصطلحات الثّلاثة التّالية: الكفاءة، التّأهيل، المقدرة، وترجمة محمد

النّاصر العجيمي لـ "Adjuvant" بالمُساعد تارة والظّهير تارة أخرى، وهو ما أثار العديد مِن التّساؤلات حول السّبب الكامن وراء ذلك التّعدد، وأيّ مِنها أحقّ بالأخذ والاستعمال خاصّة مع النّقاد الّذين يأتون بمُقابلين عربيَّين متناقضين لمصطلح أجنبي واحد على نحو ما لاحظناه مع رشيد بن مالك في ترجمته للمصطلح الأجنبي "Sanction " بالتّقويم تارة والتّقيِيم تارة أخرى، وشتّان بين مفهوم كلّ واحد مِنهما "التّقويم" و"التّقيِيم".

وهو ما حذا بِنا إلى التّساؤل عنِ سبب ذهاب رشيد بن مالك إلى اعتماد مُصطلحين مُتقاربين لفظيا مُختلفين معنويا لتَرجمة المُصطلح الأجنبي"Sanction"، والإجابة لاحقا بأنّ مردّ ذلك خطأ تقني وغير متعمّد لتقارب المصطلحين لفظيا، وحُجّتنا في التّبرير الّذي أوردناه عدم وجُود اختلاف في المفهوم الّذي قدّمه لـ "التّقيِيم" في كتِابه"قاموس مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي)" قائلا:"يحتل التّقيِيم في تموضُعه داخل التَّرسيمة السّردية مكانة ذات بعدين: التّداولي والمعرفي، وبما أنّها مُمارسة مِن طرف المرسل فإنّها تستلزم مِنه توفر كفاءة مطلقة"[1]، والمفهوم الّذي قدّمه لـ "التّقويم" في كتابيه "البِنية السّردية في النّظرية السِّيميائية" و"مِن المعجميات إلى السِّيميائيات"، بوصفه "المرحلة المُتوّجة للرّسم السّردي، إذ فيها يتم النّظر في البرنامج السّردي المُحقّق وتُقوَّم النّتائج وِفقا لالتزامات الفاعل التَّعاقدية مع المرسل أثناء مرحلة التّحريك"[2]، فكِلاهما يشتركان في المعنى الّذي يُؤدِّيانه والمُتمثّل في النّظر إلى ما تمّ حُدوثه مِن قبل الفاعل ومُحاسبته مِن طرف المرسل وِفقا للالتزامات التّعاقديَّة الموجودة بينهما إمّا بالمُكافأة أو العقاب رغم اختلافهما في التّركيب والعبارات المُنتقاة للتّعريف به.

ثالثا: اعتماد بعض النّقاد المغاربة في نقلهم للمُصطلح الأجنبي على التّعريب بدلا مِن التّرجمة على نحو ما وجدناه عِند رشيد بن مالك الّذي قام بتعريب هذه المُصطلحات الأجنبية " Séme" و"Lexème"، "Isotopie" إلى "سيم"، "اللّكسيم"، "إيزوتوبيا" وتعريب أيضا "Motif "،

[1]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي- إنجليزي- فرنسي)، ص157.
[2]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص29.

"Séméme"، "Sémantéme"، "Topique" إلى "موتيف"، "سيميم"، "سيمنتيم"، "طوبيقي" على التّوالي، لكن ما يجدر التّنويه إليه أنّه لا يجب الجزم القطعي بأنّ ما قام به رشيد بن مالك وغيره مِمَّن عمدوا في نقلهم للمُصطلح الأجنبي على النّقل الحرفي والصّوتي كان نتِيجة عدم عُثورهم على المُصطلح الأنسب له في اللّغة العربية لأنّه قد يكون ودون أدنى شك سبب انفراده –رشيد بن مالك– وغيره بتعريب المُصطلحات الأجنبية الّتي أتينا على ذِكرها سلفا راجع لاضطراب المُصطلح الأجنبي نفسه وتداخله مع مصطلحات متقاربة معه دلاليا كما هو الحال مع المصطلح الأجنبي "Isotopie" المستمد من علوم الفيزياء، وما ندعِّم به استخلاصنا هذا ما ورد في "**Dictionnaire raisonné de la théoré du langage**" وهذا نصّه:

"**A.J. Greimas a emprunté au domaine de la physique–chimie le terme d'isotopie et l'a transféré dans l'analyse sémantique en lui conférant une signification spécifique**"[1].

وفيه تصريح من غريماس بأنّ هذا المصطلح وُلِد مِن رحم آخر لا يمت بتاتا للسِّيميائية السّردية بصلة، وهو رحم الفلك والفيزياء.

مُلاحظة أخرى نرصّها إلى جانب الملاحظات الأخرى؛ لكن قبل هذا لا ضير من الإشادة بِبعض ما تميّز به النّاقد رشيد بن مالك وهو مُحافظته في تعريبه لبِعض المُصطلحات الأجنبية صوتا وحرفا على المفهوم الّذي توارد ذِكره في مُعجم "غريماس" و"كورتيس"، ومِن ذلك ما أورده رشيد بن مالك في قاموسه "مصطلحات التّحليل السِّيميائي للنّصوص(عربي– إنجليزي– فرنسي)" في تعريفه للمُصطلح الأجنبي "Séme " على أنّه:" "الوِحدة المعنوية الصّغرى الّتي لا يمكن أن تتحقّق إلاّ خارج وِحدة أشمل منها السِّيميم الّذي يستعمل لتحليل المدلول"[2]، والّذي

[1] : A.J. Greimas J .Courtés Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, P197.

[2]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي– إنجليزي– فرنسي)، ص197.

يقترب كثيرا من المفهوم الأجنبي الّذي أورده غريماس له، وفيما يأتي عرض لنصّه.

"**Le séme désigne communément l'<unité minimale> (comparable au trait pertinent ou seulement distinctif de l'école de Prague) de la signification : situé au plan du contenu, il correspond au phéme, unité du plan de l'expression**"[1].

ولسنا نرمي مِن حديثنا هذا إلى التّشكيك في باقي المفاهيم الّتي أوردها كلّ رشيد بن مالك، محمد النّاصر العجيمي، سعيد بنكّراد وشرحوا بها مُختلف المُقابِلات العربيّة للمُصطلحات الأجنبية –بحجة أنّها غير مُطابقة لما أورده غريماس وكورتيس في مُعجمهما– لأنّها في مضمونها الكلّي لا تخرج عن مفهومها العام لها حسب ما ورد تعريفه في قاموس"**la théoré du langage Dictionnaire raisonné de**"، وللتّأكيد والتّوضيح أكثر نسوق بعضا مِن مصطلحات النّظرية السِّيميائية السّردية ومفاهيمها في الجدول الآتي عرضه:

مصطلح Opposant
مفهومه عند غريماس وكورتيس
"**Quand le role d'auxiliant négatif est pris en charge par un acteur différent de celui du sujet de faire il est appelé opposant et correspond alors _ du point de vue du sujet du faire _ à un non-pouvoir-faire individualisé qui, sous forme d'acteur autonome, entrave la réalisation du programme narratif en question.**[2]

[1] : A.J. Greimas J .Courtés Dictionnaire raisonné de la théorie du langage,P332.

[2] : ibid, p262.

التّرجمة العربية للمُصطلح الأجنبي ولمفهومه عنـد:		
رشيد بن مالك	**محمد النّاصر العجيمي**	**سعيد بنكّراد**
ترجمه بـ"المُعارض"، وفي تعريفه له يقول: هو" شخصية تضع الحواجز أمام الفاعل وتحول بينَه وبين تحقيق الرّغبة وتبليغ الموضوع."[1]	ترجمه أيضا بـ"المُعارض" وهو الّذي يقف حائلا دون تحقيق الفاعل طلبته وعائقا في طريقه.[2]	ترجمه بـ"المُعيق" وهو الّذي يقف في وجه البطل ويَحول بينه وبين الوصول إلى هدفه النّهائي في رِحلة بحثه عن موضوع القيمة.[3]
مصطلح Adjuvant		
مفهومه عند غريماس وكورتيس		
L'adjuvant désigne l'auxiliant positife quand ce role est assumé par un acteur autre que le sujet du faire : il correspond à un pouvoir-faire individualisé qui, sous forme d'acteur apporte son aide à la réalisation du programme narratif du sujet : il s'oppose, paradigmatiquement, à l'opposant.[4]		

[1]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي- إنجليزي- فرنسي)، ص124.

[2]: ينظر، محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص46.

[3]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص53.

[4] : A.J. Greimas J .Courtés Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, P10.

التّرجمة العربية للمصطلح الأجنبي ولمفهومه عند:		
رشيد بن مالك	**محمد النّاصر العجيمي**	**سعيد بنكّراد**
ترجمه بـ"المُساعد" وهو"بمثابة الممثِّل الّذي يُقدّم المساعدة إلى الفاعل رغبة مِنه في تحقيق برنامجه السّردي"[1].	ترجمه أيضا بـ" المساعد" وتتحدّد وظيفته في "تقديم يد العون للفاعل بُغية تحقيق مشروعه العملي والحصول على الطّلبة"[2].	ترجمه هو الآخر بـ"المُساعد" ويُريد به حسب ما أورده أولئك الّذين يقومون بمُساعدة البطل في رِحلة بحثه عن موضوع القيمة، وليسوا بالضّرورة بشرا فيُمكِنوا أن يكونوا إضافة إلى كونهم أشخاصا حيوانات أو جنا يقومون بمساعدته للوصُول إلى أهدافه.[3]
مصطلح Programme narratif		
مفهومه عند غريماس وكورتيس		
"Le Programme narratif (abrégé en PN) est un syntagame		

[1]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي)، ص18.

[2]: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص 46.

[3]: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص54.

élémentaire de la syntaxe narrative de surface, constitué d'un énoncé de faire régissant un énoncé d'état »[1]		
الترجمة العربية للمصطلح الأجنبي ولمفهومه عنـد:		
رشيد بن مالك	محمد النّاصر العجيمي	سعيد بنكّراد
ترجمه رشيد بن مالك بـ"البرنامج السّردي" وهو تتابع الحالات وتحوّلاتها المتسَلسِلة على أساس العلاقة بين الفاعل والموضوع وتحوّلها؛ إنّه التَّحقيق الخُصوصي للمقطوعة السّردية في حكاية مُعطاة، يعني سِلْسِلة مِن الحالات والتّحوّلات الّتي تتلاقى في العلاقة بين الفاعل الدّال على الحالة وموضوعه، ودائما ما يُحدّد بالحالة الّتي ينتهي إليها.[2]	ترجمه محمد الناصر العجيمي بـ" البرنامج السّردي" و "البرنامج العملي" ويرى أنّه مِن خِلاله يتمّ نقل الفاعل مِن حالة إلى حالة. [3]	ترجمه سعيد بنكراد أيضا بـ" البرنامج السّردي" وهو صيغة تركيبية مُنظّمة للفعل الإنساني بشكل ضِمني أو صريح، ويتحدَّد إمّا مِن خِلال تعاقد بِدئي يُحدِّد نمط تداول الموضوعات داخل المِساحة النّصية الفاصلة بين لحظتي البدء والنِّهاية، وإمّا مِن خلال إرساء قواعد سِجالية تضع على مسرح الأحداث ذاتين تتصارعان مِن أجل الحُصول على نفس الموضوع.[4]

[1]:A.J. Greimas J .Courtés Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, P297.

[2]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي- إنجليزي- فرنسي)، ص148.

[3]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص47.

[4]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص68.

مصطلح Narrativité		
مفهومه عند غريماس وكورتيس		
" A premiér vue, on peut appeler narrativité une propriété donnéé qui caractérise un certai type de discours, et à partir de laquelle on distinguera des discours narratifs des discours non narratifs,Telle est, par exemple,l'attitude de E Benveniste qui oppose le récit historique (ou histoire) au discours (au sens restreint), en prenant comme critére la catégorie de la personne (la non –personne caractérisant l'histoire, la personne –le « je » et le « tu »– étant propre au discours) et, secondairement, la distribution particuliére des temps verbaux »[1]		
الترجمة العربية للمصطلح الأجنبي ولمفهومه عنـد:		
رشيد بن مالك	**محمد النّاصر العجيمي**	**سعيد بنكّراد**
ترجمها بـ"السّردية"، وفي تحديده لمفهومها يقول:"يُطلق مصطلح السّردية على تلك	ترجمها هو الآخر بـ"السّردية" ويرى أنّها "مجموعة مِن الملفوظات المُتتابِعة والموظّفة	لم يختلف سعيد بنكراد في ترجمتها بـ"السّردية"، وفي تحديد مفهومها يقول هي

[1]:A.J. Greimas J .Courtés Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, P247.

الخاصية الّتي تخصّ نموذجا مِن الخطابات، ومِن خلالها نميّز بين الخطابات السّردية، والخطابات غير سردية"[1].	المستندات فيها لتشاكل- ألسنيا- جملة مِن التّصرفات الهادفة إلى تحقيق مشروع"[2] سردي بامتياز.	"اقتحام اللاّمتصل لطُولية الخطاب في حياة ما، أو ثقافة ما، أو قصّة ما، أو شخص ما"[3] وقد أراد بنكّراد بلفظة "الاقتحام" هنا "الخرق" أي خرق المعهود المألوف في التّعبير اللّغوي إلى غير المألوف، وبتعبِير آخر "التّغريب".

عرض الملاحظات واستخلاص النتائج:

أوّل ما نشير إليه أنّ ما سنعرضه مِن ملاحظات وما سنُقدِّمه مِن نتائج سيكون استخلاصا لهاتين النّقطتين:

- عقد مُقارنة مع النّقاد الثلاثة –رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد- حول المفهوم الّذي قدّموه للمصطلح الأجنبي وفي ترجمتهم له أيضا.

- عقد مقارنة بين المفهوم العام- وقد تعمّدنا إرفاق لفظة "العام" بالمفهوم حتّى لا نُؤاخد لاحقا فيما سنقدّمه بأنّ هذا المفهوم مثلا لا يتطابق مع ذاك ونحن قلنا عكس ذلك لكن الأمر ليس كما هو ظاهر تماما- لأنّ لفظة "العام" تنفي المطابقة الحقيقة للمفهوم، وإدراكنا المُسبق لاستحالة وُجود مطابقة حقيقية بين المفهوم الوارد في قاموس" **Dictionnaireraisonné de la théoré du langage**" لغريماس، وكورتيس، وبين المفهوم الوارد في مُتون المؤلّفات

[1]: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي)، ص 121.
[2]: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص35.
[3]: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص41.

النّقدية المغاربية الّتي هي موضوع دراستنا هو الّذي كان وراء ذلك.

وتأسيسا على ما أوردناه فإنّ مقارنتنا هذه ستكون انطلاقا مِن المفهوم العام –الّذي يوحي إليه المصطلح الأجنبي بالدّرجة الأولى– الّذي قدّمه كل من رشيد بن مالك، محمّد النّاصر العجيمي، سعيد بنكّراد للمصطلح الأجنبي، وبين المفهوم الّذي قدّمه غريماس وكورتيس في قاموسهما للتّمكن مِن الكشف عن مدى توافق ترجمتهم مع ما هو وارد في في قاموس" **Dictionnaire raisonné de la théoré du langage**".

إنّ أوّل ما استرعى انتباهنا واستخلصناه عدم اختلاف النّقاد السّالف ذِكرهم في تعريفهم لمُختلف المصطلحات الأجنبية المُتعلّقة بالجهاز المفاهيمي للسِّيميائية السّردية بالرّغم مِن اختلافهم وعدم توافقهم أحيانا في تقديم مقابل عربي واحد للمصطلح الأجنبي، وفي الجدول الآتي عرضه مزيد مِن الشّرح والتّفصيل حول ما أقررناه:

المصطلح الأجنبي	المفهوم العام المتّفق عليه عِند رشيد بن مالك، محمّد الناصر العجيمي، سعيد بنكّراد
Opposant	لم يختلف هؤلاء النّقاد في تعريفهم للمُصطلح الأجنبي "**Opposant** "على القول بأنّه الحاجز الّذي يقف حجرة عثرة في وجه الفاعل كما أطلق عليه رشيد بن مالك ومحمّد الناصر العجيمي أو البطل على نحو ما أشار إليه سعيد بنكّراد ويمنعه مِن تحقيق موضوع رغبته –بالرّغم مِن انفراد سعيد بنكّراد بترجمة المصطلح بـ"المُعيق" بدلا من "المُعارض" على نحو ما وجدناه عِند رشيد بن مالك ومحمد النّاصر العجيمي– والوصول إلى مُبتغاه.

Adjuvant	يتّفق كلّ مِن رشيد بن مالك ومحمد النّاصر العجيمي وسعيد بنكّراد في تعريفهم للمُصطلح الأجنبي "**Adjuvant** " المُترجم مِن قبلهم إلى "مُساعد" على القول بأنّه مَن يقوم بتقديم يد العون للبطل (الفاعل) مِن أجل تحقِيق موضوعه وبُلوغه، مع التّنويه إلى أنّه ليس بالضّرورة إنسان عاقل فقد يكون حيوانا أو شيئا آخر.
Programme narratif	يجمع كل مِن رشيد بن مالك، محمد النّاصر العجيمي، سعيد بنكّراد في تحدِيدهم للمفهوم العام للمصطلح الأجنبي " **Programme narratif**" على الإشارة بأنّه تركيب منظّم ومتسَلسِل لمُختلف التّحوّلات الّتي تتمّ على مُستوى الحكاية بين الفاعل والموضوع.
Narrativité	لم يختلف رشيد بن مالك، محمد النّاصر العجيمي، ولا حتّى سعيد بنكّراد في تقديمهم للمفهوم العام للمُصطلح الأجنبي " **Narrativité**" على أنّ المُراد به هو مجموعة الخصائص والتِّيمات الّتي تُميّز نصّا عاديا عن غيره مِن النّصوص الأدبية الأخرى وتُضفي عليه سِمة السّردية.

ولعلّ مردّ هذا التّوافق يعود في جوهره إلى نهل النّقاد السّالف ذِكرهم تقريبا مِن نفس المراجع، هذا بالإضافة إلى تواصلهم واحتكاكهم بأعلام السِّيميائية السّردية مُباشرة وهو ما خلُصنا إليه سابقا، وبالتّالي فإنّه لمِن الطّبيعي أن نجد تقاربا فيما يُقدّمونه مِن مفاهيم واشتراكا فيما يطرحونه مِن قضايا.

أمر آخر استخلصناه فحواه أنّ المفهوم العام الّذي قدّمه النّقاد السّالف ذِكرهم –رشيد بن

مالك، محمد النّاصر العجيمي، سعيد بنكّراد– لا يكاد يختلف والمفهوم الّذي قدّمه كل مِن "غريماس وكورتيس" في قاموسهما " **Dictionnaire raisonné de la théoré du langage**"، ومردّ هذا التّقارب –في نظرنا– يعود بالدّرجة الأولى إلى نهل النّقاد السّالف ذِكرهم مبادئ ومُصطلحات الجهاز المفاهيمي للسِّيميائية السّردية مِن غريماس لفهم إجراءات تحليل النّص ومُستوياته الأساسية فترة تواجدهم بفِرنسا وتلقّيهم المعرفة على يديه، وعلى يد أقرانه مِن أعلام السِّيميائية السّردية في جامعة السّوربون كآن إينو، بيرنار بوتي، جان كلود كوكي، دانيال ريغ وآخرون، وهو ما صرّحوا به في مُؤلّفاتهم الّتي ما فتِئوا يُشيدون فيها بجهدهم، وبالدّور الكبير الّذي لعِبوه في تلقيح الفكر المغاربي، أو بالأحرى الذّهنية المغاربية بما جادت به قريحتهم الغربية.

ويعدّ رشيد بن مالك مِمّن لم ينسوا فضل من قدّموا له يد العون في فرنسا، حيث نجده لا يتردّد في تقديم شُكره الخالص لبيرنار بوتي قائلا:" لا يسعني في النّهاية إلاّ أن أوجّه شكري الجزيل وتحياتي الخالصة للباحث بيرنار بوتي الّذي لم يبخل عليَّ بوقته الثّمين واستجاب لي كلّما دعت الضّرورة العلمية لذلك"[1] في كتابه "البِنية السَّردية في النّظرية السِّيميائية"، ولا في الإشارة إلى أبرز الأعلام الّذين اغترف مِنهم مادّته المعرفية وهو ما صرّح به قائلا:"(...) كنّا نختلف إلى دُروس غريماس، كورتيس، جيرار جينيت، جان بيار غولدانستان، جوليا كريستيفا معرفة تتحرّك تستفزّك في العُمق في خطاب علمي موجز ولكنّه بليغ (...) تعلّمنا القليل وغاب عنّا الكثير، لم نكن نملك مِن المقدرة على تلقّي هذه المعرفة الغزيرة ذات الأصول الفكرية المُتنوّعة مِن منطق ورياضيّات ولسانيّات وفيزياء وكيمياء، كنّا نُكدِّس في غرفتنا الصّغيرة بالحيّ الدّولي المعاجم المُتخصِّصة لفهم دروس غريماس والسِّيميائِيّين التّابعين لمدرسة باريس، ويرجع الفضل في توجيهنا إلى دروسه وتحريضنا على مُتابعتها إلى الباحثين ندى طوميش، ودانيال ريغ (...)"[2] نظِير جُهودهما المبذولة لتَعليم وتلقين الطّلبة أبجديَّات الدّرس السِّيميائي.

[1]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص9.

[2]: آن إينو وآخرون، السّيميائية (الأصول، القواعد، التّاريخ)، ص 17.

هذا إضافة إلى وُقوفهم –النّقاد المغاربة (رشيد بن مالك، محمّد النّاصر العجيمي، سعيد بنكّراد)– عِند مُختلف الدّراسات المتبنّية للاتّجاه الغريماسي تنظيرا وتطبيقا، والمُنتهجة لطرائقه الأكثر وُضوحا في التّحليل على نحو ما كان مع محمّد النّاصر العجيمي وهو ما صرّح به قائلا:"(...) مِمّا يُيَسِّر وُلوج فِكر غريماس وَيُسهِم في فهم مُستغلقات نظريَّته توفّر جُملة مِن الدّراسات المُتبنِّية منهجه تنظيرا أو تطبيقا، أو المتوخِّية طُرقا مِن التّحليل أكثر وُضوحا (...)"[1] كـ" مدخل إلى الدّلاليّة السّردية والبيانية" لكورتيس، و"رِهانات الدّلالية" و"السّردية: الدّلالية العامة" لآن إينو، و"العلاميّة الأدبية، مساهمة في تحليل النّص دلالِيا" لجان كلود كوكي.

وما كان أيضا مع سعيد بنكّراد في قوله:"(...) فضّلنا أن نعرض لنظريّة واحدة بأكبَر قدر مِن الشّمولية والوُضوح مُعتمدِين في المقام الأوّل على أعمال صاحِب هذه النّظرية، وعلى بعض الأعمال الشّارحة لهذه النّظرية في المقام الثّاني" بغية تحديد الإطار العام لها – السِّيميائية السّردية– وكيفية تطبيقها.

ويجدر بنا قبل الانتقال إلى نُقطة أخرى التّنويه إلى أنّ ما أوردناه حول المفهوم الأجنبي والعربي للمُصطلح السِّيميائي السّردي لا يعني الجزم القطعي والحُكم الثّابت والعام على أنّه لا اختلاف بين جميع المفاهيم العامة الّتي قدّمها النّقاد الّذين نشتغل عليهم في بحثنا هذا، وبين المفاهيم الّتي قدّمها غريماس للمُصطلحات الّتي وقف عندها بالشّرح والتّمثيل في قاموسه هو وكورتيس "**Dictionnaire raisonné de la théoré du langage**" ذلك أنّ هناك مِن المُصطلحات ما وجدنا اختلافا في تحديد مفهومها العام على مستوى القطر المغاربي على نحو ما كان مع يوسف وغليسي في كتابه "إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد"[2]، وعبد الملك مرتاض مِن خلال كتابه "نظرية القراءة"[3] في اختلاف نظرتهم وتحديدهم لمفهوم

[1]: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص10.

[2]: ينظر، يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص264.

[3]: ينظر، عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة (تأسيس للنّظرية العامة للقراءة الأدبية)، دط، دار الغرب، وهران (الجزائر)، 2003، ص399/408.

المصطلح الأجنبي"**Isotopie**" مع ما ورد في العديد مِن المفاهيم الّتي قدّمها أبرز المُشتغلين والمُهتمين بالسِّيميائية السّردية كرشيد بن مالك، وهو ما نجم عنه بالضّرورة اختلاف عن المفهوم الّذي وضعه غريماس، ما يعني أنّ مَكْمن الاختلاف بين ما ورد في قاموس" **Dictionnaire langage raisonné de la théoré du** " يعود في لُبّه إلى الاختلاف الوارد في متون المؤلّفات النّقدية للنّقاد السّالف ذِكرهم ولغيرهم مِن النّقاد الّذين اشتغلوا على الدّرس السِّيميائي الغربي؛ لكنّه في حقيقة الأمر ليس بالاختلاف الكبير الّذي من شأنه تغيير المفهوم الحقيقي والكلّي للمصطلح بل هو اختلاف جزئي سببه غموض في فهم المصطلح الأجنبي ذاته وتعدّد ترجمته مِن ناقد لآخر على نحو ما لاحظناه في الجداول السّابقة.

رابعا: تواتر استخدام مصطلح دون سواه في السّاحة النقدية المغاربية بالرّغم مِن المقابلات العربية الأخرى الّتي وُضعت له كـ"التّحريك"، "الكفاءة" ،"الإنجاز" في مقابل هذه المصطلحات الأجنبية "Manipulation"،"Compétence"،"La performation" وغيرها مِن المصطلحات الّتي تواتر استعمالها مُقارنة بالتّرجمات العربية الأخرى، ولنا هنا أن نتصور حجم الإشكالية الّتي باتت تعُج فيها مصطلحات الجهاز المفاهيمي للسِّيميائية السِّردية، والكمّ الهائل مِن التّساؤلات الّتي لا تكاد تبرح أذهان المشتغلين عليها حول التّرجمات الأحق بالأخذ والاستعمال.

وصفوة ما يمكن قوله إنّ ما خلصنا إليه حول التّرجمة العربية الشّائعة في الاستعمال لكلّ مصطلح على حدة لم يكن اعتباطيا بل كان انطلاقا مِن استنادنا على ما تواتر توظيفه في العديد مِن المؤلّفات النّقدية المغاربية، وأنّ ما ضبطناه مِن مصطلحات لا يعني الجزم القطعي بأنّها –المصطلحات– الأقرب مِن المصطلح الأجنبي، حتّى لا نبتر جهود النّقاد الآخرين وسعيَهم الحثيث لإيجاد المقابل العربي الأقرب لمعنى المُصطلح الأجنبي وتأكيدهم عليه على نحو ما ذهب إليه سعيد بنكّراد، محمد النّاصر العجيمي، وكذا جمال كديك في ترجمتهم لجميع أطوار الخطاطة السردية (Manipulation، Compétence، La performation، Sanction) وللعوامل السردية للنموذج العاملي(Destinateur/ destinataire، Sujet،

.(Opposant ،Adjuvant

ومردّ إشارتنا تلك قناعة مفادها أنّه لا يمكننا بأيّ حال مِن الأحوال تصويب ترجمة والأخذ بها دون سِواها ما لم نقف عند الخلفية المرجعية الّتي كانت سببا وراء انتقاء كلّ ناقد للمصطلح الذي رأى أنّه لا يُنافي الصواب بوصفها "الإطار الكلّي والأساس المنهجي المستند إلى مصادر وأدلّة مُعيّنة لتكوين معرفة ما أو إدراك ما، يبنى عليه قول أو مذهب أو اتّجاه يتمثّل في الواقع علما أو عملا "[1].

وأفضل ما نستدل به وِجهة نظرنا تلك ترجمة رشيد بن مالك لمصطلح Manipulation بالاستعمال أوّلا ثمّ الإيعاز ثانيا بعدها التّحريك وأخيرا التّفعيل، وما كان لرشيد بن مالك أن يتراجع عن التّرجمة الأولى ويأتي بجميع تلك التّرجمات العربية لولا المرجعية المعرفية الّتي استند إليها للبحث عن المقابل العربي للمصطلح الأجنبي وهو ما نلمسه في قوله:" تراجعنا في هذه الدّراسة عن ترجمة الاستعمال بوصفه مقابلا لـ Manipulation ذلك أنّنا أدركنا مِن خلال مُعاينتِنا للوضع المُصطلحي في الدّراسات اللّسانية والسِّيميائية العربية الرّاهنة أنّ مصطلح الاستعمال يُوضع في الأعمّ الأغلب كمقابل لـ Usage"[2] ليتبنّى لاحقا مصطلحا آخر هو الإيعاز للدكتور عبد الحميد بورايو، بعدما تبيّن له أنّه يحيل فقط على جانب مفهومي واحد في المصطلح (الأمر) ولا يغطّي مساراته الدّلالية الفرعية، ولحلّ هذا الإشكال يقول –رشيد بن مالك– "مِلْنا إلى استعمال مصطلح التّحريك للدكتور بنكّراد في كتابه الموسوم مدخل إلى السِّيميائيات السّردية (...) وهي التّرجمة نفسها الّتي وضعها أستاذنا الدكتور دانيال ريغ في قاموس السّبيل (لاروس، باريس، 1983)"[3] والّتي آثر رشيد بن مالك اعتمادها لاحقا لأنّ هذه التّرجمة –التّحريك– هي مَن يُحقّق –حسبه– "الفاعلية مِن جانب واحد (المحرّك) ولا يشمل اللّحظة الّتي قد يتمّ فيها التّواصل المبني على الخطاب البُرهاني الّذي تُسخّر فيه وسائل الإقناع

[1]: سعيد بن ناصر الغامدي، المرجعية، (معناها، أهميتها وأقسامها)، ص382.

[2]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص27.

[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

سواء تعلّق الأمر بالمُحرّك أو فاعل الحالة، ولهذه الاعتبارات النّظرية نتحفّظ في استعمال التّحريك ونقترح على السادة الأساتذة المتخصّصين مصطلح التّفعيل المشتق مِن الفعل الّذي يُغطّي المسارات الّدلالية لفعل الفعل Faire-faire (...)"[1] وغيرها مِن التّرجمات الأخرى المُوضّحة في الجدول أعلاه.

وتأسيسا على ما سبق ذِكره لا يجب النّظر إلى تعدّد المقابل العربي لمُصطلحات الجهاز المفاهيمي للسِّيميائية السّردية في السّاحة النّقدية المغاربية على أنّه إشكالية في حدّ ذاته من شأنها إيقاع الباحث المُشتغل عليها في متاهات هو في غِنى عنها، وتُعسّر عليه الفهم والقدرة على الاستيعاب لأنّه –التعدد– قد يكون إثرائيا إذا أحسنا الفهم والتّمييز والانتقاء؛ لكن مع ذلك يبقى الحرص واجبا في التّعامل مع المصطلحات وتوظيفها إلى حين التّمكن مِن إيجاد الحلول الناجعة لتوحيدها والحد مِن تعدُّدها ولأجل تحقيق ذلك لابد مِن الدّعوة الدائمة والمُتكرّرة إلى:

– التحرّر مِن سِمة الباحث المستهلك السّلبي والمُترجم الحرفي إلى مستهلك إيجابي يُسائل ويُناقش.

– الاهتمام بعلم المصطلح مِن النّاحية التّعليمية وضرورة إدخاله ضِمن الوحدات المقرّر تدريسها مِن أجل تكوين مختصين في مجال المصطلحيّة.

– طبع كتيّبات تعليميّة تحتوي على مختلف الإجراءات التّحليلية في المقاربة السِّيميائية.

– دعوة الأستاذة إلى الالتزام بالجهاز المُصطلحي لكل مدرسة أو اتجاه سيميائي والتقليل مِن الاجتهادات الاصطلاحية قدر الإمكان في قاعات التّدريس تفاديا لوقوع اللّبس والغموض لدى الطالب المتلقي.

– الإكثار مِن القيام بمشاريع مُؤسّساتية في المصطلح (بحوث، ملتقيات، مؤتمرات، دورات علمية) قائمة على فِكر استشرافي فاعل لتوحيد المصطلح السِّيميائي السّردي في الأوساط الجامعية.

[1]: رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، ص27.

– وضع قاموس عربي أكاديمي للمصطلح السِّيميائي السّردي مُحوسب يجمع شتاته ويُحدّد مفاهيمه بشكل مُوحّد بين جميع المُشتغلين عليه شبيه بقاموس رشيد بن مالك.

– التّسامي في البحث العلمي الّذي يقتضي العمل الجماعي المُؤسّساتي النّابذ للسّطحية والعمل الفردي والدّاعي إلى التّفكير التّكاملي على مستوى الأفراد والمؤسّسات لخِدمة مشروع علمي مغاربي يتجاوز الفردانية الذّاتية.

كانت هذه خلاصة اطّلاعنا على أبرز الحلول والاقتراحات الّتي قدّمها العديد منِ الباحثين والنّقاد–المهتمين بترجمة المصطلح الغربي والاشتغال عليه كيوسف وغليسي، السّعيد بوطاجين، رشيد بن مالك، عبد السّلام المسدي، علي القاسمي– للحدّ مِن إشكالية تعدّد المصطلح النّقدي واختلافه، انطلاقا من قناعتهم بأنّ "الخلل الّذي وقعت فيه ترجمة المصطلح هو تأسيسها على الاستقبال الآني لمعارف متجذّرة في التّاريخ الثّقافي الإنساني، وفي الفكر، والمنطق، واللّسانيات، والعلوم البلاغية"[1] وهذا ما يجب فهمه أوّلا واستيعابه قبل ترجمته أو توظيفه في أيّ دراسة، لأنّ الفهم الصحيح له يترتب عنه الفهم الجيد للعلم الّذي ينتمي إليه على نحو ما أشار إليه عبد السّلام المسّدي قائلا:"مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثِمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما يتميّز به كل واحد عمّا سواه، وليس مِن مَسلك يتوسّل به الإنسان إلى مُنطلق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية"[2].

[1]: السّعيد بوطاجين، التّرجمة والمصطلح(دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النّقدي الجديد)، دط، منشورات فيسير، 2017، ص323.

[2]: عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللّسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت لبنان، 2010، ص43.

الفصل الرّابع

تمظهر آليات وإجراءات التّحليل السّيميائي السّردي في مقاربات رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد

المبحث الأوّل:

تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة التّطبيقية عند رشيد بن مالك

المبحث الثّاني:

تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة التّطبيقية عند محمد النّاصر العجيمي

المبحث الثّالث:

تمظهر السّيميائية السّردية فى خطاب الممارسة التّطبيقية عند بنكراد

المبحث الأوّل: تمظهر السِّيميائية السّردية في خطاب الممارسة التّطبيقية عند رشيد بن مالك

لم يقتصر رشيد بن مالك مُقاربته السّردية على نص واحد وفيما يأتي عرض لها:

1- قراءة سيميائية في قصّة العروس للرّوائي غسّان كنفاني.

2- تحليل سيميائي لقصّة عائشة لرضا أحمد حوحو.

3- سيميائية الفضاء في رواية ريح الجنوب.

4- قراءة سيميائية في كليلة ودمنة لابن المقفّع.

5- دراسة تحليلة لرواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج.

6- قراءة سيميائية في رواية عواصف جزيرة الطّيور لجيلالي خلاص.

7- تحليل سيميائي لرواية الصّحن لسميحة خريس.

هذا إضافة إلى دِراسات أخرى لم نأت على ذِكرها لاقتصارنا فقط على ما وجدناه في المؤلّفات النّقدية الّتي اتّخذناها منذ البداية مدوّنة لبحثنا، ولا يخفى على القارئ المتأمّل لها أنّ عناوينها أنّها تصب في صميم المُقاربات السِّيميائية، وأنّ ثمّة شيئا ما يميّز جانبها التّطبيقي – الّذي لم يقصره رشيد بن مالك على نصوص الحكايات الشّعبية على نحو ما كان في تطبيقات الدّراسات الغربية بل تجاوزه إلى التّطبيق على القصّة والرّواية– على نحو ما سنوضحه فيما يأتي.

2-1 قراءة سيميائية في قصّة العروس للرّوائي غسّان كنفاني.

افتتح رشيد بن مالك دراسته التّطبيقية بمُقدّمة منهجية أورد فيها السّبب الكامن وراء انتقائه لقصّة العروس كموضوع لقراءة سيميائية يندرج ضِمن مشروع نقدي يهدف مِن خلاله "إلى فحص القصّة العربية القصيرة وِفق إجراءات التّحليل السِّيميائي، والنّظر في فعالية هذه الإجراءات وإمكانية وضعها كقاعدة علمية تُبنى عليها مُحاورة النّصوص ومساءلتها وفهمها(...)"[1] وأنّ حديثه عن علم النّص الأدبي في الوضع الرّاهن للبحث سابق لأوانه لجملة مِن الاعتبارات مُشيرا إلى أنّ دراسته التّطبيقية الّتي لا تعدو أن تكون مُجرّد قراءة لا تنفي إمكانات قراءات أخرى، لكنّها قراءة تُحاول اسْكتِناه التّمفصلات الأساسية للنّص استنادا إلى الهيئة التّلفظية المؤسّسة للفاعل والقنوات الّتي يُمرّر عبرها مضامينه"[2] مُعتبِرا إيّاها أساسية في البحث لأنّه بمُوجبها سيتم إدراك استراتيجيات القِوى المُتصارعة وطموحاتها الّتي تُجسِّد البرامج السّردية الرّئيسية والمُلحقة، مصرّحا في الآن ذاته أنّ هذا المسار التّحليلي سيقُود إلى فهم الرِّهانات السِّيميائية في القصّة وضبط دورتها الدلالية.

واستند في تحليله على اعتماد "آلية التّقطيع"، فقطّع القصّة إلى مقطوعتين سرديتين على النّحو الآتي:

أ. **المقطوعة الأولى:** تبدأ مِن "**عزيزي رياض**" إلى "**إنّه محاط بشيء يشبه الغبار المضيئ**"[3]، يرى رشيد بن مالك أنّ هذه المقطوعة تحمل شكل رسالة يُوجّهها الرّاوي في صيغة الأنا المتكلم إلى الأنت "رياض"؛ وهو –حسبه– هيئة مخاطبة، مشخّصة نصيّا جاءت مسبوقة بصورة /عزيزي/ في بداية النّص ونهايته لتَعكس على الصّعيد التِّيمي علاقة تحكمها وصلة

[1]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص49.

[2]: المصدر نفسه، ص51.

[3]: قصّة العروس، غسّان كنفاني، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

حميمية تتطلّب تنفيذ برنامج سردي يفتقر إلى غاية (موضوع القيمة) مرسومة سلفا[1] تمّ استخلاصُها مِن خِلال هذا المقطع السّردي:"**ابحث معي حيث أنت عن رجل طويل جدّا، صلب جدا، لا أعرف اسمه، ولكنّه يلبس بدلة خاكية عتيقة ويلوّح لأوّل وهلة كأنّه مجنون**"[2].

ب. المقطوعة الثانية: تبدأ مِن "**معك حق، ولكنّني أكتب لك هذه الرّسالة الثانية**"، وتنتهي بـ"**فلدي أخبار جديدة عن العروس**"[3]، وتعدّ هذه المقطوعة بمثابة رسالة ثانية تبتدئ بانتقال الرّاوي مِن الحديث عن العلامات المميّزة للرجل إلى مستوى رواية قصّته الكاملة، ورأى رشيد بن مالك أنّ مرد ذلك الانتقال راجع لرغبة الرّاوي الحادة في اقناع رياض بحقيقة ما جرى، واستند في تدعيم ما أقرّه بهذا الملفوظ السّردي: مِن "**معك حق، ولكنّني أكتب لك هذه الرّسالة الثانية في يوم واحد لتعرف القصة بكاملها، ذلك أنّني رأيت أنّه صار مِن حقّك، وقد طلبت منك مشاركتي في البحث عنه، أن تعرف ما أعرفه**" الّذي سجّل فيه تدرّجا في السّرد يعبّر عن النّقلة الّتي يحدثها الرّاوي من صعيد العلامات الخاصة بالرّجل إلى صعيد قصّته التّي تحول بينه وبين العلامات الملازمة للرّجل واللّازمة لمعرفت؛ وكأنّه يريد–الرّاوي– إخراج القارئ من منطق العلامات المؤسّسة لكيان الرّجل بوصفه ماهية (من هو؟) إلى منطق القصّة بوصفها فعلا (ماذا فعل؟)[4].

يواصل رشيد بن مالك تحليله بافتراض قناعة متبادلة بين المرسل ورياض، يتأهّب الرّاوي من خلالها إلى العودة للماضي في فترة تاريخية سابقة لزمن تلفّظه، ومؤطّرة لأوّل اتّصال حدث على صعيد الرّؤية بينه وبين رجل يتقدّم كفاعل حالة في فصلة عن موضوع قيمة مُتَماة في شيء بدأ ينحسر، ويتشكّل تدريجيا في برنامج سردي يرمي من خلاله الرّجل إلى الدّخول في وصلة بالعروس الّتي تشكّل موضوع قيمة تحرّي الرّجل الّذي فشل في التّواصل مع العامل

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص52.

[2]: قصّة العروس، غسّان كنفاني، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: المصدر نفسه، ص51.

[4]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص53.

الجماعي(النّاس) الّذي تنكّر له على امتداد عشر سنوات، وهو ما ولّد لديه شعورا بضرورة إحداث القطيعة مع القيّم الجماعية السّائدة حتّى صار التّعامل معه مستحيلا، فكان الاختفاء الّذي خلق توتّرا ووضعية لا توازن على الصّعيد السّردي وولّد لدى الرّاوي شعورا بالذّنب أفرزته وضعية لا توازن تزامنت معها الرّغبة في اللّحاق بالرّجل وتعويض الافتقار بردّ الاعتبار إليه[1] بعدما فرّ هاربا.

الكفاءة، الفعل التّأويلي، افتقار مزدوج، موضوع القيمة مفاهيم إجرائية أخرى اعتمدها رشيد بن مالك –إضافة إلى البرنامج السّردي، فاعل الحالة، الاتّصال، الانفصال– لمواصلة الكشف عن استراتيجيات القِوى المُتصارعة وطموحاتها الّتي تُجسِّد البرامج السّردية الرّئيسية والمُلحقة في قصّة "العروس" وضبط دورتها الدّلالية، فبعدما قام الرّاوي بتنصيب–يقول رشيد بن مالك– نفسه كفاعل في مشروع التّحري عن أخبار العروس القائم أساسا على استراتيجية الاتّصال المتدرّج بالمعارف القريبة والبعيدة، إلاّ أنّه سرعان ما يتمّ تعطيل ذلك المشروع، وتأخذ القصّة منعرجا آخر في مستوى جديد يجسّد تعديلا في موضوع رغبة الفاعل، ويعكس تحوّلا جذريا على مستوى كفاءة الرّاوي الّذي تمّ نقله من اللّامعرفة إلى المعرفة المتشكّلة من الأخبار الجديدة عن العروس، واستنادا إلى تلك الكفاءة أراد الرّاوي أداء رواية قصّة الرّجل والعروس من بدايتها إلى نهايتها رغبة منه في إقناع رياض بوجوب التّحري عن الرّجل[2].

لم يخرج رشيد بن مالك في تحليل مضمون القصّة عن سياقها النّصي حيث كان شديد الحرص على استجلاء دلالة ملفوظاتها انطلاقا من فضائها النّصي، وهو ما تجلّى لنا من خلال تحليله للملفوظ الّذي ابتدأت به القصّة، وهذا نصّه: "**كان من قرية(شعب) شابا لم يكن قد ضيّع شيئا بعد، ولكنه لم يكن عند ذاك قد وجد أيّ شيء أيضا**"[3] حيث صرّح بأنّه سيقدّم

---

[1]: ينظر، المصدر السّابق، ص55/54.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص57/56.

[3]: قصّة العروس، غسّان كنفاني، نقلا عن المصدر نفسه، ص57.

بعض الافتراضات للكشف عن دلالة "شعب"، وسيحتفظ بما يراه الأقرب ريثما يعثر لها أثناء التّحليل عن "بعض المسوغات النّصية الّتي تؤكّدها أوتنفيها"[1]، ومن ذلك افتراضه أنّ صورة "شعب" يمكن أن تحيل من منظور سوسيوسياسي فضلا عن كونها تحمل سمة التّمايز عن باقي القرى إلى الجماعة الكبيرة الّتي تتكلّم لسانا واحدا، وتخضع لنظام اجتماعي واحد تكون فيه المواطنة حقّا شرعيا، ولعّل افتراضه هذا –في نظرنا– جاء بعد اطّلاعه على هذا الملفوظ:"**لابد أنّ قصّته قد بدأت في يوم من أيّام حزيران الأولى عام 1948، كان القتال الدّموي قد استمر دون انقطاع طوال أكثر من ستّة أشهر**"[2] الّذي يحوي تثبيتا تاريخيا وفضائيا للنّص يحيل إلى البدايات الأولى للصّراع العربي الإسرائيلي الّذي تنعكس تجلّياته في وضع مضطرب(حرب) يدخل في ثنائية ضدّية مع وضع مستقر سابقا(السّلم)، وتجسّد هذه الثّنائية مرحلتين متمايزتين:

قبل(1948) عكس بعد

الشّاب في وصلة بالملك (أرض فلسطين) عكس الشّاب في فصلة عنه

سلم عكس حرب

يشكّل القتال الدّموي فيها فعلا تحويلا يرمي من خلاله العامل الجماعي(الشباب الّذين يندفعون إلى القتال) إلى تحرير أرض فلسطين[3] من يد الإسرائيليّين وتحقيق الفعل الثّوري في فضاء العدو

والممّيز فيما كان يقف عند من ملفوظات سردية أنّه كان ينتقي منها ما تحتوي على دلالات خاصّة، ليخلص في الأخير ومِن خلال تحليلها إلى أنّ السّيولة الحدثية في القصّة تتسرّب عبر تكتُّل جماعي (الفئة الفقيرة) أيقظ شعوره الوطني الرّجل والوضع الّذي آل إليه الفلسطيني، وقد كان لاكتشاف الرّجل لذلك الوضع سبب في اغترابه واختفائه، وهو ما كان سببا

[1]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص57.

[2]: قصّة العروس، غسّان كنفاني، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص58.

في شُعور الرّاوي بالنّقص وإبدائه استعدادا لتعويضه بتوجيه دعوة إلى ريّاض للتّحري عن رجل ينتابه إحساس بأنّه يبحث عن بندقية تتمازج مع العروس فتتوحّد قيّم الموت والحياة توحّدا يُحدِث حالة تناقض قصوى تتحكّم في سلوك المُواطن الفلسطيني[1]، وهو ما ختم به رشيد بن مالك مقاربته، دون أن يرفقها ترسيمات أو مُخطّطات تُوضّح سير بعض البرامج السّردية كـ"البرنامج السّردي للعدو الّذي توّج أداءه العسكري بهيمنته على فضاء الجليل واكتساح أهله" أو"برنامج هروب ونزوح العامل الجامعي طلبا للنّجاة (الحياة) نحو الشمال"، وغيرها مِن البرامج السّردية الأخرى، أو يعرض حالات التّحوّل والانتقال مِن حالة إلى حالة على نحو ما عرضه في الجزء النّظري رغم تصريحه في الواجهة الخلفية للكتاب أنّه موجّه أساسا إلى الجامعيين أستاذة كانوا أم باحثين وطلبة لرفع رصيدهم المعرفي بأسلوب منهجي يعتمد على الدّقة والجدّية.

2-1 تحليل سيميائي لقصّة عائشة لرضا أحمد حوحو

افتتح رشيد بن مالك مُقاربته الثّانية بـ "تحليل سيميائي لقصّة عائشة لرضا أحمد حوحو" بمُقدّمة منهجية على شاكلة المقاربة السّابقة تحدّث فيها عن مكانة البحوث السِّيميائية في الدّراسات النّقدية المُعاصرة وما تطرحه مِن إشكالات على الصّعيدين النّظري والتّطبيقي خاصّة فيما يتعلّق بإشكالية الفوضى المصطلحية محاولا إيجاد الحلول المناسبة لها[2]، ونوجز فيما يأتي أهم ما تميّز به تحليله على الصّعيد المنهجي:

– إدراجه لعُنصر بعنوان "اعتبارات نظرية"[3] حدّد فيه مفاهيم المصطلحية المعتمدة في البحث كملفوظ الحالة (الوصلي والفصلي)، والتّحويل الوصلي والفصلي لـ"استجلاء العناصر السّردية حسب ظُهورها في النّص، وتحديد الحالات والتّحويلات الّتي تحكم بنية الخطاب السّردي"[4] مُشيدا في الآن ذاته بأهميّة العنصر الّذي أورده في متن المُقاربة مُعتبرا إيّاه نقطة ارتكاز

[1]: ينظر، المصدر السّابق، ص66/65.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص69.

[3]: المصدر نفسه، ص 72.

[4]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أساسيّة يتمّ الاستناد إليها للنّظر في صُورة الخطاب والآليات الّتي تتعالق بها لتُشكّل مسارات صُورية تُفضي بنا إلى فحص المستوى العميق الّذي سيتم مِن خلاله تحديد الدّورة الدّلالية للقصّة[1].

– تقديم تعريف للمقطوعة السّردية قبل المباشرة في عملية التّقطيع مُعتبرا إيّاها "وِحدة خطابيّة تجري مجرى القصّة القصيرة"[2]، وبناء على هذا التّعريف لاحظ أنّ قصّة عائشة تتشكّل مِن مقطوعتين أساسيتين؛ تبتدئ المقطوعة الأولى مِن "**عائشة امرأة ككلّ النساء الجزائريات**" إلى "**يعرفن حياة يومية مُتشابهة لا يختلف فيها يوم عن يوم**"[3]، أمّا المقطوعة الثّانية فتمتدّ مِن "**وهكذا تتتابع أيام عائشة في قريتها**" إلى "**ولم يبق مِن تلك الإحن والمحن إلاّ بصيص ضئيل من الذّكريات المريرة**"[4].

– تحديد الهدف المنشود مِن تحليل كلّ مقطوعة سردية؛ فمثلا في تحليله للمقطوعة الأولى نجده يُرفق العنوان الرّئيسي بعنوان فرعي آخر هو "الخطاب الموضوعي"، والأمر نفسه نجده في تحليله للمقطوعة الثّانية الّتي أرفقها هي الأخرى بعنوان فرعي موسوم بـ "الخطاب السّردي"، وكأنّه يُحاول القول بطريقة غير مباشرة أنّه سيسعى مِن خلال تحليله لهذين المقطوعتين الكشف عن الخطاب الموضوعي والسّردي للقصّة؛ **وفيما يأتي مُحاولة منّا للكشف عن ماهية هذين الخطابين (الموضوعي والسردي):**

أ. الخطاب الموضوعي: حاول رشيد بن مالك مِن خلال تحديده للمقطوعة الأولى ومحاولة تحليلها الكشف عن الخطاب الموضوعي لها، فنجده يُقدّم الكاتب في هذه المقطوعة بوصفه "راويا مُلاحظا يعرض على القارئ طرفين أساسين في علاقة تتّسم بطابع جِدالي polémique: المرأة/المجتمع تنضوي في خِطاب موضوعي يسعى مِن خلاله إلى مُمارسة فعله الإقناعي faire persuasif على القارئ لحملِه على الاعتقاد بحقيقة المكانة التي تحتلها المرأة في

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص73.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: قصّة عائشة لرضا أحمد حوحو، نقلا عن المصدر نفسه، ص74.

[4]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المجتمع"[1] هذا الأخير الّذي قدّمه الراوي/الملاحظ على أنّه ظالم، ليقوم بعدها –الراوي/ الملاحظ– بتحديد الفاعل الجماعي، والّذي رأى أنّه يتحدّد في النّص بـ"والد عائشة وغيره مِن رجال الأسرة، ويتّسع مدلوله ليشمل الجار، ويمثّل في جميع الحالات فِئة الرّجال الّتي تتأسّس كفاعل نجح في تحقيق مجموعة مِن القيّم تنصهر في إقصاء المرأة وإذلالها وتشييئها"[2]، ومردّ ذلك الإقصاء يعود في حقيقة الأمر إلى أنّه حالة طبيعيّة متوارثة منذ القدم مؤطّرة "زمنيا بالماضي والحاضر والمستقبل في سِياق محكوم بحتمية تاريخية، وستبقى ثابتة لا تتغيّر"[3] أبدا.

وبعد انتهاء الرّاوي/ الملاحظ مِن وصف الوضع الّذي تحدّد مِن خِلاله الفاعل الجماعي (المجتمع) نجده ينتقل –حسب ما أقرّ به رشيد بن مالك– إلى انتقاد سلوكه في طبيعة العلاقة الّتي يقيمها بفعله، ولئن كان هذا الفاعل لا يعرف، فإنّه يفتقر إلى معرفة الفعل الّذي يُنظّم سلوكه في سبيل تكريس مجموعة مِن القيّم يجد كلّ طرف فيها نفسه، معنى هذا أنّه يفكّر في مصدر ذلك السّلوك وفي إفرازاته الخطيرة الّتي تتجانس والنّشأة المحافظة الّتي تعمل على منع المرأة مِن امتلاك المعرفة، وإذا كانت هذه الأخيرة الّتي تُعدّ السّبيل الوحيد الّذي يضمن لها مُمارسة حقّها الطّبيعي في القول والفعل، فإنّ العامل الجماعي (النساء الجزائريات) محكوم بوضعية لا يملك فيها القدرة والإرادة[4] في كلّ شيء وربّما أحيانا حتّى في التّفكير يفقد القدرة.

وما إن يفرغ رشيد بن مالك مِن عرضه لوجهة نظر الرّاوي/ الملاحظ حول حال المرأة الجزائرية نجده يُقدّم وجهة نظره الخاصّة به حول منظور الراوي/ الملاحظ الّذي رأى أنّه يخترق مجال الحيّاد بفضح مكامِن السّقوط في نظام القيّم الّذي يحكم فعل الرّجال المُمارس على النّساء، ويظهر ذلك بوضوح في هذه الصّور (المظلم، الضيق المظلم) المسندة تارة إلى المجتمع الجزائري المظلم وتارة أخرى إلى محيطها الضّيق المظلم، هكذا تتعالق هذه الصّور لتشكّل مسارا

---

[1]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص76.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: المصدر نفسه، ص75.

[4]: ينظر، المصدر نفسه، ص7

صُوريا يكشف عن معاناة المرأة في فضائها العائلي، وتتوافق هذه المعاناة مع مسارات أخرى مقترنة بمنعها مِن امتلاك المعرفة وعزلها وإذلالها، فتنصهر هذه المسّارات في تشكّل خطابي يعبّر بوضوح عن النّشأة المحافظة الّتي تجعل المرأة تحتل مكانة قارة[1]، وتتجلى النّشأة المحافظة انطلاقا مما سبق في منع المرأة من امتلاك المعرفة، وفي عزلها وإذلالها.

ومِن بين ما استند عليه رشيد بن مالك في تحليله لقصّة عائشة المربّع السيميائي؛ فبناء على خطورة الوضع الّذي تُعانيه المرأة مِن ظلم واستبداد، وانطلاقا مِن المقابلة الأساسيّة: الثابت/ المتحوّل الّتي سخّرها الرّواي/ الملاحظ لتحديد مكانة المرأة في المجتمع مثّل رشيد بن مالك لمختلف القيّم الدّلالية المقيّدة أثناء التّحليل بالمربّع السِّيميائي على النّحو الآتي:

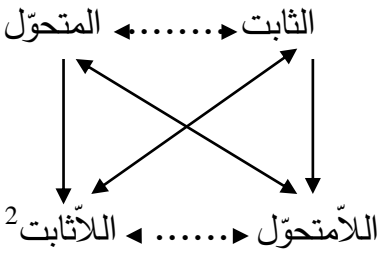

[2]

لكن ما نلاحظه في هذا المربّع أنّه أصم فارغ خال من العناصر الّتي تتشكّل مِن التقاء كلّ زوجين- على نحو ما أورده في الجانب النظري- والمحيلة إلى القصّة رغم إشارته لها في الشرح المُرفق به.

ب. الخطاب السّردي: قام رشيد بن مالك في تحليله للمقطوعة الثّانية بالبدء أوّلا بفحص ملفوظ الحالة في الوضع الأوّلي مِن خلال تحديد العلاقة الموجودة بين فاعل الحالة وموضوع القيمة مِن أجل إبراز الآلية الّتي تحكم البِنية السّردية لقصّة عائشة الّتي ابتدأها الرّاوي/ الملاحظ بوصف الوضع المتردّي الذي آلت إليه بطلة القصّة –عائشة–، ثمّ الانتقال ثانيا إلى المستوى الخطابي لمُعاينة التّحويل الأساسي الّذي يُغذّي البِنية السّردية والّذي تأتّى له مِن خلال ضبطه

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص76.

[2]: المصدر نفسه، ص77.

للمسار الأوّل والثّاني للقصّة حسب ما هو موضّح في الجدول الآتي عرضه[1]:

المسار 1 (القصة ص196)	المسار 2 (القصة ص198)
هي إذن كائن تافه لا مسؤولية له (أ) إنّها دولاب بشري تديره يد ذويها (ب) لا تتحرّك ولا تسكن إلاّ بإرادتهم ووفقا لرغباتهم (ج) لا تملك الحق في التفكير (د)	وضّح لها حقوقها في الحياة (أَ) لم ينس ذكر ما ادخره لها القانون (بَ) من الحقوق والمحافظة على رغباتها (جَ) تعيش صحبته في عيش رغد محفوفة بالحرية والحب والسعادة (دَ)
↓	↓
العبودية	التحرر

ولم يتوقّف رشيد بن مالك في هذا المستوى مِن التّحليل عند تحديد المسارين وضبطِهما على نحو ما فعل في ضبطه للمربّع السِّيميائي، بل نجده ينتقل مباشرة إلى شرح ما أورده فيه قائلا:"يتمفصل هذا الجدول على الصّعيد السِّيمي plan sémique إلى مقابلة دلالية أساسية:(عبودية عكس تحرر) تعكس على الصّعيد السّردي انتقال عائشة مِن وضع مضطرب يُكرّس عبوديتها (أ، ب، ج، د) إلى وضع قار تمارس فيه حرّيتها بشكل تحقق فيه مجموعة مِن القيم (أَ، بَ، جَ، دَ) تتوافق مع رغبتها في الحياة، بناء على هذه المُعطيات أولت عائشة إيجابيا فِعل الشّاب وانقادت لرغباته فأصبحت مُمتلكة على مستوى الكفاءة لجهتي /إرادة الفعل/ و/وجوب الفعل/، إنّ فعل الشّاب المُمَارس عليها هيّأ لها الشّروط اللاّزمة لامتلاك القدرة على الفعل (تملك مِن القدرة ما يؤهلها لتقرير مصيرها بنفسها) أوّلا ومعرفة الفعل ثانيا، وهو ما سيُمكّنها مِن مُمارسة حُرّيتها على النّحو الّذي ترتضِيه لنفسها"[2] كأن تركب القطار وتعيش في

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص82.

[2]: المصدر نفسه، ص83.

مدن راقية وتتزوّج بشاب أنيق على نحو ما هو موضّح في هذا المقطع السّردي "**وسرّها أوّل الأمر أن ترى نفسها حرّة تركب القطار، وتعيش في المدن في أحضان شاب أنيق لم تكن تحلم به**"[1].

هذا إلى جانب قُدرته وبراعته في تصوير مُختلف التّحوّلات والأحداث الّتي طرأت في القصّة لاحقا والمُفرِزة لوضعيات سردية جديدة كتحوّل حياة عائشة مِن الانشراح إلى الانقباض ثانية خاصّة بعد اغتصاب الشاب لها وفِراره إلى أوروبا، وعدم قدرتها على العودة إلى أهلها لأنّها "خرقت ممنوعا (الشرف) يمثّل قيمة أساسيّة في المجتمع الجزائري"[2] وأكيد أنّ عودتها إليهم يعني وضع نهاية لحياتها.

نقطة أخرى استرعت انتباهنا في تحليل رشيد بن مالك للمستوى الخطابي للقصّة وهي كيفية استعانته بالحقل المعجمي؛ فمثلا نجده يأتي بمقطع سردي مِن القصة ثمّ يقف عند دلالة أبرز مُفرداته على نحو ما فعل مع هذا المقطع: "**هامت الفتاة على وجهها في هذه المدينة المترامية الأطراف**"[3] أين وقف عند الفعل /هام/ باحثا عن دلالته مِن النّاحية المُعجمية ليصل في الأخير أنّها تدل على الحيرة والتحرك بدون هدف، ثم سرعان ما يربط بين دلالتها وحالة عائشة التي لا تدري أين تتوجّه بعدما هُتك عرضها وشرفها.

موضع آخر يعكس قدرة رشيد بن مالك على الرّبط بين المعنى المعجمي للمفردة ودلالتها في النّص القصصي وتمكّنه مِن مصطلحات الجهاز المفاهيمي للسِّيميائية السّردية، فبعد أن وقف عند دلالة "هام" المعجمية وربطه لها بحالة عائشة الّتي آلت إليها نجده يسترسِل في تحليله مُشيرا إلى أنّ ما حلّ بعائشة سيُفضي إلى وضعية سردية تتحوّل فيها إلى موضوع تحرّ للذئاب البشرية تتأسّس كفاعل منفّذ في برنامج الصّيد، فينجح الفاعل في الدخول في وصلة بعائشة

---

[1]: قصّة عائشة لرضا أحمد حوحو، نقلا عن رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص83.

[2]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص84.

[3]: قصّة عائشة لرضا أحمد حوحو، نقلا عن المصدر نفسه، ص85.

بوصفها فريسة، هذه الأخيرة الّتي يتم إدراك صورتها على المستوى الخطابي –حسب تحليل رشيد بن مالك– في تعالقها بصُورتي الصّيد والقتل المسندتين عُموما إلى الحيوان مُستدّلا على ذلك بما ورد في المعاجم العربيّة بخصوص مادة / فرس/: "فرس الأسد فريسته فرسا: صادها وقتلها (...)، والفريسة هي ما يفرسه السبع من الحيوان"[1] للتوضيح أكثر.

يُواصل رشيد بن مالك تحليله للمقطوعة السّردية الثّانية مِن قصة "عائشة" مُستدعيا مُختلف الإجراءات التّحليلية للسِّيميائية السّردية كالمربّع السِّيميائي وموظّفا مُختلف مفاهيمها، مُقدّما في الأخير خاتمة تحوي الإطار العام الّذي تدور فيه أحداث القصّة والموضوع الأساسي الذي قامت عليه، والمتمثّل في النّظرة الاحتقارية والدّونية للمرأة قديما والّتي لاقتها ليس من المجتمع فقط بل حتّى مِن أهلها وذويها، وأبرز ما وقف عنده في تحليله لها موضوع "القيّم" حيث رأى أنّها شكلّت في موضوع تحرّي عائشة خرقا لقانون العائلة الرّيفية والنّظام القيمي التّقليدي ودعوة صريحة إلى ضرورة إحداث قطيعة جذرية مع العالم المُتخلّف، وهو ما نلمسه بجلاء في الخطاب الموضوعي للراوي/ الملاحظ الذي أبرز المرتبة الدّنيا الّتي تحتلّها المرأة، وما إيراده لقصة عائشة واستشارته للماضي وتحيِينه للحاضر إلاّ لإقناع الأطراف الفاعلة في المجتمع بالوضع المُزري الّذي آلت إليه، وأنّ السّبيل الوحيد لخلاصها مِنه وتحرّرها مِن قيوده وبناء مستقبل يكفل لها كرامتها الإنسانية هو نِضالها[2] المستمّر وعدم رضوخها للذّل والهوان لكن شريطة أن يكون ذلك التحرر في حدود المعقول وأن لا يكون سببا في خدش شرفها وهتك عرضها.

كان هذا أبرز ما وقف عنده رشيد بن مالك في تحليله لقصّة عائشة والّذي ينم عن ذات عاقلة مُدرِكة لما تفعله ومتيقّنة بما تقوم به بالرّغم مِن وُجود بعض الهفوات على نحو ما ذكرناه سالفا فيما يتعلّق بِعدَم تقديم مُخطّط يلخّص فيه مُختلف البرامج السّردية الّتي أتى على ذِكرها

[1]: رشيد بن مالك، مقدمة في السّيميائية السّردية، ص85.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص93.

في التّحليل، هذا إلى جانب إيراده مصطلحات دون أن تكون له إشارة سابقة عنها وعن مفهومها، وليس لها أيّ ذكر حتى في" **Dictionnaire raisonné de la théorie du langage**"؛ كمصطلح النّظير الاقتصادي(isotopie économique)، ومصطلح جهات الإضمار(modalités de la virtualité).

وإدراجه أيضا لنظريّات دون تقديم بطاقة تعريفية لها في التّهميش، أو الإحالة إليها في الجزء الخاص بالإحالات على نحو ما نجده في معرض حديثه عن الصّراع الذي احتدم بسبب رغبتين متنافرتين ومُنصهرتين في بِنية جدالية تحكمها مقابلة تُغذّي هذا الصراع المقدس/المدنس، حيث استرسل في تحليله إلى الإشارة إلى مكان بُروز هاتين البِنيتيْن المُتصارعتين في القصّة ليقوم بعدها بالتّمثيل لها – بناء على قوله– في "مربع جهة / إرادة الفعل/ المستمد من نظرية مجموعة 4 كلاينGroupe de 4 Klein"[1].

1-3 سيميائية الفضاء في رواية ريح الجنوب.

انطلق رشيد بن مالك في تحليله لرواية ريح الجنوب من قناعة مفادها أنّ السيميائية قد حقّقت قفزة نوعية في دراسة الأشكال السردية، والتّجليات اللّسانية وغير اللّسانية، باسطة نفوذها العلمي على حقول معرفية متنوعة مظهرة قدرة كبيرة في معاينتها وتقصيها هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ التّحليل السيميائي في نظره– رشيد بن مالك– ينطلق مِن فرضية مفادها أنّ الفضاء نظام دال يمكن أن نحلّله بإحداث التّعالق بين شكلي التعبير والمضمون، وننظر إليه على أنّه مركّب كالكلام؛ أي ما يدل عليه المضمون هو من غير طبيعة ما يدلّ به التعبير، ويرتهن في وجوده الدلالي إلى الفعل الممارس فيه والقيّم المحققة من استعماله[2]، وكما في كلّ المقاربات السّابقة الّتي أتينا على ذكرها نجده هنا أيضا حريصا على تحديد ما سيقوم به مقدّما للقارئ الإطار العام الّذي ستصب فيه مقاربته محاولا إدماجه معه في عملية التّحليل وهو ما

[1]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص 90.

[2]:ينظر، المصدر نفسه، ص97.

نلسمه بصوره جلية في قوله:"ستستند دراستنا إلى هذه القاعدة النّظرية الّتي سنتفحص مِن خلالها التّحويلات الدّلالية المحورية لفضائين نتفرض أنّهما مركزيان في النّص: القرية والمدينة"[1] ولنا فيما يأتي عرض لهما:

أ. فضاء القرية: وهو فضاء مبهم تجتمع فيه كلّ أسباب اليأس والضّياع ويُشكّل حسب رشيد بن مالك عاملا مُضادا لنفيسة بطلة الرّواية الّتي لم تتمكّن مِن الانسجام مع ما يُفرزه ظاهر القرية وهو ما يتجلى بصورة واضحة عبر هذه الصّور المتجانسة/الغربة/، /الصمت/، /الخراب/، /الصحراء/، /المنفى/، /القبور/ المُحيلة إلى الواقع المأساوي لها (القرية) في سُكونيته وثباته وافتقاده إلى عناصر الحياة، فتتحوّل بذلك القرية مِن فضاء العطلة /الحياة/ إلى فضاء /الموت/ تحوّلا يجعل مسألة تحقيق برنامجها السّردي الخاص بقضاء عُطلتها الصّيفية أمرا مُستحيلا[2] خاصّة وأنّ الضّغط عليها أصبح أكثر حِدّة بضيق فضائها العائلي وبالتّحديد فضاء الغرفة، هذه الأخيرة الّتي لم يعتبرها رشيد بن مالك مُجرّد "شكل هندسي وإنّما هي عنصر فاعل يدخل في علاقة تضاد مع رغبة نفيسة في الاستراحة مِن تعب الدّراسة"[3] قام باستيلاب حرّيتها وأدّى بها إلى الاختناق والتّفجر بعدما عادت إلى القرية وإلى أهلها وخِلاّنها والّتي كان مِن المُفترض أن تكون سعيدة.

ولا يتوانى رشيد بن مالك عن تفسير ردّة فعل نفسية إزّاء الوضع الذي آلت إليه بأنّه جاء "نتيجة لعدم مقدرة نفيسة في هذه اللّحظة مِن السّرد على تجاوز المُعيق الفضائي بقيمة /المنع/"[4]، والمتمثّل في منع الأم لها مِن الخروج مِن البيت حسب ما يُوضّحه هذا المقطع السّردي: "**إنّ أمّي تمنعني مِن الخروج هنا (...) في هذه القرية الخيالية، بينما في الجزائر حيث في كلّ خطوة رجل أخرج، دون أن ينكر عليّ أحد ذلك فلِماذا الخروج هنا عيب وهناك**

[1]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص79.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص98/97.

[3]: المصدر نفسه، ص 98.

[4]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لا؟"[1]، ويُنتج التّمييز القائم بين الرّجل والمرأة "توزيعا فضائيا خاضعا لنظام القيّم الّذي يحكم علاقات الفاعلين، فكلّ تغيير في الفضاء يُرافقه بطبيعة الحال تغيير في القيّم، وينبغي أن نفهم انتقال نفيسة مِن المدينة (الجزائر) إلى القرية بأنّه انتقال مِن نظام إلى نظام مغاير"[2] تماما عن الّذي ألفته واعتادت عليه، نظام يُميّز بين الرّجل والمرأة ويجعله في أعلى المراتب وهي في أدناها، لا يحق لها ما يحق له حتّى في أبسط الأشياء وهي الخروج من البيت.

ب. فضاء المدينة: وهو الفضاء المضاد للفضاء الأوّل الذي تسعى نفيسة إلى التّحرر منه والهروب إلى فضاء المدينة الّذي يمثل حياتها وحدود عالمها لأنّها "لا تجد صعوبة في ممارسة حضورها فيه، ممارسة تستجيب لرغبتها في التّمتع بجماله وعناصر ديكوره الّتي تدخل في تشكيله وتفتقده البادية"[3] العاكسة لواقع مأساوي.

ويضيف رشيد بن مالك بعد عرضه لمُختلف الدّلالات الّتي يضمها فضاء القرية والمدينة أنّه بالإمكان عقد مقابلة أساسية بين /القرية/ و/المدينة/ قائمة على فروقات جوهرية متجانسة على صعيد المدلول، مع طبيعة العلاقة الاجتماعية الموجودة بين الرّجل والمرأة في مستوى آخر يجسّده الفعل الّذي يُمارَس في الفضاء، والمُتمظهر في فضاء عابد بن القاضي الّذي يريد تنفيذ برنامج تزويج ابنته نفيسة مِن مالك[4] بوصفه فاعلا مُنفّذا يُمارس فعلا خاضعا لرغبته في تحقيق ما يريد وهو ما يتجسّد مِن خلال هذين الملفوظين:"**أبوك يعتزم تزويجك**" /"**أنا قرّرت أن تتزوج وقراري قضاء**"[5].

وما زاد مِن تأزّم وضع وحالة نفيسة أنّها لم تجد والدتها إلى جانبها وموافقتها على قرار زوجها في تزويج ابنتهم تبعا لرغبته هو وليس لرغبتها هي، وهو ما يعكس جانِبا مِن هينمة

---

[1]: رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة، نقلا عن رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص98.

[2]: رشيد بن مالك، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص 99.

[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]: ينظر، المصدر نفسه، ص100.

[5]: رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

العنصر الذّكوري في المُجتمع الرّيفي الّذي يكتم صوت المرأة ولا يُعطي لها الحرّية في تقرير مصيرها ولا حتّى في اختيار شريك حياتها بحُجّة أنّها لا تزال صغيرة ولا يُمكنها المعارضة أو تنفيذ ما تراه مناسبا لها، وهو ما نلمسه في قوله (عابد بن القاضي): "**يجب أن تقنعيها بالحسنى، هي صغيرة لا تفرّق بين ما يصلح ولا يصلح**"[1].

والمتأمّل لدلالة هذا الملفوظ السّردي حسب ما أقرّه رشيد بن مالك يُلاحظ كيف "أنّ الفعل الإقناعي جاء مشحونا برسالة تهديد بالحسنى؛ أي واجبا والقبول حقيقة وباعتبار أنّها فتاة صغيرة، فإنّها لم ترق بعد إلى درجة امتلاك الفعل التّأويلي المتوضع على الصّعيد التّداولي الّذي يُمكّنها مِن تكييفه بحسب منفعتها، وبالتّالي وجب عليها أن تقبل وتنقطع عن الدّراسة وتستقر بالبادية"[2] وترضخ لأمر والدها دون جِدال، لكن ما حدث كان عكس ذلك تماما وهو ما يمكن استخلاصه مِن هذه الملفوظات السردية: "**إنّني مجنونة أفكّر في الزّواج**"/ "**قولي له لن أتزوّج، ولن أنقطع عن دراستي، سأعود إلى الجزائر مهما كان الحال**" / "**لا أرغب في الزّواج**"[3] الدّالة على الرّفض التّام للزّواج والانقطاع عن الدّراسة الّتي يرى رشيد بن مالك أنّها تقوم على "ثنائية ضدية تتمفصل إلى /عزوبة/ عكس / الزواج/ منذ بداية القصّة، الصّراع بين عابد بن القاضي ونفيسة الّتي ترفض فكرة الزواج وتبعدها عن مجال تفكيرها وهو ما كان سببا في دفعها إلى الفرار، وقد اعتبره رشيد بن مالك برنامجا ملحقا يمكِّنها بوصفها فاعلا منفّذة مِن تحقيق برنامج أساسي تسعى مِن خلاله إلى تحرير المرأة في البادية الجزائرية، لكن ما ينبغي الوقوف عنده وإعادة النّظر فيه أنّ مغامرة هروب نفيسة تشكّل أزمة ثقة في القيّم الّتي يُفرزها فضاء القرية لأنّه بالرّغم مِن نجاحها في الفرار إلاّ أنّ عملية اكتشافها للتصدّع الاجتماعي النّاتج عن عملية التّحضّر الّتي مسّت مدينة الجزائر المُستقلّة انتهى بعودتها إلى فضاء القرية على أنّه الأنسب[4].

---

[1]: المصدر السّابق، ص100.

[2]: رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، الصفحة نفسها.

[3]: رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة، نقلا عن المصدر نفسه، ص101.

[4]: ينظر، رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص 103/102.

يواصل رشيد بن مالك تحليله السِّيميائي للرّواية مُستندا على مجموعة مِن المفاهيم الإجرائية للسِّيميائية السّردية ليخلص في الأخير إلى أنّ "رواية ريح الجنوب مبنية أساسا على فضاءين مركزيَّين يُمرِّران عبر تضادهما مجموعة مِن القيّم تعبّر عن التّناقضات الّتي أفرزتها انتقال الجزائر المُستقلة مِن عالم التّخلف إلى عالم التّحضر، وقد أحدثت عملية التّحري عن المدينة تصدّعا في البنية الاجتماعية، يجد تجلياته في صِراع الأجيال والمُجسَّد في المواجهة العنيفة بين عابد بن القاضي ورابح راعي الغنم والّتي انتهت بعودة نفيسية إلى فضائها العائلي"[1] الّتي كانت تظنّ أنّه يغتصب حُرّيتها ولا يستجيب لطُموحاتها.

والمُميّز والمحيّر في الآن ذاته في تحليل رشيد بن مالك لهذه الرّواية أنّه بعد تقطيعه لها إلى مقاطع سردية نجده يُحلّل كلّ مقطع باعتماد مصطلحات الجهاز المفاهيمي للسّيميائية السردية –على نحو ما فعل في مقارباته السّابقة– ينتقي منه ما يُلائم المقطع الموضوع للتّحليل ويُعطيه حقّه ومُستحقّه مِن الشّرح والتّمثيل، لكن دون إرفاقه برسومات أو ترسيمات توضيحية يُلخّص بها مضمونه على نحو ما هو بائِن في حديثه عن البرنامج السّردي.

1-4 قراءة سيميائية في كليلة ودمنة لابن المقفّع

أشار رشيد بن مالك قبل البدء في عملية التّحليل ولاعتبارات منهجية إلى السّبب الكامن وراء انتقائه لحكايات كليلة ودمنة وبالتّحديد نص النّصيحة الّتي أسداها الفيلسوف الهندي الملك دبلشيم قائلا: "إنّ هذا الاختيار صادر عن قناعتنا بأنّ حكايات كليلة ودِمنة لا يمكن أن تُفهم إلاّ إذا قرأنا قراءة مُعمّقة النّصيحة الّتي نعتبرها النّص/الإطار الّذي يغذّي دلاليا الحكايات، ومِن ثمّ فإنّ أيّ تأويل دلالي لهذا النّص السّردي المروي على لسان الحيوان يخرج عن النّص/الإطار ومحاوره الدّلالية الكبرى سيُضلِّل القارئ لاشك، وينقله إلى مواقع مهزوزة تفتقد إلى القواعد المؤسّسة الّتي ينهض عليها النّص في شُموليته، ومِن الواضح أنّ النّص الإطار سيعمل كما سنوضح ذلك أثناء التّحليل إلى تجلية مجموعة مِن القيّم سيُسخّرها بيدبا، امتثالا في ذلك لرغبة

[1]: المصدر السّابق، ص104/103.

الملك لصناعة عالم دلالي تُشيّد عليه الحكايات"[1]، وهو ما حذا به إلى تقسيم النّص المُتوزّع عبر: قبل/ في أثناء/ بعد إلى ثلاث مقطوعات أساسية على هذا النّحو:

– تتحدّد المقطوعة الأولى استنادا إلى الإحداثيات الزّمنية والفضائية قبل ذهاب بيدبا إلى القصر.

– تتصدّر المقطوعة الثانية انتقال بيدبا إلى القصر وإسداء النّصيحة للملك.

– تبدأ المقطوعة الثّالثة بعد تبليغ بيدبا الرّسالة للملك.

مُنوّها في الآن ذاته إلى أنّه على الرّغم مِن أنّ هذا التّقطيع اعتباطي لتداخل المُستويات وتعالقها في الوقت نفسه إلاّ إنّه سيُمكّن القارئ مِن إدراك المحطّات الأساسية الّتي تبرز مِن جهة أداءات بيدبا في رحلته العلمية الكشفية بكلّ تفاصيلها ومُنعرجاتها ومِحنها، ومِن جهة ثانية سوء تقدير الملك لهذه الأداءات واعترافه في نهاية المطاف وبالتّحديد بعد إدراكه لقيَّمتها وأهميّتها في تشيِّيد فعل سياسي يحتكم إلى العقل[2]، وبناء على هذا التّنويه اعتمد في تحليله السِّيميائي لنص النّصيحة على هذه المفاهيم الإجرائية (التّحريك/ الاستراتيجية الخطابية في النّص، المواجهة/ البنية الدلالية)، وفيما يأتي عرض لها:

أ. التّحريك/ الاستراتيجية الخطابية في النّص: حاول رشيد بن مالك مِن خلال هذا العنوان الحديث أوّلا عن مكانة النّصيحة عند بيدبا بوصفها رهانا حقيقيا له، وكيفية وصول دبلشيم إلى الحكم نتيجة لتمرّد الخاصّة والعامة على ملك سابق أوصله الاسكندر ذو القرنين دون استشارة الرّعية إلى السّلطة مُباشرة بعد غزوه للهند كاشفا في الآن ذاته أفعاله العدوانية بعد أن "استقر له الملك وأحكم سيطرته على الرّعية، وهو ما استخلصه مِن الأدوار الجديدة الّتي

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص45.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص 46.

اضطلع بها دبلشيم: طغى، وبغى وتجبر وتكبّر[1] مُقدّما بعض الفرضيات حول حال الرّعية الّتي فوّضت دبلشيم لتسيير أمورها لكنّه لم يُنفّذ الالتزامات المُتضمّنة في العقد الّذي يربطه ضِمنيا بالرّعية، هذه الأخيرة الّتي تُعتبر المرسل الحقيقي الذي أزاح الملك السّابق وسلّم مقاليد الحكم لدبلشيم، وحتّى لا نجد أيدينا تخط ما خطّه رشيد بن مالك في تحليله ويكون ما نكتبه صورة طبق الأصل لما أورده سنحاول فيما يأتي الكشف عن كيفية تجلي التّحريك في حكاية كليلة ودمنة وكيفية رصد رشيد بن مالك له وتعامل معه.

انطلاقا مِن وُقوفنا على ما ورد في متن المقاربة الّتي قام بها رشيد بن مالك خلصنا إلى أنّ التّحريك في حكاية كليلة ودمنة تجلّى لحظة تمليك الرّعية لدبلشيم في إطار عقد ائتماني وعدم التزامه فيما بعد بشُروط ذلك العقد وصار يقوم بأفعال عدوانية: عبث بالرّعية، استصغر أمرهم وأساء السّيرة فيهم وإدراك الفيلسوف بيدبا بحُكم امتلاكه للمعرفة، ومِن موقعه كمرسل/ مُقوّم وبوصفه مُعطى ثابت في النّص لنوايا دبلشيم السّيئة، فما كان منه –الفيلسوف بيدبا– إلاّ أن جمع تلاميذه بهدف مُشاورتِهم وتحريكهم في فعل جماعي تكون الغاية مِنه حمل الملك على تغيير أسلوب المُمارسة السِّياسية وإحداث وصلة حقيقيّة بالرّعية[2] لإحلال العدل حسب ما هو ظاهر في هذا المقطع: "**ولقد جمعتكم لهذا الأمر لأنّكم أسْرتي ومكان سِرّي وموضع معرفتي، وبكم أعتضِد، وعليكم أعتمد**"[3]، وحَمْله على القيام ببرنامج سياسي ينهض أساسا على المُشاورة والحوار والعدل والإنصاف في حل المشاكل الّتي تعرّض لها المجتمع الهندي آنذاك، لكن ما حدث فيما بعد أنّه بالرّغم مِن اقتناع التّلاميذ بصدق خطابه ونُبل القيّم الّتي يُدافع عنها والرّامية إلى إعادة إحلال الاستقرار إلاّ أنّهم رفضوا الانخراط فيما دعا إليه [4]، وهنا تظهر المواجهة أو بالأحرى البِنية الجدالية في النّص التي وقف عندها رشيد بن مالك.

---

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص46

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص47/ 48.

[3]: كليلة ودمنة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، ص48.

[4]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص50.

ب. المواجهة/ البِنية الجدالية في النص: تتجلّى المواجهة في حكاية كليلة ودمنة بعد فشل الفيلسوف بيدبا مِن ضم التلّاميذ إليه بالرّغم مِن اقتناعهم بصدق نواياه تأمينا لحياتهم، وخوفا مِن بطش الملك عليهم قرّر مقابلة الملك ومواجهته "ومِن الواضح أنّ اتخاذ قرار المواجهة أو تنفيذ المُهمّة المُؤهلة يرتهن في وجوده إلى مجموعة مِن الجهات الّتي تدخل في تشكيل كفاءة الفيلسوف الّذي أسّس نفسه فاعلا في برنامج التّغيير في الوقت الّذي أدرك الشّرخ الموجود بين السّلطة والرّعية؛ في هذه اللّحظة ملّكته الرّغبة في التّغيير الّذي أضحى المَنفذ الوحيد الّذي تتسرّب عبره القيّم الصّائنة لكرامة الإنسان"[1] ومُستقبله الّذي لا يزال لحد الآن مجهولا.

والشّيء المميّز في هذه المواجهة أنّها لم تتم بالعنف والقوة، بل تمّت وِفق الطّقوس المُتعاهد مُمارستها، وتعكس هذه الطّقوس في بداية الأمر علاقة حاكم بمحكوم يُفضّل مِن النّاحية الاستراتيجية في بداية المواجهة السّكوت عن الكلام، وهو ما استشفه رشيد بن مالك مِن هذه المقاطع السردية: "**استوى قائما وسكت**"/ "**وفكّر دبلشيم في سُكوته**"/ "**وقال له: نظرت إليه يا بيدبا ساكتا لا تعرض حاجتك ولا تذكر بُغيتك**"[2]، فالتزام بيدبا هنا بالصّمت أحدث شَرخا في عملية التّواصل بات فيها الملك تابعا له ينتظر منه موضوع النّصيحة ويفكر في سكوته، فأحدث بذلك افتقارا لدى الملك وحرّكه للقيام بعملية التّحري عن مضمون النّصيحة ومغزى الزّيارة ومِن ثم إعطاء معنى للسّكوت الّذي التزمه بيديا في بِداية المواجهة واعتمده كحِيلة لجسّ نبض الملك أوّلا، وحمله من دون أن يشعر على قبول الحوار ثانيا، ومِن ثمّ جرّه إلى تنازلات كان يستحيل أن يقوم بها قبل عزمه الذّهاب إليه ورفع التّحدي بمُواجهته[3]، وهو ما يفضي بنا إلى القول بأنّ الصّمت قد يكون أبلغ مِن الكلام أحيانا، وأحيانا أخرى يكون هو الكلام ذاته وما قبول الملك دبلشيم بإقامة "عقد ائتماني مع بيدبا والترخيص له بالحديث وإسداء النصيحة بكلّ حرية

[1]: المصدر السّابق، ص51/50.

[2]: كليلة ودمنة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، ص52.

[3]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص54/53.

ومكافأته"[1] إلاّ دليل على ذلك، وهو ما نستشفُّه مِن هذا المقطع السّردي: "**قال الملك يا بيدبا تكلّم كيف شِئت: فإنّي مُصغ إليك، وسامع منك، حتّى أستفرغ ما عندك إلى آخره، وأجازيك على ذلك بما أنت أهله**"[2]، فما كان مِن بيدبا إلاّ أن يُقدّم النّصيحة للملك على أنّها امتياز خصّه به، وشكْل مِن أشكال التّواصل الرّامي إلى عقد رِباط وصلي به –الملك– ويشرع بعدها مُباشرة في تنفيذ برنامجه.

وإذا ما بحثنا عن نوعية الخطاب الّذي وجّهه الفيلسوف بيدبا للملك دبلشيم لوجدناه خطابا حِجاجيا، ولعلّ الشّيء المميّز فيه أنّه تمّ بالارتكاز على وضعيَّتين متمايزتين؛ فأمّا الوضعية الأولى فقد امتد فيها الزّمن على مدى دُهور بأكملها تعاقب عليها ملوك استطاعوا أن يُشيّدوا عالما مُتوازنا ومُتوافقا مع طموحات الرّعية، وأمّا الوضعية الثّانية فقد تضاءلت مدّتها الزّمنية لتغطّي بُرهة مِن الدّهر مُتّسمة بالاضطراب وتمزّق القيّم، ومِن خلال هاتين الوضعيتين قام رشيد بن مالك برسم صورتين الأولى عبّر فيها عن حال الملوك السّابقين، والثّانية ما هي إلاّ امتداد طبيعي لأداء الملوك وجوهر الفرق بينهما أنّ هذه الأخيرة تنتصِب في النّص بالفعل التّقويمي للبرنامج السّياسي[3] الّذي قام به الملوك لكسب رضى رعاياهم، ولنا فيما يأتي كلام مُوجز نعرض فيه الخطاب الحجاجي الّذي جاء على لسان الفيلسوف بيدبا للكشف عن علاقة الخطاب الحجاجي الّذي اعتمده الفيلسوف بيدبا في مواجهته للملك بالمستوى الخطابي للسِّيميائية السّردية، وإبراز كيفية توظيف رشيد بن مالك لبعض مِن مفاهيم هذا المستوى في خطابه.

إنّ المتأمل لفحوى الخطاب الّذي قدّمه الفيلسوف بيدبا للمك دبلشيم في بداية المواجهة الكلامية وهذا نصّه:"**أيّها الملك إنّك في منازل آبائك وأجدادك مِن الجبابرة الّذين أسّسوا الملك قبلك**"[4]، وفي مُحاججته له وإظهار سلبياته على نحو ما هو ظاهر لنا مِن خلال هذا

---

[1]: المصدر السّابق، ص 55.

[2]: كليلة ودمنة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص63/62.

[4]: كليلة ودمنة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، ص58.

المقطع:"**إنّك أيّها الملك (...) قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم الّتي كانت عدّتهم، فأقمت فيما خوّلت مِن الملك وَورثت مِن الأموال والجنود فلم تقم في ذلك بحقّ ما يجب عليك، بل طغيت وبغيت وعتوت وعلوت على الرّعية، وأسأت السّيرة وعظُمت مِنك البليّة**"[1] يلفي بوضوح كيف يُشكّلان على الصّعيد الخطابي مجموعة مِن المسارات الصّورية.

وما يميّز هذه الخطابات الحجاجية الّتي أوردها الفيلسوف بيدبا وغيرها كقوله:"**وكان الأولى والأشبه بك أن تسلك سبيل أسلافك، وتتبع آثار الملوك قبلك، وتقفو محاسن ما أبقوه لك، وتُقلع عمّا عاره لازم لك، وشينه واقع بك، تُحسن النّظر برعيّتك، وتسُنّ لهم سُننَ الخير الّذي يبقى بعدك ذكره**"[2] أنّه لم يوردها جُزافا بل أوردها وِفق منطق يجعل "اعتبار الرّفض مسألة غير واردة لأنّ الملك يدرك أنّه يستمد سُلطته مِن الرّعية الّتي أوصلته إلى الحكم(خوّلت من الملك) بهدف اقتفاء سياسة الملوك السّابقين"[3] العادلين.

ولم يكتف رشيد بن مالك في مُقاربته السِّيميائية لكليلة ودِمنة بالوقوف على ما عرضناه بالإيجاز، بل حاول التّغلغل أكثر للكشف عن البِنية العميقة للنّص لحظة توضيح الفيسلوف بيدبا للملك دبلشيم ما يبغيه مِن وراء ذهابه إليه وتقديمه النّصيحة له حسب ما هو ظاهر في هذا المقطع:"**قال الملك يا بيدبا تكلّم كيف شِئت: فإنّي مُصغ إليك (...) وأجازيك على ذلك بما أنت أهل له**"[4]، وهنا أيضا:"**فلم أتكلّم بهذا ابتغاء عرض تُجازيني به ولا التماس معروف تكافِئني به، ولكنّي أتيت ناصحا مُشفقا عليك**"[5]، حيث لم يكن رد الفيلسوف بيدبا على الملك دبلشيم اعتباطا بل كان لرغبته الشّديدة في نفي الجهل وتثبيت المعرفة الّتي تنهض عليها المُمارسة السّياسية وهو ما يتّضح بجلاء في قوله–الفيلسوف بيدبا–:"**فإنّ الجاهل المُغترّ مَن**

---

[1]: كليلة ودمنة لابن المقفّع، نقلا عن رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص63.

[2]: المصدر نفسه، ص65.

[3]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، الصفحة نفسها.

[4]: كليلة ودمنة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، ص66.

[5]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

استعمل في أمور البطر والأمنية، والحازم اللّبيب مَن ساس الملك بالمُداراة والرّفق"[1].

واستند في معرض حديثه عن مستوى البِنية العميقة للنّص إلى تقديم بعض التّرسيمات لعرض الوضعيات الّتي مرّ بها النّص –لكن ما يُؤخذ عليه اكتفاؤه فقط بخطّها دون إرفاقها بنصيب مِن الكلام يوفي حقّها– وُصولا إلى الوضعية النّهائية الّتي آل إليها بعد أن ثمّن الملك دبلشيم المشروع الإصلاحي لبيدبا بانخراطه في قِيّمه الأساسية الّتي تكفل الحقوق الجماعية، وإعادة تسيّير الفعل السّياسي في ضوئِها بخلق انسجام بينه وبين الرّعية[2]، وهو ما نلمسه بصُورة واضحة في وضع الملك دبلشيم للفيلسوف بيدبا في مجلس العدل والإنصاف من خلال هذا المقطع السّردي: "**يأخذ للدني من الشريف، ويساوي بين القوي والضعيف، وردّ المظالم، ووضع سنن العدل**"[3] حتّى يعم السّلام والأمان بين الجميع.

هكذا حاول رشيد بن مالك تمثّل بعض مِن مفاهيم السِّيميائية السّردية وإسقاطها على النّص التّراثي لفكّ شفراته وإضاءة الكثير مِن جوانِبه المُظلمة والغامضة، لكن ما لفت انتباهنا في مقاربته هذه كما في المقاربات الأخرى عدم إرفاق بعض المفاهيم الإجرائية بمُخطّطات للتّوضيح أكثر كما هو الحال في معرض حديثه عن العديد مِن البرامج السّردية، وعرضه لحالات تمّ الانتقال فيها مِن وضعيات الانفصال إلى وضعيات الاتصال وإن حدث وأوردها فإنّه يُوردها دون شرح مفصّل لها.

1-5 دراسة تحليلة لرواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج

استهل رشيد بن مالك دراسته التّحليلية لنوّار اللّوز بما أسماه "فاتحة الرّواية" قبل تقديمه وعرضه لمُختلف المُستويات الّتي سيقف عندها والّتي جعلها أربعة مُستويات صاغها في العناوين التّالية: النّظام السِّيميائي لفاتحة الرّواية (البحث في مستويات النص وأشكال بنيته)/

[1]: كليلة ودمنة لابن المقفّع، نقلا عن رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص68.

[2]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، الصفحة نفسها.

[3]: كليلة ودمنة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

سيميائية العنوان/ البِنية السّردية وتجلّياتها الدّلالية في الرّواية/ شخصيات الرّواية (تصنيفها وتأطير مكوّناتها الشّكلية والدّلالية).

1-5-1 النّظام السِّيميائي لفاتحة الرّواية/ البحث في مُستويات النّص وأشكال بِنيته: ابتدأ رشيد بن مالك دراسته لهذا المستوى بالوقوف أوّلا عند فاتحة الرّواية الّتي جاءت بتوقيعين؛ أحدهما باسم الرّوائي واسيني الأعرج، والآخر باسم المؤرّخ المقريزي، وهذا نصّها:

"قبل قراءة هذه الرّواية الّتي قد تكون لُغتها متعبة، تنازلوا قليلا واقرؤوا تغريبة بني هلال، ستجدون حتما تفسيرا واضحا لجوعكم وبؤسكم ما يزال بيننا وحتّى وقتنا هذا: الأمير حسن بن سرحان دياب الزّغبي وأبو زيد الهلالي والجازية (...)، فمنذ أن وُجدنا على هذه الأرض وإلى يومنا هذا والسّيف لغتنا الوحيدة لحلّ مشكلتنا المعقّدة (...).

وحتّى لا أُثقل عليكم وأبدو أتعس مِن أبي زيد الهلالي، أو الأمير حسن بن سرحان (مِن التغريبة) أقول أنّ أحداث هذه الرّواية مِن نسيج الخيال بشكل مِن الأشكال، وإذا ورد أيّ تشابه أو تطابق بينهما وبين حياة أيّ شخص أو أيّة عشيرة أو أيّة قبيلة أو أيّة دولة على وجه هذه الكرة الأرضية، فليس ذلك من قبيل المصادفة أبدا".

(واسيني الأعرج)[1]

"مَن تأمّل هذا الحادث مِن بدايته إلى نهايته وعرفه مِن أوّله إلى غايته، علم أنّ ما بالناس سوى سود تدبير الزّعماء والحُكام وغفلتهم عن النّظر في مصالح العباد (...)"

المقريزي: إغاثة الأمّة في كشف الغمّة[2]

وقد آثرنا إعادة كتابتها بدلا من الإشارة إليها في التّهميش لصلتها الوثيقة بمتن النّص

[1]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص71.
[2]: المصدر نفسه، ص72.

الرّوائي ولاحتوائها "على كلّ سمات الخطاب المُعتبر كملفوظ يتوجه به شخص إلى شخص آخر ويُنظّم ما يقوله في مقولة المتكلم"[1]، وتندرج هذه الفاتحة عموما ضِمن ما يسمّى بـ"خارجيات النّص"[2]، لكن هذا لا يعني أنّها مُستقلة عن النّص الرّوائي وأحداثه وشخوصه بل غالبا ما تكون "مُلحقة به زمنيا ومرتبطة به دلاليا"[3]، ومِن جُملة الملاحظات الّتي أبداها رشيد بن مالك حولها:

– أنّ نِظامها يختلف اختلافا جذريا عن نظام النّص الرّوائي، فهي كلام على كلام ومُمارسة فكرية على خطاب مُنتج يسمّي فيه الكاتب الأشياء بأسمائها بغرض إقامة تواصل مباشر وشفاف مع القارئ، وبهدف تحريكه نحو القنوات الّتي سيمر بها حتما نصه الرّوائي.

– أنّ المنزلة المُتميّزة والخاصّة الّتي يحظى بها الكاتب تجعله يتبوّأ مِن الفاتحة موقع المرسل/ المحرّك السّاعي إلى إرساء قواعد الاتّصال للقارئ والتواصل معه في سبيل إقناعه بأمر يراه حقيقة تُجسّدها وقائع الرواية وهو ما جعلها تنزع نزوعا بُرهانيا.

– أنّه بوسعنا افتراض أنّ الفاتحة تقدّم لنا تأويل الكاتب لخطابه وعالم روايته الدّلالي والحوافز الحقيقية الّتي تختفي وراء تحرّكات شُخوصه ورغباتها.

– أنّها تحتوي على كلّ سمات الخطاب المُعتبر كملفوظ يتوجّه به شخص إلى شخص آخر ويُنظّم ما يقوله في مقولة المتكلّم[4].

ولتأكيد ما أبداه مِن ملاحظات وبالأخص الملاحظة الأخيرة، والكشف عن مستويات نص الفاتحة ودلالتها اتخذ مِن التّقطيع السّردي أداة للتّحليل، فجعل الافتتاحية الأولى في ثلاثة مقاطع سردية، والثّانية قام بتحليلها دون اللّجوء إلى تقطيعها على نحو ما سنعرضه.

---

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص73.

[2]: المصدر نفسه، ص72.

[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]: ينظر، المصدر نفسه، ص73/72.

الافتتاحية الأولى		
المقطع الأوّل	**المقطع الثّاني**	**المقطع الثّالث**
وهذا نصّه: "**قبل قراءة هذه الرّواية الّتي قد تكون لُغتها مُتعبة، تنازلوا قليلا واقرأوا تغريبه بني هلال**".	وهذا نصّه: "**ستجدون حتما تفسيرا واضحا(...)**" إلى "**والسّيف لُغتنا الوحيدة لحلّ مُشكلتنا (...)**".	ويبدأ من "**وحتّى لا أثقل عليكم وأبدو أتعس مِن أبي زيد الهلالي(...)**"إلى "**فليس ذلك من قبيل المصادفة أبدا**".

رأى رشيد بن مالك أنّ ما ورد في بداية فاتحة الرّواية يُجسّد التّوجه الصّريح في النّص حول نزوع الأنا الكاتب(المُتكلّم) –ويريد به رشيد بن مالك واسيني الأعرج– بخطابه إلى الأنتم (القراء)، وهو ما يتجلّى بوضوح مِن خلال المقطع السّردي الأوّل الّذي جاء مُثقلا بشُحنات دلالية خاصّة تولّدت نتيجة استعمال الكاتب (واسيني الأعرج) مِن موقع المرسل/ المحرّك(manipulateur/destinateur) صيغة الأمر في هذه الأفعال "تنازلوا"، "اقرأوا" والّتي تقدّم مِن ناحية التّغريبه على أنّها مُرور اضطراري لفهم النّص الرّوائي، ومِن ناحية أخرى القارئ فاعلا مُنفّذا في برنامج مُلحق(d'usage programme) ذو طابع معارفي (cognitif) تكون الغاية منه إحداث وصلة بينه وبين تغريبه تشكِّل مرجعية نصِّية لرواية[1] نوار اللوز.

ولأنّ لغة النّص مُتعبة نوعا ما –حسب ما أشار رشيد بن مالك– فإنّه بوسعنا اعتبارها محصّلة طبيعية لفصلة(disjonction) القارئ عن التّغريبة المنتجة لـ اللامعرفة والّتي ستظل على هذه الشّاكلة إلى أن يحدث تحوّل في كفاءة(compétence) القارئ يُؤهّله للانتقال مِن موضعية اللاّمعرفة إلى المعرفة أين تصير اللّغة مرنة مريحة ويتم التّواصل بين القارئ والنّص، ومِثل هذا التّحول المُساهم في تشكيل الكفاءة وتَولّدها يُعدّ شرطا أساسيا تتوقف عليه الأبعاد

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص73.

الدّلالية[1] الّتي يُمكن أن يستخلصها القارئ من المقطعين السّرديَّين الثّاني والثّالث.

الافتتاحية الثّانية
مقطع واحد: يبدأ من"**مَن تأمّل هذا الحادث مِن بدايته إلى نهايته(...)**" إلى"**في مصالح العباد**"

يُعد هذا المقطع امتدادا للافتتاحية الأولى "مِن حيث حُمولتها الدّلالية، وإطارا له في الوقت نفسه مِن حيث الحدود السِّياسية الّتي تشكّل مُرتكزا أساسيا في تأويل وقراءة الظّاهرة الاجتماعية"[2] الّتي عاجلتها الرّواية، ولفهم الافتتاحية الثّانية لابدّ من التّسليم بوُجود منظورين؛ يخص المنظور الأوّل اللاّفظ المُنتج لهذا الملفوظ ونلمس حُضوره في توقيع المقريزي بوصفه فاعلا في فضاء مرجعي (مصر) يُلاحظ بعد عميق تأمل حادثا ويصوغ أجوبة لفهمِه في ملفوظ يقوم على ثلاث مرتكزات أساسيّة هي /التأمل/، /المعرفة/ و/العلم/ ، وهو ما يتجلى لنا بوُضوح مِن خلال هذا التّقطيع: (من تأمّل هذا الحادث من بدايته إلى نهايته)/ (وعرفه مِن أوّله إلى غايته)/ (علم أنّ ما بالنّاس سوى سوء تدبير الزّعماء والحُكام وغفلتهم عن النّظر في مصالح العباد)، لأنّ الحادث بوصفه موضوعا للتّأويل لا يُمكن أن تُدرَك تجلّياته الدّلالية إلاّ إذا وضعناه في صُلب بنية زمنية يتحدّد المابعد فيها الماقبل[3]، وكلّ هذا مِن أجل إدراك السّبب الكامن وراء تفشّي المجاعة في المُجتمع المصري ذلك أنّ إدراك المابعد يستلزم منّا إدراك الماقبل أوّلا، أمّا المنظور الثّاني فيخصّ "إمكانات النّظر إلى موضوع المعرفة السّياسية على أنّها تشكّل رهان التّواصل بالنّسبة للكاتب والقارئ"[4] المُتلقي.

---

[1]: المصدر السابق، ص74/73.

[2]: المصدر نفسه، ص75.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص77/76.

[4]: المصدر نفسه، ص80.

5-1-2 سيميائية العنوان: ابتدأ رشيد بن مالك تحليله السِّيميائي لعنوان الرّواية بالإشارة إلى أنّه مِن غير العادي تسخير اسم نبات (نوار اللوز) كعنوان لرواية ما لم نفكّر مُسبقا بأنّه مُحمّل بـ"رسالة إلى القارئ ذلك أنّ اختيار اسم نبات كعنوان لرواية ليس مجانا"[1] وأنّه سيستهل تحليله هذا مِن الوظيفة الإعلانية للعنوان -الّذي يظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري محفّز للقراءة-، واستنادا إلى التّعالق المفترض بين العنوان والنّص لأنّ مضمون العنوان ليس ثابتا ولا يُمكن ضبط تجلّياته الدّلالية في استقلاليته، وعلى هذا الأساس خلص إلى أنّ العنوان يستمد "قيمته الدّلالية مِن العلاقة البنائية(relation structurelle) الّتي يقيمها مع عناصر هذا النّظام"[2]، ولأجل الكشف عن تلك القيمة قام بمُعاينة مُختلف المقاطع السّردية الّتي تتوافق وتتلاقى معها دلاليا، ومِن جملة ما استخلصه أنّ هذا العنوان (نوار اللوز) في مظهره السِّيميائي وما يحمله مِن قيّم (السعادة والأمل) جاء ليُعبّر عن الدّورة الدّلالية للنّص وفي جانب مِن جوانبها أمّا العنوان الفرعي للرّواية الموسوم بـ "تغريبة صالح بن عامر الزوفري" فإنّ مضمونه يتوافق مع العنوان الأساسي في أبعاده الدّلالية المنضوية تحت الثّنائية الضّدية (موت/ حياة)[3] الّتي حواها العنوان، ليصل في الأخير إلى أنّ الجمع بين الضّدين مُسخّر لخلق إشكال لدى القارئ وتحفيزه، ومِن ثمّ تأسيسه فاعلا في برنامج يقوم فيه بعملية التّحري عن حقيقة الإشكال الموجود، فالتغريبة بتجلّيات قيّمها الدّلالية المُحيلة على الموت تنضوي تحت النّوار الّذي يُفضي في النّهاية إلى أنّ الحياة انضواء يحتوي فيه الأمل واليأس[4]، ما يعني أنّه مِن المفترض أن تكون نهاية التّغريبة سعيدة بخلاف ما هي عليه في الظاهر.

1-5-3 البِنية السّردية وتجلياتها الدّلالية في رواية نوار اللوز: انطلق رشيد بن مالك في دراسته لهذا المستوى مِن مسلّمة مفادها "أنّ تنظيم الوحدات البِنائية في النّص السّردي يخضع

---

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص80.

[2]: المصدر نفسه، ص82.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص86.

[4]: ينظر، المصدر نفسه ، ص81.

لواحد من هذين المبدأين الأساسيّين، فهو إمّا أن يكون تابعا لمبدأ السّببية(causalité) المؤسّس على التّسلسل الزّمني(chronologie)، وإمّا أن يكون قائما على مبدأ التّتابع"[1]، وبُغية الكشف عنها قام بتقطيع رواية نوار اللّوز بوصفها "مُتتالية مِن الأحداث(événement) "[2] إلى تسع مقطوعات سردية على نحو ما سنعرضه بعد تقديمنا للرّسم الوظيفي للرّواية الّذي أورده رشيد بن مالك في الجزء المُخصّص للملاحق مُقسّم حسب عدد الصّفحات وسيرورة الأحداث، ورغبة منّا في توضيح المقطوعات السّردية الّتي وقف عندها رشيد بن مالك آثرنا إدراج الرّسم الوظيفي للرّواية قبلها، ذلك أنّ المطّلع عليه –الرسم الوظيفي– يلفي بوضوح موقع المقاطع السّردية ومُختلف الأحداث الّتي تمّت فيها على النّحو الآتي عرضه:[3]

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص88.

[2]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: المصدر نفسه، ص150.

سنقوم استنادا إلى ذلك الرّسم بتحديد مواقع جميع المقاطع السّردية الموجودة في الرّواية:

المقطع السّردي الأوّل:

موقعه من الرّسم الوظيفي	تحديد أبرز الملفوظات السّردية الّتي يحويها، والّتي تُمثّل نُقطة تحوّل في المسار السّردي للرّواية
(أ ب)	الميزيرية الكحلة والترباندو والموت"/"المهنة القذرة يا المسيردية، داخلها مفقود والخارج منها مولود"/ "تأكل حرفة الجوع"[1].

تبتدئ هذه المقطوعة بمُتتالية مِن الملفوظات تعكس الوضعية المُتردّية لصالح وبطالته، وتعكس حالته المُزرية الّتي بات يعيشها بسبب المهنة القذرة الّتي كان يمتهنها، وفيها يصل صالح إلى "حالة التّناقض القصوى: فهو لا يعرف نفسه في هذه القيّم ولا يرغب (لا يريد) في مِهنة التّهريب، وفي الوقت نفسه يجب أن يُمارسها حتّى يضمن وُجوده، إنّه يثبت وجوب الفعل لاعتقاده بأنّه يقود إلى الحياة، والحقيقة أنّ وُجوب الفِعل لا يقود إلى الحياة بل يقود إلى حدود الموت"[2] معنى هذا أنّ وُجوب الفعل لوحده غير كاف لتحقيق الأداء.

المقطع السّردي الثّاني:

موقعه من الرّسم الوظيفي	تحديد أبرز الملفوظات السّردية الّتي يحويها، والّتي تُمثّل نُقطة تحوّل في المسار السّردي للرّواية
(ب ج)	"... إنّي أهرب لأعيش"/ "... وعمر الهارب لا يطول" " ... وحتّى مهنة التّهريب قذرة بشكل مقرف"[3]

[1]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص109.

[2]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص111.

[3]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن المصدر نفسه، ص109.

اقترن في هذا المقطع السّردي وجوب الفعل ضِمنيا بالقُدرة على الفعل(pouvoir-faire)، ومعرفة الفعل(savoir-faire)، وهو ما يتّضح جليا في قُدرة صالح على التّمويه ومُخادعة الجمارك ومعرفته الدّقيقة لفضاءات أداءاته، وتخضع هذه الجِهات على الصّعيد النّظمي (syntagmatique) لهذا التّوجيه:(وجوب الفعل)←(القدرة على الفعل/ معرفة الفعل)←الأداء[1].

المقطع السّردي الثّالث:

موقعه من الرّسم الوظيفي	تحديد أبرز الملفوظات السّردية الّتي يحويها، والّتي تُمثّل نُقطة تحوّل في المسار السّردي للرّواية
(ج ح)	"نيَّتي كبيرة للتّوقف عن مُمارسة هذه المهنة القذرة -حرفة الكلاب-"/ "فهذه الصّنعة فاسدة لم تُعلّمنا إلاّ الذّل وطحن كبريائنا أمام أحقر كلاب أولاد اليجو"[2].

يُظهر هذا المقطع كراهية صالح الشّديدة لمهنته السّابقة ورغبته الشّديدة في العُزوف عن مُمارستها مِن جديد، لكن سرعان ما تأتي قوى خارجية تُزعزع ثقة صالح بِنفسه وتخلق توتّرا جديدا لحظة توقيفه في نِهاية المقطوعة.

المقطع السّردي الرّابع:

موقعه من الرّسم الوظيفي	تحديد أبرز الملفوظات السّردية الّتي يحويها، والّتي تُمثّل نُقطة تحوّل في المسار السّردي للرّواية
(ح د)	"إذا استطعت أن أترك هذه المهنة القذرة سأتزوج إذا وجدت شغلا[3]

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص112.

[2]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن المصدر نفسه، ص109.

[3]: المصدر نفسه، ص110.

نلاحظ في هذا المقطع انبعاث موضوع جديد نتيجة الصّراع النّفسي الّذي كان يعيشه صالح يُشكل "دخوله به عاملا أساسيّا في بِناء قُدرته على التّخلي عن مِهنة التّهريب pouvoir–ne pas faire"[1] وهو ما سيفضي في النّهاية إلى تنامي كفاءته للبحث عن عمل.

المقطع السّردي الخامس:

موقعه من الرّسم الوظيفي	تحديد أبرز الملفوظات السّردية الّتي يحويها، والّتي تُمثّل نُقطة تحوّل في المسار السّردي للرّواية
(د ر)	"كرهت من رب هذه المهنة القذرة"[2]

تَقوى هنا درجة توتر صالح وتتّسع الهوة بينه وبين فعل التّهريب اتّساعا يعكس عدم توافقه مع جماعة المُهرّبين، ويأسُه مِن المِهنة القذرة الّتي تؤدي إلى الموت[3] والهلاك.

المقطع السّردي السّادس:

موقعه من الرّسم الوظيفي	تحديد أبرز الملفوظات السّردية الّتي يحويها، والّتي تُمثّل نُقطة تحوّل في المسار السّردي للرّواية
(ك م)	"أقسم صالح بن عامر الزّوفري في أعماقه أنّه لن يعود إلى صنعة الهم الّتي لم تُعلِّمه إلاّ المذلة والبكاء ..."[4]

يتّخذ صالح من خلال هذا المقطع قراره الحاسم في الابتعاد نهائيا عن العمل المُشين

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص113.

[2]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن المصدر نفسه، ص110.

[3]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص113.

[4]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن المصدر نفسه، ص110.

الّذي كان يشغله، وتُجسِّد "هذه اللّحظة السّردية اكتمال كفاءته واستعداده لِتحقيق أداء رفض مِهنة التّهريب"[1] الّتي دمّرت حياته مع العلم أنّ ذلك سيقطع مصدر عيشه لفترة مِن الزّمن.

المقطع السّردي السّابع:

موقعه من الرّسم الوظيفي	تحديد أبرز الملفوظات السّردية الّتي يحويها، والّتي تُمثّل نُقطة تحوّل في المسار السّردي للرّواية
(ن هـ)	"مهنة تعسة لم أطلبها" / "غدا سأبحث عن عمل" /"وإذا دخلنا الثّورة الزّراعية سنتخلّص حتما مِن هم صنعة الموت"[2]

يحوي هذا المقطع ميلاد رغبة جديدة لدى صالح نابعة مِن الثّورة الزّراعية لكسب قُوته "تُؤسّسه فاعلا منفّذا sujet opérateur في برنامج التّحري عن منصب عمل، تتقدم الثّورة الزّراعية فيه بوصفها فاعلا مُساعدا adjuvant ينقله مِن اللاّحياة إلى الحياة"[3] مِن جديد.

المقطع السّردي الثّامن:

موقعه من الرّسم الوظيفي	تحديد أبرز الملفوظات السّردية الّتي يحويها، والّتي تُمثّل نُقطة تحوّل في المسار السّردي للرّواية
(هـ و)	"... كلام النّاس يعيدني مجبرا إلى مهنة التّعاسة" "لم أكن أنوي العودة إلى هذا المرض القاتل"[4].

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص113.

[2]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن المصدر نفسه، ص110.

[3]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص113.

[4]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن المصدر نفسه، ص110.

احتل كلام النّاس من خلال ذلك المقطع وضعية عاملية خُصوصّية تُفرز نشاطا يُمارَس على صعيدين؛ الصّعيد الأوّل يُمثّله كلام النّاس بوصفه فاعلا مُعارضا يَحُول بين صالح ورغبته في العمل، أمّا الصّعيد الثّاني فهو بِمثابة القوّة المحدثة لوُجوب الفعل، ويجب عليه أن يُمارس مِهنة التّهريب مادامت رَغبته الأصلية في الحصول على العمل لم تتحقّق[1] بعد ما جعله مُفتقدا إلى الحُرية في الاختيار وتقرير مصيره.

المقطع السّردي التّاسع:

موقعه من الرّسم الوظيفي	تحديد أبرز الملفوظات السّردية الّتي يحويها، والّتي تُمثّل نُقطة تحوّل في المسار السّردي للرّواية
(و ي)	"هم الّذين دفعوني إلى هذه النّهاية الملعونة". "...عدت إلى حرفة قديمة لأكسب قوتي اليومي". "... سنجد شغلا ونبني مِن هذا الرّكام حياة رائعة، إذا لم يكن البراج سأتحوّل إلى حطّاب". "ذكّرته بأنّ اسمه مُسجّل لدى دار البلدية ويُمكن الالتحاق بالعمل في أيّة لحظة". "سألتحق بشغلي". "اطمئني يا لونجا عندما أعود سنتزوج رسميا ونلتحق بالسّد"[2].

يسرد هذا المقطع سبب عودة صالح إلى ما كان عليه سابقا، والمتمثّل في التّنقل مِن

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص127.

[2]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن المصدر نفسه، ص110.

نشاط النّاس الكلامي إلى النّاس بوصفهم فئة يُعبّر عنها ضمير الغيبة هم المدرك في الخطاب كانتماء، وما يُعمّق هذا البُعد الخفي لضمير الغِيبة وُرود الفعل في صِيغة الماضي "دفعوني" الّذي يومئ مِن طرف خفي إلى أنّ هذه الفئة لم تَعد تُمثّل بالنّسبة له سوى جزءا مِن الماضي[1] فما كان مِنه إلاّ أن يبتعد عن البلدة ويختفي.

كانت هذه جميع المقاطع السّردية الّتي حدّدها رشيد بن مالك مِن رواية "نوار اللوز" للكشف عن البنية السّردية وتجلّياتها الدّلالية فيها، ولا يخفى على المُتأمّل في المقاطع السّتة الأولى كيف أنّ الانتقال مِن مقطع إلى آخر يعكس تحوّلا أساسيّا في بِنية الجهات(structure des modalités) وتطوّر صالح مِن عالم سلبي مُضطرب إلى عالم إيجابي مُتوازن، فهو آخذ في التّوغل في الحقيقة الاجتماعية والخروج التّدريجي مِن لعبة نظام التّهريب، هذا الأخير الّذي يبدو مِن منظور صالح مُقترنا تارة بصُوَّر /البؤس/ و/الموت/ و/القذارة/، ومُعادلا تارة أخرى لصُورة /الجوع/[2]، وهو في كِلا الحالتين مشحون بمُفردات ذات إيحاءات سِلبية، ولأنّ حبل الشر قصير بدأت تباشير الأمل تنبض مِن جديد مُباشرة بعد عودته مِن الغربة واتّصاله بلونجا وهو ما يتجلّى بوضوح في نهاية المقطوعة السّردية التّاسعة حيث بدأت "كفاءته في مشروع التّحري عن العمل تتشكّل مِن جديد وبشكل تدريجي، بعدما عرفت تراجعا وانحسارا، مرفوقة وعلى نحو مُتواز بمشروع زواجه مِن لونجا فيتغيَّر مجرى الخطاب بحُضورها القوي والمُتنامي في خلق توازن جديد"[3] مُفعم بالاستقرار، لأنّ العلاقة الّتي يحلم بها –صالح– ويتمنّى أن تكون هي علاقة احتواء وأمان وحي، وهكذا تأخذ الأحداث في الرواية مجرى جديدا مشحونا بالأمل والحياة.

واستنادا إلى هذه المقاطع السّردية قام رشيد بن مالك بصياغة البِنية السّردية لرواية "نوار اللوز" على نحو ما سنعرضه في الصفحة الموالية.

---

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص128/127.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص111.

[3]: المصدر نفسه، ص128.

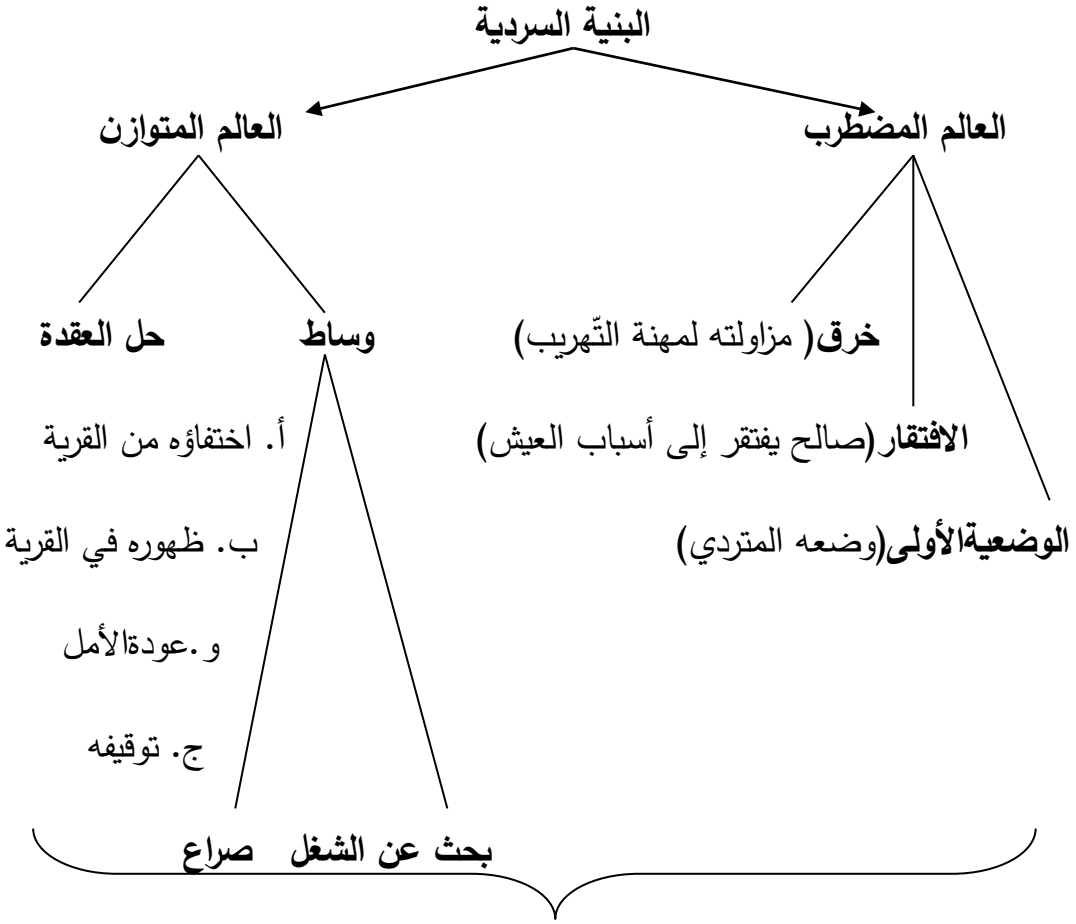

البِنية السّردية لرواية "نوار اللوز"[1]

حاول رشيد بن مالك مِن خِلال هذه الخطاطة المُثقلة دلاليا الكشف عن البِنية السّردية وتمظهراتها الدّلالية في رِواية "نوار اللّوز" مِن بداية أوّل مقطع سردي(أ ب) فيها إلى نهاية آخر مقطع سردي(و ي) موجود فيها، ويعدّ "التّحريك" من أبرز المفاهيم الإجرائية الّتي اعتمدها وأسقطها على الرّواية، وهو ما نلفيه بجلاء وكما رأينا سابقا في معرض كشفه عن الفعل الّذي قام به السّبايبي حتّى يُوافق صالح على عرضه في تهريب الأغنام لتحقيق الوصلة بينه وبين موضوع رغبته، وهو ما توضّحه هذه الملفوظات السّردية:" **تأخذ الغنم ... تهربها ... تقطع بها الحدود... تأتي بالدراهم... حصتك مضمونة**"[2].

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص89.

[2]: رواية نوار اللّوز لواسيني الأعرج، نقلا عن المصدر نفسه، ص106.

وتمثّل المقاطع السّردية الّتي حدّدها رشيد بن مالك منذ البداية الخُطوات أو المراحل الأساسية الّتي ينبغي لصالح تقفّيها لنجاح عملية التّهريب الّتي تبتدِئ حسب ما أقرّ به –رشيد بن مالك– في "اللّحظة مِن السّرد في شكله المُضمر ما دام صالح لم يُبرم العقد مع السّبايبي، وما دامت الشّروط الموضوعية لم تتوفّر بعد ليتأسّس صالح فاعلا ديناميا يتمتّع بإرادته الخالصة في رفض أو قبول الصّفقة"[1].

وما تجدر الإشارة إليه أنّ السّبايبي هنا بوصفه (المرسل) نجده يسعى لإقناع صالح بوصفه (فاعلا ديناميا) للقيّام بعملية التّهريب لأنّ الحكومة مُتقاعسة ولا تملك القدرة على توفير مناصب شغل لرعيّتها، لكن ما حدث لاحقا غيّر حسابات السّبايبي خاصّة بعد رفض صالح التّعامل معه لإيقانه بأنّه (السّبايبي) لا يملك مِن القدرة ما يُؤهّله لحمايته في حالة توقيفه وأنّ انتقاءه لصالح دون سواه لم يكن لحُبه له، بل لاستغلاله لاحقا خاصّة وأنّ صالح كان منذ البداية مُتمرّدا على الوضع الاجتماعي حاقدا على أولئك الّذين نمّوا ثرواتهم بطريقة غير شرعية واستغلّوه وأخذوا منه حقّه ومنعوه مِن الدّفاع عن حقه في العمل، والسّبايبي واحد مِن الّذين يُحبّون استغلال الفئات الفقيرة[2] وهو ما يفسّر رفض صالح لعرضه في بادئ الأمر.

1-5-4 شخصيات الرّواية/ تصنيفها وتأطير مُكوّناتها الشّكلية والدّلالية: حاول رشيد بن مالك قبل القيّام بضبط شخصيات الرّواية وتصنيفها تقديم وقفة سريعة عند حُدود الإشكالية الّتي يطرحها تحديد مفهوم الشّخصية الّذي بقي "إلى زمان قريب مرتبطا بتعريفات علم الاجتماع وعلم النفس، أو امتدادا لشعرية أرسطو قبل أن يشهد انزلاقات متباينة يصعب القبض عليها أو حصرها"[3] خاصة مع الانفجار النظري الّذي شهدته السّاحة النقدية الغربية وهو تقريبا ما أشار إليه فيليب هامون(Philippe Hamon) في دِراسته للنّظام السِّيميولوجي للشّخصية عندما أكّد أنّ رواج التّحليل السِّيكولوجي أسهم في تعقيد المسألة وإثارة اللّبس في التّمِيّيز بين الشّخص

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص106.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص 107/ 108.

[3]: نبيلة زويش، تحليل الخطاب السّردي في ضوء المنهج السّيميائي، ص131.

personne والشّخصية personnage"[1] الّتي تُعدّ بِمثابة كائن ورقي من عالم الخيال الأدبي والفني، ولا امتداد لها خارج بِنية النّص الّذي يحتويها مقارنة بالشّخص الّذي يعيش في واقع مُحدّد زمانا ومكانا، ويكون حقيقيا وليس ورقيا أو افتراضيا، مُشيرا في الآن ذاته إلى أنّ المشاكل الّتي اعترضت سبيل الباحثين في محاولتهم الحثيثة لتحديد مفهوم "الشّخصية" في النّص السّردي مرتبطة بمكوّناتها ومستويات تحليلها الآتي ذكرها:

أوّلا: المُستوى النّحوي بدليل أنّ الشّخصيات تنتشر على امتداد النّص لتحتلّ موقعها مِن خِلال الأفعال الّتي تسند لها.

ثانيا: المستوى السّردي انطلاقا مِن اعتبار الشّخصية وِحدة سردية تُسهم في بناء القصّة المروية وإحكام نسجها.

ثالثا: المستوى الأدبي الّذي يعتمد كُلّيا على ما يُقيمه النّص مِن علاقة بالعالم الخارجي وذلك انطلاقا مِن الاعتقاد السّائد بالعلاقة الوثيقة الموجودة بين النّص والشّخصيات الحقيقية[2].

وهو ما يفسِّر ذهاب "فيلب هامون" في تحديده لمفهوم "الشّخصية" إلى القول بأنّها:

– ليست مقولة أدبية محضة، إنّما هو أمر مرتبط أساسا بالوظيفة النّحوية الّتي تقوم بها الشّخصية داخل النّص، أما وظيفتها الأدبية فتحصل حين يعتمد النّاقد معايير ثقافية وجمالية[3].

– ليست مفهوما مؤنسنا فقط، بل هناك مفاهيم أخرى تدخل في نطاق الشّخصية كالفكر في عمل "هيجل" يمكن اعتباره شخصية الرّئيس، وكذلك الشّخصية الاعتبارية في النّصوص القانونية، كالمدير العام، والشّركة المجهولة الاسم والسّلطة، وكذلك الدّقيق، البيض، الزبدة، الغاز هذه المواد تشكل شخصيات لا تبرز إلاّ في النّص المطبخي، كما يشكّل الفيروس،

[1]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص129.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]: فيليب هامون، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائية، تر. سعيد بنكرّاد وعبد الفتاح كليطو، دار الكلام، الرباط، 1990، ص18.

المكروب، العضو، شخصيات في نص يسرد السّيرورة التّطورية لمرض ما[1].

– ليست مُرتبطة بنسق سيميائي خالص (خاصة اللّساني منه)، فالمحرّكات الجسدية، المسرح، الفيلم، الطّقوس،الحياة اليومية أو الرّسمية، الرّسوم المتحركة تصنع على الخشبة شخصيات[2] أي أنّه يمكن تحديد الشّخصية في الخطابات اللّسانية والغير لسانية.

– قابلة لإعادة البناء من طرف القارئ كما يقوم النص بدوره ببنائها[3] فهي نتاج قراءة أيضا.

ومِن الشّخصيات الّتي وقف عندها رشيد بن مالك واستخرجها مِن رواية "نوار اللوز" الشّخصية المرجعية، الشّخصية المرجعية الذّاتية، الشّخصية الغائبة، الشّخصية الحاضرة ولنا فيما يأتي عرض مُقتضب لكلّ مِنها:

أ. الشّخصية المرجعية: وتُحيل على الواقع غير النّصي(extra-textuel) الّذي يُفرزه السّياق الاجتماعي، وتتفرع هذه الشّخصية في نص الرّواية حسب ما أورده رشيد بن مالك إلى فِئتين؛ فئة مُستوحاة مِن التّاريخ الجزائري بشكل مُباشر ويُطلق عليها الشّخصية التّاريخية كشخصية نابليون وأولاد لاليجو، وفِئة تُحيل على شخصيات أدبية أجنبية عن النّص الرّوائي تنضوي تحت مُصطلح الشّخصية التّناصّية المُوظّفة في الرّواية والمُتفاعلة على مُستويات عدّة مِن خلال أدوارها الموضوعاتية المُتميّزة المُستوحاة مِن عالم دلالي مشترك (التهريب) بين تغريبه بني هلال وتغريبه صالح[4] كشخصية بني هلال، الأمير حسن بن سرحان، أبي زيد الهلالي، الجازية، دياب الزغبي.

ب. الشّخصية المرجعية الذّاتية: وهي الّتي لا يتحقّق وُجودها إلاّ مِن خِلال ذكريات الرّاوي أو ما يُسند له مِن دور أو برنامج سردي في متن القصّة، ولا تُحيل في تناميها إلاّ على نفسها[5] ولها حُضور مكثّف في الرّواية.

---

[1]: المرجع السّابق، ص19/18.

[2]: المرجع نفسه، ص19.

[3]: المرجع نفسه، ص19.

[4]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص132/131.

[5]: ينظر، المصدر نفسه، ص135.

ج. الشّخصية الغائبة: وهي الّتي تتميّز بحُضورها القليل، وبغياب برنامجها السّردي كشخصية المسيردية، لخضر، والإمام، وتملك هذه الشّخصيات الغائبة عن إطار الزّمن الحاضر للقصة وظيفة مزدوجة؛ فهي بالنّسبة للشّخصيات الحاضرة تُمثّل ماضيها وتُكمّل معالِمها وتفسّر وضعيتها الرّاهنة، وتضمَن للقصّة التّواصل بين الماضي والحاضر، وتلعب في النّهاية دور المخبر[1] عن بعض الأحداث.

د. الشّخصية الحاضرة: تتموضع زمنيا في حاضر القصة وتختلف وظائفها مِن شخصية إلى أخرى، وتتّسم بالحُضور القليل والغموض في أغلب الأحيان، أوصافها قليلة جدا لدرجة أنّه قد لا يتمكن القارئ مِن أخذ صورة واضحة عنها، ولا تمتلك برنامجا سرديا مُقارنة بالشّخصيات الأخرى، ولا تملك مِن القُوّة ما يؤهّلها على تغيِير مجرى الأحداث[2] كالقوّال والسّيد علي التّوناني.

وما يلاحظ في تصنيف رشيد بن مالك للشّخصيات اعتماده تصنيف "فيليب هامون" الّذي قسّمها إلى ثلاث فئات هي: الشّخصية المرجعية، الشّخصية الواصلة، الشّخصية الاستذكارية، وإن لم تكن بنفس التّرجمة التّي وضعها سعيد بنكراد إلاّ أنّ ذلك كان واضحا في تحديده وتعريفه لها، وحجّتنا في هذا ما أورده "فيليب هامون" عن الشّخصية المرجعية بأنّها تشمل الشّخصيات التّاريخية (نابليون الثالث في ريش ليو عند ألكسندر دوماس)، والشّخصيات الأسطورية (فينوس وزيوس)، والشّخصيات المجازية(الحب والكراهية)، والشّخصيات الاجتماعية (العامل، الفارس، المحتال) الحاملة لمعنى ممتلئ وثابت، حدّدته ثقافة ما، والمحيلة على أدوار وبرامج واستعمالات ثابتة؛ قراءتها مرتبطة بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثقافة، وباندماج هذه الشّخصيات داخل ملفوظ مُعيّن فإنّها ستشتغل أساسا كإرساء مرجعي يُحيل للنّص الكبير للإيديولوجيا أو الثقافة[3]، وهو ما أورده رشيد بن مالك في معرض حديثه عن الشّخصية المرجعية الذاتية، والشخصية والغائبة.

---

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص137

[2]: ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]:ينظر، فيليب هامون، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائية، ص24.

أمّا التّصنيف الثّاني لفيليب هامون والمتمثّل في "الشّخصية الواصلة" الّتي اعتبرها إشارات أو علامات لحضور المُؤلف أو القارئ أو من ينوب عنهما في النّص: شخصيات ناطقة باسمه، جوقة التّراجيديا القديمة، المحدثون السّقراطيون، شخصيات عابرة، رُواة وما شابههم، شخصيات رسّام، كاتب، ساردون، فنّانون وغيرهم[1] فتجلّى عند رشيد بن مالك بمصطلح الشّخصية الغائبة، ومثل هذا النّوع من الشّخصيات الّتي تشير إلى المُؤلف والقارئ عبر مجموعة من المُؤشّرات والضمائر يصعب الكشف عنها بسهولة –حسب فيليب هامون– بسبب تدخل بعض العناصر المُربكة للفهم المباشر للشّخصية.

وتُعتبر "الشّخصية الاستذكارية" آخر تصنيف لفيليب هامون ويُراد بها "الشّخصيات التي تقوم داخل الملفوظ بنسج شبكة من الاستدعاءات، والتّذكير بأجزاء ملفوظية ذات أحجام متفاوتة (كجزء من جملة، كلمة، فقرة)، ووظيفتها وظيفة تنظيمية وترابطية بالأساس؛ إنّها بالأساس علامات تشحذ ذاكرة القارئ، إنّها شخصيات للتبشير، شخصيات لها ذاكرة،(...)"[2]، وهو يتطابق مع ما أشار إليه رشيد بن مالك فيما أطلق عليه مصطلح "الشخصية الحاضرة".

وممّا وقف عنده رشيد بن مالك بعد فراغه مِن تحديد وتصنيف الشّخصيات المُتواجدة في الرّواية التنويه إلى أنّ الشّخصية في النّص الرّوائي لا يُمكن أن تُشكّل "مُعطى جاهزا؛ فهي ليست في البداية سوى سناد (يُحيل عليه في الغالب اسم "علم" مُفتقد إلى مضمون دلالي واضح) فارغ، يسند له الكاتب تدريجيا وعلى امتداد الرّواية بعض الوظائف (أو الأفعال) و/ أو تأهيلات يأخذ البطل مِن خلالها شكلا ويتحدّد"[3] لأنّ الشّخصيات باعتبارها مورفيما فارغا في البداية لا تمتلئ إلاّ في آخر الصّفحة في النّص[4] عندما ينتقل اسم "علم" من مستوى البياض الدّلالي إلى مستوى التّعيين للتّمييز بين مختلف الشّخصيات.

---

[1]: ينظر، المرجع السّابق، ص24.

[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص25.

[3]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص138.

[4]: ينظر، فيليب هامون، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائية، ص55.

وإذا كانت الشّخصيات في الرّواية تنزع هذا المنزع في اقترانها باسم العلم فإنّها غالبا ما تظل مقرونة باسم موضوع(surnom)، ويُشكِّل هذا المنحى في نظام التّسمية(systéme de nomination) ظاهرة فريدة مِن نوعها في الرّواية الجزائرية مِن حيث هيمنته وثرائه الدّلالي وتثبيته لدور الشّخصية الموضوعاتي المُؤثر في سلوكاتها وأفعالها[1] وأدوارها المُتنوّعة، وهو ما يفسّر حرص أغلب الرّوائيّين على أن تكون الأسماء مناسبة لشخصياتهم ومنسجمة بحيث تُحقّق للنص مقروئيته وللشّخصية احتماليتها ووُجودها.

ولتوضيح ما وقف عنده وأشار إليه قام بتقديم جدول عرض مِن خلاله جميع التّسميات المُتواتِرة التي حملتها الشّخصيات في الرّواية على النّحو الآتي:[2]

التّسميات / الفئات	اللّقب	الاسم	الاسم الموضوع	الاسم العام
الفئة الغنيّة	ولد القايد البختاوي ولد السي لخضر	الميلود	السّبايبي	السّماسرة والتّجار/ أولاد لاليجو/ بني كلبون/ الرجال القديرون/ أولاد الكلبة/ ابن القحبة
الفئة الوسيطة	/	موح	النمس وحش الخلاء،الكتاتبي الديوانه	/

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص139.

[2]: المصدر نفسه، ص140.

الفئة الفقيرة	ابن عامر←	صالح ←	الزوفري	/
		عمر ←	بوحلاقي	
		احميد ←	القهواجي	
		عبد الله ←	السكايري	
			المسيردية	

إنّ توزيع رشيد بن مالك للشّخصيات تبعا لانتمائها الطّبقي(فئة غنيّة، فئة وسيطة، فئة فقيرة) الّذي تصدّر فيه المُكوّن الاسمي مكانة تخضع لمعايير النّسب والمهنة، المركز الاجتماعي، والانتماء الجُغرافي في هذا الجدول يعكس الجهد الكبير الّذي بذله أثناء قراءته للنّص الرّوائي في سبيل ضبط شخصيات الرّواية وتصنيفها والكشف عن دلالة أسمائها، معتمدا بالدّرجة الأولى على مقولات فيليب هامون عن الشّخصية –حتّى وإن لم يصرّح بذلك– وبالتّحديد البطاقة الدلالية الّتي منحها للشّخصية وركّز في مكوّناتها على الاسم الّذي تعرف به بوصفها "بناء يتم التعرف عليه اطّرادا في زمن القراءة، وزمن مغامرة متخيّلة، فتكون "شكلا فارغا"،ثم سرعان ما تبدأ بالامتلاء بمحمولات مختلفة(أفعال وصفات)"[1].

وما ندعّم به ما توصّلنا إليه وأقررناه أنّ ما أورده رشيد بن مالك في الجدول حول أسماء الشّخصيات وعدم اكتفائه بذكر اسم العلم المفرد لوحده وحصره في علامة واحدة يعكس بجلاء ما ذهب إليه فيليب هامون في قيامه بـ"تفصيل كلّ ما يتعلّق بالتّسمية الّتي يمكن أن تتشكّل من مجموعة واسعة من العلامات المتغيّرة: كاللقب والأسماء، والكنيات، والأسماء المستعارة، والأسماء المنتحلة، والتّوريات والوصفية المختلفة والعناوين، والملامح(البورتريهات)، واللازمات

[1]: ينظر، نبيلة زويش، الشّخصية بين النّظرية والتّطبيق "اللاز" و"العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطّار أنموذجا، ص216.

والضمائر..."[1] وغيرها.

كانت هذه قراءة تحليلية موجزة لأهم ما ورد في المُستويات الأربعة الّتي وقف عندها رشيد بن مالك في دراسته التّحليلة لرواية "نوار اللوز" مُعتمدا في ذلك كما رأينا كمّا مِن المفاهيم الإجرائية للسِّيميائية السّردية في المستويات الثّلاثة الأولى وعلى تصنيفات فيليب هامون للشّخصية في المستوى الرابع أين قام بضبط شخصيات الرّواية وتصنيفها وتأطير مُكوّناتها الشّكلية والدّلالية، ولا يخفى على المُتأمِّل فيما وقف عنده في هذه الدّراسة قِيمة ما ذهب إليه وقُدرته على تبسيط ما جاء به كل من "غريماس"، و"فيليب هامون" على المُستويَيْن النّظري والإجرائي.

1-6 قراءة سيميائية في رواية عواصف جزيرة الطّيور لجيلالي خلاص

مهّد رشيد بن مالك قراءته السِّيميائية لرواية عواصف جزيرة الطّيور بمُقدّمة منهجية صرّح فيها بأنّه سيقصر دراسته على فحص المضامين الدّلالية للرّواية مِن خلال تحليل البرامج السّردية الأساسية للقصة والرّهانات الموجودة بين الفاعلين والمُنفّذين ومواضع القيمة المستهدفة، مُشيرا في الآن ذاته إلى أنّ تِلك الرّهانات الّتي سيسعى للكشف عنها وتحليلها هي سياسية بالدّرجة الأولى وتمسّ بشكل مُباشر العلاقة بين السّلطة والشّعب خِلال الفترة المُمتدّة مِن الغزو الفرنسي إلى غاية أحداث أكتوبر 1988[2] حارصا كلّ الحرص في تحليله على عدم إضفاء أيّ تأويلات لا يحتملها النّص الرّوائي المُنبثق مِن رحم الأحداث التّاريخية الّتي شهدتها البلاد آنذاك.

وبعد الفراغ مِن المُقدّمة المنهجية شرع رشيد بن مالك مُباشرة في عملية التّحليل مركّزا على هذين العنصرين: الأبعاد الدّلالية لتسيير الفعل السّياسي: السّلطة/ الشّعب/ المثقّف، والتّجلّيات الدّلالية للخطاب التّاريخي للنّص الرّوائي.

---

[1]: المرجع السّابق ص 218.

[2]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص155.

1-6-1 الأبعاد الدّلالية لتسيير الفعل السّياسي: السّلطة/ الشّعب/ المثقّف: قام رشيد بن مالك في محاولة مِنه للكشف عن مُختلف الأبعاد الدّلالية الواقفة وراء تسيير الفعل السِّياسي المُتمثِّل في (السّلطة/ الشّعب/ المثقّف) بـ "استقراء الملفوظات السّردية في القصّة انطلاقا مِن نظريّة الجهات théorie des modalités "[1] دون إضفاء تأويلات قد لا يتحمّلها النّص وكلّ هذا –حسب رشيد بن مالك– بُغية التّمكن مِن النّظر بعُمق إلى طبيعة العلاقة الموجودة بين الحاكم وفِعله السّياسي.

وأوّل ما فعله رشيد بن مالك قبل استقراء الملفوظات السّردية في القصة هو تقطيعها إلى مقاطع، والإتيان بعدها بثلاثة مقاطع سردية رأى أنّها الأجدر بالدّرس والتّحليل؛ فأمّا المقطع السّردي الأوّل وهذا نصّه: "**لن تتوانى في تمزيق رئانا وضلوعنا، علّها تعثر ضِمن أشلائها على بعض المعادن الثّمينة واللآلئ الّتي ستُضاف إلى أرصدة مالكيها في بُنوك المُقايضة الشّمالية**"[2] فيظهر فيه جليّا تسخير الفاعل الجماعي(القاهرون الغلاة) إرادته في تنمية الثّروة، وتوجيهه إنذارا بمثابة تهديد للأمواج البشرية ويؤسِّس نفسه بالسّلطة السِّياسية الّتي يملكها فاعلا مُضمَرا في برنامج عسكري الغاية منه قمع وتثبيط كل مشروع حامل لبذرة التّمرد على النّظام[3] السّائد وهو ما نستشفه مِن هذا الملفوظ "تمزيق رِئانا وضلوعنا".

أمّا المقطع السّردي الثّاني"**غير أنّني لم أتصوّر أبدا أن تبلغ الأنانية والجشع بأولئك الوُحوش (...) تلك الدّرجة المُقيئة المُقزّزة لمُجرّد التّفكير في شناعتها الّتي لا تختلف عن الخيّانة الكبرى (...)، وهل هناك كلمة أوسع معنى مِن الخيانة إذا دِيست المبادئ ولُمّ الوطن ككمشة تراب ليُودع تبرا في الجيوب الشّخصية**"[4]، فتتحقّق فيه صُورة / الجشع/ الّتي تُحيل إلى الطّبيعة بكلّ أبعادها الدّالة، وأيضا صُورة / الوحوش/ الملحقة بالقاهرين الغُلاة المُحيلة إلى عالم

---

[1]: المصدر السّابق، ص157.

[2]: رواية عواصف جزيرة الطّيور لجيلالي خلاص، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، الصفحة نفسها.

[4]: رواية عواصف جزيرة الطّيور لجيلالي خلاص، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الثّقافة والّتي تدخل في علاقة تنافر مع السّيمات المُميّزة للإنسان العاقل.

والمُلاحظ لهذا المقطع على الصّعيد السّردي يلفي بوُضوح رغبة الرّاوي الحادة في رفض عالم الوحوش المُثير للتّقزز والتّقيؤ المُتحرّك في برنامج سردي يهدف إلى نسف كلّ القيّم الّتي تجعل من الإنسان إنسانا، والّذي يتحدّد مساره على المستوى السّردي –حسب ما أشار إليه رشيد بن مالك– بنفي القيم الّتي يُفرزها هذا العالم والدّعوة إلى تبنّي القيّم المُنبثقة مِن عالم الثّقافة[1] مُستعينا بالمربّع السِّيميائي لإثبات ذلك.

تقتصر مُهمّة الرّاوي استنادا إلى المقطع الثّالث: "**الأغبياء، لم يفهموا موقفي طبعا وهل فهموا شيئا في هذه الحياة؟ الملذّات طغت على أفكارهم وحواسهم فلم يعودوا يرؤن مِن الحياة سوى ثلاثة: المال والنّساء والخمر حتّى الوطن وضعوه في الجيب حتّى لا يفلت منهم**"[2]– وحسب ما رآه رشيد بن مالك دائما– في تسييره لشُؤون الدّولة على الدّخول في وصلة بموضوع قيمة لا يتعدّى إطار المال والجنس والخمر، فهو لا يعرف نفسه في هذا الإطار لانسداد عملية التّواصل بينه وبينهم، ونراه ينتقدهم لخرقهم العقد الّذي يملي عليهم واجبات ولاستحواذهم على مراكز ليسوا أهلا لها[3] استولوا عليها بالخديعة والخيانة.

ومِن المفاهيم الإجرائية الّتي اعتمدها في تحليله لهذا المقطع السّردي "التّشاكل الخطابي"، "المسار الصّوري"، "البرنامج السردي"، هذا إلى جانب مفاهيم أخرى أتى على ذكرها واعتمدها في تحليله لمقاطع سردية أخرى مِن الرّواية ليخلص في الأخير إلى أنّ استراتيجية الخطاب في هذه الرّواية ترتكز أساسا على آلية منطقية يتم فيها بناء الفعل الإقناعي مِن داخل النّص وعلى أساس الوضعيات السّردية المُفرزة على الصّعيد السّطحي، وانطلاقا مِن برامج سردية محكومة سلفا برِهانات صراع الفاعلين في صُلب النّص، وهي رهانات خطيرة تمسّ إشكالية السّلطة في

---

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص158.

[2]: رواية عواصف جزيرة الطّيور لجيلالي خلاص، نقلا عن المصدر نفسه، ص157.

[3]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص159.

تسيير شؤون الرّعية وتصدع العلاقة بين السّلطة والشّعب مِن ناحية والسّلطة والفِئة المُثقّفة مِن ناحية ثانية، وإنّ هذه الأزمة ناتجة أصلا عن نظام سياسي مُتآكل مِن الدّاخل تحكمه مجموعة مِن القيّم المُضطربة مِن مُصادرة الحرّيات الفردية والجماعية، الاختطافات، الاغتيالات المُسخّرة لوضع الوطن في الجيب[1] حتّى لا يفلت منهم.

1-6-2 التّجليات الدّلالية للخطاب التّاريخي للنّص الروائي: يرى رشيد بن مالك أنّ تصدير الرّواية بنص ذي طبيعة تاريخية وإسناده لهيئة تلفظية (الأمير عبد القادر) مرجعية référentielle معناه أنّ الكاتب يُؤسّس منذ البداية القارئ فاعلا في برنامج تكون الغاية منه التّحري عن المعرفة التّاريخية بوصفها موضوع جهة أساسي، مُشيرا في ذات السّياق إلى أنّه علينا فهم الموضوع في هذا المساق على أنّه عنصر أساسي يساهم في تشكيل كفاءة القارئ ويجعله فاعلا مُنفّذا في برنامج تكون الغاية منه التّحري عن الحقيقة التّاريخية والدّخول في وصلة بها.[2]

يستعين رشيد بن مالك مرّة ثانية بمجموعة مِن المقاطع السّردية لتوضيح مسألة هامة فحواها أنّ "التّاريخ ليس فقط موضوعا لخطاب يُسجّل وقائع حدثت بالفعل في الماضي بل إنّه موضوع لخطاب اجتماعي"[3]عام، وللكشف عن بعض النّقاط الغامضة الّتي حواها نص الأمير عبد القادر عمد إلى ملاقاة نصّه بالسّياقات السّردية الّتي يُحيل عليها والمضامين الدلّالية الّتي يتفاعل معها مُستندا في ذلك على التّناظر الدّلالي(isotopie sémantique).

تُشكّل المقولات المُسجّلة في النّص –يقول رشيد بن مالك– إطارا لخطاب مرجعي (تاريخي) تُجسّده قصّة تروي وقائع حدثت في الجزيرة، والّتي تظهر تجلياتها في هذا المقطع السّردي: "**خلال تلك الأيّام العصيبة داهنا تاريخ الجزيرة بأهواله ومحنه وكوارثه المتلازمة عصرا بعد عصر**"[4]، وما إشارة القصة إليها مباشرة إلاّ بغرض إقناع القارئ بحقيقة ما يجري في

[1]: ينظر، المصدر السّابق، ص168.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص170.

[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]: رواية عواصف جزيرة الطّيور لجيلالي خلاص، نقلا عن المصدر نفسه، ص172.

اللّحظة الحاضرة وأنّ الخطاب السّردي مشحون بحقيقة تاريخية لا جِدال فيها، وبالوُقوف عِند الحُمولة الدّلالية المشتركة الّتي يحويها ذلك المقطع والنّص الافتتاحي للأمير عبد القادر، والنّظر في العلاقات الدّلالية المُفرِزة نتيجة تفاعلهما في إطار التّواصل الكلامي والّذي نلمس تمظهراته –التّفاعل– على هذا النّحو:[1]

النّص الافتتاحي	الموضعة الزّمنية	النّص الروائي	الموضعة الزّمنية
/الفتن/،/الأهوال/، /المحن/، /الرّوع/،/الوهن/، /المصائب/، /النّوائب/.	منذ دخل في حيّز العمران.	/الأهوال/، /المحن/، /الكوارث/.	...عصرا بعد عصر

والّذي يمكن نقله على الصّعيد الدّلالي على هاته الشّاكلة:[2]

النّص الافتتاحي	الموضعة الزّمنية	النّص الروائي	الموضعة الزّمنية
الحروب المتّصلة/ الموت	قبل/ الآن/ بعد	الحروب المتصلة/الموت	قبل / الآن/ بعد

إنّ النّاظر المُتأمّل لهذا الجدول يلاحظ بجلاء كيف تؤطّر الحروب المُتّصلة التّواصل الاجتماعي بشكل تعاقبي؛ ف/البعد/ في النّص الافتتاحي هي /الآن/ في النّص الروائي ذلك أنّ الرّاوي بوصفه هيئة لافظة حاضرة يُقدّم نصّا يروي أحداثا وقعت بالفعل وينقل شهادة هي بمثابة الحُجّة على ما وقع، ويقدّم في الآن ذاته تأويلا مُؤرّخا لما سيحدث غدا، وهو في حقيقة الأمر تأويل مبني على المُعاينة والمُلاحظة لوضع اقتصر فيه المُؤرّخ على منظور يُغطّي فيه ما جرى مِن أحداث.

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص172.

[2]: المصدر نفسه، ص 173.

يستمر رشيد بن مالك في تحليله وفي عرضه للعديد مِن المقاطع السّردية الّتي تخدمه مُتسعينا بآلية "التّحريك" لاعتبارين أساسين؛ أوّلهما أنّه يأتي في غياب قنوات الاتّصال بين السّلطة وأهل البلدة لفضح السّلطة وإقناع الرّأي العام بسُوء تسيِيرها وغفلتها عن النّظر في شؤونه المصيرية، أمّا ثانيهما أنّه يتعدّى الفعل الكلامي لتتحوّل إلى معارضة سياسية تسعى في المقام الأوّل إل تعبئة أهل البلدة للدّفاع عن وطنهم وحقّهم في الحياة وإشعارهم ضِمنيا بتواطؤ السّلطة مع العدو[1].

ليخلص في نهاية التّحليل وباعتماده على العديد مِن المفاهيم الإجرائية للسّيميائية السّردية إلى القطيعة الموجودة بين السّلطة والشّعب –على مستوى القصة– وغياب قنوات التّواصل بينهما على جميع الأصعدة أين لجأ الرّاوي منذ البداية إلى تنويع زوايا النّظر لهيئات تلفظية تروي مِن موقع تجربتها ما وقع لها من أحداث مُحزِنة تسبّبت فيها السّلطة، مُشيرا في الوقت نفسه إلى أنّ ما تمّ عرضه مِن تجارب هو بمثابة الشّهادات الحيّة الّتي تجري مجرى الحُجّة على المُمارسات القمعية للسّطلة وتُلغي مبرّرات وُجودها على هرمها مادام حُضورها لا يُمثّل ولا يخدم إلاّ فِئة المشايخ القليلة[2] دون الفئات العمرية الأخرى، والمُلاحظ في هذه المقاربات السِّيميائية الثّلاثة أنّ رشيد بن مالك أعطاها قدرا كبيرا من الاهتمام مُقارنة بالمقاربات السّابقة وكأنّه أراد بما أورده تدارك ما غفل عنه في السّابق مِن عدم إرفاق مقارباته بجداول ورسومات توضيحية في حال ما استدعى المقام ذلك.

1-7 تحليل سيميائي لرواية الصّحن لسميحة خريس

استهلّ رشيد بن مالك مُقاربته السِّيميائية لرواية الصّحن لسميحة خريس الّتي عدّها قفزة نوعية في السّرد العربي المُعاصر لما تُثيره مِن أسئلة عديدة حول إيحاءاتها الدّلالية والمُقاربات المنهجية الكفيلة برصد آليات اشتغالها وذلك لامتناع النّص عن البوح بمكنوناته بشكل تقريري،

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص176.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص 177.

وتداخل هيئاته السّاردة وانتقالها مِن هيئة إلى أخرى دون سابق إنذار على الرّغم مِن تصميمها الزّحف في دهاليز النّص لسرد ما حدث لإلهام ومراد، وأستاذ التّاريخ، وحنان وآخرين، بـ:

– تقديم قراءة لمُختلف الدّراسات النّقدية المُنجزة حولها وبالتّحديد الدراسة الّتي أنجزها محمد عبد الله القواسمة حول قراءة الرّواية مِن خلال العنوان[1].

– ضبط الإطار العام للرّواية الّتي تَحْتكِم عامّة في شُموليتها إلى تنظيم وسببية حدثية وتناسل شخصياتها بشكل منطقي جدا، مُدعّما ما أورده بالأحداث الّتي سردها الرّواي بخُصوص إلهام –الّتي تساعد في بداية الرّواية الفنان في مُوازنة التّمثال فوق الدّرج الصّاعد، وقد وقعت هذه المُساعدة مِن نفسه موقعا حسنا لتتجاوب معه بالاشتياق إلى الحديث معه، فتقرّر وُلوج صومعته لتحقيق رغبتها في الظّفر به فتنشأ علاقة حميمة بينهما إلاّ أنّه وللأسف سُرعان ما تتوتر العلاقة وتتصدّع لقلّة اهتمامه بها وحصر دائرة اهتمامه واشتغاله فقط بتماثيله، هنا تنسحب إلهام مِن حياته على أمل أن تحظى بفُرصة ثانية في حُضن شخص يُحبّها وتحبّه– إذ يكفي أن نحذف عنصرا حدث معها، أو نضيف آخر لم يحدث حتّى يختل توازن هذا الانتظام المشيّد على افتقار إلهام إلى المنظر الجميل الّذي يُمارس سلطته بالفعل الإغوائي[2].

واصل رشيد بن مالك تقديمه للإطار العام للرّواية بالوقوف عند عدد مِن الملفوظات المُتسلسلة الّتي سردها الرّاوي والّتي تعكس جانبا مِن أحداث الرّواية وتطوّرها ليخلص في الأخير إلى أنّ إلهام تتأرجح بين عالمين مُتمايزين؛ "عالم يُحيل على الانقباض والبُرودة والموت تحكمه قيّم مادية تُجسَّد في علاقة إلهام بمنير وأستاذ التّاريخ وعصبة الشّيطنة، وعالم يُحيل على الانشراح والسّخونة والحياة يتّسم بالبراءة والنّور والسّمو الرّوحي"[3]، واعتمد في دراسته لعنوان الرّواية "الصّحن" على التّركيز على أهمّ المعاني المحيطة به مِن بداية النّص إلى نهايته حتّى

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص305.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص306.

[3]: المصدر نفسه، ص307.

يتمّ فهم إيحاءاته الدّلالية بوصفه –العنوان– "السّمة الّتي تُميّزه عن أقرانه"[1] والمحطة الأساسية الّتي ينشط فيها فِكر القارئ وخياله نشاطا يُمكن أن ينقله إلى أحداث الرّواية، وبناء على هذا قام بدِراسة التّجلّيات الدّلالية للصّحن مِن خلال قصة "إلهام"، وقصة "هو" و"حنان" انطلاقا مِن قناعته بأنّ عنوان رواية الصّحن لا يتوقف عند مستوى المعنى المُعجمي بل يمتد ليطال بِظلاله مضامين لا يُمكن فهمُها إلاّ مِن خلال السّياقات النّصية لكِلا القِصّتين وباعتماد بعض مِن المفاهيم الإجرائية للسِّيميائية السّردية على نحو ما سنوضّحه:

1– التّجلّيات الدّلالية للصّحن مِن خلال قصة "إلهام":

رأى رشيد بن مالك أنّ عنوان رواية "الصّحن" يملك سلطة توجيه القارئ إلى عالم النّص، ولا يتوقّف عند المعنى المعجمي الّذي لا يمكن فهم مضامينه إلاّ من خلال السّياقات النّصية[2]،واستند في توضيحه لمحطات ظهور "الصحن" في المتن الرّوائي على عرض الملفوظات السّردية الّتي يظهر فيها، وأولّ ظهور له كان من خلال هذا الملفوظ السّردي:"**إنّها تريد أن تأكل بصحبته فقط، لطالما رأت الحلم الّذي ظنّته مضحكا في الماضي، حين كان العالم يتراءى لها صحنا كبيرا واسعا يفيض بالحليب، وتبدو هي مجرّد هرّة صغيرة ناعمة تتسلّق السّائل الدّافئ بمتعة غريبة...**"[3]، وانتصب الصّحن في هذا الملفوظ في اللّحظة الّتي بدأت فيها العلاقة بين إلهام ومنير بالتّوتر لانشغاله عنها، وفي اللّحظة الّتي كانت تريد فيها تحقيق الوصلة الغرامية به، مستحضرة المتعة الغريبة الّتي حقّقتها لها في الماضي عبر الحلم، وهو القيمة الاستهلاكية للحليب وما يحمله من دفء وحنان ومتعة في حاضر شعرت فيه بأنّها فقدت إنسانيتها وأصبحت المعادل الطّبيعي للتّمثال، و"الصّحن" هو الفضاء الوحيد –من وجهة نظر رشيد بن مالك– الّذي يجسّد قيمة الألفة والحياة، والّذي بوسعه إخراج إلهام من التّوتر[4].

---

[1]: رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص308.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص309.

[3]:رواية الصحن لجميلة خريس، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]: ينظر، رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص310.

يستدعي فهم القيّم الّتي حاولت "إلهام" النّزوع إليه، ومعرفة الأسباب الكامنة وراء رغبتها في الانتقال من وسط الدّار إلى عالم الصّحن إلى الانتقال إلى مستوى سردي آخر واستحضار مختلف الملفوظات الدّالة على ذلك، وهو ما قام به رشيد بن مالك حيث قام برصد عشرة ملفوظات سردية تتحدّد في الرّواية ابتداء من الصفحة 41 إلى غاية الصفحة 56 تعكس العلاقة المتوتّرة بين إلهام ومنير، وهي –علاقة التّوتر– "محصّلة طبيعية لإقصائها من عالمه، لقد نسف انغامسه في برنامج النّحت كلّ إمكانية من إمكانيات التّواصل بها، وتظلّ العناية الكبيرة الّتي يوليها إلى فنّه معطى ثابتا"[1] على نحو ما هو ظاهر في هذه الملفوظات: "**استغراقه بفنّه**"، "**منصرف بأنامله إلى تمثاله**"، "**عشقه المجنون بالحجر**"، "**يعانق هوى آخر**"، "**وهي ترقبه متعبّدا في صنعة التّمثال**"، "**وهو كعادته يعانق تمثالا**"[2]، هذا إلى جانب ملفوظات أخرى وُفق رشيد بن مالك كثيرا في طريقة عرضه لها وربطها بدلالتها وبالحالة الّتي آلت إليها "إلهام" بعد إدراكها لحقيقة الصّمت الّذي بات يخيّم على "منير"، والّذي يمكن اعتباره على حدّ تعبيره –رشيد بن مالك–"رسالة واضحة نجحت إلهام في فك شفرتها من خلال شعور قادها إلى الاقتناع بأنّها انحدرت من مستوى الإنسان إلى مستوى الجماد، وأنّ منير شيّأها في محترفه وجرّدها من إنسانيتها"[3] معتبرة ذلك إهانة لها ولمشاعرها، وهو ما جعلها تفكّر في الانفصال عنه لاسترجاع إنسانيتها، ويمكن أن نلمس في تفكيرها –يقول رشيد بن مالك– "بوادر مشروع يهدف إلى إحداث فصلة عن منير"[4] بعدما كانا سابقا في حالة اتّصال، وهو ما يجسّده هذا الملفوظ:" **لست تمثاله الحي**"–الّذي ابتغت من ورائه استرجاع قيمتها والتّحرر من عالم منير وتماثيله المنحوتة، ووضع حدّ لآلامها وشعورها الدّائم باللاّمبالاة–، وتكتسي صيغة النّفي تلك أهمّية بالغة تعدّ بمثابة انقلاب في الوضعية الاستراتيجية لإلهام اتّجاه مشروع منير الهادف إلى قمعها ، وهو ما سيسنح لها بالخروج التّدريجي من السّلطة الّتي كان يمارسها عليها، والدّخول التّدريجي في عالم آخر

[1]: المصدر السّابق، ص311.

[2]: رواية الصحن لجميلة خريس، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]: رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص312.

[4]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تستعيد فيه إنسانيتها المفقودة، وهو ما استخلصه من تعبيرها عن الشّعور بفرح التّحرر منه، وهي نفسها الأسباب الّتي جعلتها تصدر قرار الانتقال من عالم منير ومتحفه إلى عالم الصّحن، والّذي سرعان ما تتراجع عنه بإتاحة الفرصة لمنير من جديد لتعويض ما فات، ولفك حصار التّماثيل عنه، وذلك من خلال نقله من المحترف إلى الصّحن عبر الأكل والشرب[1]، وهو ما نلفيه عبر هذا الملفوظ السّردي:"**لكنّها تريده هنا بشرا حقيقيا يأكل ويشرب**"[2]، ولعلّ مردّ عزوفها عن الانفصال من منير، والتّفكير في طريقة أخرى للبقاء معه هو خوفها من شبح العنوسة.

يرصد رشيد بن مالك ملفوظا سرديا آخر يعكس رغبة "إلهام" الجامحة في التّوحد بـ"منير" من خلال فاكهة "الدّراق" ثم "الصّحن" بوصفه فضاء تستثمر فيه قيمتين؛ قيمة استهلاك الدّراق الّذي يمتلك خاصية الإغراء والإثارة، وقيمة التّوحد بحبيبها، وهكذا أضحى "الصّحن" موضوع تحرّيها، وهاجسا يشكّل مركز اهتمامها، وشكلا لم تتحدّد بعد ملامحه وطبيعته لتحرير "منير" من عالم الفن، وبرودته ولربطه بعالمها، وهكذا أضحت السّياقات النّصية الّتي بدأت تعمل بشكل تدريجي –لحظة بدء إلهام في البحث عن الصحن المناسب– على رسم الحدود الدّلالية للعنوان تتعدّد وتتنوّع لتسلك مسلكين متمايزين ومتجانسين يجسّدهما الصّحن من ناحية، والدّراقات الّتي ستوضع فيه من ناحية ثانية[3]، ويستمر رشيد بن مالك في عرض علاقة "إلهام" بـ "منير" الّتي بقيّت في مدّ وجزر إلىّ أن انتهت بالانهيار رغم محاولات "إلهام" المتكرّرة لإغرائه بـ "الدّراق" و"الصّحن" هذا الأخير الّذي بوسعه تغيير مضمون الرّواية وإيحاءاتها الدّلالية بتغيّر الوضعيات الحدثية له، وهو ما سيتضّح أكثر عند الكشف عن دلالته من خلال قصّة "هو" و"حنان".

2- **التّجلّيات الدّلالية للصّحن مِن خلال قصة "هو" و"حنان"**: أشار رشيد بن مالك قبل شروعه في الكشف عن دلالة الصّحن في هذه القصّة إلى أنّه "إذا كانت التّجلّيات الدّلالية للصّحن (في القصّة الخاصة بإلهام) الّتي تتوحّد لتحيل على الحياة مربوطة برغبة إلهام في تغيير نظام لا

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص312/313.

[2]: رواية الصحن لجميلة خريس، نقلا عن المصدر نفسه، ص313.

[3]: ينظر، رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص314/315.

يعترف بوجودها كإنسانة، فإنّها في قصّة الـ "هو" تنزع نزوعا مغايرا تماما تعبّر فيه شخصية جماعية عن رغبة في تكريس نظام يعمل على تثبيت قيّم سلبية تنصهر في الموت منوّها في ذات السّياق بأنّ الرّاوي لم يقدّم التّبريرات الّتي حرّكت فعل عصبة الشّيطنة لتدمير الطفلة "حنان" بطريقة بشعة جعلت "الصّحن" لا يحيل إلى الحياة على نحو ما كان عليه في قصّة "إلهام" بل إلى الموت، وهنا بالتّحديد ينكشف الوجه الثّاني له، والّذي ترتبط معانيه بطبيعة البرنامج الّذي تنوي العصبة تنفيذه[1].

ولتِبيان معانيه الجديدة بشكل دقيق صرّح رشيد بن مالك بأنّه سينتقي من الملفوظات السّردية الأساسية ما يعكس العلاقة بين عصبة الشيطنة، وطبيعة القيّم(الهبة) الّتي تستثمرها لتحقيق رغبتها، وبين الصّحن والطّفلة حنان وردّ فعلها من الهبة القاتلة(المجدرة)، على نحو ما بيّن في هذه الملفوظات: "**دقّ كأس الشّاي الزّجاجي ببراعة،فحوّله إلى مسحوق لامع جارح، والعيون الّتي راقبته بفضول وشغف تحوّلت إلى أكف تصفّق، وضحك الجميع وتسابقوا إلى خلط ذرّات الزّجاج المطحون بالمجدّرة (...) كأنّهم مدفوعون بهوس ما، ثمّ تباعدوا ضاحكين (...)، استشرى الضحك والهتاف في أشدّ المواقف متعة وإثارة، و(الكبير) يقف مزهوا ويطلق سيلا من البول(...)، انهمر بوله في صحن المجدّرة**"[2].

وضّح رشيد بن مالك من خلال هذه الملفوظات سير البرنامج السّردي للعصبة والّذي ابتدأ بإعداد موضوع قيمة تجلّى الوجبة الغذائية للطّفلة "حنان"، والّتي تمّ خلطها بمسحوق الزّجاج والتّراب والبول، وهو ما يتوافق مع قيمة سدّ الحاجة أو تحقيق متعة ما، فخرجت بذلك تلك الوجبة من إطارها الطّبيعي المتمثّل في التّغذية من أجل الحياة والبقاء إلى إطار تتسرّب عبره الموت، مشيرا إلى أنّ ما قامت به العصبة كان مخّطط له مسبقا، وهو ما استخلصه من تنفيذ كلّ واحد من أعضاء العصبة الشّيطانية "في إطار برنامج ملحق فعلا محدّدا، وتلتقي هذه

[1]: ينظر، المصدر نفسه، ص320/319.

[2]: رواية الصحن لجميلة خريس، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة 320.

الأفعال في الوجبة الأساسية الّتي تقدّم على الصّحن بوصفه فضاء للاستهلاك"[1] ليسهل عليهم إقناع الطّفلة على أكل ما في الصّحن، وبالفعل قامت بالتهام كلّ ما فيه من "منطلقات تأويل إيجابي لظاهر يعكس فعلا صدق نيّتهم (كينونتهم) في إكرامها بوجبة تسدّ بها رمق جوعها"[2] في حين أنّ ما خفي كان أعظم، فبدل إشباع نفسها قامت بقتلها دون أن تشعر، وشاركتهم التّمتع بحالها وواصلت الأكل والضّحك معهم ظنّا منها أنّها يضحكون ويلعبون معها لأكل الغذاء القذر.

احتل ضحك الطّفلة المتزامن مع الاستهلاك المتواصل للمجدّرة مكانا متميّزا في الملفوظ السّردي على مستوى الحقل المعجمي حيث انزاح عن معناه الأصلي، المتمثّل في التّعبير العادي عن السّرور من مشهد لا يكون موضوعه النّيل من كرامة الإنسان، ليلامس السّخرية من الطّفلة البريئة، والاستمتاع بما تفعله وهي تعبّر عن فعل غير عادي يقود في جميع الحالات إلى الموت الّذي يعدّ محصّلة طبيعية يتمّ إدراكها على المستوى السّردي من خلال فعل عصبة الشّيطنة المسخّر لصناعة مشهد يمتع ويؤلم في الوقت ذاته، وللقارئ هنا حقّ التّساؤل –يقول رشيد بن مالك– عن مصدر الفعل الّذي قام به العصبة، هل هو انتقام؟ أم هوس؟[3] حسب ما أشار إليه الرّاوي.

خلص رشيد بن مالك من خلال وقوفه عند الملفوظات السّردية الّتي أتينا على ذكرها أنّ عصبة الشيطنة استعانت بـ "الصّحن" وحرّكته لا لتسخيره كذريعة تُستثمر من خلالها قيمة الحياة، بل لإقصائها وتثبيت قيمة الموت، دون أن تعلم الطفلة بذلك، حيث بقيت تتصرّف ببراءة وتتعامل مع "الصّحن" وكأنّه السّبيل الّذي يقود إلى الصّفاء والمحبّة الخالصة والحياة دون التّفكير بأنّه قد يكون خطرا إذا كان ما يحتويه متبّلا بالمؤامرة المضرّة بصحة الإنسان(البول،

[1] : رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص320.

[2] : المصدر نفسه، ص321.

[3] : ينظر، المصدر نفسه، ص323/322

الزجاج المسحوق، التراب)[1] لولا ظهور الأم الّذي وضع حدّا لبرنامج التّغذية الّذي وضعته العصبة، وأحدث شرخا في المتّصل الانشراحي للمشهد الّذي أدركت من خلاله ظاهرا مضطربا بين ضحك يحيل على الانشراح، ودم يحيل على الانقباض والموت، وهذا التّناقض في صلب الظّاهر، وبين الظّاهر والكينونة، والمفرز للمنظر المثير حملها على الاقتناع بخطورة المؤامرة الّتي حِيكت لابنتها، وبقدر ما كان حزنها عليها عميقا بقدر ما كانت انتفاضتها الشعورية عنيفة وقوّية جسّدت من خلالها غضبها وميلها الطّبيعي إلى الانتقام من العصبة وتعطيل برنامجهم وإجبارهم على الفرار، وردّ الاعتبار لابنتها[2].

وينزاح معنى "الصّحن" هنا مرّة ثانية من الحيّز الّذي تستثمر فيه العصبة قيمة الموت ليتحوّل بشهادته على وقائع الجريمة إلى عنصر مؤنسن تسند إليه حاستا السّمع، والبصر اللّتان تجسّدان قدرته، ومن الموقع الّذي يحتله في المشهد العام الّذي تُعرض وقائعه على المتلقي على إصدار حكم إبستيمي على ما التقطه سمعه، وهو ما أشار إليه رشيد بن مالك قائلا: "من الواضح أنّ الصّحن بوصفه شيئا جامدا في هذا الموضع يضفي عليه السّلوك البشري ويرقى إلى درجة الإنسان بهذه الخاصّيات في اللّحظة الّتي تنحدر فيها بالتّوازي الأنثى إلى الدّرجة الدّنيا الّتي تُغتصب فيه إنسانيتها من عصبة تتشكّل أساسا من الذّكور، وتنضاف إلى هذه الخاصّيات قدرة الصّحن على الكلام والدّخول في التّواصل المباشر مع النّاظر إليه وسلطته في ممارسة التّنويم عليه"[3]، ولم يتوقف عند حدود هذه الإشارة بل تجاوزها إلى الجمع بين هذين الملفوظين "**انحنى نحوه كالمنوّم**"، و"**أشارت نحوه كالمنوّمة**" على مستوى قصّتي "إلهام"، و"هو" و"حنان"، بعدما رأى أنّ المتلفّظ في الملفوظ الأولّ لم يخبر القارئ عن المصدر الّذي ينهل منه الصّحن سلطته التّنويمية على نحو ما كان في قصّة "إلهام" الّتي أضحت فيها كالمنوّمة تستجيب بشكل آلي للسّلطة الّتي يمارسها عليها "الصّحن" الّذي يملك قدرة عجيبة في غمر

[1] : ينظر، رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص322/321.

[2] : ينظر، المصدر نفسه، ص325/324.

[3] : المصدر نفسه، ص325.

النّاظر إليه بالضّوء، بوصفه –انطلاقا من نظرة رشيد بن مالك إليه– تيمة مركزية تتسرّب عبره قيمة الحياة المجسّدة في استهلاك الدّراقات الحلوة المتعارضة مع المجدّرة المرّة الّتي يقود استهلاكها إلى الموت، وانطلاقا من هذا رأى رشيد بن مالك أنّه يمكن استنباط ثنائيّة ضدّية تعمل على إبراز القيّم الأساسية المستثمرة في "الصّحن"[1].

يواصل رشيد بن مالك تقفّي الدلالات الإيحائية لـ "الصّحن" في حضرة الـ "هو" الّذي يستجيب بخضوع تام لنداء "الصّحن" لينفّذ رغبته مثلما نفّذت "حنان" رغبة العصبة، مشيرا إلى أنّ مصدر رغبة "الصّحن" في دعوة الـ "هو" لاستهلاك المجدّرة ليس بسبب الجنون الّذي أوقع العصبة في الاختلاط بل هو وعي بحجم الجريمة الّتي كان لها وقع تدميري على "حنان"، ولكي يُدرك حدّة هذا الواقع رغب "الصّحن" أن يعيش الـ "هو" نفس تجربة "حنان" وهي تلتهم الوجبة المتعفّنة، والملاحظ في تنفيذ الـ "هو" لذلك البرنامج أنّه لم يسرع في تناول الوجبة لمعرفته بالعناصر المكوّنة لها على عكس "حنان" الّتي تناولتها بلهفة وسرعة لعدم معرفتها بمكوّناتها، ليخلص في نهاية التّحليل إلى أنّ السبب الكامن وراء تناول الـ "هو" للمجدّرة هو تخفيف معاناته وآلامه أوّلا لأنّه كان مشاركا في المؤامرة الّتي وُضعت لـ"حنان"، واقتناعه ثانيا بانحلال قيّم العصبة الّتي قادته في النّهاية إلى التّخلي عنها، ورفض قيّمها والانخراط في عالم "حنان"[2]، وهكذا وبالاستعانة بمصطلحات الجهاز المفاهيمي للسّيميائية وبالتّحديد مصطلحات مستوى البنية السّطحية تمكّن رشيد بن مالك من الكشف عن دلالة "الصّحن" في رواية سميحة خريس الّتي اتخذت دلالات متعدّدة في قصّتي "إلهام"، و"هو"، و"حنان" فرضها السّياق النّصّي للرّواية، والدور الّذي شغله "الصّحن" فيها، وعلى شاكلة بعض المقاربات السّيميائية الّتي أتينا على ذكرها جاءت أيضا هذه المقاربة صمّاء خالية من أيّ ترسيمة توضّح سير وتطوّر البرنامج السّردي لإحدى القصّتين، أو حتّى صيّغ تعبيرية لتوضيح علاقات الاتّصال والانفصال، أو علاقة العنوان بمضمون الرّواية.

[1]: ينظر، رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص326/325.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص228/227.

وبهذه المقاربة نكون قد فرغنا مِن عرض جميع المُقاربات السِّيميائية المُدرجة في الكتب النّقدية لرشيد بن مالك، وفيما يأتي جدول يوجز جانبا من قدرته على إمكانية مقاربة العديد مِن النّصوص الإبداعية مِن زوايا مختلفة، وعدم انحساره على نوع واحد منها، ويعكس تمكّنه مِن توظيف المفاهيم الإجرائية للسِّيميائية السّردية، وتبسيطها للقارئ الباحث المُتعلّم المُهتم بها والمُشتغل عليها حسب ما تقتضيه العناصر الّتي وقف عندها في كلّ مقاربة سيميائية على النّحو الآتي:

عنوان المقاربة	العناصر المعتمدة في دراستها من قبل رشيد بن مالك	أبرز المفاهيم الإجرائية للسِّيميائية السّردية المعتمدة فيها
قراءة سيميائية في قصة العروس للرّوائي غسّان كنفاني[1]	الوقوف عند التّمفصلات الأساسية للنّص القصصي استنادا إلى الهيئة التّلفظية المُؤسّسة للفاعل والقنوات الّتي يُمرّر عبرها مضامينه بُغية إدراك استراتيجيات القوى المُتصارعة وطموحاتها الّتي تُجسّدها البرامج السّردية الرئيسية والملحقة، لفهم الرّهانات السِّيميائية في القصة وضبط دورتها الدّلالية.	برنامج سردي، موضوع القيمة، العقد الائتماني، ملفوظ حالة فصلة، وصلة، الفاعل، المساعد، الكفاءة، فاعل حالة، المقطوعة السّردية، العامل، برنامج سردي ملحق.
تحليل سيميائي لقصة	تحديد مفاهيم المصطلحية المُعتمدة في البحث.	ملفوظ حالة وصلي، ملفوظ حالة فصلي، التّحويل الفصلي، التّحويل

[1]: رشيد بن مالك، مقدمة في السّيميائية السّردية، ص49.

عائشة لرضا أحمد حوحو[1]		الوصلي، البرنامج السّردي، المقطوعة السّردية، المربّع السِّيميائي، برنامج سردي مُلحق، برنامج سردي أساسي، إرادة الفعل، وُجوب الفعل، الكفاءة، الفاعل.
سيميائية الفضاء في رواية ريح الجنوب[2].	فحص التّحويلات الدّلالية المحورية لفضائي القرية والمدينة	الفضاء، برنامج سردي أساسي، برنامج سردي ملحق.
قراءة سيميائية في كليلة ودمنة لابن المقفّع[3].	– الكشف عن الاستراتيجية للخطابية للنّص من خلال آلية التّحريك. – الكشف عن البِنية الجِدالية في النّص مِن خِلال المواجهة الّتي تمّت بين الفيلسوف بيدبا والملك دبلشيم.	عقد ائتماني، المستوى الخطابي، المستوى السّردي، البرنامج السّردي، التّحريك، التّقويم، الدور العاملي، وجوب الفعل، الرّغبة في الفعل، القدرة على الفعل المسارات الصّورية، المربّع السِّيميائي، الفاعل، الكفاءة، الأداء، التّرسيمة السّردية، البِنية العميقة.
دراسة تحليلة لرواية	– البحث في مُستويات النّص وأشكال بِنيته مِن خلال دراسته	المرسل، برنامج سردي ملحق، فصلة، وصلة، كفاءة، تقويم،

[1]: المصدر السّابق، ص69.

[2]: المصدر نفسه، ص97.

[3]: رشيد بن مالك، السّيميائيات السّردية، ص45.

نوار اللّوز لواسيني الأعرج[1].	للنّظام السِّيميائي لفاتحة الرّواية. – دراسة سيميائية لعنوان الرواية. – الكشف عن البِنية السّردية في الرواية وتجلّياتها الدّلالية. – ضبط شخصيات الرّواية وتصنيفها وتأطير مكوّناتها الشّكلية والدّلالية.	الفضاء، المربّع السِّيميائي، المكوّن السّردي، السّيم، الرّسم العاملي، مِحور التّواصل (المرسل، الفاعل، الموضوع، المرسل إليه)، التّحريك، فاعل مساعد، فاعل منفّذ، موضوعي.
قراءة سيميائية في رواية عواصف جزيرة الطّيور لجيلالي خلاص[2].	تحليل البرامج السّردية الأساسية لرواية عواصف جزيرة الطيور والرّهانات الموجودة بين الفاعلين المُنفّذين ومواضيع القِيمة المستهدفة للكشف عن مضامينها الدّلالية.	البرنامج السّردي، الفاعل المنفّذ، التّشكل الخطابي، المسار الصّوري، المربّع السِّيميائي، المستوى العميق، المرسل، التّقويم، الكفاءة، المربّع التّصديقي، الدّور الموضوعاتي، عقد ائتماني.
تحليل سيميائي لرواية الصّحن لسميحة خريس[3].	– ضبط الإطار العام للرّواية. – دراسة سيميائية لعنوان الرّواية. – الكشف عن التّجليات الدّلالية للصّحن من خلال قصّة إلهام وقصة هو وحنان.	التّقويم، المستوى الخطابي، الفاعل، الفضاء، التّحريك، الكفاءة، البرنامج السّردي، المستوى الصّوري، المستوى السّردي، عقد ائتماني.

[1]: المرجع السّابق، ص 71.

[2]: المرجع نفسه، ص 155.

[3]: رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السّيميائيات، ص305.

المبحث الثّاني: تمظهر السِّيميائية السّردية في خطاب الممارسة التّطبيقية عند العجيمي

خصّص محمد النّاصر العجيمي الجزء الأخير مِن كتابه لإجراء دِراسة تطبيقية على حكاية "الأرانب والفيلة" تحت عنوان رئيسي "مِن النّظرية إلى التّطبيق" افتتحه بالإشادة بجهاز غريماس النّظري، والتّنويه إلى أنّ "الأنموذج العاملي ليس تصوّرا قبليا جاهزا نسقطه دون دِراية بآلياته على كلّ النّصوص مهما تكن نوعيتها إنّما الدّارس مدعوّ إلى انتخاب ما يراه منها وظيفيا صالحا لدِراسة هذا النّوع أو ذاك مِن النّصوص، وبوسعه أن يُحقّق ذلك لثراء النّظرية وطاقتها الفذّة على التّوليد"[1]، هذا إضافة إلى ذِكره السّبب الكامن وراء انتقائه لنص حكاية "الأرانب والفيلة" رغم أنّه "يجسّد في حدّ ذاته عالما مغلقا مكتفيا بذاته"[2]–حيث لا يمكن فهم المقصدية منه إلاّ ضمن سياق عرضي، وهو "باب الغربان والبوم" المضمّن بدوره في سياق أوسع هو كتاب "كليلة ودمنة"– والمُتمثّل في احتوائه حسب اعتقاده –محمد الناصر العجيمي– على عدد مِن الخاصّيات الّتي تُؤهّله لبُلوغ غايته المُتمثّلة في "الإلمام بأهمّ جوانب المنهج نظريا وتطبيقيا"[3] انطلاقا من قناعته بأنّ النّص ما هو سوى حلقة مندرجة ضمن حلقات أخرى، يرتبط بعضها ببعض ارتباطا جدليا، ويحدّد بعضها من بعض مداها وعمقها.

آثر محمد النّاصر العجيمي اعتماد معيار" تطوّر الحدث ومراحل صيرورته"[4] لتقسيم النّص، وعدم اعتماد المعيار الزّماني لخلوّه من إشارات دالة على صيرورة الأحداث في السّياق الزمني، ولا حتّى المكاني لولا عثوره لاحقا على ما يفيد ذلك، وتأسيسا على هذا قسّم النّص إلى ثلاثة أقسام على النّحو الآتي عرضه:

القسم الأوّل: حدّده استنادا إلى الإشارة الّتي تُفيد بانتقال الفيلة مِن موطنها المألوف إلى موطن مجاور له طلبا للماء باعتماد المعيار المكاني لعثوره على بعض من مؤشّراته، وينقسم بدوره إلى مقطعين نوجزهما على التّوالي.

---

[1]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص109.

[2]: المصدر نفسه، ص115.

[3]: المصدر نفسه، ص109.

[4]: المصدر نفسه، ص114.

المقطع الأوّل: وفيه وصف لحالة الموطن الّذي تقيم فيه الفيلة، وهذا نصّه: "**قال الغراب: زعموا أنّ أرضا مِن أراضي الفيلة تتابعت عليها السّنون وأجدبت وقلّ ماؤها وغارت عيونها وذوى نبتها ويبس شجرها فأصاب الفيلة عطش شديد**"[1]، استخلص من خلاله أنّ الحيّز المكاني للفيلة كان في مرحلة سابقة لحدوث الجفاف في حالة اتّصال بالماء أي بالحياة (ماء∩ أرض∩ حياة) ثم في مرحلة لاحقة أضحى منفصلا عنه متّصلا بما يشبه الموت[2]، وكأنّ الماضي يمثّل رمزا للحياة، والحاضر الرّاهن رمزا للموت.

المقطع الثاني: يحوي في مضمونه تذمر الفيلة من سوء حالها والتماسها النّصيحة من ملكها لإيجاد مخرج لها، وهذا نصّه:"**فشكون ذلك إلى ملكهنّ فأرسل الملك رسله وروّاده في طلب الماء في كلّ ناحية، فرجع إليه بعض الرّسل فأخبره أنّي قد وجدت بمكان كذا عينا يُقال لها عين القمر كثيرة الماء، فتوجّه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته**"[3]، حاول محمد النّاصر العجيمي انطلاقا منه تِبيان العلاقة القائمة بين الفيلة من حيث هي ذات حالية، وفضائها المألوف نتيجة ما أصابها من عطش، فبعد أن كانت العلاقة بين الذّات الحالية(الفيلة)، والموضوع(الفضاء المألوف) علاقة اتّصال أضحت بحكم الوضع الجديد علاقة انفصال، ومثّل لها بهذه الصّيغة: { ت(ف) ⟵(ف1∩ م∪ ف1) }، رمز لعملية التّحول بـ (ت)، وللقائم بفعل التّحويل(السّماء) بـ(ف)، وللذّات الحالية بـ(ف1) والموضوع بـ(م)[4].

القسم الثّاني:اعتمد في تحديده له على تطوّر الحدث ومراحل صيرورته، ويحوي مقطعين:

المقطع الأوّل: يبتدئ مِن "**وكانت العين ...**" إلى "**منهن كثيرا**"[5]، وفحواه ما حدث في أرض الأرانب بعدما قدم إليها الفيلة، حيث تغيّرت المعادلة فبعدما كانت الأرانب تعيش في

---

[1]: الأرانب والفيلة لابن المقفّع، نقلا عن محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص117.

[2]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، الصفحة نفسها.

[3]: الأرانب والفيلة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، ص119.

[4]: ينظر، محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص120

[5]: الأرانب والفيلة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، ص122.

فضائها المألوف المستقر قدمت إليها الفيّلة فتحوّل ذلك الفضاء إلى فضاء موت بالنّسبة لهم، وصار فضاء حياة بالنّسبة للفيّلة، وقد صاغ محمد النّاصر العجيمي مخّططا يوضّح من خلاله الصّراع الّذي بات قائما بين الفيلة والأرانب حول فضاء هذه الأخيرة الّذي يمثّل الحياة:

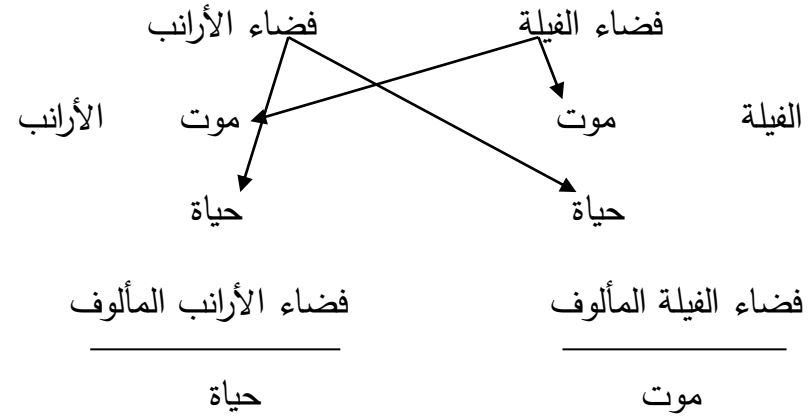

ليصل في الأخير وبعد وقوفه عند مستوى المحور التّقويمي على مختلف الاحتمالات الّتي يمكن للأرانب أن تقوم بها، وعلى جميع الأوصاف المتعلّقة بها وبالفيلة إلى أنّ بؤرة الصّراع بينهما تنتظم في محاور ثلاثة، يشكّل لفظم "العين" موضوع نزاعهما، وهو موضوع ذا قيمة غير قابل للاشتراك فيه، يتّصل به لفظم آخر لا يقلّ أهمية عنه وهو:"القمر"، ولكليهما دلالات خاصّة[1].

المقطع الثاني: يبتدئ مِن "**فاجتمعت الأرانب...**" إلى "**إذا خرق**"[2]، ويُصوّر ذهاب الأرنب فيروز إلى الفيلة بعد تلقي الإذن مِن ملكها، ويصف محمد النّاصر العجيمي العلاقة القائمة بين الأرانب وملكها بالمتينة والوثيقة؛ فهي تعود إليه في ما حزب من أمر، وتلتمس منه النّصحية، وهو يوجّهها وفق ما تمليه عليه مصلحتها، ويرجع إليه بالنّفع، والّتي استخلص منها الاختلاف النّوعي في العقد المنظّم لعلاقة طرفي كلتا المجموعتين المتّسم بـ"طابع الفردية" للعلاقة بين الفيلة وملكها، وبطابع "العقد الشوري التّفاوضي" للعلاقة بين الأرانب وملكها[3]، وهو ما نلفيه

[1]: ينظر، محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص125/124/123.

[2]: الأرانب والفيلة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، ص126.

[3]: ينظر، محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، الصفحة نفسها.

بجلاء في تقدم الأرنب فيروز من الملك تأخذ منه الإذن بالتّصرف حسب ما يمليه عليها اجتهادها، فما كان من الملك إلاّ أن يلبّي طلبها.

تقمّص محمد النّاصر العجيمي في تحليله لهذا المقطع دور القارئ المنتج وبالتّحديد عندما وافق الملك على طلب الأرنب فيروز، أين قام بالتّساؤل عن ردّة فعل الملك اتّجاه سؤال الأرنب فيروز، هل مردّ ذلك أنّه في وضعية المسيطَر عليه الضعيف العاجز عن مواجهة خصم يفوقه قوّة فيكون تصرّفه من قبيل الخداع؟ أم أنّه صادق حقّا فيما أظهره؟ وهو ما جعله يستعين بمربّع الحقيقة العلامي[1](المربّع التّصديقي) على النّحو الآتي:

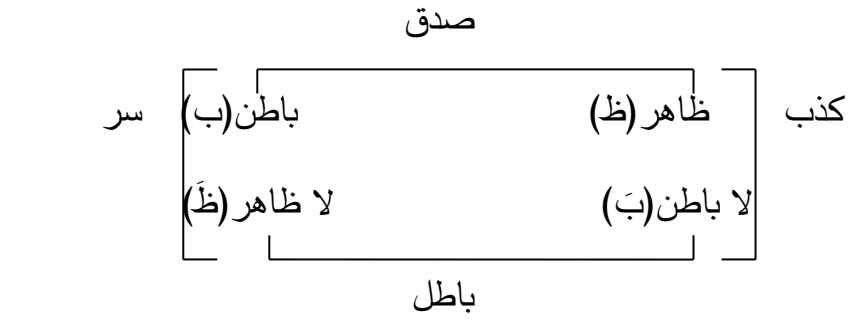

استخلص محمد النّاصر العجيمي من خلال استعانته بمربّع الحقيقة العلامي أنّ ملك الأرانب كان يتكلّم من موقع صدق مع رعيته، انطلاقا من الصّور المحدّدة لمفهوم المصداقية، والّتي كان له نصيب من الكلام عنها في القسم النّظري من الكتاب، وهو ما يُحسب له لقدرته على تكييف مفاهيم الجهاز الغريماسي مع ما يتوافق والنّص الموضوع للدّراسة، وفيما يأتي عرض موجز عنها لتوضيح كيفية معرفته لنوايا الملك.

– إذا كانت العلاقة الحالية في كلا المستويين موسومة إيجابا (باطن+ ظاهر) استقامت في مرتبة الصّدق.

– إذا وُسمت العلاقة بالسّلب في كلا المستويين (لا باطن+ لاظاهر) حُكم عليها بالبُطلان.

[1]: المصدر السّابق، ص127.

– إذا كانت العلاقة الحالية مُحدّدة سلبا في مستوى التّجلي، وإيجابا في المستوى الآخر (لاظاهر+ باطن) استوت في منزلة السّر.

– وأخيرا إذا كانت العلاقة الحالية محدّدة إيجابا على مستوى التّجلي وسلبا في المستوى الآخر (ظاهر+ لا باطن) فإنّ العلاقة تكون في منزلة الكذب[1].

كان هذا فيما يتعلّق بمدى صدق أو كذب الملك، أمّا فيما يتعلّق بالدّور الغرضي الّذي أدّته الأرنب فيروز، فيرى أنّه يتلخّص في كفاءتها وقدرتها على توظيف "المعرفة لتعويض ما تفتقر إليه من قدرة مادّية خدمة لمصلحة الجميع، ووصولا لتحقيق الهدف المقصود، وهو صرف الفيلة عن فضائها المألوف"[2]، والممّيز في تحليله لحدّ الآن اعتماده على التّرسيمات والصّيغ لتوضيح الحالة الّتي آلت إليها الأرانب، واختصار ما قامت به هي والفيلة، وهو ما نلفيه بجلاء ومرّة أخرى في نهاية تحليله لهذا المقطع السردي أين قام باختصار المشروع الّذي تتهيّأ الأرنب فيروز للقيام به في هذه الصّيغة البيانية:

ت(ف3) ⟵ [(ف2 U م) ⟵ (ف2 ∩ م)]

[(ف1 ∩ م) ⟵ (ف1 U م)]

⟵ [(ف2 U ف1) ⟵ (ف1 ∩ م U ف1)][3]

يمثل حرف (ف3) الأرانب الفاعلة، و(ف2) مجموعة الأرانب، و(ف) الفيّلة.

القسم الثالث: ويشمل الجزء الأخير مِن الحكاية وقد جعله محمد النّاصر العجيمي مقتصرا على عرض الخطة الّتي اعتمدتها فيروز لصرف الفيلة عن العين، وتمّت حسبه عبر أربعة مراحل.

---

[1]: ينظر، محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص68/69.

[2]: المصدر نفسه، ص128.

[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المرحلة الأولى: مرحلة الاستعانة بالمساعد، وهو ما تمّ استخلاصه من هذا المقطع: "**ثمّ إنّ الأرنب انطلقت في ليلة قمراء حتّى انتهت إلى الفيلة**"[1]، الّذي رأى محمد النّاصر العجيمي أنّ دلالته لا تتعدّى التّعريف بالظّرف الزّمني الّذي شرعت فيه الأرنب فيروز بتنفيذ خطّتها والّذي تزامن مع تنفيذ المشروع، متسائلا في الآن ذاته عن خروج الأرنب فيروز في تلك اللّيلة وفي ذلك الوقت بالتّحديد هل كان متعمّدا لتطبيق خطّة معدّة مسبقا مقصودة، أم أنّه تمّ صدفة؟؟؟[2] ليُدرك لاحقا ومن خلال السّياق النّصي أنّها أتت فعلها عن عمد حيث سيكون للقمر والضّوء الصّادر عنه دور المساعد في إنجاز المشروع وتحقيق مطلبها، وهو ما يفسّر سبب خروجها في ليلة قمراء.

المرحلة الثانية: الموضوع المؤهّل: تعمّدت الأرنب فيروز في هذه المرحلة تسلّق الجبل، لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ ما قامت به ليس خوفا من أن تدوسها أقدام الفيلة، وإن كان ذلك عن غير عمد حسب ما ورد في هذا المقطع السّردي: "**وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهنّ فيقتلنها وإن كنّ غير متعمّدات، فأشرفت على الجبل**"[3] بل لمُخاطبة الملك لأنّ ذلك –تسلق الجبل– في اعتقادها سيُكسِبها هيبة ومكانة وقدرة ما كانت لتكتسِبها لو كانت في الأسفل، وهو ما أقرّه محمد النّاصر العجيمي انطلاقا من قناعته بأنّ "العلوّ يتحدّد بقدرته على أن يكون"[4]، وما إيمان الأرنب فيروز بكفاءتها وقدرتها على تنفيذ المشروع الّذي تسعى لأجله وجرأتها على مخاطبة ملك الفيلة دليل على ذلك.

المرحلة الثالثة: الخطاب: والمراد به الخطاب الّذي وجّهته الأرنب فيروز لملك الفيلة وهذا نصّه "**ونادت ملك الفيلة وقالت له: إنّ القمر أرسلني إليك والرّسول غير ملوم فيما يبلغ وإن اغلظ في القول، قال ملك الفيلة فما الرسالة؟ قالت يقول لك إنّه مَن عرف فضل قوّته على الضّعفاء فاغتر في شأن الأقوياء قِياسا لهم على الضّعفاء كانت قوّته وبالا عليه، وأنت قد**

---

[1]: الأرانب والفيلة لابن المقفّع، نقلا عن محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص128.

[2]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، الصفحة نفسها.

[3]: الأرانب والفيلة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر نفسه، ص129.

[4]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص130.

عرفت فضل قوّتك على الدّواب فغرّك ذلك فعمدت إلى العين الّتي تسمّى باسمي فشربت منها وكدّرتها فأرسلني إليك فأنذرك أن لا تعود إلى مثل ذلك، وأنّك إن فعلت يغشى على بصرك ويتلف نفسك، وإن كنت في شكّ مِن رسالتي فهلّم إلى العين من ساعتك فإنّه موافيك بها"[1].

ذهب محمد النّاصر العجيمي في تحليله لهذا المقطع السّردي إلى القول بأنّ لِـ" المُلابسات الحافّة بعمليّة التّلفظ دورا حاسما في تكييف صِيغة البلاغ فهذا لا يفهم فهما عميقا إلاّ في ضوء تلك وعلى أساسها ما يَهُمّنا في مجال تحليل مُلابسات الخطاب المعني هو أنْ نتعرف وضعية كلّ مِن المتخاطبين مِن حيث الكفاءة كما يُوهم بها ويفهمها هذا الطرف أو ذاك"[2]؛ فمثلا استعمال الأرنب فيروز في مخاطبتها لملك الفيلة لهجة حادّة في البداية، وفي مكان عال كالجبل كان مُتعمّدا ومُخطّط له مسبقا فرضته مُلابسات الخطاب، وحتّى تتجنب ردّة ملك الفيلة الّتي كان يُفترض أن تكون أحدّ مِن خطابها نجدها قد التمست لنفسها العذر بحُجّة أنّها رسول ناقل للرّسالة مِن عند القمر فجاء خطابها بعد ذلك بأسلوب ليّن مُخالف لما نادته به في الأول لا يمكن إدراك سببه ما لم ندرك ملابساته ودواعيه، وأيضا في تعريفها لهوّيتها لملك الفيلة على أنّها مُرسلة مِن القمر تدعّي القيام –حسب تحليل محمد النّاصر العجيمي– بدور عاملي يتجلّى في كونها فاعل مفوّض مِن مُؤت ضديد يفترض أنّه يمتلك القدرة بحكم علوّ موقعه، أمّا مضمون الطّلب فيتلخّص –دائما حسب تحليل محمد النّاصر العجيمي– في إصدار المُؤتى الضديد(القمر) أمرا يقضي بأنّ تُخلي الفيلة موطن الأرانب ويشفع بتهديد صارم مفاده أنّ عصيان أمره يؤول إلى إنزال العِقاب وإلحاق الأذى بها[3].

المرحلة الرّابعة: الجزاء: ينصاع ملك الفيلة وراء كلام الأرنب فيروز ويذهب معها إلى العين وهو ما نستشفه مِن خلال هذا المقطع السّردي: "**فعجب ملك الفيلة مِن قول الأرنب فانطلق إلى العين مع فيروز الرّسول، فلما نظر إليها رأى ضوء القمر فيها فقالت له فيروز: خذ بخرطومك**

[1]: الأرانب والفيلة لابن المقفّع، نقلا عن المصدر السابق، ص112.

[2]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص130.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص132/131.

مِن الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر، فأدخل الفيل خرطومه في الماء فتحرّك فخُيِّل إلى الفيل أنّ القمر ارتعد فقال: ما شأن القمر ارتعد أتراه غضب مِن إدخالي الخرطوم في الماء؟ قالت فيروز الأرنب: نعم، فسجد الفيل للقمر مرّة أخرى وتاب إليه مِمّا صنع وشرط أن لا يعود إلى مِثل ذلك ولا أحد مِن فيلته"[1] ليخلص في الأخير إلى أنّه لولا معرفة الأرنب فيروز بجهل وقلّة دهاء ملك الفيلة وبحقائق الطّبيعة لما تمكّنت مِن تحقيق ما انطلقت لأجله منذ بداية الحكاية.

لكن ما يلفت الانتباه حول ما عرضه محمد الناصر العجيمي لحدّ الآن عدم استعانته بترسيمات عاملية رغم إشارته في أكثر من موضع إلى العوامل القائمة بالفعل (الأرنب فيروز، السماء، القمر والضوء، ملك الأرانب، ملك الفيلة) يوضّح من خلالها الدور الّذي أدّاه كلّ عامل في كلّ مقطع سردي؛ فمثلا "السّماء" بمنعها سقوط المطر على أرض الفيّلة أدّت دور المعارض، والفيّلة باعتدائها على الأرانب ومنعهم من العيش بسلام أدّت هي الأخرى دور المعارض، والقمر الّذي ساعد الأرانب في تنفيذ خطّتها لعب دور المساعد، وفي تبليغ الأرنب فيروز رسالة القمر إلى ملك الفيّلة حتّى يرحلوا من الأرض نجدها تؤدّي دورا آخر غير الّذي أدّته سابقا، وأيضا ملك الفيّلة الذي يقوم بحماية الفيّلة وتوفير الأمن لهم، والفيّلة في لجوئهم إلى الملك واستناجدهم بهم يؤدّون دورا آخر، وهو ما لم يتطرّق إليه محمد الناصر العجيمي حيث اكتفى فقط بتقديم جدول يُلخص مُختلف الأدوار الغرضية الّتي قام بها القائمون بالفعل (ملك الفيلة، وملك الأرانب وفيروز) وصِفاتهم وما يوافقها مِن مشاريع على النّحو الآتي عرضه:[2]

المشاريع العلمية	ملك الفيلة	ملك الأرانب	فيروز
مشروع1: شكوى الفيلة إلى الملك حالها	ناصح وحريص على مصلحة رعيته.		

[1]: الأرانب والفيلة لابن المقفّع، نقلا عن محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص113/112.

[2]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص134.

مشروع2: توجه الفيلة إلى العين وإهلاكها عددا من الأرانب.	ظالم ومعتد على فضاء غيره.	معتد عليه وعلى رعيته وعاجز عن المقاومة.	
مشروع3: استشارة ملك الأرانب "رعيته" وعرض فيروز للقيام بمهمّة لدى الفيلة لصرفها عن العين.		يعامل أعوانه ورعيته برفق. مسالم في علاقته بالآخر.	مبدية استعدادها لخدمة المجموعة.
مشروع4: تنفيذ فيروز خطّتها.	غبي، جاهل، مطيع.		– عارفة وذكية.

دُون إرفاق جميع المشاريع بترسيمة عاملية خاصّة بها لِتبيان اختلاف موقع بعض العوامل والدّور الّذي أدّته في مشروع دون غيره؛ فمثلا في مشروع تنفيذ فيروز خطّتها في ليلة قمراء نلاحظ وبالعودة إلى ما أورده العجيمي في المقاطع السردية السابقة أنّ المرسل في هذا المشروع هو فيروز، والمرسل إليه ملك الفيلة، والمساعد ضوء القمر، والمعارض هو الخوف، أمّا الموضوع فهو الرحيل، وبناء على هذا تكون الترسيمة العاملية على النّحو الآتي:

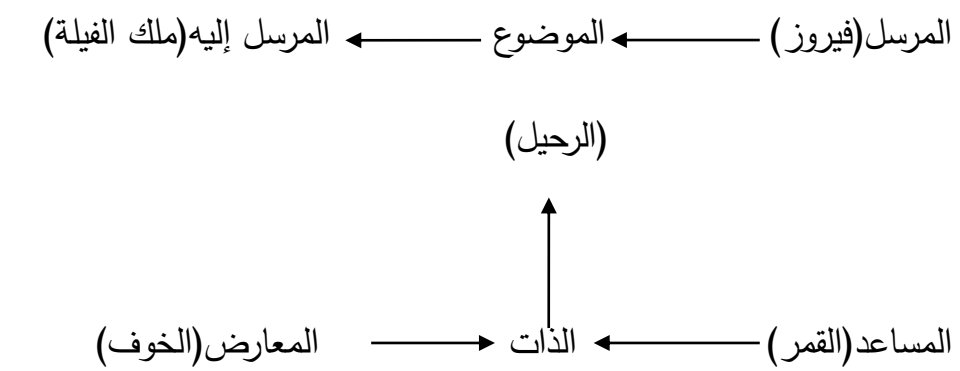

أمّا في المشاريع الثّلاثة الأخرى المتبقية فنلاحظ اختلاف مواقع القائمين بالفعل على نحو ما سنعرضه في الجدول أدناه:

المرسل(المؤتى عند العجيمي)	المرسل إليه(المؤتى إليه عند العجيمي)
الملك	الأرانب
الأرانب	الملك
الملك	فيروز
الملك	فيروز

ودُون الإشارة إلى باقي العوامل الأخرى الّتي لا تقلّ أهميتها عن باقي العوامل الّتي اكتفى بذكرها وعرضها في الجدول كالسّماء الّتي لعبت هي الأخرى دورا غرضيا سلبيا تجلّى في منع المطر من النزول على أرض الفيلة ما كان سبب في حدوث الجفاف، والقمر الّذي لعب دورا غرضيا إيجابيا تجلّى في مساعدة الأرنب فيروز ببث الرّعب والخوف في ملك الفيلة.

يواصل محمّد الناصر العجيمي تحليله لنص "الأرانب والفيلة" وهذه المرة بالوُقوف عند الأقطاب الدّلالية العاكسة للبِنية الدّاخلية العميقة للنّص والمُؤسّسة لتركيبته النّحوية المُتجلّية على السّطح وعرضه لها مُقدّما في نهاية التّحليل مُخطّطا يُلخّص مُختلف النّتائج الّتي يُمكن استخلاصها مِن خِلال إسقاط ثُنائية (معرفة/ جهل) وهي في ظنّه –محمد النّاصر العجيمي– "الثّنائية الرّئيسية المُولّدة للنّص والجامعة للثّنائيات الدّلالية بمُختلف تفرعاتها"[1] لأنّ الإنسان أينما كان وأينما حلّ فإنّه ينال نصيبا مِن السعادة بمقدار ما يُجيد مِن المعرفة، وفي المقابل ينال أيضا نصيبا مِن التعاسة بِقدر ما لا يُجيده مِن المعرفة معتمدا في ذلك على قدر كاف مِن

[1]: محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص138.

مصطلحات المفاهيم الإجرائية للسِّيميائية السّردية، والّتي كان استحضار محمد النّاصر العجيمي لها حسب ما يقتضيه مقام التّحليل، وقد وفّق في ترجمة أغلبها باستثناء بعض منها لاعتماده على جهده الفردي في ترجمتها، نذكر منها على سبيل التّمثيل: المؤتى بدلا من المرسل، المؤتى إليه بدلا من المرسل إليه، علم الدّلالة بدلا من السّيميائية في القسم الأوّل من الكتاب، هذا الأخير الّذي قد يشوّش القارئ للوهلة الأولى بأنّ ما يقصده النّاقد من مصطلح "علم الدلالة" علما آخر وليس السّيميائية.

وفيما يأتي جدول يُلخّص تمظهر السِّيميائية السّردية في خطاب الممارسة التّطبيقية عند محمد النّاصر العجيمي على نحو ما عرضناه مع رشيد بن مالك مرجئين الحديث عمّا تفرّد وتميّز به أحدهما عن الآخر إلى حين انتهائنا مِن الكشف عن مقاربة سعيد بنكراد انطلاقا مِن قناعتنا بأنّ تِبيان مواطن التّآلف والتّخالف بين هؤلاء النّقاد لن يتأتّى لنا دون تقديم قراءة تحليلة لكلّ مدوّنة على حدة للكشف عن كيفية تحليل كلّ ناقد:

عنوان المقاربة	العناصر المعتمدة في دراستها من قبل محمد النّاصر العجيمي	أبرز المفاهيم الإجرائية للسِّيميائية السّردية المعتمدة فيها
مقاربة سيميائية لنص الأرانب والفيلة من كليلة ودمنة[1].	الكشف عن البِنية الدّاخلية للنّص. الكشف عن البِنية السّطحية للنّص. تحليل الأقطاب الدّلالية المولدة للنّص.	المُؤتى، المُؤتى إليه، الموضوع، الذّات، المساعد، المُعارض، النّموذج العاملي، القائم بالفعل، المربّع العلامي، فصلة، وصلة، الخطاطة السّردية، الفضاء، الإنجاز، الدّور العاملي، الأقطاب الدّلالية.

[1]: المصدر السّابق، ص 109.

المبحث الثّالث: تمظهر السِّيميائية السّردية في خطاب الممارسة التّطبيقية عند سعيد بنكراد

حاول سعيد بنكراد مِن خِلال كِتابه "سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا" تطبيق بعض مِن مفاهيم السِّيميائية السّردية على رواية الشّراع والعاصفة تحت عنوان "الشّخصيات بين الأطروحة والبِناء الفنّي (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة) نموذجا" مُركّزا في تحليله على هذه العناصر:

- النّسق الإيديولوجي وبناء الشّخصيات
- نسق الشّخصيات والبِناء العاملي

3-1 النّسق الإيديولوجي وبِناء الشّخصيات: صرّح سعيد بنكراد قبل شُروعه في عمليّة التّحليل إلى الإشارة بما سيقوم به في هذا الجزء التّطبيقي مِن الكتاب عامة بحُجّة أنّ "النّظرية لا تغني ولا تخضع للمُراقبة إلاّ مِن خِلال احتكاكها بالنّصوص، والنّصوص وحدها هي الكفيلة بالكشف عن مردودية النّظرية أو محدوديتها"[1]، ومِن جُملة الاعتبارات الّتي أخذ بها لضبط نمط الاستثمار الدّلالي للشّخصية:

- مُحاولة دمج مجموع العناصر النّظرية الّتي تمت الإشارة إليها في القسم النّظري واستيعابها داخل التّعريف الّذي أعطاه غريماس لِلمُمثّل بوصفه بُؤرة تقاطع بين مُكوّنين اثنين: مكوّن تركيبي ومكوّن دلالي.

- لابد للكسيم باعتباره مُمثّلا أن يكون حاملا لدورين على الأقل؛ دور عاملي، ودور ثيمي حتّى يتشكّل.

- إنّ أيّة محاولة للإمساك بنمط الاستثمار الدّلالي لِلشّخصية لابد أن تتم مِن جهة عبر رصد الأدوار العاملية الّتي تعد استعادة استبدالية لمجموع التحوّلات المُسجّلة داخل النّص، وتتّم

[1]: سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص127.

مِن جهة ثانية مِن خلال رصد سِلسلة القيّم المُسجّلة في الأدوار الثّيمية كقيّم مُثمّنة أو مرفوضة داخل النّص.

– يتم تحديد ماهية الشّخصية داخل النّص الرّوائي مِن خلال تحديد مجموع العناصر المُشكّلة لِلكون الدّلالي المُؤطّر للنّص.

– لرصد مدى تطابق الكينونة مع الفعل داخل الميكانيزم المُؤدّي إلى استشراف نهاية محدّدة لكلّ التّحوّلات المُسجّلة داخل النّص الرّوائي يجب المزج بين إجرائين؛ الإجراء الأوّل ذو طابع سكوني ويتّجه نحو تحديد مُواصفات الشّخصية، والثّاني ديناميكي ويتحدّد مِن خلال رصد الوظائف ونمط تحقّقها وعلاقتها بوظائف الشّخصيات الأخرى[1].

وفي ضوء تحقيق تلك الاعتبارات والمُعطيات كان تركيز سعيد بنكراد في الفصل الأوّل مِن الجزء التّطبيقي للبحث مُنصبا على مقاييس التّمييز وبِنية المُمثّلين لِلتّمييز بين الشّخصيات الثّانوية والرّئيسية لأنّها هي مَن "تقود إلى التّفكير في الشّخصية الرّئيسية"[2].

ومِن أبرز ما أشار إليه قبل شروعه في عملية التّحليل:

– أنّه رغم انتماء الخطاب المُؤطّر داخل الرّواية – بوصف فصلا مُستقلا ضِمن القسم الأول– إلى القسم الأوّل إلاّ أنّه منفصل عنه مِن حيث الوظيفة والاشتغال.

– أنّ الكلام في البداية يكون للسّارد[3]، وهو على شكل حِكمة هذا نصّها: "**المسافة بين العين ومرمى البصر ليست المسافة الوحيدة للرُّؤية، وليست كذلك الأكثر طُولا**"[4].

– أنّ السّارد في هذه الرّواية "سارد مُتعال، مالك لحقيقة مُطلقة، إنّه داخل الشّخصيات

---

[1]: ينظر، المصدر السّابق، ص128/127.

[2]: المصدر نفسه، ص 128.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]: رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا، نقلا عن المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وخارجها، يجمع بين يديه وظيفة السّرد والتأويل، إنّه يصرخ منذ البداية أنّه بين يديه قصّة، وأنّه سيروي هذه القصّة، والحِكمة الّتي تتصدّر كلامه، وتفتح بها الرّواية هي خلاصة لهذه القصة"[1] فهي –الحكمة– سابقة على الأحداث على مستوى السّرد، ولاحقة عليها على مستوى القصّة.

لينتقل بعدها مُباشرة إلى استقراء الشّخصيات انطلاقا مِن مُختلف المقاطع الحكمية الموجودة في الرّواية، بوصفها مرجعيات مساعدة على كشف دلالة مُكوّنات العمل الرّوائي لقناعته –سعيد بنكراد– بأنّها:

– تُمثّل مُنطلقا لمجموعة مِن التّمييزات تبدأ بالحواس وتنتهي بالمُواصفات والوظائف الّتي تقوم بالتقاطها عين السّارد لتُودعها لاحقا داخل كيان الشّخصيات الفاعلة في نص الرواية.

– تُمثّل سِلسلة مِن الأفعال المُمكنة المُسنّنة داخل نسق ثقافي مُعيّن فكما كانت –الحكمة– نتيجة سيرورة مِن الأفعال الإنسانية فإنّها ستكون منطلقا لسِلسلة مِن الأفعال المُمكنة، وستحتوي في داخلها على برامج سردية مُمكنة قابلة لأن تتحيّن في أية لحظة، وكما هو الشّأن مع الصّفات الاجتماعية، حيث إنّ كلّ نعت هو في حدّ ذاته فِعل ممكن مثل فلاح، طبيب، أستاذ.

– تختزل في طيّاتها برامج للفعل مُحدّدة لدائرة فعل الذّات وراسمة لتُخوم وطبيعة هذا الفعل، وتحتوي على سِلسِلة مِن النّعوت الّتي تُسهم استقبالا في تَمييز الذّات عن باقي الشّخصيات الأخرى، وتحديدها كبطل، أي كمركز توجيه داخل السّرد، وداخل القصّة.

– تعمل على طرح سِلسِلة مِن النّعوت الضّمنية ستُبنى الذّات على أساسها كبطل، ويُبنى على أساسها أيضا الكون الرّوائي كعالم مِن القيّم يُحيل على نفسه بنفسه، فإرساء عالم مِن القيّم العامة داخل النّص هو بالأساس إرساء لمرجعية داخلية لا تغني عن المرجعية الخارجية[2].

تنطلق عملية الافتتاح السّردي –حسب ما أقر به سعيد بنكّراد– مِن التّمييز (التّمييز المُولّد

[1]: سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص129/128.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص130/129.

لِلقصّة) كنُقطة حاسمة في تنصيب الذّات(المركز التّوجيهي) كمحفل رئيسي داخل الكون الرّوائي، إنّها تقوم بتثبيت هذه الأفعال –التّمييز، التّنصيب– في زمان ومكان مُحدّدَين، وكأنّنا أمام نُقطة التّواصل الأولى بين السّارد والمسرود له، هو في حقيقة الأمر لا يمكنه أن يتم – التّواصل– في شكله الأفضل مِن خِلال "الكلام الحكمي" بل مِن خِلال التّجسيد الزّماني والتّجسيد الفضائي، لأنّه هو مَن يُعطي المِصداقية للمسرود الآتي، وهو ما يُرسي عناصر سنن مشترك بين محفل البث ومحفل التّلقي، ولذلك فإنّه يستحق أن يكون منطلقا لتحديد البطل[1].

ونلمس فيما أورده النّاقد للتّو إشارة صريحة بأنّ تَمييز البطل لن يتم إلاّ مِن خِلال التّجسيد الزّماني والفضائي (الزّمضائي) وبالأخص الفضائي ذلك أنّ "عملية الإرساء الفضائي داخل عملية التّسريد بالإضافة إلى كونها تُحدّد الإطار الّذي ستتم داخله مُجمل الأفعال التّأهيلية والإنجازية، تقوم بتحديد العنصر الّذي ستتم مِن خِلاله عملية مُقابلة الشّخصيات فيما بينها، فالإطار الفضائي الّذي تتحرك داخله مجموع الشّخصيات واحد، ولكن طبيعة العلاقة الّتي تربط كلّ شخصية على حدة مع البحر(الشّاطئ) مُختلفة"[2] تماما، فلكلّ شخصية نظرتها الخاصّة للبحر –رغم أنّه واحد– تأتّت لها مِن خلال ما اكتسبته مِن وعي ثقافي، وبناء على هذا قام سعيد بنكراد بتحليل شخصيات النّص الرّوائي انطلاقا مِن وعيها وسياقها الثّقافي الخارج نصّي، وليس انطلاقا من دلالتها داخل النّص الرّوائي الموضوع للدّراسة على نحو ما دعا إليه غريماس الّذي لم يول اهتماما بالسّياق الثّقافي في نظريته.

يُواصل سعيد بنكّراد حديثه عن أهمية التّجسيد الزّمضائي في تَمييز الشّخصيات؛ إذ ينتقل مُباشرة بعد فراغه مِن الحديث عن الفضاء إلى الحديث عن أهمية الزّمن قائلا:"وإذا كان الفضاء يشتغل كعُنصر وظيفي داخل الخطاطة السّردية فإنّ الزّمن باعتباره رديفا للفضاء، يقوم هو الآخر بنفس الوظيفة، وهذا الزّمن ليس زمن القصّة ولا زمن الحكي، ولكنّه زمن المرجعية

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص132.

[2]: المصدر نفسه، ص135/134.

الدّاخلية، وما نعنيه بالمرجعية الدّاخلية هو زمن العلاقة، مع البحر(الشاطئ): علاقة الشّخصيات داخل الزّمن بالبحر إنّه زمن نفسي، زمن العذاب والتّربص والتّصبر والانتظار عند البعض (الطروسي)، وزمن الانفلات مِن قيُود اليومي والعادي عند البعض الآخر"[1]، لِيخلُص في الأخير إلى أنّه إذا كانت الشّخصية الرّوائية لا تتحدّد مِن خِلال الفعل الّذي تقوم به الوظائف فقط بل مِن خِلال علاقتها بالشّخصيات الأخرى أيضا فإنّ عملية توزيع المُواصفات داخل النّص الرّوائي على شخصيات مُتعدّدة تعدّ عنصرا رئيسيا في تشكّل الذّات وفي بناء عالمها القيمي، وفي دخولها في علاقة تقابل أو تكامل أو تطابق مع شخصية أخرى، فهي – المواصفات– وحدها المساعدة على التّمييز بين الشّخصيات خاصّة وأنّها تعدّ جزء مِن عملية تسريد الزّمان والمكان[2].

وتأسيسا على ما سبق قام بتقسيم الخطاب المُؤطّر للنّص الرّوائي المدروس إلى قسمين؛ قسم تُهيمن عليه الملفوظات الوصفية، وآخر تسُوده الملفوظات السّردية[3]، لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ التّقسيم الّذي قدّمه سعيد بنكّراد لا يعني غِياب الملفوظات الوصفية في القسم الّذي يحتوي على الملفوظات السّردية أو العكس بل هما متواجدان في كِلا القسمين لكن بشكل متفاوت، ولكلّ منهما وظيفتها الخاصّة بها؛ فمثلا وظيفة الملفوظات الوصفية تتجلّى في تحديد هُوية الذّات مِن خِلال تمييزها عن باقي الشّخصيات الأخرى، وتشتغل الموضوعات المتضمّنة فيها – أي في الملفوظات الوصفية– على المُستوى التّركيبي كإطار يُحدّد إمكان الفعل الّذي تختزله الذّات، أما على المستوى الدّلالي فإنّها تُحدّد مِن خلال الأدوار الثّيمية الكون الأخلاقي الّذي تصدر عنه الذات والسارد[4]، أمّا الملفوظات السّردية فإنّها تُشكّل نقلة نوعية في اتّجاه إرساء توجه جديد للسّرد يأخذ على عاتقه مُهمّة استثمار العناصر المُنتقاة وصفيا داخل

[1]: سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص136.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص 136/ 137.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص137/ 138.

[4]: ينظر، المصدر نفسه، ص 137.

الخطاطة السّردية، وتلك النقلة هي نتاج تقليص مزدوج؛ تقليص يتم على المستوى الوصفي والمتعلّق بوصف الفضاء، ويتجلى ذلك في تضييق الدّائرة الفضائية الّتي تتحرّك داخلها الشّخصيات، وآخر يتم على المستوى السّردي ويتجلّى في كون الفعل السّردي قد حدّد لنفسه مركزا توجيهيا يتلخّص في شخصية الطّروسي كنقطة استدلالية لمجمُوع الشّخصيات الأخرى، وبنفس القوّة سيُصبح المقهى – يقول سعيد بنكّراد– النّقطة الفضائية المركزية لكلّ الأحداث التي ستأتي لاحقا[1]، وهكذا حاول سعيد بنكّراد الإحاطة بمُختلف مُكوّنات الخطاب المُؤطّر للنّص الرّوائي، هذا بالإضافة إلى قِيامه بتحديد نمط اشتغال ذلك الخطاب وموقعه داخل الإطار العام له –النّص الروائي–.

كان هذا فيما يتعلّق بمقايِيس التّمييز أمّا فيما يتعلّق بِبنية المُمثّلين فقد سعى سعيد بنكّراد مِن خِلال هذا العنصر، وانطلاقا مِمّا صرّح به إلى تجاوز حُدود ما هو معطى في الخطاب المؤطّر مِن أجل وضع الشّخصية ضِمن السّياق العام للنّص الرّوائي، وضِمن النّسق الدّلالي العام الّذي يُؤطّر النّص، لأنّ السّمة الدّلالية للشّخصية ليست ساكنة ومُعطاة بشكل قبلي يتعيّن علينا فقط أن نتعرّف عليها، ولكنّها بناء يتّم اطّرادا لزمن القراءة، زمن المُغامرة الخيالية إنّها "شكلٌ فارغٌ" تقوم المحمولات المختلفة بملئها(الأفعال والصفات)، فهي دائما وليدة مُساهمة الأثر السّياقي للتركيز على الدلالات السياقية، ونشاط استذكاري وبناء يقوم به القارئ[2] فجاء تركيزه مُنصبا على:

– المحمولات المُواصفاتية المُساهمة في تحديد الشّخصية إمّا بالإحالة على خصائصها الطّبيعية أي خصائِصها الذّاتية(الخصائص الفيزيولوجية، الانتماء العائلي أو الطبقي أو الجغرافي..) وفي هذه الحالة يكون تحديدها إيجابا، وإمّا بالإحالة على مواصفات شخصيات أخرى مالكة لمواصفات مشابهة أو مخالفة للأولى؛ أي وضع الشّخصية في تقابل مع الشّخصيات الأخرى فيكون تحديدها سِلبا، وكلا

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص145/144.

[2]: ينظر: فيليب هامون، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائية، ص28.

التّحديدين يستند إلى وضع كلّ فعل صادر عن أحد الشّخصيتين داخل النّص الرّوائي[1]؛ فمثلا شخصية الطّروسي تتميّز في الرّواية عن باقي الشّخصيات الأخرى بالاستمرارية على مستوى السّرد وعلى مستوى القصّة، والخليط الرّئيسي المُؤدّي إلى تشكيل كينونة الشّخصيات الأخرى، فالطّروسي هنا يمكن النّظر إليه كمرجعية قيميّة تُقاس عليها كلّ القيّم المبثوثة في النّص، وما تنصيبُه كشخصية رئيسية داخل الرّواية –يقول سعيد بنكّراد– إلاّ "مِن خِلال عملية توزيع الوظائف (الوظيفيّة بمفهومها العادي، أي كدور ثيمي: بحار، قهوجي، عامل ...)"[2].

وما هو حريّ بنا التّنويه إليه –انطلاقا مِن قراءتنا لتحليل سعيد بنكّراد– أنّ عملية توزيع الوظائف لِلشّخصيات لابد أن تخضع لمُقتضيات السّنن الخاص بكل وظيفة؛ معنى هذا أنّ إسناد وظيفة ما لشخصية ما يترتب عنه اختيار سردي خاص ومُطابق مع هذه الوظيفة وأبعادها مِن جهة، ويخضع مِن جهة ثانية لعمليّة توزيع الشّخصيات داخل الكون الرّوائي وتحديد موقع كلّ شخصية مِن الحدث الرئيس ومِن الشّخصية الرّئيسية.

وبِناء عليه فإنّ عملية توزيع الوظائف داخل النّص الرّوائي تتّبع نمطا خاصا لا يُفهم إلاّ مِن خلال الاستراتيجية العامة لهذا النّص؛ فالطّروسي مُحدّد سلبا بوظيفة يرفضها (القهوجي)، ومُحدّد إيجابا بوظيفة يحلم بالعودة إليها (البحار)، والحال نفسه مع دراسة المواصفات والصّفات المُميّزة للشّخصية الرّئيسية داخل النّص الرّوائي فهي الأخرى أيضا لا تتم إلاّ عبر شبكة مِن الارتباطات، منها ما يتعلّق بتوزيع الشّخصيات حسب القاسم المشترك بينها، ومنها ما يتعلق بموقع ووظيفة كلّ شخصية داخل السّيرورة السّردية المساهمة في إنتاج المعنى[3]، فلِكل ارتباط سننه الخاص به.

وهكذا حاول سعيد بنكراد مُساءلة المواصفات في ذاتها ولذاتها خارج السّياق الّذي يحكم

---

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص148/149.

[2]: المصدر نفسه، ص149.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص150/151.

الشّخصيات، والنّظر إلى بعض المُواصفات باعتبارها قيّما عامة وكونية؛ لكن انطلاقا مِن الطّرح البنكرادي الّذي أولى عناية كبيرة للنّسق الإيديولوجي منذ بداية التّحليل ثم سرعان ما عكف عن إشراكه في ذلك، أليس مِن المفترض أن يتم النّظر إلى تلك المواصفات انطلاقا مِن النسق الإيديولوجي الذي يحكم الشّخصيات؟

قام سعيد بنكّراد لاحقا بإدراج عنصر آخر لتجاوز النّقص الحاصل جرّاء تجاهله السّياق الخارجي والاكتفاء فقط بمُساءلة المواصفات الخاصّة بالشّخصية في ذاتها ولذاتها بعنوان "النّسق الإيديولوجي وبِنية المُمثّلين" حاول مِن خِلاله الحديث عن كيفية إدماج الشّخصية الرّئيسية (الطّروسي) داخل النّسق العام للشّخصيات، لأنّه –النّسق المتكوّن مِن عملية الإدماج– هو الّذي يحدد معنى أيّة مواصفة وأيّ فعل صادر عن هذه الشّخصية أو تلك، وهو ما يتطلب تحديد المحاور العامة الّتي تحكم مجموع الشّخصيات، وموضعة الطّروسي داخله كقطب مرجعي أساسي[1].

هذا وأشار في ذات السّياق إلى أنّ السّبيل إلى دراسة نسق الشّخصيات يكمن في تفكيك كل صورة إلى صفات مُميّزة، والقيام بعدها بجعل تلك الصّفات المُميّزة الّتي يتم استخلاصها بعد القيام بعملية التّفكيك في علاقة تقابل أو تطابق مع الصّفات المُميّزة للشّخصيات الأخرى المنتمية إلى نفس النسق، وما أثاره بنكّراد هنا يعكس نظرة جديدة له تأخذ على عاتقها مقابلة الشّخصيات فيما بينها، ومقابلة الطّروسي بمجموع الشّخصيات الأخرى بُغية الإمساك بكون دلالي (إيديولوجيا) يُؤطّر النّص بشكل صريح أو ضمني، والتّعرف عليه مِن خِلال قراءةٍ لِلسّلوك والخطاب في ضوء مجموعة مِن السّنن الّتي تعدّ عماد أيّ نص ثقافي والبحث عن الإيديولوجيا في اللاّوعي وليس في سلوك معيّن أو خطاب معيّن سواء تعلّق الأمر بالخطاب الحامل لحقيقة مطلقة (الحكم مثلا) أو تعلّق بموقف يجب إسقاطه على سلوك مرجعي والتّماهي

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص154.

مع صورة مؤسّسته للفرد مِن طرف الوعي الجماعي[1].

ومِن أبرز ما قام به سعيد بنكّراد في هذا العنصر توزيع الشّخصيات في مجموعتين؛ تضم المجموعة الأولى: الطّروسي، الأستاذ كامل، أبو حميد، خليل العريان، مصطفى، أبو سمرا، أحمد، البحارة، أم حسن، الرحموني، أمّا المجموعة الثّانية فتضم أبو رشيد، نديم مظهر، إسماعيل كوسا، صالح بن برو[2]، يُضاف إليها مجموعة أخرى غير محدّدة إسميا، تضمّ الكائنات الّتي تتحرك داخل دائرة هذه الشخصية أو تلك، وهذه الدّائرة محدّدة مِن خلال عُنصرين اثنين؛ أوّلها الانتماء السّياسي فكل شخصية مُحدّدة مِن خلال انتماء إلى حزب سياسي مُعيّن، وثانيها الانتماء الاجتماعي الطّبقي، فكل الشّخصيات مُحدّدة طبقيا بانتمائها إلى فئة المستغلّين (الميناء أبو رشيد، النقل نذير مظهر، المقاهي اسماعيل كوسا)[3] بحيث تتمتّع كل مجموعة بسِلسِلة مِن العلاقات، ومِمّا تجدر الإشارة إليه هنا أنّ ما أورده سعيد مِن شخصيات في هذين المجموعتين لا يُمثّل جميع الشّخصيات الموجودة في الرّواية بل هناك شخصيات أخرى لم يأت على ذكرها لأنها لا تشارك مباشرة في الفعل وبالتّالي فإنّ عملية تصنيفها صعب نوعا ما كشخصية ماريا –الّتي أحبها الطّروسي في ميناء مِن الموانئ الّتي زارها– وشخصية جميل سعود والإيطالي.

نقطة أخرى نوّه إليها سعيد بنكّراد فحواها أنّه إذا كانت هذه العناصر هي ما يجمع بين المجموعة الأولى والثّانية فإنّ هناك عناصر أخرى تُفرّق بينهما، ذلك أنّ المجموعتين معا لا تتحدّدان مِن خِلال المواصفات، فمواصفاتهما مُعطاة داخل النّص الثّقافي العام، وليس مِن خِلال سلوك فردي مُميّز؛ فمثلا المجموعة الثّانية –يقول سعيد بنكّراد– هي عكس المجموعة الأولى وتتميّز باحتلالها لمواقع تركيبية دافعة للخيط السّردي لكن هذا لا يعني أنّ المجموعة

[1]: ينظر، المصدر السّابق، ص155/154.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص155.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص162/161.

الأولى محرومة مِن أيّ وُجود يتحقّق على شكل برنامج وقد تكون له امتداداته السّردية[1].

أضف إلى ذلك وقوفه عند نمط توزيع المواصفات مُعتبرا أنّ هذا الأخير والوظائف لا يختلف في شيء عن نمط اشتغالهما، فكلا الحالتين محكومة بالاستراتيجة العامّة لِلنّص الرّوائي؛ فمثلا إذا كان الهم الرّئيسي للفعل السّردي هو ربط الحاضر بالماضي (فضائيا وقيميا)، فإنّ عملية توزيع المواصفات تأخذ هذه الخاصية منطلقا رئيسيا لها، وما يميّزها –عملية توزيع المواصفات– هو التّقاطع بوصفه صفة ملازمة للفعل السّردي مِن بداية النّص إلى نهايته ذلك أنّ الحديث عن مواصفة يتمّ دائما مِن خلال تقاطع لحظتين سرديتين مُتباعدتين؛ تنتمي الأولى إلى الماضي والثّانية إلى الحاضر[2] وكأنّ كلّ مواصفة تأتي فقط لتؤكّد المواصفة السّابقة.

3-2 نسق الشّخصيات والبناء العاملي: وقف سعيد بنكّراد مِن خلال الجزء الثّاني مِن دراسته التّطبيقية لرواية الشّراع والعاصفة على العديد مِن العناصر البحثية، لكن ما يُلاحظ عليها أنّها جاءت بعناوين مُبهمة في أغلبها، نذكر منها المواقع والمسارات وبالتّحديد المسارات السّردية المُسجّلة في الرّواية بوصفها ركائز أساسيّة في تتبُّع سيرورات التّحوّلات، هذا بالإضافة إلى إعطاء تركيب لمجموع العناصر المُشكّلة لِلتّرسيمة العاملية والّذي سيتم –حسب ما أشار سعيد بنكّراد– مِن خلال محاولة الرّبط بين المواصفات والأدوار الثّيمية كوحدات خطابية ظاهرة، وبين العوامل كوحدات سردية تركيبية مُستتِرة في أُفق خلق نوع مِن الانسجام بين بِنية المُمثّلين مِن جهة والبِنية العامليةِ مِن جهة ثانية[3]، وما تجدر الإشارة إليه أنّ ما أورده سعيد بنكراد للتّو يقترب كثيرا ممّا ذهب إليه فيليب هامون في معرض حديثه عن العلاقة الموجودة بين بينة العوامل، وبنية الممثّلين على مستوى القراءة والتّجلي.

---

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص162.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص166.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص179.

نوّه "سعيد بنكراد" في افتتاحية هذا الفصل إلى أنّ البِنية العاملية كعنصر تركيبي لا تقوم لها قائمة إلاّ مِن خلال عملية التّقليص الّتي تتم عن طريق التّخلص مِن جميع العناصر الّتي لا يُشكّل حذفها أيّ إخلال بالقصّة، والاحتفاظ فقط بالعناصر الّتي تُشكّل القوائم الرّئيسيّة لِلهيكل الرّوائي، والّذي غالبا ما يتمّ بتجميع المُمثّلين وتحديد وظائفهم ومواصفاتهم، ثمّ إدراجهم في أقسام تمثّل محاور دلالية خاصة، بعدها يتم اعتماد الوظائف الّتي حُدّدت سابقا لمُقاربة واستخراج بِنية دلالية عامة مُنظّمة لِلحكاية تختصر وتكثّف كلّ ما يتعلّق بأفعال الشّخصيات[1]، وهو ما أشار إليه غريماس وأثاره سابقا في معرض حديثه عن ضرورة اختصار وتقليص الوظائف الّتي استخلصها فلاديمير بروب مِن الحكاية الخرافية، وتركيزه على دوائر العمل، لإبراز أهمّية العامل انطلاقا من ارتباطه ووجوده الشرطي مع الدّور.

وما إن يفرغ مِن الحديث عن التّقليص وشُروطه حتّى نلفيه يُعرّج الحديث مُباشرة عن البِنية العاملية، العامل، الدّور العاملي، النّموذج العاملي، التّرسيمة العاملية، مُعرّفا لها تارة، ومُقارنا بينها تارة أخرى، هذا إلى جانب وقوفه عند مُختلف المسارات السّردية الموجودة في الرّواية كمسار البحث المزدوج[2]، مسار الاسترجاع [3]، المسار السّردي الثّاني والمحفل المزدوج[4]، المسار السّردي الثّاني والبِنية السّجالية[5]، والوقوف أخيرا عند مُختلف المواصفات والوظائف والأدوار الثّيمية[6]، حيث قام برصد وتتبّع بقيّة المسارات السّردية الّتي ظهرت شخصياتها مع الانتقال إلى المسار الثاني، لقناعته بأنّ ذلك سيمكّنه مِن تتبع سيرورة التّحولات الحاصلة في الرّواية، وربط ما هو خطابي ظاهر(الأدوار الثّيمية) بما هو سردي عميق (عوامل وممثلين)، وفي هذا إشارة واضحة إلى سعيه الحثيث لتجسيد تصوّره الخاص به، ولعلّ أفضل ما نستدل به

---

[1]:ينظر، سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص175/ 176.

[2]: ينظر، المصدر نفسه، ص179.

[3]: ينظر، المصدر نفسه، ص 182.

[4]: ينظر، المصدر نفسه، ص185.

[5]: ينظر، المصدر نفسه، ص189.

[6]: ينظر، المصدر نفسه، ص196.

لتأكيد ما أشرنا إليه اعتماده على السّياق الثّقافي، وعلى فعل التّأويل المستمدّ من خارج النّص في تحليله.

وفيما يأتي جدول يُلخّص تمظهر السِّيميائية السّردية في خطاب المُمارسة التّطبيقية عند سعيد بنكّراد:

عنوان المقاربة	العناصر المعتمدة في دراستها من قبل سعيد بنكّراد	أبرز المفاهيم الإجرائية لِلسِّيميائية السّردية المعتمدة فيها
الشّخصيات بين الأطروحة والبناء الفنّي قراءة في رواية "الشّراع والعاصفة"[1].	– الكشف عن النّسق الإيديولوجي وبناء الشّخصيات. – الكشف عن الشّخصيات والبناء العاملي.	اللّكسيم، المكوّن التّركيبي، المكوّن الدّلالي، البرنامج السّردي، البِنية العامليّة، الفضاء، الملفوظ السّردي، الذّات، دور ثيمي، المُمثِّل.

كانت هذه أبرز المقاربات السِّيميائية –الّتي وقف عندها رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد– العاكسة لفكر نقدي مغاربي كان في وقت ما لا يُعتدّ به، ومِن جُملة ما يمكن قوله عنها أنّ أصحابها تمكّنوا مِن إسقاط بعض مِن مفاهيم السِّيميائية السّردية الإجرائية على مُختلف النّصوص السّردية العربية والكشف عن خباياه وأسراره دون اقتصارهم على جنس أدبي واحد على نحو ما وجدناه عند رشيد بن مالك الّذي لم يُقم مقارباته السِّيميائية على نوع واحد مِن النّصوص السّردية الّتي اتخذها مادة لدراسته مِن الحكاية إلى القصّة إلى الرّواية العربية المُعاصرة.

[1]: ينظر، سعيد بنكراد، سيميولجوجية الشّخصية السّردية (رواية الشّراع والعاصفة) لحنا مينا"، ص 125.

ولعلّ المميّز في مقاربات هؤلاء النّقاد الّذين استطاعوا إثبات قدرتهم وكفاءتهم في تكييف الجهاز المفاهيمي وتطويع أدواته بما يناسب خصوصية النّص المُقارب والموضوع لِلدّراسة بغض النّظر عن جنسه، أنّهم في جميع مقارباتهم وقبل أن يباشروا عملية التّحليل ويقفوا عند العناصر الّتي مِن أجلها قامت دراستهم نجدهم يتّخذون مِن التّقطيع السّردي خُطوة أوّلية.

وما يلاحظ في المعايير الّتي اعتمدوها في تقسيم النّص، وتقطيعه إلى مقاطع سردية أنّها لم تكن محصُورة في الّتي قال بها غريماس ودعَا إلى اعتمادها، بل اعتمدوا معايِير أخرى مِنها ما طابقت في فحواها بعضا مِن المُحدّدات الغريماسية كـ"**المعيار التّركيبي**" الّذي يستند مُعتمِدُه لِتقطيع النّصوص والخِطابات على مجموعة مِن الرّوابط النّحوية المُساهمة في تحقيق الاتّساق والانسجام، ومِن بين هذه الرّوابط " لكن، على الرغم من، هذا وإن، وعلى العموم، بيد أنّ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ويعني هذا، أي، والمقصود بهذا، غير أنّ، وهكذا،.. "[1]، وقد تكون هذه المقاطع التّركيبية مقاطع إثبات، أو مقاطع تضاد وتعارض وتناقض، أو مقاطع تضمّن، أو مقاطع استدلال وبرهنة وحجاج وإقناع، أو مقاطع شرح وتفسير وتعليل، أو مقاطع إضافة وزيادة، أو مقاطع استنتاج، أو مقاطع شرط وافتراض، أو مقاطع مقارنة وموازنة، أو مقاطع تقويم وحكم، أو مقاطع تأكيد وتقرير، أو مقاطع استشهاد وتمثيل واستنساخ واقتباس وتضمين[2].

والمعيار **التّداولي والحجاجي** ومِن مُؤشّراته "روابط الشّرط والافتراض (إذا، إن، لو، فإن...)، وروابط الاستنتاج (إذًا، وهكذا، نصل إلى أنّ، ولهذا، نتيجة ذلك، وعليه، وبناء على ما سبق، وبناء على ذلك، وتأسيسا على ما سبق...) والتّضمّن(ضِمن...)، والاستتباع (وبالتّالي ...)، والتّخصيص الاستثنائي(ولاسيما...)، والتّعليل(لأنّ، بما أنّ، بسبب...)، والشّرح أو التفسير(أي...)، والاستدراك والتّعارض (لكن، ومع ذلك، وعلى الرّغم مِن ذلك، غير أنّ، في حين، بينما، خلافا لِذلك، بالمقابل ...)، والتّفصيل(إمّا ... وأمّا ...)، والقصر والحصر(إنّما، ما

[1]: جميل حمداوي، مدخل إلى السّيميوطيقا السّردية، ص45.

[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص46.

... إلاّ...)، والغاية (لكي، لأجل، قصد، بغية...)"[1]، وأيضا **المعيار الفضائي** الّذي يستعين مُعتمده على المؤشّرات الزّمانية والمكانية لتقطيع النّصوص، فمثلا إذا استحضر النّص حكاية وقعت أحداثها في النّهار واللّيل فيُمكن تقطيعها إلى مقطعين سرديَّين، أحدهما مُحدّد بالنهار والآخر باللّيل، وإذا استحضر النّص نفسه حكايتين الأولى وقعت في مكان مُعيّن والأخرى في مكان آخر ، فيُمكن تقطيع النّص في ضوء المعيار المكاني إلى مقطعين مُتتاليّين اتّصالا وتلاحقا وترابطا بالرّغم مِن انفصالهما الظّاهري[2].

ومنها ما لم تطابقها **كالمعيار العاملي** أو **الفاعلي** الّذي يُعدّ من أهم المعايِير الّتي اعتمدها السِّيميائيُّون لتقطيع مُختلف النّصوص السّردية؛ ذلك أنّ ظهور فاعل أو عامل أو شخصية في ساحة الأحداث، أو غِيابها ليحضر عامل فاعل آخر يساعد كثيرا في تحديد المقاطع النّصية بشكل مضبوط ودقيق، وكذا الصّراع بين العوامل لتحصيل الموضوع المرغوب فيه بالإضافة إلى ربطها بالبرامج السّردية تحفيزا وتأهيلا وإنجازا وتقويما يمكن أن يُشكّل مُحدّدات أساسية في عملية تقطيع النّصوص السّردية، وحتّى ربط الشّخصيات والفواعل بالأغراض الدّلالية والأدوار المعجمية بوسعه أن يُساعد المحلّل السِّيميائي على ضبط عمليّة التّقطيع[3] لِلنّص السّردي الموضوع لِلدّراسة.

و**المعيار التّشاكلي** الّذي كثيرا ما يُساعد مُحلّل الخطاب على استكناه دلالات النّص، وتحديد مقاطعه دلاليا بسهولة ويسر، ويُسعفه كذلك في تكوين قراءة تأويلية مُنسجمة ومتّسقة تركيبيا ودلاليا وتداوليا، ويتم على مستوى الجملة والخطاب، أو على مستوى المضمون والدّلالة، وحتّى مِن خلال تراكم المُقوّمات المعجمية والسّياقية[4]، خاصّة وأنّ له علاقة وطيدة بالمعيار الدّلالي أو التّيماتيكي الّذي يتم اعتماده مِن خِلال "التّركيز على التّيمات أو الموضوعات أو

---

[1]: جميل حمداوي، مدخل إلى السّيميوطيقا السّردية، ص58.

[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص 46.

[3]: ينظر، المرجع نفسه، ص47.

[4]: ينظر، المرجع نفسه، ص49/48.

الأفكار الرّئيسية انطلاقا مِن المسح الاستقرائي الّذي يشمل النّص مِن البداية إلى النهاية، مُرورا بمحطّة العقدة أو البؤرة أو الوسط[1].

وأخيرا **المعيار الأسلوبي**، الّذي يظهر بجلاء أثناء انتقال الكاتب أو المبدع مِن أسلوب إلى آخر، كأن يستعمل السّرد أو الأسلوب المباشر في نصّه ثم ينتقل بعدها مُباشرة إلى الحوار (أسلوب غير مباشر)، أو مِن الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي[2].

وهو ما يُفضي بنا إلى القول بأنّ طبيعة النص المنتخب لِلدّراسة هي الّتي تفرض على القائم بعمليّة التّحليل المعايِير الواجب اعتمادها لتقطيعه إلى مقاطع سردية وإعادة تركيبها مِن جديد قصد فهمها واستكناه مضمونها وهو ما يُفسّر اختلاف النّقاد فيما يعتمدونه في مقارباتهم، ذلك أنّ هناك مِن النّصوص ما يستدعي معايِير لا يستدعيها نص آخر، وفي الجدول الآتي عرضه ضبط لها:

تمظهرات السِّيميائية السّردية في الدّراسات النّقدية المغاربية مِن خلال خطاب المُمارسة التّطبيقية عند:		
رشيد بن مالك	**محمد النّاصر العجيمي**	**سعيد بنكّراد**
تنوعت وتعدّدت مقارباته السِّيميائية لتشمل أنواعا مُختلفة مِن النّصوص السّردية مِن حكايات كـ"كليلة ودمنة" إلى قصص قصيرة مثل "قصّة	اقتصرت مقاربته السِّيميائية فقط على حكاية "كليلة ودمنة".	اقتصرت مقاربته السِّيميائية فقط على رواية "الشّراع والعاصفة".

[1]: ينظر، جميل حمداوي، مدخل إلى السّيميوطيقا السّردية، ص48/47.

[2]: ينظر، المرجع نفسه، ص52.

عائشة" وقصّة "العروس" وُصولا إلى روايات عربية حديثة ومُعاصرة كرواية "ريح الجنوب" ورواية "نوار اللّوز" ورواية "الصّحن".		

ومجمل القول حول ما قدّمناه أنّه يعكس جانبا مِن كيفية تلقي النّقد المغاربي لِلنّقد الغربي، ويُصوّر جانبا مِن التّفاعل المُتفاوت الموجود بينهم، ويطرح في ثناياه إشكالات جديدة ويفتح آفاقا عديدة يرتهِن تحقيقها بتوفير الظّروف المُلائمة والأخذ بالأسباب المُساعدة، هذا إضافة إلى كشفه عن كيفية تمكّن أعلام النّقاد المغاربة –رشيد بن مالك، محمد النّاصر العجيمي، سعيد بنكّراد– المتبنّين للفكر الغريماسي والمُشتغلين على السِّيميائية السّردية مِن إسقاط وتجريب مفاهيمها على مُختلف النّصوص السّردية العربية ومقاربتها لاستقراء دلالاتها واكتشاف آليات انتظامها وتحديدها.

خاتمــة

خاتمة:

سعيا منّا للإجابة على ما أثرناه من تساؤلات كان بحثنا، ومن أبرز ما خلصنا إليه بعد مساءلتنا للعديد من المدوّنات النّقدية المغاربية :

– تعدّ السِّيميائية السّردية مِن أهمّ المناهج النّقدية الّتي أعلت صرح النّقد الأدبي، وتمكّنت مِن الكشف عن مختلف البنيات الدّلالية السّردية المكوّنة للنّص السّردي مستندة في ذلك على العديد مِن المرجعيات المعرفية أبرزها المرجعية الشّكلانية واللّسانية، ويُعد غريماس القائد الفعلي لها، ومِن أبرز ما قدّمه للسّاحة النّقدية الغربية استحداث آليات جديدة في التّحليل السِّيميائي لمختلف الخطابات السّردية منطلقا مِن تصور فلاديمير بروروب ودراسته للخرافة ومعتمدا على اللّسانيات، مستثمرا كلّ ما مرّ به ليخرج في النِّهاية بمجموعة مِن القواعد المساعدة على تفكيك الخطاب السّردي وتحليله انطلاقا من مستوى سطحي وآخر عميق؛ يتم في المستوى الأوّل(السّطحي) التّركيز على البرامج السّردية ومكوّناتها الأساسية من تحريك، وكفاءة، وإنجاز وتقويم، ودراسة الصّور بوصفها وحدات دلالية معجمية لتحديد المسارات الصّورية المتحرّكة في النّص، واستخلاص الأدوار بأنواعها وربطها بالبنية العاملية والإطار العام لها، أمّا المستوى الثّاني(العميق) فيُمكّننا من اكتشاف المكوّنات الدّلالية والمنطقية في عمقها المؤسّس للمتن المدروس عن طريق التّشاكل والمربّع السّيميائي.

ولا يشترط على المحلّل الانطلاق من مستوى محدّد في التّحليل؛ فمثلا يمكنه الانطلاق من مِن المستوى السّطحي إلى المستوى العميق باعتماد المسار التّحليلي، كما يمكنه الانطلاق أيضا في التّحليل من المستوى العميق إلى المستوى السّطحي عبر المسار التّوليدي مستعينا بعدد مِن المصطلحات الإجرائية الّتي يقوم عليها الجهاز المفاهيمي للسّيميائية السّردية، نذكر على سبيل التمثيل: المربع السيميائي –الّذي كثيرا ما يساعد المحلّل على تشخيص علاقات التّضاد والتّناقض والتّضمين–، البنية العاملية –والّتي غالبا ما تساعد على إبراز التّوزيع المعقّد لمجموع العوامل وكيفية انتظامها في النص– ، البرامج السّردية –والمتشكّلة مِن العوامل انطلاقا مِن توزيع الموضوعات عند انتقالها مِن ذات إلى ذات–، مربع المصداقية – والّذي

يستعان به للكشف عن مستوى الحقيقة في النّصوص انطلاقا مِن ثنائية الظاهر والكينونة– هذا إلى جانب مصطلحات أخرى.

– لم يذع صيت السّيميائية السّردية فقط في موطن نشأتها بل كان لها حظّ كبير مِن الشيوع والانتشار خاصة في بلاد المغرب العربي في الآونة الأخيرة مِن لدن العديد مِن النّقاد المغاربة الّذين اعتمدوها في العديد من مقارباتهم السِّيميائية ابتداء مِن فترة الثّمانينيات مِن القرن الماضي لكن بصورة محتشمة نوعا ما، إذْ لم نكد نعثر على كتب نقدية اهتمت بها مستقلة لوحدها دون أن تردف معها مناهج نقدية أخرى على نحو ما وجدناه لاحقا مع محمد الناصر العجيمي في كتابه الموسوم بـ "في الخطاب السردي (نظرية غريماس)" الصّادر في بداية التسعينيات، ومع نقّاد آخرين جاؤوا بعده قصروا جلّ مؤلّفاتهم النّقدية في التّعريف بها واختبار مدى فعالية جهازها المفاهيمي خاصة في الألفية الجديدة، ومِن أبرز ما ركّز عليه هؤلاء النّقاد في ما ألّفوه الإشارة إلى النّقاط المعلمية الكبرى الّتي قامت عليها السّيميائية السّردية الغربية، والتّأريخ لأهم التّيارات المرافقة لها.

– يعدّ رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد مِن أبرز النّقاد المغاربة الّذين حملوا لواء التّحدي لتمثّل مبادئ السِّيميائية السّردية الغربية وإسقاط مفاهيمها على العديد مِن النّصوص السّردية العربية في السّاحة النّقدية المغاربية، هذا بالإضافة إلى نقاد آخرين نذكر منهم على سبيل التّمثيل: عبد الحميد بورايو، قادة عقاق، السعيد بوطاجين مِن الجزائر، جميل شاكر وسمير المرزوقي، عبد المجيد نوسي مِن تونس، محمد مفتاح مِن المغرب، محمد عبد الحميد المالكي مِن ليبيا، والذين عُدّت مؤلفاتهم بمثابة اللّبنة الأساسية الّتي انبثق منها فيما بعد الدّرس السّيميائي السّردي واستمد منه أساسياته؛ إذ يكفي أن نطّلع على عدد مِن الجهود النقدية المغاربية المشتغلة على السّيميائية السّردية في الآونة الأخيرة –الألفية الجديدة– حتّى نلفي بوضوح استنادها الكبير على ما جادت به أقلام النّقاد المغاربة أنفسهم، وقلّما نعثر في مؤلفاتهم عودتهم إلى المصادر الأجنبية الّتي عُنيت بالسّيميائية السّردية على نحو ما عاد إليه كل مِن محمد الناصر العجيمي، عبد المجيد نوسي، رشيد بن مالك، سعيد بنكراد، وغيرهم مِن النّقاد

الأوائل الّذين آثروا سبر أغوارها وتمثّل مفاهيمها ومساءلة مختلف أدواتها الإجرائية مِن منابعها الأصلية خِدمة للباحث ورَفعا مِن مستوى الثّقافة النّقدية لديه في إطار مشروع سيميائي مغاربي يسعى إلى إشاعة الدّرس السّيميائي السّردي في السّاحة النّقدية المغاربية.

والجدير بالذّكر أنّ أكثر ما ساعد هؤلاء النّقاد على اعتماد السّيميائية السّردية وتمثّلها في العديد مِن دراساتهم، هو احتكاكهم المباشر بأعلام السِّيميائية السّردية أمثال غريماس، كورتيس، آن إينو، ميشال آريفييه... وآخرين أثناء دراستهم في فرنسا، والاطلاع لاحقا على ما جادت به قرائح النّقاد الغربيين على نحو ما كان مع سعيد بنكراد الّذي نهل مِن جميع مصادر النّظرية السّيميائية على اختلاف مشاربها وتوجّهات أعلامها مِن الأوروبيين والأمريكيين مقارنة برشيد بن مالك ومحمد النّاصر العجيمي اللّذان لم يكن لهما تركيز مباشر إلاّ على أعمال الأوروبيين، وما يلاحظ في نوعية المصادر الّتي نهلوا منها مادّتهم المعرفية أنّ هناك مَن اغترف من الأصل دون العودة إلى ما هو مُترجَم كمحمد النّاصر العجيمي، وهناك مَن عاد في كثير مِن الأحيان إلى البحوث والدّراسات المترجمة كرشيد بن مالك، في حين أنّ هناك من نجد تنويعا في مصادره كما هو الحال في مصادر سعيد بنكراد.

ومن الآليات الّتي اعتمدوها لنقل السِّيميائية السّردية إلى السّاحة النّقدية المغاربية المحاورة أوّلا ثمّ التّأليف والتّرجمة لاحقا، وذلك بالنسبة للنّقاد الّذين عليهم مدار بحثنا (رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد)، والتّأليف والتّرجمة مباشرة دون المحاورة لباقي النّقاد المغاربة الّذين لم يكن لهم احتكاك مباشر بأعلام السِّيميائية السّردية حتّى أضحت اتّجاها نقديا يُعتد به في العديد مِن المقاربات النّصية والبحوث الأكاديمية.

لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّه بالرّغم ما كان للتّرجمة مِن دور كبير في نقل السِّيميائية السّردية إلى السّاحة النّقدية المغاربية والتّعريف بها في بادئ الأمر، إلاّ أنّه سرعان ما أضحت فيما بعد سببا في خلق العديد مِن الإشكالات كإشكالية تعدد المصطلح الّتي جعلت الباحث مع الوقت حائرا في أيّ المصطلحات أحقّ بالأخذ والاستعمال، ومِمّا استخلصناه مِن خلال اطلاعنا على مصطلحات الجهاز المفاهيمي للسِّيميائية السّردية الّتي قُوبلت بأكثر من مصطلح عربي

على نحو ما كان مع هذه المصطلحات modele actantiel، destinataire، Sujet، Opposant، Manipulation، La performation، Sanction، Séme، Isotopie، Le carré sémiotique أنّه لا يجب النّظر إلى تعدد المقابل العربي على أنّه إشكالية في حدّ ذاته مِن شأنها إيقاع الباحث المشتغل عليه في متاهات هو في غِنى عنها، وتُعسّر عليه الفهم والقدرة على الاستيعاب لأنّه –التّعدد– قد يكون إيجابيا ومُثريا إذا تمكّن مُستعمله مِن فهمه واستيعابه.

– اعتمد رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد على العديد مِن الخطابات النّظرية العاكسة لتوجهه النّقدي والكاشفة عن ملامحه للتّعريف بالسِّيميائية السّردية والتّأسيس لها مغاربيا، كخطاب التّأصيل والتّعريف، والتّرجمة، والمُمارسة التطبيقية، والخطاب المعقلن الّذي انفرد به رشيد بن مالك دون الناقدين الآخرين مِن منطلق أنّ عملية تقديم السّيميائية السّردية للقارئ المغاربي والتّعريف بها لا يمكن أن تتم دون مُعاينة جهازها الاصطلاحي وعرض مبادئها الأساسية الّتي قامت عليها والكشف عن أدواتها الإجرائية الّتي لا يتم التّحليل السّردي إلاّ بها.

– وُفّق كل مِن رشيد بن مالك، محمد النّاصر العجيمي، سعيد بنكراد إلى حدّ كبير في الاشتغال على بعض مِن مصطلحات الجهاز المفاهيمي للسّيميائية السّردية وتطويع أدواته بما يناسب خصوصية النّص المقارب والموضوع للدّراسة دون اقتصارهم على جنس أدبي واحد، على نحو ما وجدناه عند رشيد بن مالك الّذي لم يُقم مقارباته السّيميائية على نوع واحد مِن النّصوص السّردية.

– استعان هؤلاء النّقاد في مقارباتهم السّيميائية لهذه النّصوص الإبداعية: قصة "العروس" للروائي غسان كنفاني، قصة "عائشة" لأحمد رضا حوحو، رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، رواية "نوار اللوز" لواسيني الأعرج، رواية "عواصف جزيرة الطيور" لجيلالي خلاص، حكاية "كليلة ودمنة" لعبد الله بن المقفّع، رواية "الصحن" لسميحة خريس، حكاية "الأرانب والفلية" لابن المقفّع، رواية "الشراع والعاصفة" لحنا مينا بعملية التّقطيع لاستخلاص وحداتها المعنوية،

وحصر بنياتها الصّغرى والكبرى المتحكمة في بنائها، والإحاطة بالدّلالات الكلّية لها، وهو ما دعا إليه "غريماس" وألحّ عليه كثيرا مُعتبرا إيّاه –التّقطيع– أمرا ضروريا ولازما قبل بدء عملية التّحليل، وما خلصنا إليه مِن خلال وقوفنا على ما اعتمدوه مِن معايير أثناء عملية التقطيع أنّها تختلف من نص لآخر؛ فمثلا ما اعتمده رشيد بن مالك مِن محدّدات في تقطيعه السّردي لرواية "نوار اللّوز" لم يعتمده في نص آخر لا مِن الجنس الأدبي نفسه، ولا من غيره، ولم يعتمده أيضا لا محمد النّاصر العجيمي، ولا سعيد بنكراد، ما يعني أنّ طبيعة النّص السردي هي الّتي تفرض على المحلّل المعايير –المحدّدات النصية حسب ما أطلقه عليها غريماس– الّتي يعتمدها لتقطيعه إلى مقاطع سردية، وهو ما يُفسّر عدم اكتفائهم بالمعايير الّتي حدّدها غريماس والاستعانة بمعايير أخرى تتلاءم ومكوّنات النّص.

لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ اكتفاءنا بالإشادة بصنيع هؤلاء النّقاد المغاربة في ارتقاء التّفكير النّقدي المغاربي خاصة في مجال التّحليل السِّيميائي السّردي دون تِعداد المطبّات الّتي وقعوا فيها سواء كان ذلك على مستوى الخطاب التّأصيلي أم التّطبيقي، لا يعني الجزم القطعي بانعدامها، وباطلاعنا المتواصل على متون مؤلفاتهم النّقدية الّتي عليها كان مدار اشتغالنا خلصنا إلى أنّ أغلب ما وقعوا فيه مِن مزالق كان على المستوى المنهجي وقلّما عثرنا عليها – المزالق– في المستوى المعرفي باستثناء بعض المواضع على نحو ما كان مع رشيد بن مالك وبالأخص فيما يتعلّق بمسألة التّرجمة، الأمر ذاته نلفيه مع محمد النّاصر العجيمي وبالتّحديد في موضع حديثه عن علم الدّلالة، وسعيد بنكراد في توظيفه لبعض العبارات الّتي تثير الحيرة والتّساؤل في ذهن القارئ المتلقي لها؛ كذكره لبعض المدارس والاتجاهات دون تقديم إحالة خارجية لها كمجموعة 4 كلاين(Groupe de 4 Klein) هذا بالإضافة إلى عدم إرفاق مقارباتهم السّيميائية أحيانا بترسيمات أو مخطّطات، خاصة الّتي تستدعي المفاهيم الإجرائية المعتمدة فيها توضيحا أكثر لا يتم إلاّ بها.

ولعلّ أهم نتيجة نصل إليها أنّ ما ورد في متون المؤلفات النّقدية المقدّمة والشّارحة لنظرية غريماس بالتّأليف تارة، والتّرجمة تارة أخرى جديرة بأن تُنتظم ضِمن الأعمال القليلة الّتي أولت

عناية بالجانب التّأسيسي والتّأصلي لها، ومؤهّلة لأن تكون مرجعا مهمّا في تيسير فهم الطّرح الغريماسي، خاصّة بعد تمكن مؤلّفيها مِن إثبات كفاءتهم في تكييف جهازه المفاهيمي وتطويع أدواته الإجرائية مع ما يُناسب خصوصية النّص المُقارب بغض النّظر عن جنسه لتحليله واستجلاء أسراره، ولسنا نرمي من هذه النّتيجة وغيرها القول بأنّها نتائج نهائية لا مجال للطّعن وإعادة النّظر فيها، بل على العكس تماما؛ لأنّ موضوع البحث في السّيميائية السّردية وفي كيفية تلقيها وتمثّلها مغاربيا لا يزال مستمرا، ولم يُتمكّن لحدّ الآن من معرفة ما إذا كان الوقت قد حان لنقول:"إنّنا أمام سيميائية سردية مغاربية" أم أنّه لم يحن بعد.

الملاحق

1: ملحق مصطلحات الدّراسة

المصطلح باللغة العربية	المصطلح باللغة الأجنبية
الاتصال	conjonctions
الآثار المعنوية	séméme
إجرائيات	opérateurs
الاختبار	épreuv
الاختبار التّرشيحي	épreuve qualifiante
الاختبار الحاسم	épreuve principle ou décisive
الاختبار الممجّد	épreuve glorifient
أداء فصلي	performance disjunctive
أداء وصلي	Performance conjonctive
إرادة الفعل	Vouloir _ faire
إسقاطات استبدالية	projections paradigmatique
اسم موضوع	surnom
إشارات	Indices
أطوار البرنامج السّردي	les phases du .P.N
الإنجاز (الأداء)	Performance
الانفصال	disjonctions
البرنامج السّردي الاستعمالي	P.N. d'usage
البرنامج السّردي الرئيسي	P.N. principal
البرنامج السّردي القاعدي	P.N de base
البرنامج السّردي	Le programme narratif
برنامج ملحق	programme d'usage

Manipulation	التّحريك (التفعيل)
réalisation	التّحقق
analyse sémiotique	التّحليل السّيمي
transformation de disjonction	تحوّل انفصالي
transformation de conjonction	تحوّل وصلي
traduction dans le contexte	التّرجمة السّياقية
traduction dans le mot à mot	ترجمة كلمة بكلمة
shéma narratif	التّرسيمة السّردية
syntagmatique	التّركيبي
syntaxe anthropomophe	التّركيب المشخص
chronologie	التّسلسل الزمني
Isotopie	التّشاكل
configurations discursives	التّشكلات الخطابية
Figurativisation	التّصوير
Figuratif	التّصويري
Configuration	التّصويرية
Le déoupage	التّقطيع
Sanction	التّقويم
actorielle	التّمظهرات التّمثيلية
articulation	تمفصل
isotopie sémantique	التّناظر الدلالي
Thématique	التّيماتيكي
paradigme	جذر
modalités de la virtualité	جهات الإضمار

حِزم أو رُزم	paquets
دور عاملي	Role actantiel
السّردية	Narrativité
السّمات	les sémes
السّيم (المعنم)	séme
سيم سياقي	séme contextuel
سيم نواتي	séme nucléaire
الشّخص	personne
الشّخصية	personnage
شفرات	Codes
الصّعيد السّيمي	plan sémique
الصّعيد النّظمي	syntagmatique
الصّور	Les figures
الصّور المعجمية	figures l’exemotiques
طابع جدالي	polémique
طابع معارفي	cognitif
العامل	actant
العقد	contrat
العقد الإجباري	contrat injonctife
العقد الإئتماني	contrat fiduciaire
العقد التّرخيصي	contrat permissif
علاقات السّلسلة النّظمية	Syntagmatique
العلاقة البنائية	relation structurelle
علم السّرد أو السّرديات	Narratology

عمليات	opération
غير قابل للاشتراك	non participatif
الفاعل	sujet
الفاعل الإجرائي	sujet opérateur
فاعل الحالة	sujet d’état
فاعل الفعل	sujet du faire
فاعل منفّذ	sujet opérateur
الفضاء الخارجي	Espace Hterotopique
فضاء الفعل	topique الفعل
فضاء براطوبيقي	Espace paratopique
فضاء طوباوي	Espace utopique
الفعل الإنجازي الانعكاسي	réflexif
الفعل الإقناعي	faire persuasif
الفعل الإقناعي الكاذب	faire persuasif mensonger
الفعل الإنجازي المتعدّي	transitif
الفعل التّأويلي الواهم	faire interprétatif illusoire
فعل تحويلي	transformateur
قدرة الفعل	Pouvoir_ faire
القيمة المحقّقة	valeur réalisé
القيود	containtes
الكفاءة (القدرة، الأهلية)	Compétence
مبدأ السّببية	causalité
متتالية من الأحداث	événement
محفّزا (محرّكا)	manipulateur

محور الاقتضاءات	les implications
محور التّعاقب	succession
المربع السّيميائي	Le carré sémiotique
المرسِل	Destinateur
المرسَل إليه	Destinataire
مزاوجة الوظائف	Le couplage des fonctions
المسار	Parcours
المسار التصويري	Parcours Figuratif
المسارات السّردية	Les parcours narratif
المساعد	Adjuvant
مستوى التّزمين/ البنيات التّزمينة	Temporalisation
المستوى الدّلائلي للمعنى	le niveau sémantique de la signification
المستوى السّطحي	Le niveau de Surface
المستوى العميق	Le niveau de prfond
مستوى الفضاء/ البنيات المكانية	temporalisation
مشاركين ظرفيين	des participants circonstanciels
المشاكلة	isomorphisme
مشيرات	indicateur
المعارض	Opposant
معرفة الفعل	Savoir_faire
المقطوعة السّردية	La séquence narrative
مقولة التّصديق	véridication
المكوّن الخطابي	la composante discursive
المكوّن السّردي	

Composante narrative	ملفوظ الفعل
enoncé du faire	ملفوظ حالة فصلي
énoncé d’état disjonctif	ملفوظ حالة وصلي
énoncé d’état conjonctif	الممثّل / القائم بالفعل
acteur	المنظور السّردي
perspective narrative	موجّهات الفعل
Les modalités de faire	الموضوع
objet	مولّدات المعنى
Les effets du sens	النّتائج النّهائية
l’état Final	نظام التّسمية
systéme de nomination	نظرية الجهات
théorie des modalités	النّظير الاقتصادي
isotopie économique	النّقص
manque	النّموذج العاملي بوصفه نسق
Le modèle actantielles	النّموذج عاملي
Actanciel	الهبة
don	الواقع غير النصي
extra-textuel	وجوب الفعل
Devoir_ faire	الوحدات المعنوية الصّغرى
les sémes	الوحدة المعجمية أو الصورة

2: ملحق خاص بقائمة الرّموز المستعملة:

الرّمز	دلالته
(ف)	فاعل
(ع)	عامل
(م)	ممثل
(م)	موضوع
(ب.س)	برنامج سردي
(م.س)	الملفوظ السّردي
(عك)	عكس
(∩)	علاقة اتصال
(U)	علاقة انفصال

3: ملحق للتّعريف بـ: رشيد بن مالك

رشيد بن مالك

من هو؟

يعد الناقد "رشيد بن مالك" من أبرز النّقاد الجزائريين الّذين ساهموا في نقل السّيميائية السّردية إلى السّاحة النّقدية الجزائرية ترجمة وتأليفا وممارسة على نصوص عربية متنوعة، من خلال تبنّيه مشروعا نقديا قائما على الانفتاح على الحداثة النّقدية الغربية والتّعريف بها دون إلغاء خصوصية البنية النقدية الجزائرية والنّص العربي المطبّق عليه.

مؤلفاته النّقدية في مجال السّيميائية السّردية فقط

الكتب المطبوعة

قاموس مصطلحات التّحليل الّسيميائي للنصوص، عربي، إنجليزي، فرنسي،2000،

مقدّمة في السّيميائية السّردية 2000

البنية السّردية في النّظرية السّيميائية 2001

السّيميائية السّردية، 2006.

السّيميائية (الأصول، القواعد،التّاريخ) 2008 ترجمة آن إينو وآخرين.

من المعجميات إلى السّيميائيات، 2014

أبرز المقالات المنشورة

– السّيميائية نظرية تحليل الخطاب.

– تمفصلات النّص: القصة العربية قراءة سيميائية في العروس لغسان كنفاني.

– إشكالية التّرجمة في الخطاب السّيميائي المعاصر.

– التّحليل السّيميائي لقصة عائشة لرضا حوحو

– قراءة سيميائية لعواصف جزيرة الطيور.

– تحليل سيميائي لرواية الصّحن لسميحة خريس.

– قراءة سيميائية في كليلة ودمنة.

4: ملحق للتّعريف بـ: سعيد بنكراد

الناقد سعيد بنكراد

من هو؟

يعدّ الناقد "سعيد بنكراد" من النّقاد المغربيين الأكثر اهتماما بالمنهج السّيميائي والمدرك له بكلّ متطلباته وصعوباته، والمساهمين في نقل المعرفة السيميائية عامة والسّردية على وجه التّحديد والتعريف بها، وبأسسها ومنطلقاتها.

مؤلفاته النقدية في مجال السيميائية السردية فقط

الكتب المطبوعة

- مدخل إلى السّيميائيات السّردية 1994.
- السّيميائيات السّردية مدخل نظري 2001.
- سيميولوجية الشّخصية السّردية(رواية الشّراع والعاصفة لحنا مينة)،2003

أبرز المقالات المنشورة

- ترجمة مقال لـ:أ.ج غريماس بعنوان "السّيميائية السّردية، المكاسب والمشاريع" سنة 1991

5: ملحق للتّعريف بـ: محمد النّاصر العجيمي

الناقد محمد الناصر العجيمي

من هو ؟

يعد الناقد "محمد الناصر العجيمي" من أوائل النّقاد التونسيين المهتمين بالسّيميائية السردية، والمشتغلين عليها، والمساهمين في التّعريف بها وتيسير سبل فهمها واستيعابها.

مؤلفاته النقدية في مجال السيميائية السردية فقط

الكتب المطبوعة

الخطاب السردي (نظرية غريماس)"

المـصادر والمـراجع

أوّلا: قائمة المصادر

قائمة المصادر العربية

1. **رشيد بن مالك**، البنية السّردية في النّظرية السّيميائية، دط، دار الحكمة، الجزائر،2001.
2. // ، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص(عربي- إنجليزي- فرنسي)، دط، دار الحكمة، الجزائر، 2000
3. // ، **مقدّمة في السّيميائية السّردية**، ط1، دار القصبة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2000.
4. // ، السّيميائيات السّردية، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، ط1،عمان، 2006.
5. // ، من السّيميائيات إلى المعجميات، ط1، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان، 2012.
6. **سعيد بنكراد**، سيميولوجية الشّخصية السّردية(رواية الشّراع والعاصفة لحنا مينة)، دط، دار مجدلاوي للنّشر والتوزيع، عمان الأردن، 2003.
7. // ، السّيميائيات السّردية (مدخل نظري)، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1994.
8. // ، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.
9. **محمد الناصر العجيمي**، في الخطاب السّردي(نظرية غريماس)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991.

قائمة المصادر الأجنبية المترجمة

1. **آن إينو وآخرون**، تر: رشيد بن مالك، مر:عز الدين المناصرة، السّيميائية(الأصول، القواعد، التّاريخ)، ط1، دار مجدلاوي للنّشر والتوزيع، عمان الأردن، 2008.

ثانيا: قائمة المراجع

قائمة المراجع باللّغة العربية

1. **آراء عابد الجرماني**، اتجاهات النّقد السّيميائي للرّواية العربية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2012.

2. **آسيا جريوي**، السّيميائية بحث في المعنى(دراسات)، ط1، دار علي بن زيد للطّباعة والنّشر، بسكرة (الجزائر)، 2016.
3. **أنور المرتجي**، سيميائية النّص الأدبي، ط1، دار إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، 1987.
4. **بسام قطّوس**، دليل النّظرية النّقدية المعاصر(مناهج وتيارات)، ط1، فضاءات للنّشر والتوزيع، 2016.
5. **بشير تاوريريت**، الحقيقة الشّعرية على ضوء المناهج النّقدية المعاصرة ونظريات الشّعرية(دراسة في الأصول والمفاهيم)، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن،2010.
6. **حاتم الصكر**، ترويض النّص دراسات أدبية، دط، الهيئة المصرية للكتاب، 1998.
7. **حسين الخمري**، سرديات النّقد في تحليل آليات الخطاب النّقدي المعاصر، ط1، منشورات الاختلاف، 2011.
8. **حميد لحميداني**، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ط1، المركز الثّقافي العربي، 1991.
9. **حنون مبارك**، دروس في السّيميائيات، ط1، دار توبقال للنّشر، 1987.
10. **جميل حمداوي**، السّيميولوجيا بين النّظرية والتّطبيق،ط1، مؤسّسة الورّاق للنشر والتوزيع، عمان، 2011.
11. // ، مدخل إلى السّيميوطيقا السّردية، ط1، حقوق الطّبع محفوظة، 2015.
12. **راضية لرقم**، الخطاب السّردي في الشّعر العربي القديم، دراسة سيميائية، دار التّنوير، الجزائر، 2013.
13. **سامي سويدان**، دلالية القص وشعرية السّرد، دط، دار الآداب، بيروت، 1991.
14. **سعيد بنكراد**، النّص السّردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ط1، دار الأمان، الرّباط، 1996.
15. // ، ممكنات المنهج ومحدودية النّص، مخطوط، المغرب، 2004.
16. // ، شخصيات النّص السّردي(البناء الثّقافي)، دط، جامعة المولى اسماعيل، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1994.

17. **السعيد بوطاجين**، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية لرواية (غدا يوم جديد) لعبد الحميد بن هدوقة، ط1، منشورات الاختلاف، 2000.
18. // ، التّرجمة والمصطلح(دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النّقدي الجديد)، دط، منشورات فيسيرا، 2017.
19. **سليمة لوكام**، تلقي السّرديات في النّقد المغاربي، دط، دار سحر للنّشر، تونس، 2009.
20. **سمير المرزوقي وجميل شاكر**، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، دط، دار الشّؤون الثقافية، بغداد، 1986.
21. **سيد البحراوي**، البحث عن المنهج في النّقد العربي الحديث، ط1، دار شرقيات، القاهرة، 1993.
22. **عبد الحميد بورايو**، منطق السّرد، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
23. **عبد السلام المسدي**، مباحث تأسيسية في اللّسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدّة، بيروت لبنان، 2010.
24. **عبد العزيز حمودة**، المرايا المحدّبة(من البنيوية إلى التفكيك)، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1998.
25. **عبد القادر شرشار**، تحليل الخطاب السّردي وقضايا النّص، ط1، دار القدس العربي، وهران، 2009.
26. // ، مدخل إلى السّيميائية السّردية(نماذج وتطبيقات)، ط1، منشورات الدّار الجزائرية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015.
27. **عبد القادر فيدوح**، دلائلية النّص الأدبي، دار ديوان المطبوعات، الجزائر، 1993.
28. **عبد الله ابراهيم وآخرون**، معرفة الآخر، ط2، الدّار البيضاء، بيروت ،المركز الثقافي العربي، 1996.
29. **عبد المجيد جحفة**، مدخل إلى الدّلالة الحديثة، ط1، دار توبقال، المغرب، 2000.
30. **عبد المجيد نوسي**، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي(البنيات الخطابية، التّركيب، الدلالة)، ط1، شركة النّشر والتّوزيع، الدار البيضاء، 2002.

31. **عبد الملك مرتاض**، أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

32. // ، نظرية القراءة (تأسيس للنّظرية العامة للقراءة الأدبية)، دط، دار الغرب، وهران (الجزائر)، 2003.

33. **عصام خلف كامل**، الاتجاه السّيميولوجي ونقد الشّعر، دط، دار فرحة للنّشر والتّوزيع، 2003.

34. قادة عقاق، الخطاب السّيميائي في النّقد المغاربي، ط1، دار الألمعية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2014.

35. // ، السّيميائيات السّردية(أصولها ومفاهيمها ومآخذها)، دط، النّشر الجديد الجامعي، الجزائر، 2016.

36. **قطوس بسام**، دليل النّظرية النّقدية المعاصرة، ط1، دار العروبة للنّشر والتّوزيع، الكويت، 2004.

37. **محمد الديداوي**، منهاج المترجم، ط1، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، 2005.

38. **محمد السرغيني**، محاضرات في السّيميولوجيا، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1987.

39. **محمد القاضي**، تحليل النّص السّردي، دار الجنوب للنّشر، تونس، 1997.

40. **محمد عبد الحميد المالكي**، سلطة الكلام إرادة القوة مشروع بيان السّيميائيات السّردية، دط، مختبر بنغازي، ليبيا، 2006.

41. **محمد فليح الجبوري**، الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013.

42. **محمد مفتاح**، في سيمياء الشّعر القديم/دراسة نظرية تطبيقية، دار الثّقافة، 1989.

43. **محمود عباس عبد الواحد**، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1996.

44. **مولاي بوخاتم علي**، مصطلحات النّقد السّيميائي، الإشكالية والأصول والامتداد، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.

45. **نادية بوشفرة**، مباحث في السّيميائية السّردية، دط، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، 2008.

46. **نبيلة زويش**، تحليل الخطاب السّردي في ضوء المنهج السّيميائي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.

47. **نجيب بخوش**، مدخل إلى السّيميولوجيا، ط1، الخلدونية، الجزائر،2009.

48. **نصر الدين بن غنيسة**، فصول في السّيميائيات، ط1،عالم الكتب الحديث، إربد(الأردن)، 2011.

49. **هيام عبد الكريم عبد المجيد علي**، دور السّيميائية اللّغوية في تأويل النّصوص الشّعرية شعر البردوني أنموذجا، أيار، 2001.

50. **يوسف وغليسي**، إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.

51. // ، الشعريات والسرديات، قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم، دط، دار أقطاب الفكر، قسنطينة، 2007.

52. // ، في ظلال النصوص: تأملات نقدية في كتابات جزائرية، ط1، جسور، الجزائر، 2009.

53. // ، مناهج النقد الأدبي، ط3، جسور للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2010.

المراجع الأجنبية المترجمة

1. **آن إينو**، مراهنات دراسات الدّلالات اللّغوية، تر أوديت بيتيت وخليل أحمد دار السّؤال للطّباعة والنّشر، دمشق، 1980.

2. **توسان برنار**، ماهية السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، ط2، دار إفريقيا الشّرق، المغرب، 2000.

3. **جوزيف كورتيس**، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية، تر: جمال الحضري، ط1، منشورات الاختلاف،2007.

4. **جيرالد برنس**، المصطلح السّردي، تر: عابد خزندار، مر: محمد بريرى، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2003.
5. **دانيال تشارلز**، أسس السّيميائية، تر: طلال وهبة، ط1، المنظّمة العربية للتّرجمة، بيروت، 2008.
6. **روبرت شولز**،السّيمياء والتأويل، تر: سعيد الغانمي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994،
7. **شلوميت ريمون كنعان**، التّخييل القصصي، الشّعرية المعاصرة، تر: لحسن حمامة، ط1، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع، الدار البيضاء، 1995.
8. **فلاديمير بروب**، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، ط1، الشّركة المغربية للنّاشرين المتّحدين، الرّباط، المغرب، 1986.
9. **فيليب هامون**، سيميولوجية الشّخصيات الرّوائية، تر: سعيد بنكرّاد وعبد الفتاح كليطو، دار الكلام، الرباط، 1990.
10. **مارسيلو داسكال**، الاتجاهات السّيميائية المعاصرة، تر: حميد الحمداني وآخرون، ط1، إفريقيا الشرق، الدّار البيضاء، 1987.
11. **موكاروفسكي وآخرون**، سيمياء براغ للمسرح(دراسات سيميائية)، تر: أدمير كوريّة، دط، منشورات وزارة الثّقافة، سوريا، 1997.

المراجع الأجنبية

1. **A.J.Greimas**, Du sens1, Paris,1970.

2. **A.J. Greimas J .Courtés**, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage Hachett Paris 1979.

3. **A.J.Greimas**, Maupassant, La sémiotique du texte, exercices pratiques, Paris, Seuil, 1976.

المجلاّت والدّوريات

1. **جميل حمداوي**، السّيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، مج25، ع3، يناير/ مارس، 1997.
2. **راضية بن عربية**، إشكالية المنهج النّقدي الأدبي التّطبيقي(التّشخيص والحلول)، مجلّة مقاليد، ع11، ديسمبر 2016.
3. **سعيد بن ناصر الغامدي**، المرجعية(معناها، أهميتها وأقسامها)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدّراسات الإسلامية، العدد 50، رجب 1431.
4. **سعيد بنكراد**، مفاهيم في السّيميائيات، مجلة علامات، مكناس، المغرب، ع2، 2007، ص86.
5. **عبد الحميد هيمة**، النّص الشّعري بين النّقد السّياقي والنّقد النّسقي(قراءة في إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر)، مجلة مقاليد، ع2، ديسمبر 2011.
6. **محمد مفتاح**، حول مبادئ سيميائية، مجلّة علامات، ع6، مكناس، المغرب، أكتوبر 2001.
7. // ، أوّليات منطقية رياضية في النّظرية السيميائية، مجلّة عالم الفكر(السيميائيات)، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، ع3، مجلّد 35، 2007.

الملتقيات والمؤتمرات

1. **جاب الله أحمد**، التّشاكل والتّباين في لامية العرب، محاضرات الملتقى الوطني الثّاني "السّيمياء والنّص الأدبي"، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الأدب العربي، منشورات الجامعة،16/15 أفريل، 2002.
2. **دليلة زغودي**، صدى مدرسة باريس بين سيميائية العمل وسيميائية الأهواء، ملحقة مغنية جامعة تلمسان الجزائر، الملتقى الدّولي الثّامن، السّيمياء والنّص الأدبي.
3. **نجيب الكيلاني**، التّحليل السّيميائي للبنى السّردية في رواية حمامة السّلام، السّيمياء والنّص الأدبي/ الملتقى الدّولي الخامس، 2008.

الرّسائل الجامعية

1. **أمين بوضياف**، استراتيجية البناء العاملي وديناميكيته في الخطاب الرّوائي "مدينة الرياح" لموسى ولد بنو، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، إشراف د. علي ملاحي، جامعة الجزائر، 2007/2006.
2. **ابراهيمي اسماعين**، تلقي التّجارب المسرحية المعاصرة في الجزائر، بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف أ.د بن ذهيبة بن نكاع، جامعة وهران(السانيا)، 2014/2013.
3. **خطار نادية**، سيميائية السّرد في البيت الأندلسي، بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف ناصر سطمبولي، جامعة وهران(أحمد بن بلة)، 2017/ 2018.
4. **دايري مسكين**، سيميائيات جوزيف كورتيس (أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية)، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، إشراف:أحمد يوسف، جامعة وهران (أحمد بن بلة)، 2008/2007.
5. **مصطفى غلفان**، اللّسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثّاني، عين الشّق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدّار البيضاء، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم4، سنة1998.
6. **نبيلة زويش**، الشّخصية بين النّظرية والتّطبيق "اللاز" و"العشق والموت في الزّمن الحراشي" للطاهر وطّار أنموذجا، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتوراه، إشراف: عبد الحميد بورايو، 2012/2011.

فهرس المحتويات

الفهـرس:

مقدّمة 1

مدخل 7

الفصل الأوّل: السّيميائية السّردية في النّقد الغربي (أصولها ومفاهيمها الإجرائية) 29

المبحث الأوّل: مرتكزات النّظرية السّيميائية السّردية 31

1 – المرجع الّشكلاني: 31

2– المرجع اللّساني 41

2–1 المرجع السّوسري 41

2–2 المرجع البراغي (المدرسة الوظيفية وبالتّحديد حلقة براغ) 43

2–3 المرجع التّحويلي التّوليدي (المدرسة التّحويلية التوليدية) 44

2–4 أعمال لويس هالمسليف 47

2–5 أعمال كلود ليفي ستراوس 47

المبحث الثّاني: مصطلحات الجهاز المفاهيمي للنّظرية السّيميائية السّردية 58

1– البنية السّطحية La Structure de Surface 58

1–1 المكوّن السّردي Composante narrative 58

1–1–1 السّردية Narrativité 58

1–1–1–1 النّموذج العاملي بوصفه نسق 58

1–1–1–2 النّموذج العاملي باعتباره إجراء 63

1–1–2 البرنامج السّردي: Le programme narratif 65

1–2 المكوّن الخطابي: la composante discursive 71

1–2–1 الدّلالة الخطابية 72

1–2–1–1 مفهوم الصّورة (Figure) 72

1-2-1-2 التّيماتيكي (Thématique) 76
1-2-2 التّركيب الخطابي 76
1-2-2-1 الممثّل/ القائم بالفعل acteur 76
1-2-2-2 التّزمين/ البنيات التّزمينة 79
1-2-2-3 الفضاء/ البنيات الفضائية /المكانية 81
2- البنية العميقة 86
2-1 الوحدات المعنوية الصّغرى 86
2-2 التّشاكل Isotopie 88
2-3 المربع السّيميائي 89

الفصل الثاني: السّيميائية السّردية في النّقد المغاربي "التّلقي والمرجعيات" 93

المبحث الأوّل: واقع تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا من الثّمانينيات إلى الألفية الجديدة 94
1- واقع تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا في الثّمانينيات 94
2- واقع تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا في التّسعينيات 101
3- واقع تلقي السّيميائية السّردية مغاربيا في الألفية الجديدة 104

المبحث الثاني: مرجعيات تشكل التّفكير السّيميائي السّردي المغاربي وآلياته 114
1- مصادر رشيد بن مالك العلمية ومرجعياته الفكرية 117
2- مصادر سعيد بنكراد العلمية ومرجعياته الفكرية 130
3- مصادر محمد النّاصر العجيمي العلمية ومرجعياته الفكرية 134

الفصل الثّالث: التّنظير النّقدي المغاربي للسّيميائية السّردية (قراءة في مؤلّفات رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد)..... 147

الفهـرس:

المبحث الأوّل: تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة النّظرية عند رشيد بن مالك 148

1- كتاب قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص 148

2- كتاب مقدّمة في السّيمائية السّردية 153

3- كتاب البنية السّردية في النّظرية السّيميائية 157

4- كتاب السّيميائيات السّردية 162

5- كتاب السّيميائية(الأصول، القواعد، التّاريخ) 166

6- كتاب من المعجميات إلى السّيميائيات 173

المبحث الثاني: تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة النّظرية عند محمد النّاصر العجيمي 179

- كتاب في الخطاب السّردي (نظرية غريماس) 179

المبحث الثّالث: تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة النّظرية عند سعيد بنكراد 184

- كتاب مدخل إلى السّيميائيات السّردية 184

الفصل الرّابع: تمظهر آليات وإجراءات التّحليل السّيميائي السّردي في مقاربات رشيد بن مالك، محمد الناصر العجيمي، سعيد بنكراد..... 219

المبحث الأوّل: تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة التّطبيقية عند رشيد بن مالك 220

1- قراءة سيميائية في قصة العروس لـ"غسّان كنفاني" 220

2- تحليل سيميائي لقصة عائشة لـ"رضا أحمد حوحو" 224

3- سيميائية الفضاء في رواية ريح الجنوب لـ"عبد الحميد بن هدوقة" 231

4- قراءة سيميائية في كليلة ودمنة لـ"ابن المقفّع" 235

5- دراسة تحليلة لرواية نوار اللّوز لـ"واسيني الأعرج" 241
6- قراءة سيميائية في رواية عواصف جزيرة الطّيور لـ"جيلالي خلاص" 262
7- تحليل سيميائي لرواية الصّحن لـ"سميحة خريس" 267

المبحث الثّاني: تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة التّطبيقية عند محمد النّاصر العجيمي 279
1- مقاربة سيميائية لنص الأرانب والفيلة من كليلة ودمنة 279

المبحث الثّالث: تمظهر السّيميائية السّردية في خطاب الممارسة التّطبيقية عند سعيد بنكراد 291
1- الشّخصيات بين الأطروحة والبناء الفنّي قراءة في رواية "الشّراع والعاصفة" 291

خاتمة 307

الملاحق 314

قائمة المصادر والمراجع 325

الفهرس 333

ملخص البحث باللغة العربية

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على السيميائية السردية وكيفية تلقيها في الساحة النقدية المغاربية ترجمة واشتغالا واصطلاحا وممارسة من خلال أعمال كل من رشيد بن مالك من الجزائر وسعيد بنكراد من المغرب، ومحمد الناصر العجيمي من تونس.

وأبرز ما خلصنا إليه من خلال وقوفنا على ما ورد في متون مؤلفاتهم النقدية الشارحة لنظرية غريماس أنّها جديرة بأن تنتظم ضمن الأعمال القليلة التي أولت عناية بالجانب النظري، ومؤهلة لأن تكون مرجعا تعليميا يعود إليه الدارسون بغرض الإفادة والاستفادة خاصة بعد تمكنهم من إثبات كفاءتهم في تكييف الجهاز المفاهيمي وتطويع أدواته بما يناسب خصوصية النص المقارب والموضوع للدراسة، والكشف عن خباياه وأسراره دون اقتصارهم على جنس أدبي واحد على نحو ما كان مع رشيد بن مالك الذي لم يُقم مقارباته السيميائية على نوع واحد من النصوص السردية التي اتخذها مادة لدراسته من الحكاية إلى القصة إلى الرواية العربية المعاصرة.
الكلمات المفاتيح: تلقي، السيميائية السردية، النقد المغاربي، المعاصر، ترجمة.

Research summary in English

This study seeks to shed light on the narrative semiotics and how they are received in the Maghreb monetary arena translation, work, idiom and practice through the work of each of Rasheed bin Malik from Algeria and Saeed Benkrad from Morocco, and Muhammad Al-Nasser Al-Ajimi from Tunisia .

The most prominent of what we reached by standing on what was stated in the texts of their critical literature explaining the theory of Grimas is that it is worthy to be included among the few works that have paid attention to the theoretical side، And qualified to be an educational reference for students to benefit from, especially after having been able to demonstrate their competence in adapting the conceptual system and adapting its tools to suit the privacy of the close text and subject of the study, And revealing his hidden things and secrets without limiting them to one literary genre as he was with Rashid bin Malik who did not make his semiotic approaches to one type of narrative texts he used as a material for his study from the story to the story to the contemporary Arab novel.

Key words: Recepion, Narrative semiotics, Maghreb criticism, Contemporary, Translation.